



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم القرآن وعلومه

اختلفوا في النبوة في النفس أنواعها وأشكالها

دراسة نظرية تطبيقية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في القرآن وعلومه

إعداد

منى بنت عبدالعزيز بن عبدالسد المعيدر

إشراف الدكتور

حجاج عسري رمضان

الاستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

العام الجامعي

١٤٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً ءَاتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَوَالِدًا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن أولى ما تنفق في تعلمه الأعمار، وهون من أجله الأخطار، وتستنبط منه الدقائق والأفكار، كتاب الله عز وجل فهو أجل الكتب قدراً، وأغزرها فائدةً ونفعاً، وأجملها حكمةً وبيانا، وأوضحها دليلاً وبرهاناً، جعله الله للدين أساساً ومنهاجاً، وللصدر شفاءً ودواءً، من تدبره وعمل بما فيه فهو الموفق السعيد، ومن نبذته وأعرض عنه فهو الشقي البعيد.

ولقد قيض الله لكتابه رجالاً أوقفوا حياتهم على حفظه وتأويله، وأفنوا أعمارهم في معرفة معانيه وتفسيره، واستفرغوا جهدهم في تعلمه وتعليمه، فعرفوا وجوه قراءاته ومواضع تنزيله، وصارت لهم دراية واسعة بمعاني مفرداته وتراكيبه، فحفظ الله بهم كتابه ودينه.

وكان على أرس هؤلاء الرجال سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين له بإحسان ومن بعدهم من أتباع التابعين، فالصحابه نزل القرآن بلغتهم، ومتحدثاً عن عاداتهم التي تربوا عليها؛ إما بالنهي عنها وإما بإقرارها، فالقرآن يتزل بين أظهرهم يُعابنون وقائع نزوله وأحداث

تزيهه، وبين أيديهم رسول الله ﷺ يُبين لهم ما أشكل عليهم، وهم مع ذلك باذلين أنفسهم لفهمه وعلمه والعمل بما فيه.

ولذا كان حرياً أن نقف على مسالكهم، ونأمل في تفاسيرهم ونقارن بين أقوالهم لنفيد منها الفوائد، ونستنبط منها الأصول والقواعد.

وإن من أهم ما يوليه الناظر في تفسيرهم عنايته، ويصرف إليه قَصْدَهُ وَهَمَّتَهُ، مواضع اختلافهم ووفاقهم، ومواطن نزاعهم وإجماعهم، فالحق لا يخرج عن أقوالهم، وطالب الحق لا بد له من معرفة إجماعهم وخلافهم.

إن دراسة اختلاف السلف في التفسير من الأهمية بمكان، إذ هي تتطلب سبر الأقوال، والغوص على مقاصد قائلها، والترجيح بينها، وتحديد سبب الخلاف ونوعه، وهذا من شأنه أن يُنمي فكر الباحث، ويوسع أفقه ومداركه، ويوجد عنده ملكة يستطيع بها التمييز بين صحيح الأقوال وسقيمها.

وإن الناظر لأقوالهم دون معرفة مسالكهم في التفسير، وطرقهم في بيان معاني الآيات ربما ينصب خلافاً بين أقوالهم، أو ينسب إليهم أقوالاً لم يقولوها، أو يُحمّل أقوالهم معاني لم يقصدوها، أو يرمي طائفة منهم بالجهل لقصوره عن إدراك مراميهم.

ومن هنا كانت أهمية هذا الموضوع فعزمت على دراسة اختلاف التنوع في التفسير، للوقوف على خلاف السلف في التفسير وبيان كيفية التعامل معه، تحت عنوان (اختلاف التنوع في التفسير، أنواعه وآثاره، دراسة نظرية تطبيقية).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى طلباً لمرضاته، وطمعاً في ثوابه وعطائه.
٢. الاستفادة من تفسير السلف عن طريق استنباط القواعد والأصول التي بنوا عليها تفسيرهم، والإفادة منها في التعامل مع أقوالهم.
٣. خدمة مصدر مهم من أهم مصادر التفسير وهو تفسير السلف إذ يُعدُّ تفسير السلف المصدر الثالث لتفسير القرآن، بعد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة.
٤. الحاجة إلى معرفة الوجوه التي يفسر بها القرآن الكريم، لدفع توهم التعارض أو التناقض.
٥. ندرة المؤلفات التي جمعت بين التنظير والتطبيق لموضوع الخلاف بين السلف في التفسير.

٦. الرغبة في خدمة جانب مهم وموضوع رئيس من موضوعات أصول التفسير، والتي ما زالت بحاجة إلى كثير عناية ومزيد اهتمام.
٧. أن اختلاف التنوع هو الغالب على تفاسير السلف، ولأن معرفته من الأهمية بمكان "فجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جداً لأن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين"^(١).

أهداف الموضوع:

١. إبراز تأصيل السلف وأهل العلم لاختلاف التنوع في التفسير وبيان أثره.
٢. إخراج دراسة تطبيقية مستقلة بالألفاظ والآيات التي ورد فيها اختلاف التنوع في التفسير من أول سورة الملك إلى آخر سورة المدثر.

الدراسات السابقة:

١. (اختلاف المفسرين، أسبابه وآثاره) وهي رسالة مقدمة من الباحث سعود الفهيسان لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٢هـ.
٢. كتاب بعنوان (أسباب اختلاف المفسرين) مؤلفه: أ.د: محمد الشايع.
٣. (اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف) وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧هـ للدكتور (عبد الله الأهدل).

وهي عبارة عن دراسة لأسباب اختلاف المفسرين وبيان ما يندرج تحت هذه الأسباب من اختلاف تنوع أو تضاد. وقد ذكر ذلك الباحث في أثناء بيانه لمنهج البحث حيث يقول (قمت بوضع تلك الأسباب للاختلاف في أبواب مستقلة كل سبب في باب، ثم قمت بدراسة تلك الأسباب، مبيناً ما في كل باب من اختلاف تنوع، أو تضاد، وما يغلب على كل باب من اختلاف..).

(١) مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية تحقيق: عدنان زررور (ص: ٥٤).

٤. عَقَدَ الدكتور مساعد الطيار في كتابه "فصول في أصول التفسير" فصلاً موجزاً حول اختلاف السلف وأنواعه وأسبابه، وفيه تحرير جيد لمسائل الخلاف.

٥. عقد الدكتور فهد الرومي في كتابه "بحوث في أصول التفسير ومناهجه" مبحثاً موجزاً جداً عن الاختلاف وأنواعه وأسبابه.

أما بالنسبة لاختلاف التنوع في التفسير فمن خلال اطلاعي على الدراسات القرآنية والرسائل العلمية منها، وسؤال مراكز البحث، لم أجد من تناول هذا الموضوع بالصورة التي رسمتها.

فأردت أن أسهم بخدمة متواضعة في موضوع اختلاف التنوع في التفسير وبيان أنواعه، وآثاره، وإضافة لبنة جديدة للمشاركة في هذا الموضوع الهام.

الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

١. الدراسات السابقة اهتمت بأسباب اختلاف المفسرين بصفة عامة، أما ما هدفت إليه في هذه الدراسة فهو ذكر أسباب اختلاف التنوع، لا سيما وأنه ليس كل سبب لاختلاف المفسرين، يصلح لأن يكون سبباً لاختلاف التنوع.

٢. أما رسالة (اختلاف التنوع واختلاف التضاد) إن كانت تحمل مسمى اختلاف التنوع، إلا أنها عبارة عن دراسة لأسباب الاختلاف المفسرين وبيان ما يندرج تحت هذه الأسباب من اختلاف تنوع أو تضاد، دون ذكر أنواعهما، أو آثارهما، ودون تمييز بين أسباب الاختلاف وأنواع الاختلاف - كما بين الباحث ذلك في أثناء كلامه عن منهجه في البحث، وكما ظهر لي ذلك أيضاً من خلال اطلاعي على الرسالة -.

وأما ما هدفت إليه في هذا البحث فهو تخصيص الرسالة لدراسة اختلاف التنوع في التفسير، وتأصيل هذا الموضوع من خلال أقوال السلف، وتقعيد العلماء، وبيان أنواعه، والآثار المترتبة من هذا الاختلاف على التفسير، وتخصيص قسم للدراسة التطبيقية.

الإضافات الجديدة في هذا البحث:

١. أن الدراسات السابقة لم تتحدث عن موضوع اختلاف التنوع بالصورة التي رسمتها.

٢. تتبع أقوال السلف في اختلاف التنوع لبيان أنه كان موجوداً معروفاً عندهم.
 ٣. ذكر أسباب اختلاف التنوع.
 ٤. بيان الأنواع التي تندرج تحت اختلاف التنوع.
 ٥. إبراز آثار اختلاف التنوع على التفسير.
 ٦. إخراج دراسة تطبيقية تبين اختلاف التنوع عند السلف.
- وهذه الإضافات لم تتحدث عنها الدراسات السابقة أبداً و أرجو أن أوفق إليها في هذه الدراسة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة:

وتشتمل على ما يلي:

بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.

القسم الأول: الدراسة النظرية

وفيه خمسة فصول:

وفيه مبحثان:

الفصل الأول: الاختلاف في التفسير معناه، وأنواعه.

المبحث الأول: المراد بالاختلاف في التفسير.

المبحث الثاني: أنواع الاختلاف في التفسير.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف التنوع .

المطلب الثاني: اختلاف التضاد.

وفيه ثلاثة مباحث:

الفصل الثاني: نشأة اختلاف التنوع.

المبحث الأول: اختلاف التنوع في كلام الصحابة .

المبحث الثاني: اختلاف التنوع في كلام التابعين.

المبحث الثالث: اختلاف التنوع في كلام أتباع التابعين.

وفيه ثلاثة مباحث:

الفصل الثالث: اختلاف التنوع، أنواعه، وأسبابه

وتحتة مطلبان:

المبحث الأول: الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع.

المطلب الأول: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى معنى واحد.

المطلب الثاني: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى أكثر من معنى.

المبحث الثاني: أسباب الاختلاف العامة.

المبحث الثالث: أسباب خاصة باختلاف التنوع. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب راجعة إلى معنى واحد، وفيه خمسة فروع.

الأول: ذكر المثال للفظ العام.

الثاني: التفسير باللازم.

الثالث: تقريب المعنى المراد.

الرابع: تفسير اللفظ بما هو أعم منه.

الخامس: تعدد أوصاف المسمى الواحد.

المطلب الثاني: أسباب راجعة إلى أكثر من معنى، وفيه ثلاثة فروع.

الأول: الاشتراك اللغوي.

الثاني: أن يعود الضمير إلى أكثر من مذكور.

الثالث: أن يكون في الآية صفة تحتمل أكثر من موصوف.

وفيه أربعة مباحث:

الفصل الرابع: منهج العلماء في تأصيل اختلاف التنوع

المبحث الأول: منهج ابن تيمية في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الثاني: منهج ابن كثير في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الثالث: منهج الشاطبي في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الرابع: منهج ابن عثيمين في تأصيل اختلاف التنوع.

الفصل الخامس: آثار اختلاف التنوع.

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية.

من أول سورة الملك إلى آخر سورة المدثر.

الخاتمة:

وفيها بيان أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

تذييل الرسالة بفهارس علمية كما يلي:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الأحاديث.
٣. فهرس الأعلام.
٤. فهرس الفرق.
٥. فهرس الأماكن والبلدان.
٦. فهرس الآيات الشعرية.
٧. ثبت المصادر والمراجع.
٨. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

أسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي وفق ما يلي:
- استقرأت ما كتب حول معنى الاختلاف في التفسير ، ومعنى اختلاف التنوع والتضاد.
- بينت تأصيل العلماء لاختلاف التنوع ومناهجهم من خلال أقوالهم.
- أوردت دراسة تطبيقية على نماذج من ربيع يس، من أول سورة الملك إلى آخر سورة المدثر

و منهجي فيها كالتالي:

١. حصر أقوال السلف المختلفة، أو التي ظاهرها الخلاف الواردة عنهم في معنى كلمة أو جملة أو آية من خلال تفسيري الطبري وابن أبي حاتم، وقد بلغت سبعين مسألة.
٢. ذكر الآية التي ورد فيها اختلاف تنوع ثم أحدد الموضوع الذي اختلف في تفسيره.
٣. أوردت الأقوال في الآية منسوبة إلى أصحابها.

٤. ذكر المعنى اللغوي للمفردة-موطن الخلاف- إن كان للخلاف تعلق بها، والربط بين المعنى اللغوي وبين تفاسير السلف، لأن غالب تفاسيرهم كانت على المعنى المقصود من الآية.

٥. أوضح هذا الاختلاف من أي الأنواع التي تدرج تحت اختلاف التنوع .

٦. ثم أبين سبب الاختلاف بين أقوالهم.

٧. دراسة الأقوال، وبيان ما كان منها تفسيراً بالعموم أو باللازم أو بالمثال أو بجزء المعنى وغيرها.

٨. النظر في إمكان الجمع بين الأقوال، ومراعاة أنه قد تُقبل كل الأقوال لصحتها، وقد يكون بعضها أولى بالقبول من الآخر، ولا تعني الأولوية ردّ بقية الأقوال.

٩. الترجيح عند عدم إمكان الجمع، وبيان أسباب ترجيح أحد الأقوال وعلل اختياره.

-عزوت الآيات التي ترد في البحث إلى مواضعها من القرآن الكريم مع ذكر رقم الآية .
-خرّجت الأحاديث التي ترد في ثناياه، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بتخرجه منهما أو من أحدهما، وإن لم تكن في الصحيحين فإني مع عزوها إلى مصادرها أذكر درجتها صحة وضعفاً، معتمدة في ذلك على أقوال أئمة العلم فيه.

-عزوت الأقوال إلى قائلها .

-ترجمت للأعلام غير المشهورين الوارد ذكرهم في صلب الرسالة .

-عرّفت بالقبائل والبلدان.

-عزوت الآيات الشعرية إلى قائلها.

-تذييل الرسالة بمجموعة من الفهارس تساعد الباحث في الوصول إلى مراده بيسر وسهولة.
وختاماً فإني أشكر الله سبحانه على أن وفقني لخدمة كتابه، وأعاني على إتمام هذا العمل، فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يجب ربنا ويرضى .

— ثم أتقدم بوافر شكري وعظيم تقديري (لوالديّ الكريمين) — حفظهما الله — لما حظيت به من العناية الكريمة منهما وحسن توجيههما لي في طلب العلم، وتشجيعهما الدائم على المضي قدماً في هذا البحث، فجزاهما الله عني خيراً ما جزى والدين عن أولادهما، وأسأل الله أن يوفقي لبرّهما والإحسان لهما، وأن يرزقني رضاها عني، وأن يجعلني دوماً عند حسن ظنهما.

ثم أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي تعلمت في رحابها، أدام الله عزها، ووقاها مكر أعدائها، وجعلها منارة للعلم والعلماء.

والشكر لكلية أصول الدين، ممثلة في قسم القرآن وعلومه.

وشكري وتقديري لأستاذي الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث وهو فضيلة الشيخ الدكتور: حجاج عربي رمضان الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه على تحشُّمه متابعة هذا العمل، وتقويم اعوجاجه، فقد كان لحسن إشرافه وتوجيهاته وآرائه عظيم الفائدة لي فأسأل الله أن يرفع ذكره، ويعلي قدره، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

— وممن يستحق شكري في هذا المقام أهلي وخاصة (إخواني) — أسعدهم الله في الدنيا والآخرة — جزاءً وقوفهم معي، ومساندتهم لي طيلة هذه الفترة، فجزاهم الله عني خير الجزاء ونفع الله بهم.

كما أخص بالشكر كل من أعانني على إتمام هذا البحث، فلهم مني جزيل الشكر وأوفاه، سائلة الله سبحانه أن يبارك فيهم، وأن يوفقهم لخيري الدنيا والآخرة، وأن يجعل عملهم الصالح شافعاً لهم يوم لقاء الله.

وأرجوا من الله أن يكون هذا العمل لبنة نافعة في بناء علم أصول التفسير، وأن يكون مسهماً في إبراز موضوع من أهم موضوعاته "وليس يضُرُّني وقوفُ أهل المعرفة على ما لي من التَّقْصِيرِ، ومعرفةُهم أنِّ باعي في هذا الميدان قصير، لا عترافي أني لستُ من تُقَادِ هذا الشأن، وإقرارِي أني لستُ من فرسان هذا الميدان، لكنني تصدّيتُ لهذه الرسالة من غير إحسان ولا إعجاب، ومن عُدَمِ الماء تيمّمِ التراب، عالمةً بأنِّي لو كنتُ بارية قوسِها ونبالِها، وعنترة فوارسِها ونزالها، فلا يخلو كلامي من الخطأ عند الانتقاد، ولا يصفو جوايي من العَلَطِ عند التُّقَادِ، فالكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو كلامُ الله في كتابه العزيز الكريم، وكلامٌ مَنْ شَهِدَ بعصمته الذكر الحكيم، وكل كلامٍ بعد ذلك فله خطأ وصواب، وقشرٌ ولبابٌ.

ومن قصد وجه الله في عمل من أعمال البر والتُّقَى، لم يحسُنْ منه أن يتركه لما يجوز عليه في ذلك من الخطأ، فالأمرُ في ذلك قريبٌ؛ إنْ أخطأ فَمَنْ الذي عُصِمَ، وإنْ خُطِيءَ فَمَنْ الذي ما وُصِمَ، وطالب الحق لا يخاف أن يُنقَدَ عليه خلل في كلامه، بل يجب الحق من حيث أتاه، ويقبل الهدى ممن أهدها، وأرجو من الله أن أكون كذلك.

فإن وقف على كلامي ذكياً لا يستقويه، فالأولى به أن يخفض لي جناح الذل من الرحمة، ويشكر الله على أن فضله عليّ بالحكمة^(١) وحسبي أني اجتهدت، وإلى الصواب قصدت، وقد أفرغت في جمعه طاقتي وجهدي، وبذلت فيه فكري وقصدي، فإن وُفِّتُ فهذا بفضل ربي ومولاي، وإن أخطأت فيما كسبت يداي.

والله أسأل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبَّله بقبول حسن، وأن يُثقل به موازيني، وأن يجعله حجةً لي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) مقتبس من كلام الإمام محمد بن إبراهيم اليماني في مقدمة كتابه "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ص: ٢٢٣-٢٢٤ بتصرف.

القسم الأول: الدراسة النظرية: وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: الاختلاف في التفسير معناه، وأنواعه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المراد بالاختلاف في التفسير.

المبحث الثاني: أنواع الاختلاف في التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف التنوع.

المطلب الثاني: اختلاف التضاد.

الفصل الثاني: نشأة اختلاف التنوع، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختلاف التنوع في كلام الصحابة.

المبحث الثاني: اختلاف التنوع في كلام التابعين.

المبحث الثالث: اختلاف التنوع في كلام أتباع التابعين.

الفصل الثالث: اختلاف التنوع، أنواعه، وأسبابه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع. وتحتته مطلبان:

المطلب الأول: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى معنى واحد.

المطلب الثاني: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى أكثر من معنى.

المبحث الثاني: أسباب الاختلاف العامة.

المبحث الثالث: أسباب خاصة باختلاف التنوع. وفيه مطالبان:

المطلب الأول: أسباب راجعة إلى معنى واحد

المطلب الثاني: أسباب راجعة إلى أكثر من معنى

الفصل الرابع: منهج العلماء في تأصيل اختلاف التنوع، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهج ابن تيمية في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الثاني: منهج ابن كثير في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الثالث: منهج الشاطبي في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الرابع: منهج ابن عثيمين في تأصيل اختلاف التنوع.

الفصل الأول: الاختلاف في التفسير معناه، وأنواعه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المراد بالاختلاف في التفسير.

المبحث الثاني: أنواع الاختلاف في التفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اختلاف التنوع.

المطلب الثاني: اختلاف التضاد.

الفصل الأول:

الاختلاف في التفسير معناه وأنواعه

المبحث الأول:

المراد بالاختلاف في التفسير

لقد أنزل الله القرآن بلسان عربي مبين، ودعا الناس إلى تدبر آياته وفقه معانيه، فقال تعالى (كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُوكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو أَلْبَانٍ) (ص: ٢٩). ولا شك أن العلماء هم أولى الناس بتدبر القرآن والتفكير في معانيه، لاسيما السابقين منهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وقد قاموا بهذه المهمة خير قيام. ولما كان سبحانه قد فاوت بين عقول الناس وأفهامهم، كان من الطبيعي أن تختلف أفهامهم حول بعض آيات القرآن، وأن تتفاوت آراؤهم حول بعض معانيه، ولا إشكال في هذا ولا حرج طالما كان طلب الحق هو الغاية، والوصول للصواب هو المراد. يقول ابن القيم^(١) "وقوع الاختلاف بين الناس أمرٌ ضروري لا بد منه، لتفاوت إرادتهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباين والتحزب، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف، فإنه أمرٌ لا بد منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة، لم يكفد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كاختلاف الصحابة، فإن الأصل الذي بنوا عليه واحد، وهو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والقصد واحد وهو طاعة الله ورسوله ﷺ، والطريق واحد وهو النظر في أدلة القرآن والسنة، وتقديمها على كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة"^(٢)

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية. اشتغل بالعلم وكان كثير الطلب ليلاً ونهاراً، وبرع في علوم متعددة لا سيما التفسير والحديث والأصول، وكان عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف. ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٤/٢٣٤)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، ت: محمد عبد المعيد (٥/١٣٧).

(٢) الصواعق المرسله، ت: د. علي الدخيل الله (٢/٥١٩).

والاختلاف مصطلح عام يدخل فيه الاختلاف الفقهي، والعقدي، وكذا الاختلاف في التفسير وهو المراد بالبحث.

فمن يطالع كتب التفسير- وبخاصة الكتب التي عنيت بذكر أقوال السلف - يلحظ أحياناً أن ثمة اختلافاً بين أقوالهم في تفسير اللفظة أو الآية، وهذا الاختلاف وإن كان موجوداً عند الصحابة رضوان الله عليهم إلا أنه كان قليلاً جداً، بالنسبة لما عند التابعين بعدهم. والمتأمل لهذا الاختلاف يجد أن غالبه يرجع إلى اختلاف التنوع لا إلى اختلاف التباين والتضاد. كما يظنه بعض من لا علم عنده ويعتقد أن في تفسير القرآن الكريم تناقضاً واختلافاً ويجعل ذلك مدخلاً للطعن في القرآن الكريم .

فاختلاف السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم كان وفق أصول وضوابط معينة، فهو اختلافٌ لا يضر، بل هو كما قال الحسن: "أهلُ رحمة الله لا يختلفون اختلافاً يضرُّهم"^(١) **تعريف الاختلاف:**

الاختلاف: مصدر من "خلف": والخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها: أن يجيء شيءٌ بعد شيءٍ يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدام، والثالث: التغيير. واختلف الناس في كذا، والناس خلفه: أي مختلفون، فهي من الباب الأول، لأن كل واحد منهم يُنحي قول صاحبه، ويقيم نفسه مقام الذي نُحاه.^(٢) وهو مصدر، فعله اختلف. "واختلف ضد اتفق"^(٣). "وقد خالفه مُخَالَفَةً وَخِلَافاً... وَتَخَالَفَ الْأَمْرَانِ وَاحْتَلَفَا: لَمْ يَتَّفَقَا، وَكُلُّ مَا لَمْ يَتَسَاوَوْا فَقَدْ تَخَالَفَ وَاحْتَلَفَ"^(٤). "والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"^(٥).

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٣٦/١٥) بتصريف يسير. تحقيق: محمود شاكر.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٧٠/٢) (مادة: خلف).

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص ١٠٤٥. (مادة: خلف).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٨٢/٩). مادة (خلف).

(٥) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ت: محمد سيد كيلاني (ص ١٥٦).

فتبيّن مما سبق: أن كلمة الخلاف أو الاختلاف في لغة العرب يُرادُ بها مُطلقُ المغايرة والتباين بين شيئين، سواء أنشأ عن هذه المغايرة تناقضٌ وتضادٌ أم لا. "ولفظ الاختلاف في القرآن إنما ورد بمعنى المغايرة وعدم التماثل - سواء أكان هناك تناقضٌ وتعارضٌ أم لا - إذ هو شامل للخلاف بنوعيه ولم تأت في القرآن لغير هذا المعنى، بخلاف كلمة (خلاف) التي تحتل أكثر من معنى، ولا يتحدد المقصود منها إلا بالسياق^(١).

(١) وتأمل المواضع التي ورد فيها ذكر لفظي الخلاف والاختلاف يظهر ما يلي:

"- أن الاختلاف بين الناس في آرائهم ومعتقداتهم وأفكارهم لم يرد إلا بلفظ "الاختلاف"، على حين أن لفظ "الخلاف" جاء بمعنى المخالفة لأمر الله ورسوله أو بمعنى المغايرة في قطع الأعضاء، ولم يرد ذكر اختلاف بين الناس بلفظ الخلاف. - أن لفظ الخلاف استعمل في خصوص المخالفة لشرع الله، أما الاختلاف فيشمل الاختلاف الجاري على وفق قواعد الشرع، والاختلاف الخارج عن قواعد الشرع.

- أن الاختلاف يجوز أن يقع بين فريقين أحدهما مُحِقٌّ، والآخر مُبْطِلٌ كقوله تعالى (وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا ۚ جِج ۚ مِّنْ كَفَرٍ (البقرة: ٢٥٣) وقوله (وَمَا اٰخْتَلَفْتُمْ فِيْهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ اِلَى اللّٰهِ) (الشورى: ١٠)، ويجوز أن يقع بين فريقين وكلاهما مبطل كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح، قال تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا تُرْثَرْنَ عَلَيْهِ كِك ك (النساء: ١٥٧)، أما الخلاف فكل من وصف به في القرآن فهو على باطل وضلال.

- إذا ورد لفظ الاختلاف بين المتنازعين بصيغة الماضي أو المضارع "اختلفتم - اختلفون - يختلفون" فإنه في الغالب يتبعه بيان أن مراد المختلفين إلى الله، وأنه تعالى يفصل بينهم لإحقاق الحق وإبطال الباطل، أما إذا ورد الإخبار عن المخالفين بلفظ الخلاف فإنه تعالى لا يذكر أنه سيفصل بينهم، بل يتوعد المخالفين له ولرسوله ﷺ بالعذاب الشديد (فَلْيَحْذَرِ كِك ك (النور: ٦٣)، أو يذكرهم في معرض الذم والتوبيخ (الْمُخْلَفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُوْلٍ اللّٰهِ وَكَرِهُوْا اَنْ يُجَاهِدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ) (التوبة: ٨١).

- أن الاختلاف ورد استعماله تارة بمعنى التعارض والتضاد بين الأقوال كقوله تعالى (يٰٓاٰمَنُوْا اٰخْتَلَفُوْا فِي الْكِتٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيْدٍ) (البقرة: ١٧٦) وقوله تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ) (النساء: ١٥٧)، وتارة بمعنى تنوع الأشياء واختلاف الأجناس والألوان ونحو ذلك، كقوله تعالى (إِنَّ فِي اٰخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ يٰٓاٰمَنُوْنَ) (يونس: ٦) وقوله (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا اُكْلُهُمْ) (الأنعام: ١٤١) فمنه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم.

ولا يعني هذا وجوب التفريق بينهما في كل حال، وإنما هي إشارة إلى مفهوم اللفظين والمراد بهما في القرآن، أمّا ما يجري في كلام العلماء من استعمال كل منهما موضع الآخر فلا إشكال فيه، والناظر في استعمالات العلماء لكلمتي الخلاف والاختلاف لا يجد أثراً لتلك التفريقات المذكورة؛ إذ يجري التعبير بالكلمتين عن معنى واحد^(١) "٢" "فالعلماء يستعملون كلتا الكلمتين لتأدية نفس المعنى باعتبارهما من المترادف، فتتعاوران وتتعاقدان"^(١) "وقصارى الأمر ألا مُشاحّة في الاصطلاح بعد فهم المعنى"^(٢).

قال أبو هلال العسكري "...ومن الاختلاف ما ليس بمذموم، ألا ترى قوله تعالى (وَلَهُ أُخْتَلَفَ ك ك) (المؤمنون: ٨٠) فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سَنَنِ واحد وهو دال على علم فاعله "الفروق اللغوية" (ص: ١٧٦-١٧٧)، أما الخلاف فلم يَرِدْ إلا في معرض الذم.

- أن الاختلاف بمعنى تنوع الأشياء وتفاوت الأجناس، يكون فيما يُنسبُ إلى الله تعالى، أو ما يَخْتَصُّ به الله عز وجل من الخلق والتدبير، ولم يكن للبشر فيه مدخلٌ كقوله تعالى (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) (فاطر: ٢٧) وهذا الاختلاف من الآيات الدالة على عظيم قدرة الله، قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسَنِكَمُ وَاللَّوْنِكُمْ) (الروم: ٢٢) أما الاختلاف بمعنى التضاد فهو ما كان منسوباً إلى البشر أو واقعاً بينهم، ومن أظهر الأدلة على هذا التفريق قوله تعالى (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢).

- أن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض، قال (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء: ٨٢).

- أن أكثر من وصفهم الله في القرآن بالاختلاف والتفرق أهل الكتاب، فهم أكثر الناس تفرقاً ونزاعاً، قال تعالى (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) (ال عمران: ١٠٥) وقال تعالى (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَمُوتُ بِبِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي تَمَّ فِيهِ نِي) (النمل: ٧٦).

ومما تقدم يبدو جلياً أن معنى الاختلاف في القرآن أوسع دلالة من الخلاف؛ إذ هو شامل للخلاف بنوعيه ما كان منه متعارضاً وما كان غير متعارض، وهذا هو ما تقتضيه قواعد اللغة إذ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالباً.

الاختلاف بين السلف في التفسير، للباحث: محمد صالح سليمان، ص ٢١-٢٢، وهي رسالة ماجستير، عام ١٤٢٨هـ - جامعة الأزهر.

(١) ينظر مثلاً: تفسير الطبري (١/٦٥-٤٨-١٣١)، وتفسير ابن كثير (١/٣٥-٧٢). وغير ذلك كثير.

(٢) ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير، للباحث: محمد صالح سليمان، ص ٢١-٢٢.

تعريف التفسير:

معنى التفسير في اللغة:

مشتق من الفَسَّرَ، وهو الكشف والبيان، يُقال: فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ: أبانَه، والتفسير مثله، واستفسرته كذا: أي سألتُه أن يُفسرَه لي، والتفسيرُ، اسمٌ للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يُستدل به على مرض البدن، وكل شيء يُعرف به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسِرُهُ، والفَسْرُ كشف المعطى، والفَسْرُ يدل على بيان الشيء وإيضاحه، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل^(٣).

فالتفسير يدل على الكشف والبيان.

التفسير اصطلاحاً:

عُرف التفسير بتعريفات كثيرة ومتنوعة، وكثرت أقوال العلماء في بيان ماهيته، وسأعرض بعض هذا التعريفات، فأقول وبالله التوفيق:

عرفه ابن جزى^(٤) بقوله "معنى التفسير: شرح القرآن، وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه"^(٥)

وقال أبو حيان^(١): "التفسير: علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حال التركيب، وتتمت ذلك.

(١) كيف نختلف، للشيخ عبد الله بن بيه، مقال منشور بموقع ملتقى أهل التفسير بتاريخ (٢٠٠٥/٦/٨).

(٢) أدب الخلاف، تأليف: د/صالح بن عبد الله بن حميد (ص: ٩).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤٠٢/٤ (مادة: فسر)، وتهذيب اللغة للأزهري (٢٨٣/١٢) (مادة: فسر)، والصحاح

للجوهري (٣٤٥/٣) (مادة: فسر)، ولسان العرب (٥٥/٥) (مادة: فسر)، والقاموس المحيط ص ٥٨٧ (مادة: فسر).

(٤) هو محمد بن أحمد ابن جزيّ الغرناطي المعروف بابن جزى الكلبي، أبو القاسم، فقيه، أصولي، لغوي، مفسر، صاحب

كتاب "التسهيل في علوم التتزيل" قتل في أحد المعارك سنة (٧٤١) هـ.

ينظر الديباج المذهب، لابن فرحون (ص: ٢٩٥)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثمانية، لابن حجر (٨٨/٥).

(٥) التسهيل لعلوم التتزيل، لابن جزى ٦/١.

وقد شرح هذا التعريف بقوله:

فقولنا: "علم": هو جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن": هذا علم القراءات.

وقولنا: "ومدلولاها" أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية": هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع.

"ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب": شمل بقوله: "التي تحمل عليها": ما دلالة عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئاً، ويصدُّ عن الحمل على الظاهر صادئاً، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز.

وقولنا: "وتتمت ذلك": هو معرفة النسخ، وسبب النزول، وقصة توضح ما انبهم في القرآن، ونحو ذلك^(٢).

وعرفه الزركشي^(٣) في موضعين من كتابه البرهان في علوم القرآن، فقال في الموضوع الأول: "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"^(٤).

(١) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين أبو حيان، نحوي، ولغوي، مقرئ، ومفسر، ألف في التفسير كتاب "البحر المحيط"، ومن مؤلفاته أيضاً "تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" توفي سنة (٧٤٥). ينظر "نكت الهميان، للفصدي (ص ٢٨٠)، ومعجم المفسرين، لعادل نويهض (٢/٦٥٥).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان ١/١٢١.

(٣) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، بدر الدين أبو عبد الله، صاحب التصانيف، كان فقيهاً أصولياً أديباً، من مؤلفاته "البرهان في علوم القرآن". قال ابن حجر في إنباء الغمر (٣/١٤٠) "ورأيت أنا بخطه من تصنيفه البرهان في علوم القرآن، من أعجب الكتب وأبدعها"، توفي سنة (٧٩٤). ينظر: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (٣/١٣٨)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٦/٣٣٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/١٣.

وعرفه في الموضوع الثاني، فقال: "هو علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكيتها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومحملها ومفسرها. وزاد فيه قوم، فقالوا: علم حلالها وحرامها، ووعدتها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"^(١).

وعرفه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور^(٢) - رحمه الله - بأنه "اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، وما يستفاد منها، باختصار أو توسع"^(٣) وعرفه الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني^(٤) - رحمه الله - بأنه: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية"^(٥) وعرفه الشيخ / مناع القطان^(٦) - رحمه الله - بأنه: "بيان كلام الله المتزل على محمد ﷺ. ثم بين ذلك بقوله:

"فبيان كلام الله - هذا المركب الإضافي - يُخرج بيان كلام غير الله من الإنس والجن والملائكة.

والمتزل: يُخرج كلام الله الذي استأثر به سبحانه.

(١) البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٤٨ .

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين في تونس، وشيخ جامع الزيتونة، من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، مفسر، لغوي، نحوي، له عدة مشاركات أدبية وتحقيقات علمية، ومن أشهر كتبه "التحرير والتنوير" في التفسير، توفي سنة (١٣٩٣). ينظر الاعلام، للزركلي (١٧٤/٦).

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١ / ١١ .

(٤) محمد بن عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر. بمصر، تخرج من كلية أصول الدين، ودرّس بها، من أهم مؤلفاته "مناهل العرفان في علوم القرآن" توفي سنة ١٣٦٧ هـ. الاعلام (٢١٠/٦)، كتاب مناهل العرفان دراسة وتقويم، للدكتور: خالد السبت (٤٤/١).

(٥) مناهل العرفان للزرقاني (٤/٢).

(٦) مناع القطان أبو محمد، ولد سنة ١٩٢٥ بقرية شنشور بالمنوفية بمصر، وحفظ القرآن ودرس بالأزهر وحصل على الإجازة العالية، واشتغل بالدعوة في مصر ثم رحل إلى السعودية وأسندت إليه إدارة الدراسات العليا بجامعة الإمام وعدة مناصب أخرى، وألف عدة مؤلفات أشهرها مباحث في علوم القرآن، توفي سنة ١٤٢٠ هـ. ينظر: علماء ومفكرون عرفتهم للمجدوب (٤٤٧/١ - ٤٦٠).

وتقييد المتزل بكونه "على محمد ﷺ": يُخرج به ما أنزل على الأنبياء قبله؛ كالتوراة والإنجيل^(١).

وعرفه الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - بأنه: "بيان معاني القرآن الكريم"^(٢). وإذا تأملت التعريفات السابقة تلاحظ:

أولاً- "أن بعض أصحاب هذه التعريفات نظر إلى جملة العلوم التي تستبطنها كتب التفسير، ولكثرتها فإنه لا يتمكن من حصرها وعدّها كلها في التعريف، فجاءت في بعض التعريفات مثالا لهذه الموضوعات، وهذا ليس فيه تحديداً دقيقاً لعلم التفسير، ويظهر هذا واضحا في تعريف أبي حيان والزر كشي^(٣).

ثانياً- أن بيان المعنى هو القاسم المشترك بين هذه التعريفات فكلها متفقة على أن التفسير هو بيان المعنى وإيضاحه.

وهذا هو الضابط- أعني بيان معنى القرآن- الذي يُحدّد على أساسه ما هو داخل في علم التفسير، وما هو خارج عنه، "فكل معلومة فيها بيان للمعنى فإنها من التفسير، وإن لم يكن لها أثر في بيان المعنى فهي خارجة عن مفهوم التفسير، وإنما ذُكرت في كتبه؛ إما لقربها من علم التفسير بكونها من علوم القرآن، وإما لتفنّن المفسّر بذكر العلم الذي برز فيه، فجعل تفسيره للقرآن ميداناً لتطبيقات علمه، وإما لوجود علاقة أخرى بينها وبين ما يذكره المفسّر"^(٤).

معنى الاختلاف في التفسير:

بعد أن سبق تعريف الاختلاف، والتفسير، فإنه يمكن الانطلاق منها إلى تعريف هذا المركب- اختلاف المفسرين- فأقول:

"أن يذكّر المفسرون في بيان معنى اللفظة أو الآية الواحدة أقوالاً متغايرة، سواء أكانت متضادة أم لا.

(١) مذكرة علوم القرآن، كتبها لطلاب الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه عام ١٤١١هـ. (ص: ٣٤) نقلا عن قواعد الترجيح، لحسين الحري (٣٢/١).

(٢) أصول في التفسير ص ٢٥.

(٣) التفسير اللغوي، للدكتور: مساعد الطيار (ص: ٢٥).

(٤) مفهوم التفسير والتأويل، د. مساعد الطيار (ص: ٥٤).

فاختلافُ المفسرين إنما هو اختلافٌ حول المعنى المراد من لَفْظَةٍ أو آيةٍ ما، فيذكرُ كلُّ منهُم قولاً مغايراً لقولِ الآخر، وقد يكونُ الجمعُ بين هذه الأقوالِ المتغايرةِ مُمكنًا، وهو ما يسمى باختلافِ التنوع، وقد لا يُمكنُ الجمعُ بينها، ويتحتمُّ قبولُ بعضها دون بعض، وهو ما يسمى باختلافِ التضاد^(١).

فالآية قد تحتل ما قيل فيها من معاني وإن اختلفت، لأجل التنوع بينها، وقد لا تحتل كل المعاني لأجل التضاد.

لذا فالاختلاف في التفسير إما أن يرجع إلى التنوع أو إلى التضاد.

(١) الاختلاف بين السلف في التفسير (ص: ٣٤).

المبحث الثاني:

أنواع الاختلاف في التفسير

المطلب الأول:

سبق وأن ذكرت أن الاختلاف في التفسير على قسمين:

١. اختلاف تنوع.

٢. اختلاف تضاد.

وقد وقع هذان القسمان في تفسير السلف، إلا أن الثاني قليل. وقد قرر ذلك

ابن تيمية^(١) بقوله "إن الخلاف بين السلف في التفسير قليل، وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد"^(٢)

اختلاف التنوع:

التنوع في اللغة: التنوع، و الأنواع جماعة، وهو كل ضرب من الشيء وكل صنف من الثياب والثمار وغير ذلك حتى الكلام وقد تنوع الشيء أنواعاً^(٣).

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني الحنبلي المعروف بابن تيمية. تفقه وتميز وفاق الأقران، وصنف الكتب وصار عجباً في سرعة الاستحضار، وقوة الجنان، توفي سنة ٧٢٨هـ. ينظر: الدرر الكامنة (١/١٦٨)، البداية والنهاية (١٣/١٠٩).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٣٨).

(٣) ينظر: لسان العرب (٨/٣٦٤) "مادة: نوع".

أما في الاصطلاح:

لقد رجعتُ إلى كلام العلماء السابقين ممن كتب عن الاختلاف في التفسير، فلم أقف في مؤلفاتهم على تعريف لاختلاف التنوع، إذ إنهم كانوا يذكرون بعض الصور الداخلة تحته دون حد له بتعريف.

وعرفته بعض الدراسات الحديثة بأنه: " أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة"^(١).

وهذا التعريف غير دقيق لسببين:

الأول: أنه راعى صحة الأقوال في ذاتها ولم ينظر إلى مدى احتمال النص الكريم لها أو عدم احتمالها، وهذا غير دقيق فقد يكون القول صحيحاً في ذاته لكنه غير داخل في نص الآية المفسرة.

الثاني: أن التعريف روعيت فيه حالة الجمع بين الأقوال الواردة في تفسير الآية ولم يراع فيه حالة الاختلاف نفسها مع أن هذا هو المقصود. فالكلام عن الاختلاف وليس عن الجمع.

والأدق أن يقال:

اختلاف التنوع يعني به: تعدد الأقوال التفسيرية الواردة في معنى النص المفسر شريطة احتمالها.

أقسام اختلاف التنوع:

ينقسم اختلاف التنوع إلى قسمين رئيسيين يتفرع عنهما أنواع:

القسم الأول: ما يكون معنى القولين فيه واحداً لكن العبارتين مختلفتان.

القسم الثاني: ما يكون فيه المعنيان متغايرين لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وذلك قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر.^(١)

^(١) فصول في أصول التفسير، للدكتور: مساعد الطيار (٥٩)، وأسباب اختلاف المفسرين، للدكتور: محمد الشايع (ص ١٦).

فأما الأنواع التي تتفرع عن القسمين السابقين فستبين في موضعها.

(١) ينظر: "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية. ص ٣٧-٣٨.

المطلب الثاني: اختلاف التضاد:

التضاد في اللغة:

ضد الشيء و ضديده خلافه، وضده أيضاً مثله.

والضد كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه فالسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك.^(١)

وليس كل ما خالف الشيء ضداً له، فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كل متضادين مختلفان، وليس كل مخلفين ضدين.^(٢)

فالمتضادان الشيعان لا يمكن اجتماعهما في وقت واحد.

و في الاصطلاح:

هو: أن يرد في معنى الآية قولان متنافيان بحيث يتعين من قبول أحدهما رد الآخر^(٣).

والقاعدة في اختلاف التضاد: "أن يترجح أحد الأقوال على سبيل التعيين؛ لأنه لا يمكن القول بما معاً فلزم الترجيح، وهو هنا تصحيح لقول وترك لآخر"^(٤).

وينبغي التنبيه إلى أنه لا يحكم بالتضاد بين الأقوال قبل سبرها ومحاولة الجمع بينها، فإذا تعذر الجمع وظل التنافي قائماً أمكن الحكم بالتضاد بين القولين.

ولذا فقد نبه الراغب^(٥) على الضابط الذي بتحقيقه ووجوده يمكن الحكم بالتضاد فقال: "الخبران اللذان أحدهما نفي، والآخر إثبات إنما يتناقضان إذا استويا في الخبر والمُخبر عنه، وفي المتعلق بهما، وفي الزمان والمكان، وفي الحقيقة والمجاز.

(١) ينظر: لسان العرب (٢٦٣/٣). "مادة ضد".

(٢) أضداد أبي الطيب. (ص: ٣٣)

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ٣٨)، فصول في أصول التفسير (ص: ٥٩).

(٤) مقالات في علوم القرآن، د. مساعد الطيار (ص: ٥٦).

(٥) أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني. الإمام اللغوي المفسر الأديب، من أهل أصبهان، سكن بغداد، واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، له تصانيف منها: المفردات في غريب القرآن، توفي ٥٠٢ هـ. ينظر: الأعلام (٢/٢٥٥)، معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (٤/٥٩).

فأما إذا اختلفا في واحد من ذلك فليسا بمتناقضين، نحو أن يقال: زيد مالك، زيد ليس بمالك، وتريد بأحد الزيدين غير الآخر... وعلى ذلك كل ما يوصف بوصفين متضادين على نظرين مختلفين، نحو من يقول في "الرحى" و"البكرة الدائرة على مركزها" إنها سائرة أو منتقلة لاعتبار بعض أجزائها ببعض، ويقول آخر: إنها غير سائرة أو غير منتقلة؛ اعتبار لجملة أجزائها، وأما لا تتبدل عن المركز، فإن ذلك لا تضاد بينهما. وكذلك إذا قيل: فلان لين العود ويراد به في السخاء، وقال آخر: ليس بلين العود ويراد به في الشجاعة.

وعلى ذلك ما يختلف به الحال بالإضافة إلى حالين أو إلى نفسين، نحو أن يقال: المال صالح، اعتباراً بحال ما أو بذات ما، ويقول الآخر: إن المال ليس بصالح، اعتباراً بحال أخرى أو بذات أخرى^(١).

"وهذا الضابط الذي نبه عليه الراغب ينبغي تطبيقه على الأقوال المختلف فيها قبل الحكم بكونها متضادة، فقد يقع الخلاف على صورة التضاد، ولا يكون تضاداً، لاختلاف الاعتبار أو المحل الذي يتزل عليه كل قول من الأقوال، وهذا يمكن تقسيمه قسمين: الأول: أن تكون الأقوال على صورة التضاد، لكن المعنى المراد منها واحد، وهذا كقوله تعالى (ثُمَّ قَلْبًا) (القلم: ٢٠).

قال الشاطبي^(٢): "قيل: كالنهار بيضاء لا شيء فيها، وقيل: كالليل سوداء لا شيء فيها، فالمقصود شيء واحد، وإن شبه بالمتضادين اللذين لا يلتقيان"^(٣).
الثاني: أن تكون الأقوال صورتها صورة التضاد، وتكون راجعة إلى أكثر من معنى كقوله

تعالى ((وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) (النساء: ١٢٧).

(١) مقدمة جامع التفاسير، للراغب الأصفهاني (٦٩-٧٠) بتصرف.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. فقيه أصولي حافظ لغوي مفسر، كان من أئمة المالكية، توفي سنة: ٧٩٠هـ. له الموافقات في أصول الشريعة، والاعتصام، وغير ذلك. ينظر: الأعلام (٧٥/١)، معجم المؤلفين (١١٨/١).

(٣) الموافقات، (٢١٦/٥).

فقد اختلف السلف في متعلق (وَتَرَعَّبُونَ) على قولين:

الأول: ترغبون عن نكاحهن. عن الحسن وعائشة^(١).

الثاني: ترغبون في نكاحهن. عن عبدة السلماني^(٢).^(٣)

ولا شك أن النظرة العجلى قد توحى بأن الخلاف الناتج عن هذا التقدير هو من باب اختلاف التضاد، ولكن عند التمعن والتدبر في مؤدى هذا الاختلاف: يبدو أن معنى الآية لا يختلف، وإنما وقع الاختلاف بين القولين؛ لاختلاف الحال التي نظر إليها كل قائل، فمن فسر الرغبة بالرغبة في نكاحها، نظر إلى كون اليتيمة جميلة وصاحبة مال، وذلك أدعى للرغبة فيها، إذ الجمال والمال من دواعي النكاح، ومن فسرها بالرغبة عنها نظر إلى كونها دميمة لا يرغب وليها في نكاحها، ولكن يطمع في مالها، فيرغب عن نكاحها ويعضلها عن التزوج بغيره، فأمر الرغبة مختلف باختلاف حال اليتيمة من الجمال وعدمه، ولذلك اختلفت الأقوال^(٤).

"قال أبو عبدة^(٥): وترغبون أن تنكحوهن، هذا اللفظ يحتمل الرغبة والنفرة، فالمعنى في الرغبة: في أن تنكحوهن لماهن أو لجمالهن، والنفرة: وترغبون عن أن تنكحوهن لقبحهن فتمسكوهن رغبة في أموالهن"^(٦).

(١) تفسير الطبري (٢٥٤/٩) ت: محمود شاكر، زاد المسير، لابن الجوزي (٢/٢١٦).

(٢) عبدة بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي. التابعي الكبير، الإمام الفقيه، أسلم زمن فتح مكة باليمن، وأخذ عن علي وابن مسعود، توفي سنة ٧٢هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي (١/٤٠)، تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ص: ٣٧٩).

(٣) زاد المسير (٢/٢١٦)، وينظر: أمثلة أخرى على هذا السبب في: قوله تعالى (فَ تَعْلَمُونَ).

(البقرة: ٣٠) وقوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) (الأنبياء: ٥١) وقوله (أَمِنْ أَتَّخَذَ إِلَهَهُ

هُوَهُ) (پ پ پ) (الجنات: ٢٣) وقوله (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ) (المطففين: ١٥).

(٤) الاختلاف بين السلف في التفسير (ص ١٣١-١٣٣).

(٥) معمر بن المثنى التيمي أبو عبدة البصري. الإمام النحوي العلامة البحر صاحب التصانيف، وكان يرى رأي الخوارج، وكان الغريب وأيام العرب أغلب عليه، قدم بغداد أيام الرشيد، له كتب منها "محارز القرآن" توفي سنة: ٢١٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (١٣/٢٥٢)، سير أعلام النبلاء، للذهبي (٩/٤٤٥).

(٦) البحر المحيط لأبي حيان (٣/٣٧٨)، وينظر: تفسير ابن كثير (٢/٤٢٤).

أثر اختلاف التضاد على المعنى:

اختلاف التضاد من حيث أثره على المعنى قسمان:

١- قسم لا أثر له على معنى الآية، أي لا يترتب على تفسير الآية بأي قول من القولين المتضادين تغير في معنى الآية، ولا يتوقف فهم الآية على أي قول منهما، كالاختلاف في إبليس هل هو من الملائكة أو من الجن، وكالاختلاف في المنادي في قوله تعالى (فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا) (مريم: ٢٤) هل هو جبريل أو عيسى، فمثل هذا لم يتغير فيه معنى الآية، وإنما الخلاف في شيء زائد عن المعنى، وغالب هذا الاختلاف يكون في تعيين شيء جاء مبهما في الآية أو ما شابه ذلك.

٢- قسم له أثر في معنى الآية؛ أي يترتب على تفسير الآية بأي قول تغير في المعنى، وغالبا ما يكون هذا في الآيات المتعلقة بالأحكام كالاختلاف في القرء هل هو الحيض أو الطهر؟^(١).
ويظهر أثر الخلاف في أمرين:

"الأول: ابتداء العدة: فإذا طلق الرجل امرأته حال حيضها، ولم يراجعها لم تحتسب تلك الحيضة من العدة بلا خلاف، فإذا طهرت دخلت في القرء الأول عند من فسر القرء بالطهر، ولم تدخل عند من فسره بالحيض بل تبقى إلى أن ينتهي طهرها، وتدخل في الحيضة التي تليه، وهي قرؤها الأول.

وإذا طلقها في طهر لم يجامعها فيه احتسبت ما بقي من الطهر قرءاً من أقرء العدة عند من فسر القرء بالطهر حتى ولو وقع الطلاق في آخره، ولم تدخل في العدة عند من فسره بالحيض، فإذا انتهى طهرها الذي وقع فيه الطلاق وحاضت دخلت في القرء الأول. الثاني: انتهاء العدة: فإذا دخلت المطلقة الرجعية في الحيضة الثالثة انتهت عدتها عند من فسر القرء بالطهر، وحلت للأزواج، ولم تنته عند من فسره بالحيض، ولم تحل للأزواج ولا زال للزوج عليها رجعة"^(٢).

(١) ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير (ص ١٣٤-١٤٠).

(٢) أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، لعبد الوهاب عبد السلام طويلة (ص: ١٠٦).

فظهر مما سبق أن التضاد يقتضي التنافي والجمع بين القولين في آن واحد. وهذا المعنى هو المقصود عندما جعل اختلاف التضاد من أنواع الاختلاف الواردة في التفسير، وإنما سُمي تضاداً باعتبار دلالة اللغوية، أما من الناحية التفسيرية فلا يمكن أن يقول أحد من المفسرين بالجمع بين القولين المتضادين. فمثلاً في تفسير (القرء) ورد أنه بمعنى الطهر وورد أنه بمعنى الحيض، و عليه لا يمكن القول بهما جميعاً في آن واحد.

أما التضاد الذي بمعنى التناقض فهذا لا يمكن أن يوجد في القرآن وهو متره عنه، لأن القرآن إنما أنزل لهداية البشر ودلالتهم على سبيل الهدى، فكيف يمكن أن يأتي فيه ما يقتضي حيرتهم؟" ويدل لذلك قوله تعالى " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً". (النساء:).

فنفى الله عز وجل أن يقع فيه اختلاف ألبتة، ولو كان فيه ما يقتضي قولين متناقضين لم يصدق هذا الكلام بحال.

والتضاد نوع من المشترك اللفظي، ويبيّن ذلك السيوطي^(١) وذكر أن بعض العلماء أيدوا ذلك، وذهبوا إلى " أن المشترك يقع على شيئين ضدين، وعلى مختلفين غير ضدين، فما يقع على الضدين كالجون^(٢)، والجلل^(٣)، وما يقع على مختلفين غير ضدين كالعين^(٤). هذا أهم ما يتعلق بنوعي الاختلاف في التفسير.

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، الشافعي، صاحب المصنفات الفائقة النافعة، وله تصانيف كثيرة منها " الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، توفي سنة ٩١١هـ. ينظر: شذرات الذهب (٥١/٨)، والبدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني (٣٢٨/١-٣٣٥).

(٢) الجون: من الألوان، ويقع على الأسود والأبيض. ينظر: لسان العرب (٤٢٨/٢) مادة: جون.

(٣) يطلق على الشيء العظيم والشيء الحقير. ينظر: الأضداد، لابن الأنباري (١-٦). والأضداد لأبي حاتم السجستاني (ص ٧٩).

(٤) المزهر في علوم اللغة، (٣٠٥/١).

الفصل الثاني: نشأة اختلاف التنوع، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اختلاف التنوع في كلام الصحابة.

المبحث الثاني: اختلاف التنوع في كلام التابعين .

المبحث الثالث: اختلاف التنوع في كلام أتباع التابعين.

الفصل الثاني: نشأة اختلاف التنوع.

لقد كانت مهمة النبي ﷺ بيان القرآن ويدل لذلك قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ فِى ذَٰلِكَ مَا كَانَتْ السَّنَةُ وَحَيًّا مِنْ اللَّهِ (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٤) لَزِمْنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى تَفْسِيرِهِ ﷺ؛ فَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقَ بِمَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى بِكَلَامِهِ. لكنه ﷺ لم يفسر كل لفظة في القرآن^(١)، ومما يدل على ذلك قول الزهري في تفسير قوله تعالى (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) (المائدة: ١٠٦) قال: "لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله ﷺ، ولا عن أئمة العلم، سنة أذكرها، وقد كنا نتذاكرها أناساً من علمائنا أحياناً، فلا يذكرون فيها سنة معلومة، ولا قضاءً من إمام عادل، ولكنه يختلف فيها رأيهم"^(٢).

فأنت تراه نصاً على كون الاختلاف وقع في هذه الآية لعدم ورود شيء عن النبي ﷺ في تفسيرها؛ لأن في القرآن ما هو بين المعنى، فلا يحتاج إلى بيان، وفيه ما هو بلغة القوم، فلم

(١) هذه المسألة التي يعبر عنها بعض المعاصرين بـ: هل فسر النبي ﷺ القرآن كله، أم فسر بعضه؟ اختلف العلماء فيها: فمنهم من ذهب إلى القول: إن النبي ﷺ بين كل معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه ومن هؤلاء شيخ الإسلام وقد طرق هذا الموضوع في أكثر من موضع. راجع الفتاوى (٥: ١٥٣-١٦٣). وكذا تلميذه ابن القيم، راجع الصواعق المرسله (٢/٦٣٦-٦٣٩).

ومنهم من ذهب إلى القول بأن النبي ﷺ لم يبين لأصحابه إلا القليل وهو ما تدعو الحاجة إليه. ومن هؤلاء السيوطي، راجع الاتقان (٢/٥٣٩)، وقد استدلل كل فريق بأدلة تؤيد ما ذهب إليه، انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (١: ٣٨-٤٢). وقد ناقش هذه المسألة وكلام ابن تيمية من أن النبي ﷺ فسر القرآن كله وأجاب على ذلك د. مساعد الطيار في شرحه للمقدمة ص ٨٨-١٠١.

والذي عليه أكثر العلماء ما نص عليه الشوكاني قال: "غير أن الذي صح عنه -النبي ﷺ- من ذلك إنما هو تفسير آيات قليلة بالنسبة إلى جميع القرآن، ولا يختلف في مثل ذلك من أئمة هذا الشأن اثنان "فتح القدير (١/١٢). وأما ما تُسبب إلى شيخ الإسلام ففيه نظر؛ لأنه ذكر في مقدمة التفسير طرق تفسير القرآن، وذكر منها طريقي الصحابة والتابعين.

(٢) تفسير الطبري (١١/١٦٨). تحقيق: محمود شاكر.

يحتاجوا بمعرفتهم لغتهم إلى أن يسألوا عنه رسول الله ﷺ، لكن إذا استشكلوا شيئاً من القرآن سألوا رسول الله ﷺ، وهذا ظاهر في أسئلة الصحابة للرسول ﷺ عن معاني بعض الآيات.

ويدل لذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: تَمَارَى رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، فقال رجل: هو مسجد قباء، وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "هو مسجدي هذا"^(١).

فالحديث يوضح أن الرجلين اختلفا في تعيين المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى، فاحتكما لرسول الله ﷺ فبيّن لهما أنه مسجده^(٢).

فالرسول ﷺ لم ينكر عليهما اختلافهما^(٣)، مما يدل على جواز وقوع الاختلاف في التفسير طالما هناك مسوغ له.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٨/٣) ح (١١٠٦١)، والترمذي في الجامع الصحيح، ك: التفسير، باب: ومن سورة التوبة (٢٨٠/٥)، ح (٣٠٩٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن، ك: المساجد، باب: ذكر المسجد الذي أسس على التقوى، ص (١٠٩)، ح (٦٩٩)، وقد صححه الألباني، ينظر: الجامع الصحيح للترمذي، تحقيق: أحمد شاكر (٢٨٠/٥)، ورواه مسلم بنحوه دون ذكر تماري الرجلين، ينظر: صحيح مسلم (١٠١٥/٢)، ح (١٣٩٨).

(٢) فنص النبي ﷺ على أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى هو مسجده دون غيره لكونه أولى المساجد بذلك، وهذا لا ينفي شمول الوصف لغيره، بل هذا الوصف يشمل المسجد النبوي وغيره من المساجد كمسجد قباء، وقد أشار إلى هذه المسألة ابن القيم في تفسير قوله تعالى (وَمِنْ شَرِّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) (القلق: ٣)، بدائع التفسير، الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: يسري السيد محمد (٤٠٦/٣)، وكذا ابن حجر في فتح الباري (٣٠١/٧).

(٣) وهذا لا يعارض ما ورد في السنة من النهي عن الاختلاف في القرآن كحديث عبد الله عمرو قال: هَجَّرْتُ إلى رسول الله ﷺ يوماً قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعَرِّفُ في وجهه الغضب فقال: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب". أخرجه مسلم في صحيحه، ك: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن (٢٠٥٣/٤) ح (٢٦٦٦).

فالنهي الوارد في الحديث محمول كما قال النووي: "على اختلاف لا يجوز كالاختلاف في نفس القرآن، أو في معنى منه لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو اختلاف يُوقِعُ في شكٍ أو شبهةٍ أو فتنةٍ أو خصومةٍ أو شجارٍ ونحو ذلك، وأما الاختلاف في استنباط فروع الدين منه ومناظرة أهل العلم في ذلك على سبيل الفائدة، وإظهار الحق ليس منهياً عنه بل هو مأمورٌ به وفضيلةٌ ظاهرةٌ، وقد أجمع المسلمون على هذا من عهد الصحابة إلى الآن". شرح النووي على صحيح مسلم (٢١٨/١٦-٢١٩).

ومن هنا فإن بداية وقوع الاختلاف في التفسير كان في العصر النبوي، فقد كان الصحابة إذا اختلفوا في شيء من القرآن رجعوا إلى الرسول ﷺ ليبين لهم الصواب. فالاختلاف في التفسير وإن بدأ في العصر النبوي إلا أنه كان نادراً^(١).
 لكن دائرة الاختلاف بدأت تتسع قليلاً في عصر الصحابة رضي الله عنهم، لكونهم لم يتلقوا بيان جميع الألفاظ من النبي ﷺ ولو كان عند أحد منهم بيان لما وقع بينهم اختلاف.
 ومن يقرأ في التفسير المأثور عن الصحابة يظهر له ما للصحابة من توقف في بعض معني الآي، وما لهم من نصوص صريحة في الاجتهاد. ومن الأمثلة في ذلك:
 ما رواه الطبري بسنده عن سعيد بن جبير^(٢)، عن ابن عباس حدثه قال: بينما أنا في

الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن (كُضْبَحًا) (العاديات: ١) فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فأنفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن (كُضْبَحًا) فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكنت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير^(٣)، وفرس للمقداد^(٤) فكيف تكون

(١) فمن خلال استقراء الكتب الستة لم يوقف على أمثلة لاختلاف التفسير في عهد النبي ﷺ غير المثال الذي ذكرته وهو الاختلاف في المراد "بالمسجد الذي أسس على التقوى"، ومعظم ما روي من خلاف إنما يعود لاختلاف وجوه القراءات. ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير (ص ٨٨).

(٢) سعيد بن جبير بن هشام الوالي الكوفي أبو محمد. الحافظ المقرئ المفسر الفقيه، جههذ العلماء، روى عن ابن عباس وابن عمر، خرج مع ابن الأشعث في جملة من خرجوا على الحجاج، فلما هزموا هرب سعيد إلى مكة، وقُبِضَ عليه بعد مدة فقتله الحجاج سنة ٩٥ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ (٦٠/١)، تهذيب التهذيب (١١/٤).

(٣) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبد الله حواري رسول الله ﷺ وابن عمته أمه صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى كانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب واكتنى هو بابنه عبد الله فغلبت عليه وأسلم وله اثنتا عشرة سنة وقيل ثمان سنين، شهد المشاهد كلها وكان فرساً يوم بدر، توفي سنة ٦٣ هـ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٥٥٣/٢-٥٥٧)، والإستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (٥١٠/٢).

العاديات ضبحا! إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى؛ قال ابن عباس: فترعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه " (٢).

وإذا نظرت إلى هذا المثال تجد الاختلاف بين الصحابة بسبب احتمال النص لأكثر من معنى، واختلاف فهم المجتهدين.

لكن هل الاختلاف الوارد عنهم من باب التنوع أو التضاد؟

"إن الخلاف بين السلف في التفسير قليل وخلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، وغالب ما يصح عنهم من الاختلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد" (٣).

ويدل على ذلك أنك إذا تتبعت -على سبيل المثال- الاختلافات الواردة في تفسير (جزء عم) تجد أنها كلها من باب التنوع ولم يوجد فيها من اختلاف التضاد إلا في ثلاث كلمات هي: عسعس من قوله تعالى (كك كك) (التكوير: ١٧)، والشفق من قوله تعالى (فَلَا أُقْسِمُ

بِالشَّفَقِ) (الانشقاق: ١٦) و سجرت من قوله تعالى (وَإِذَا الْبِحَارُ

سُجِّرَتْ) (التكوير: ٦). وحتى كلمة (عسعس) فيجوز حملها على المعنيين وهما (أقبل - وأدبر) لاختلاف الزمن المحمول عليه اللفظ، وهو أول الليل وآخره، وكذا لفظة "سجرت" فقد ورد في تفسيرها: أنها بمعنى، امتلأت، وبيست (٤)، وهما ضدان ولكن باعتبار اختلاف الزمن الحاصل فيه هذا الفعل، صح حمل الآية عليهما معاً وبهذا يكون من قبيل اختلاف التنوع.

وعليه فاختلاف التنوع ظهر في تفسير الصحابة ومن بعدهم، وسيرد لاحقاً بيان ذلك بشيء من التفصيل في كل عصر. فأقول بالله التوفيق.

(١) المقداد بن الأسود الكندي هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني وقيل الحضرمي يكنى أبا الأسود وقيل كنيته أبو عمر وقيل أبو سعيد وأسلم قديماً وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر المهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها وكان فارساً يوم بدر، مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان قتل وهو ابن سبعين سنة. ينظر: الإصابة (٢٠٢/٦) الاستيعاب (٤/١٤٨٠).

(٢) تفسير الطبري (٥٧٣/٢٤ - ٥٧٤).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٣٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٣٨/٢٤ - ١٣٩).

المبحث الأول:

اختلاف التنوع عند الصحابة :

لما تقرر أن النبي ﷺ لم يبيّن كل معاني القرآن وإنما بيّن القليل منه، احتاج الصحابة إلى الاجتهاد في بيان معاني بعض الألفاظ القرآنية، وصارت أقوالهم حجة عند بعض العلماء لا يعدل عنها، ولا يرى قولاً غير قولهم. وذلك لأسباب وهي:

١. أنهم شهدوا التزويل وعرفوا أحواله.
٢. وأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن.
٣. أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود.
٤. سلامة مقصدهم.
٥. حسن فهمهم.

ولما اعتمد الصحابة فهمهم واجتهدوا في تفسير القرآن كان بينهم في ذلك اختلاف، نظراً لأن مرجع ذلك هو عقولهم وعلومهم، وهي تختلف باختلاف أشخاصهم، ولأنهم في أخذهم من النبي ﷺ بين مُكثِرٍ ومُقلٍ. يقول مسروق^(١): "لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذا^(٢)، فالإخاذا يروي الرجل، والإخاذا يروي الرجلين، والإخاذا يروي العشرة، والإخاذا يروي المئة، والإخاذا لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذا"^(٣). ولذا فقد يكون لهم في فهم الآية أكثر من معنى، وغالب هذه المعاني مما تحتمله الآية. فهل كان للصحابة في ذلك إشارات؟

(١) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني أبو عائشة الكوفي. الإمام القدوة الفقيه أحد الأعلام، من كبار

التابعين، روى عن أبي بن كعب، وابن مسعود، وهو من مشاهير أصحابه، شلت يده يوم القادسية، توفي

سنة ٦٢ هـ. ينظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٣٩٦/٨)، تهذيب الكمال، للمزي (٤٥١/٢٧).

(٢) هو الغدير. يظر: لسان العرب (٤٧٠/٣) مادة (أخذ).

(٣) المدخل إلى السنن الكبرى، للبيهقي (ص: ١٦١).

إن النظر في الآثار يوصل إلى نتائج إيجابية في تقرير كثير من القضايا التي قد تخفى على بعض القراء ، أو تكون الحاجة ماسة لربطها بفهم السلف للقرآن ، ومن القضايا المهمة في ذلك مسألة احتمال الآية القرآنية لعدد من المعاني الصحيحة ، فقد ورد عن الصحابة في ذلك ما يلي :

— ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال لابن عباس لما أرسله للخوارج لمجادلتهم :
 " اذهب إليهم ، ولا تخصمهم بالقرآن ، فإنه ذو وجوه " .^(١)
 إن هذا القول من أمير المؤمنين يدعو إلى التأمل في كلامه ، كيف يكون القرآن ذا وجوه ؟

وقصده بذلك احتمال ألفاظ القرآن لمعانٍ متعددة ، ولم يُشر إلى نوع هذه المعاني من القوة والضعف ، ويمكن أن نبي على كلامه ما يأتي :

١. أن بعض آيات القرآن تحتمل أكثر من وجه .
٢. أن هذه الوجوه لا يلزم أن تكون صحيحة كلها ، ولا ضعيفة كلها ، فأمر المؤمنين لم يُرد التفصيل في ذلك ، وإن كان سياق الكلام — وهو مجادلة قوم مبطلين — قد يدل على وجود وجوه تفسيرية ضعيفة — إن لم تكن باطلة — قد يستند إليها الخوارج حال الجدل معهم .

— وعن أبي الدرداء رضي الله عنه — قال : (وإنك لا تفقه كل الفقه حتى تعلم للقرآن وجوهاً)^(٢) .

فبين أنه من تمام الفقه في الدين أن تدرك أن للقرآن وجوهاً ، وظاهر من سياق عبارة أبي الدرداء أنه يريد الوجوه الصحيحة ، لأنه أدخلها في الفقه المرغوب به ، فتمام الأثر عنده يشير إلى ذلك ، حيث قال : (إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً ، وإنك لا

^(١) عزاه السيوطي إلى ابن سعد في الطبقات ، ولم أجد فيه ، ينظر : مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة ، تحقيق : د. بدر البدر (ص ١٢٨) .

^(٢) أخرجه معمر في جامعه ، ينظر : مصنف عبد الرزاق ، تحقيق : الأعظمي (١١ : ٢٥٥) ، وابن أبي شيبة في الكتاب المصنف ، تحقيق : كمال الحوت (٦ : ١٤٢) ، (٧ : ١١٠) ، وأحمد في الزهد ، تحقيق : عبد العلي حامد (ص : ١٣٤) ، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني (١ : ٢١١) . وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢ / ٣٥٧) .

تفقه كل الفقه حتى تمتت الناس في جنب الله ، ثم ترجع إلى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس) ، وإدراك المعاني الصحيحة المحتملة من تمام الفقه ؛ لأن إدراك المعاني المتعددة الصحيحة قد يغمض على كثيرين ، فكان من تمام الفقه عند أبي الدرداء رضي الله عنه إدراك هذه المعاني .

ويلزم من هذا أن الناظر في تفسير السلف لا يستعجل في إبطال المعاني الواردة عنهم ، بل يحرص على استظهار وجوه هذه الأقوال ، وأن يتعرف على طريقة قبول هذه الأقوال المتعددة ما أمكن ذلك ، ولا يعجل بالرد أو الاستدراك إلا بينة واضحة لا لبس فيها .

- و ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه جاءه رجل فسأله عن قوله تعالى (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ^١ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) (العنكبوت: ٤٥)

" فقال ابن عباس: الصلاة والصوم قال: ذاك ذكر الله، قال الرجل: إني تركت رجلاً في رحلي يقول غير هذا، قال: ولذكر الله أكبر قال: ذكر الله العباد أكبر من ذكر العباد إياه. فقال ابن عباس: صدق والله صاحبك" (١).

فابن عباس - رضي الله عنهما - أقر الرجل في تفسيره ولم ينكر عليه، رغم الاختلاف بين المعنيين؛ وذلك لأنهما لا يتضادان وإنما كل قول بمثابة المثال لذكر الله. وقد أشار إلى ذلك ابن كثير (٢) - رحمه الله - عند تفسير هذه الآية بقوله "وتشتمل الصلاة أيضاً على ذكر الله تعالى، وهو المطلوب الأكبر" (٣).

(١) تفسير الطبري (٤١٢/١٨).

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدين الدمشقي الشافعي . إمام فقيه متفنن ، ومحدث متقن ، ومفسر نقاد ، له تصانيف مفيدة ، ومنها: (تفسير القرآن العظيم) و(البداية والنهاية) وغير ذلك، مات سنة : ٧٧٤ هـ . ينظر : الدرر الكامنة (١ | ٤٤٥) ، طبقات المفسرين الأذنه وي (ص ٢٦٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢٨٢/٦). وقد أشار الجصاص - رحمه الله - في تفسيره عند قوله تعالى (فَأَذْكُرُوا ^١ مَا كُنْتُمْ تُكْفَرُونَ) (سورة البقرة: ١٥٢) إلى المعاني التي ذكرها السلف في معنى الذكر ثم علق بقوله "واللفظ محتمل لهذه المعاني وجميعها مراد الله تعالى لشمول اللفظ واحتماله إياه، فإن قيل لا يجوز أن يكون الجميع مراد الله تعالى بلفظ واحد لأنه لفظ مشترك لمعان مختلفة. قيل له ليس كذلك لأن جميع وجوه الذكر على اختلافها راجعة إلى معنى واحد." أحكام القرآن (١١٤/١).

- وعن ابن عباس - رضي الله عنه - من طريق سعيد بن جبير أنه قال في الكوثر: هو

الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه - يعني الرسول صلى الله عليه وسلم - .

قال أبو بشر^(١): فقلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة.

قال: فقال سعيد: النهر الذي في الجنة^(٢) من الخير الذي أعطاه الله إياه.^(٣)

فتجد أن سعيد بن جبير رضي الله عنه يحمل الآية على المعنيين معاً وإن اختلفا، لأنه لا تضاد

بينهما، وإنما حمل بعض السلف اللفظ على عمومه، وحمله بعضهم على النهر الذي وعده الله

نبيه صلى الله عليه وسلم في الجنة، والحمل على العموم لا يعارض حمله على نهر الكوثر؛ لأن نهر الكوثر مثال

وجزء للخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

- أمثلة تطبيقية على الاختلاف -

من الأمثلة التي تدل على إعمال الصحابة لهذه القاعدة:

١. ما ورد عند تفسير قوله تعالى (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) (المدثر: ٥١)

فلفظ قسورة قد فُسر بأنه:

- الرماة، وقيل: هو الأسد، وقيل: رجال القنص، وقيل: جمع الرجال، وقيل: ركز الناس

أصواتهم. وهذه الأقوال كلها مروية عن ابن عباس.^(٤)

^(١) أبو بشر: جعفر بن إياس، ابن أبي وحشية، ثقة، من أثبت الناس في سعيد بن جبير، توفي سنة (١٢٦) وقيل

غيرها. ينظر: تهذيب الكمال (٤: ١٦٤).

^(٢) ثبت هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما رواه مسلم من حديث أنس، قال: "بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا في المسجد،

إذ أغشى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليّ أنفا سورة، فقراً: (إِنَّا

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) وَنَحَرْنَا (٢) كَكَ كَكَ) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله

أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير". صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي (١/٣٠٠) ح (٤٠٠)، وقد رواه غيره.

^(٣) ينظر تفسير الطبري (٢٤/٦٨٢).

^(٤) ينظر تفسير الطبري (٢٣/٤٥٥-٤٦٠).

وإذا تأملت هذا المثال تجد أن هذه الأقوال وإن اختلفت إلا أنها رويت عن صحابي واحد، وحمل الآية على المعاني السابقة لا إشكال فيه عند الصحابة، وإن اختلفت، لأن لفظ "فسورة" من قبيل المشترك في اللغة.^(١) وهذا فيه دلالة واضحة على ظهور هذه المسألة في تفسير الصحابة رضي الله عنهم.
 ٢. وفي قوله تعالى (وَكَاَسًا دِهَاقًا) (النبأ: ٣٤) فقد فسر ابن عباس "الدهاق" بمعنى: -ممتلئة.

- وفي رواية بمعنى متتابعة.^(٢)

ولا منافاة بين القولين والآية تحتملها، لأنهما صفتان لذات واحدة.

٣. ومن الأمثلة في ذلك أيضا قوله تعالى (يٰٓرَبِّ) (البروج: ٣)

فقد ورد عن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسيرها أقوال:

- الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة.

- الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة.

- الشاهد الله والمشهود يوم القيامة.

- الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة.^(٣)

وهذه الأوجه التفسيرية مما تحتمله الآية، فإن لفظ "الشاهد والمشهود" يحتمل كل

الوجه السابقة، وإن تغيرت.

"وإنما تنوعت العبارات عن ابن عباس لأنه نحى إلى التمثيل لذلك الاسم العام، وهو الشاهد والمشهود، وإذا تأملت أقواله في الشاهد وجدتها مما ينطبق عليه وصف الشاهد، وكذا أقواله في المشهود ينطبق عليها وصف المشهود، ولو حملت عبارته على التخصيص لذهبت

(١) المشترك: ما وضع لمعنيين، أو أكثر؛ كالعين، للعين الباصرة، ولعين الماء، وللجاسوس، وغيرها. ينظر: التعريفات، للرجزاني (ص ٢٧٤)، كشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي، تحقيق: لطفي بديع (٤/١٥٥).

(٢) ينظر تفسير الطبري (٢٤/٤٠-٤٢).

(٣) ينظر تفسير الطبري (٢٤/٢٦٤-٢٦٩).

إلى تناقض الرواية عنه، كما يَظُنُّ مَنْ جَهَلَ طريقة السلف في التفسير فحكم على هذا التنوع وأمثاله بالتناقض، وهو في الحقيقة ليس كذلك^(١).

وإذا أمعنت النظر في الأمثلة السابقة،^(٢) تجد أن احتمال الآية لما ورد فيها من أقوال ظاهرةً معروفة مقبولة عند الصحابة، ومن الملاحظ أيضا ورود أكثر من عبارة عن مفسر واحد، وما ذاك إلا لأنه ليس هناك اختلافٌ حقيقي، وإنما هو اختلاف عبارة. لأنه إذا تعددت الأقوال غير المتعارضة عن المفسر الواحد في تفسيره للآية الواحدة، فتكون جارية مجرى التمثيل، ويكون في هذا دليلٌ على عموم اللفظة المفسرة واحتوائها المعاني المذكورة.

فالأثار السابقة تنصُّ على أن مسألة تعدد الألفاظ في تفسير الآية الواحدة والتنوع

بينها كانت موجودة وبارزة عند الصحابة. وقد تتابع على ذلك من جاء بعدهم .

^(١) مقالات في علوم القرآن، د. مساعد الطيار (ص: ٢٩).

^(٢) ومن الأمثلة أيضا: (ف) (المُلْك: ١٥)، (ت) (القلم: ١)، (أ) (الرَّيُّونُ) (التين: ١)، (ف) (أَحْسَنُ تَقْوِيمٍ) (التين: ٤)، (و) (إِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ) (العاديات: ٧)، (أ) (المَاعُونُ) (الماعون: ٧)، (و) (أَنْحَرُ) (الكوثر: ٢)، (ك) (الكوثر: ٣)، (ح) (حَمَّالَةَ أَحْطَبٍ) (المسَد: ٤)، (ب) (الإحلاص: ٢)، (أ) (الْفَلَقُ) (الفلق: ١)..... وغيرها من الأمثلة التي رويت عن ابن عباس.

المبحث الثاني:

اختلاف التنوع عند التابعين:

اتسعت دائرة الاختلاف في عصر التابعين عما كانت عليه في عصر الصحابة رضي الله عنهم ، وهكذا كلما تقدم الزمان كثر الاختلاف، وقد أشار إلى هذا ابن تيمية فقال: "كان النزاع بين الصحابة رضي الله عنهم في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليلٌ بالنسبة إلى من بعدهم ، وكلّما كان العصرُ أشرفُ كان الاجتماعُ والاتلافُ والعلمُ والبيانُ فيه أكثر" (١).

ويظهر هذا بجلاء إذا قورن المرؤي عن التابعين في التفسير بالمروى عن الصحابة رضي الله عنهم فمن خلال تفسير الطبري مثلاً بلغت الروايات الواردة في التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم ما يقاربُ تسعة آلاف أثر، وبلغت الروايات عن التابعين إلى ما يربو عن واحدٍ وعشرين ألف قول (٢).

أي أن المروى عن التابعين في التفسير ضعفاً المروى عن الصحابة. وقد أشار الطوفي إلى اتساع الخلاف في عصر التابعين فقال: "...اختلافُ أقوال المفسرين في الحرف الواحد أو الآية الواحدة على عشرة أقوالٍ وأكثر وأقل، بعضها يُردُّ بعضاً أو يُضادُّه أو يُناقضه، وأقلُّ ما فيه أن تختلف تلك الأقوال أو بعضها بالعموم والخصوص. وسبب ذلك: أن ما أخذهُ بعضُ الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من التفسير تناقلوه فيما بينهم على حسب الإمكان، ولعل بعضهم مات ولم ينقل ما عنده منه لمبادرة الموت له، ثم تفرَّق الصحابة رضي الله عنهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم في البلاد، ونقلوا ما علموه من التفسير إلى تابعيهم، وليس كل صحابي علم تفسير جميع القرآن بل بعضه، فألقى الصحابي ذلك البعض إلى تابعيه، ولعل ذلك التابعي لم يجتمع بصحابي آخر يُكمل له التفسير، أو اجتمع بمن لا زيادة عنده على ما عنده عن الصحابي الذي أخذ عنه فاقتصر عليه، وشرع يُكمل تفسير القرآن باجتهاده؛ استنباطاً من اللغة تارة، ومن السنة تارة ثانية، ومن نظير الآية المطلوب تفسيرها من القرآن تارة ثالثة،

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٧)، وينظر: هذا المعنى في: فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب (ص ٢٦).

(٢) تفسير التابعين، د. محمد الخضير (٢/٩٢٠).

ومن مداركٍ أُخِرَ رآها صالحة لأخذ التفسير منها: كالتاريخ، وأيام الأمم الخالية، والقضايا الإسرائيلية ونحوها، حتى آل الأمر إلى الأقوال الكثيرة، فَتَفَعَّلَ كُلُّ طبقة من المفسرين كَفَعَلَ التي قبلها من زيادة الوجوه والأقوال والاختيارات؛ كما نراهم يُصَرِّحُونَ به في تفاسيرهم، وينسبون الأقوال إلى آرائهم، ومذاهبهم... ثم تَلَقَّى ذلك عنهم التابعون رحمهم الله فمن بعدهم فكثُرَ الخلافُ جداً^(١).

وقد كان للتابعين من الفهم وسلامة المقصد ما لهم، كل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير، ويعتمدها. إلا أنه في عصرهم ازدادت الحاجة للتفسير؛ لأن ما نقل عن النبي ﷺ في التفسير كان قليلاً بحسب الحاجة - كما تقرر سابقاً -، وكذلك ما نقل عن الصحابة، ودخول العجمة على الألسنة، بسبب كثرة الفتوحات الإسلامية، ولهذا الأسباب أعمل التابعون ﷺ عقولهم في فهم القرآن، واجتهدوا في فهمه اجتهاداً مبنياً على علم. وكانوا فيه على تفاوت، فمنهم الكثير ومنهم دون ذلك، لذا فقد يكون لهم في فهم الآية أكثر من معنى، وهذه المعاني وإن كانت مختلفة إلا أنها ليست متضادة. ومما يدل في وقوع الاختلاف بينهم:

ما أخرجه الطبري من طريق يعقوب بن عبد الرحمن الزهري^(٢)، قال: سألت زيد بن أسلم^(٣)، عن قوله تعالى (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) (سورة ق: ١٩)... الآية، إلى قوله (ثُرثُر) (سورة ق: ٢١) فقلت له: من يراد بهذا؟ فقال رسول الله ﷺ، فقلت له رسول الله؟ فقال: ما تنكر؟ قال الله عز وجل (أَلَمْ تَرَ فَعَاوَىٰ) ﴿٦﴾ ك ك ك ك (الضحى: ٦-٧) قال: ثم سألت صالح بن كيسان^(٤) عنها، فقال لي: هل سألت أحداً؟ فقلت: نعم، قد سألت

^(١) الإكسير في علم التفسير للطوفي (ص: ٣٦).

^(٢) يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن عبد القارئ المدني حليف بني زهرة سكن الإسكندرية وثقه ابن معين وابن حبان وغيرهما، توفي سنة (١٨١هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٣٢/٣٤٨-٣٥٠).

^(٣) زيد بن أسلم العدوي مولاهم أبو أسامة المدني الفقيه. ثقة من أهل الفقه والعلم وكان عالماً بتفسير القرآن وله تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن، توفي سنة ١٣٦هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ (١/٩٩)، تهذيب التهذيب (٣/٣٤١).

^(٤) صالح بن كيسان المدني أبو محمد، من فقهاء المدينة، إمام حافظ ثقة كثير الحديث، يُعد من التابعين، مات بعد الأربعين والمائة. تهذيب الكمال (١٣/٧٩)، وسير أعلام النبلاء (٥/٤٥٤).

عنها زيد بن أسلم، فقال: ما قال لك؟ فقلت: بل تخبرني ما تقول، فقال: لأخبرنك برأبي الذي عليه رأيي، فأخبرني ما قال لك؟ قلت: قال: يراد بهذا رسول الله ﷺ، فقال: وما علم زيد؟ والله ما سنَّ عالية^(١)، ولا لسان فصيح، ولا معرفة بكلام العرب، إنما يُراد بهذا الكافر، ثم قال: اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك، قال: ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس^(٢)، فقال لي مثل ما قال صالح: هل سألت أحداً فأخبرني به؟ قلت: إني قد سألت زيد بن أسلم وصالح بن كيسان، فقالا لي: ما قال لك؟ قلت: بل تخبرني بقولك، قال: لأخبرنك بقولي، فأخبرته بالذي قال لي، قال: أخالفهما جميعاً، يريد بها البرّ والفاجر، قال الله (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ^ط ذَلِكَ مَا جِئَ بِكُمْ لِيَوْمِ الْحِسَابِ) (ق: ١٩) (ك ك ك فَبَصُرَكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) (ق: ٢٢) قال: فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كل ما يصير إليه.^(٣)

فهذا المثال يدل على ظهور الاختلاف بين التابعين، وهو من باب التنوع لأن كل المعاني التي ذكرت مما تحتمله الآية.

و قد وردت آثار عن التابعين تدل على وجوده عندهم ومن ذلك:

قول الحسن^(٤) — وذكر عنده الاختلاف — فقال: "إنما أوتي القوم من قبل

العجمة^(٥)"^(٦).

وإنما وصفهم بالعجمة، لأنه إذا لم توافق الكلمة الكلمة جعلوا ذلك اختلافاً، ولم

يفطنوا إلى أن الآية الواحدة قد يفسرها العلماء على أوجه، وليس ذلك باختلاف.

(١) والمقصود أنه استصغر سنّه إما أنه تأخرت ولادته فلم يدرك كثيراً من الصحابة أو أنه لم تطل عمره.

(٢) حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس الهاشمي القرشي، أبو عبد الله المدني توفي سنة (١٤١ هـ). ينظر: تهذيب

الكمال (٣٨٣/٦).

(٣) تفسير الطبري (٤١٣/٢١-٤٣٢).

(٤) الحسن بن أبي الحسن يسار، شيخ الإسلام أبو سعيد البصري، حافظ علامة من بحور العلم فقيه النفس، كبير الشأن

عدم النظر، مليح التذكير، بليغ الموعظة، رأس في أنواع الخير، توفي سنة ١١٠ هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٩٥/٦) -

(٩٦)، وتذكرة الحفاظ (٥٧/١).

(٥) أخرج البخاري هذا القول عن الحسن البصري بأخصر من ذلك، قال: "أهلكتهم العجمة" ينظر: التاريخ الكبير

(٩٣: ٥).

(٦) السنة، محمد بن نصر المروزي (ص: ٧- ٨).

و من الأمثلة التفسيرية الواردة عن التابعين والتي تدل على أن المحتملات الواردة على النص بلا تضاد مقبولة عندهم:

١. ما ورد عن مجاهد^(١) - رضي الله عنه - عند قوله تعالى (وَأَلَسَّيْحَتِ سَبْحًا) (سورة النازعات: ٣)

فقد فسرها بأنها : الموت يسبح في جسد الإنسان.

وفي رواية عنه أنها الملائكة.^(٢)

وحمل الآية على المعنيين معاً لا إشكال فيه، وإن تغايراً، لأنها أوصاف لم يذكر

موصوفها، فهي صالحة لأن تحمل كل ما قيل فيها.

كما قال الطبري "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إن الله جل ثناؤه

أقسم بالسابحات سبحاً من خلقه ولم يخص من ذلك بعضاً دون بعض، فكل سابحة سبحاً داخلية في قسمه..."^(٣).

٢. وفي قوله تعالى (پ پ) (الفجر: ٣).

وقع خلاف بين السلف في المراد بالشفع والوتر على أقوال، منها:

ما ورد عن مجاهد رضي الله عنه أن: الشفع: الخلق، والوتر: الله.

و في رواية عنه أيضاً قال: الخلق كله شفع ووتر وأقسم بالخلق.^(٤) وقيل غير ذلك.

و الآية تحتمل هذين المعنيين وإن اختلفا، لأن لفظ "الشفع والوتر" من قبيل المتواطئ.

"فإن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ولم يخص نوعاً من الشفع ولا من الوتر

دون نوع بخير ولا عقل، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به مما قال أهل التأويل إنه داخل في

قسمه هذا، لعموم قسمه بذلك"^(٥).

^(١) وهناك أمثلة وردت في اختلاف التنوع عن علماء التابعين غير مجاهد، وإنما اقتصرنا على ما روي عن مجاهد وذلك حتى يكون أوضح في الدلالة، حيث الاختلاف بين المعاني التي يذكرها في اللفظة الواحدة. ومع ذلك فالمعاني كلها مقبولة صحيحة.

^(٢) ينظر تفسير الطبري (٦٢/٢٤).

^(٣) تفسير الطبري (٦٣/٢٤).

^(٤) ينظر تفسير الطبري (٣٥١/٢٤-٣٥٢).

^(٥) تفسير الطبري (٣٥٥/٢٤).

٣. وفي قوله تعالى (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ^١) (الجمعة: ٣).

عن مجاهد رضي الله عنه قال: هم الأعاجم .

وفي رواية عنه قال: عُني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبي صلى الله عليه وسلم كائناً من

كان إلى يوم القيامة^(١).

وإذا تأملت هذين المعنيين، تجد أن المعنى الأول أشار إلى جنس الذين لما يلحقوا

بهم. أما المعنى الثاني فدل على العموم. والقولان لا يتضادان لأن الأعاجم من جملة من دخل

في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

" فالله عز وجل عمّ بقوله (وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ^٢) كل لاحق بهم من آخرين ولم

يخصص منهم نوعاً دون نوع، فكل لاحق بهم من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد

الأولين الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم آيات الله"^(٢).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة^(٣)، ولعل فيما ذكر دلالة على ظهور هذه المسألة-وهي

احتمال النص للأوجه التفسيرية -عند علماء التابعين.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/٦٢٩-٦٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/٦٣١).

(٣) ينظر ماورد عن مجاهد عند قوله تعالى ((فَالسَّيِّئَاتِ سَبَقًا)) (النازعات: ٤)، (نَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى)

(النازعات: ٢٥)، (سَيِّئٌ) (المطففين: ٨)، (يُپ) (البروج: ٣)، (عُرْبًا) (الواقعة: ٣٧).... وغير ذلك.

المبحث الثالث:

اختلاف التنوع عند أتباع التابعين:

بقي التفسير في عصر أتباع التابعين على ما كان عليه في عصر التابعين، وكان من

سماته مايلي:

١. اعتمادهم على من قبلهم.

٢. قلة المفسرين.

٣. الاعتماد في ذلك العصر على الاختيار. ومن الأمثلة في ذلك:

قول ابن زيد في قوله (وَأَلْفَتِ جِج) (القيامة: ٢٩) قال: "العلماء يقولون فيه قولين؛

منهم من يقول: ساق الآخرة بساق الدنيا.

وقال آخرون: كل ميت يموت إلا التفت إحدى ساقه بالآخرة.

قال ابن زيد: غير أنا لا نشك أنها ساق الآخرة. وقرأ (جِج رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)

(القيامة: ٣٠) قال: لما التفت الآخرة بالدنيا، كان المساق إلى الله، قال: وهو أكثر قول من

يقول ذلك"^(١).

فهذا المثال يبين قضية الاختيار في ذلك العصر.

والتأمل للتفسير في عصر أتباع التابعين يجد أن اختلاف التنوع سمة بارزة وموجودة

في ذلك العصر، ومما يدل على ذلك:

١- قول سفيان بن عيينة^(٢): "ليس في تفسير القرآن اختلاف إنما هو كلام جامع يُراد منه

هذا وهذا"^(١). وقال: أيكون شيء أظهر خلافاً في الظاهر من الخنس؟- يعني قوله تعالى (زُرْث

بِالْخُنُسِ) (التكوير: ١٥).

^(١) تفسير الطبري (٥١٨/٢٣).

^(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي ثم المكي. الإمام الكبير حافظ العصر،

محدث الحرم، طلب العلم وهو صغير، ولقي الكبار، وحمل عنهم علماً جماً، وأتقن وصنف، وانتهى إليه علو الإسناد، توفي

سنة: ١٩٨هـ. ينظر: تهذيب الكمال (١٧٨/١١). سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٨)،

قال عبد الله بن مسعود: هي بقرة الوحش^(٢).

وقال علي: هي النجوم^(٣).

قال سفيان: وكلاهما واحد؛ لأن النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل والوحشية إذا رأت إنسياً خنست في الغيطان^(٤) وغيرها، وإذا لم تر إنسياً ظهرت.
قال سفيان: فكلُّ خنْسٍ^(٥).

فنجد أنه رغم الاختلاف بين أقوال الصحابة في معنى الخنس، إلا أن سفيان رضي الله عنه جعلها قولاً واحداً، باعتبار أنه ليس بينها اختلاف حقيقي؛ فالبقرة الوحشي والنجوم كلاهما يشتركان في صفة الخنوس ومن هنا نُفي الاختلاف.
فهذا المثال يدل على ظهور هذه المسألة - اختلاف التنوع - عند علماء السلف، وأنهم كانوا يعونها جيداً.
ومن ذلك أيضاً:

٢- ما أورده يحيى بن سلام^(٦) في تفسير لفظ "ناكبون" من قوله تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ يَمُنُ بِبِي
عَنِ الصَّرِطِ لَنُكَبُّونَ) (المؤمنون: ٧٤).
تفسير قتادة، قال: "الجائرون".
وتفسير الحسن، قال: "تاركون له".

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن منصور، ينظر: قسم التفسير من كتابه السنن، تحقيق: سعد الحميد (٥):

(٣١٢).

(٢) ينظر قوله في تفسير الطبري، (١٥٥/٢٤)، ورواه كذلك عن: أبي ميسرة، وجابر بن زيد، ومجاهد، وعبد الله ابن وهب، وإبراهيم النخعي.

(٣) ينظر قوله في تفسير الطبري، (١٥٤/٢٤)، ورواه كذلك عن: بكر بن عبد الله، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٤) الغيطان: المطمئن من الأرض. ينظر: القاموس المحيط، (ص: ٨٧٨) مادة (غوط).

(٥) ينظر السنة، لمحمد بن نصر المروزي (ص ٧-٨).

(٦) يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، أبو زكريا البصري، العلامة، المفسر، نزيل المغرب بأفريقية، لقي غير واحد من التابعين، له كتاب في التفسير ليس لأحد من المتقدمين مثله، توفي سنة (٢٠٠). ينظر: طبقات علماء أفريقية، لأبي العرب محمد بن تميم (ص: ٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٩/٣٩٦).

وتفسير الكلبي^(١)، قال: "معرضون عنه".

ثم قال يحيى: وهو واحد^(٢).

فقد حكم يحيى بن سلام على هذه التفاسير بأنها واحد، وإن اختلفت عباراتها، لأن معناها الذي تؤديه واحد، وهو أنهم عادلون عن الصراط منحرفون عنه. وما سبق هو خاص بوقوع الاختلاف بين السلف في طبقة واحدة، وليس هذا هو مظهر الاختلاف الوحيد بينهم، بل وقع الاختلاف عندهم بين الطبقات الثلاث. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١/ في قوله تعالى (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ) (الحجرات: ١١). فالمراد بهذه الألقاب خمسة أقوال:

أحدها: تعبير التائب بسيئات قد كان عملها. رواه عطية العوفي^(٣) عن ابن عباس. والثاني: إنه تسميته بعد إسلامه بدينه قبل الإسلام، كقوله لليهودي إذا أسلم يا يهودي. وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني^(٤)، والقرظي.

والثالث: إنه قول الرجل للرجل يا كافر يا منافق. قاله عكرمة.

(١) محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي. المفسر النسابة الإخباري، كان عالماً بالتفسير والأنساب، وقد أتهم بالكذب، واعترف بكذبه في التفسير الذي ينسبه لابن عباس، توفي سنة: ٤٦هـ. ينظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (١٥٩/٦)، طبقات المفسرين للداودي (ص: ٣٩٩).

(٢) ذكر هذه الأقوال الماوردي في تفسيره، فقال: "...فيه أربع تأويلات: أحدهما: لعادلون، قاله ابن عباس. والثاني: لحائدون، قاله قتادة. والثالث: لتاركون، قاله الحسن. والرابع: لمعرضون، قاله الكلبي. ومعانيها متقاربة". النكت والعيون (٦٣/٤).

(٣) عطية بن سعد بن جنادة العوفي القيسي الكوفي أبو الحسن. تابعي شهير، روى عن أبي سعيد الخدري وابن عباس، خرج مع ابن الأشعث على الحجاج، وكان يعد من شيعة أهل الكوفة، توفي سنة ١١١هـ. ينظر: ميزان الاعتدال (١٠٠/٥)، تهذيب التهذيب (٢٠٠/٧).

(٤) عطاء الخراساني وهو عطاء بن أبي مسلم البلخي، نزيل الشام، واسم أبيه ميسرة، وقيل عبد الله، صدوق يهيم كثيراً، وهو مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي، سكن الشام، توفي سنة: ١٣٥هـ. ينظر: الجرح والتعديل (٣٣٤/٦)، وتقريب التهذيب (٣٩٢/١).

والرابع: إنه تسميته بالأعمال السيئة، كقوله يا زاني يا سارق يا فاسق. قاله

ابن زيد.^(١)

الخامس: إن المراد بالألقاب أسماء يلقبون بها الرجل يعبرونه بها ويدل عليه ما رواه أبو داود

عن أبي جبيرة بن الضحاك^(٢) قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

ط) قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة...^(٣) الحديث.

٢/ وعند قوله تعالى (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) (الطور: ٤٧)

ورد فيه أربعة أقوال:

أحدها: إنه عذاب القبر. قاله البراء^(٤)، وابن عباس.

والثاني: عذاب القتل يوم بدر. روي عن ابن عباس أيضا، وبه قال مقاتل^(٥).

والثالث: مصائبهم في الدنيا. قاله الحسن، وابن زيد.

والرابع: عذاب الجوع. قاله مجاهد^(٦).

^(١) ينظر تفسير الطبري (٣٦٩/٢١ - ٣٧٠).

^(٢) أبو جبيرة بن الضحاك بن خليفة الأنصاري أخو ثابت بن الضحاك، اختلف في صحبته فقال بعضهم: له صحبة، وقال بعضهم: لا صحبة له، انظر الاستيعاب (١٦١٩/٤)، الإصابة (٦٣/٧).

^(٣) رواه أبو داود في سننه كتاب (الأدب) باب (في الألقاب) (٤٤٥/٤) ح (٤٩٦٤) والترمذي في سننه كتاب (التفسير) باب (سورة الحجرات) (٣٨٨/٥) ح (٣٢٦٨) والحاكم في مستدركه (٣١٤/٤) وصحاه.

^(٤) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الخزرجي، أبو عمارة، له ولأبيه صحبة، رُدَّ يوم بدر لصغر سنه، روى عن النبي ﷺ جملة من الأحاديث، وعن أبي بكر، وعمر وغيرهما. توفي سنة (٧٢هـ). ينظر: الإصابة (٢٧٨/١)، والاستيعاب (١٥٥/١).

^(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٢٨٧/٣). ومقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، الخرساني، أبو الحسن البلخي، أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها وتوفي بالبصرة من أعلام المفسرين، قال عنه مقاتل بن حيان: "ما وجدت علم مقاتل بن سليمان في علم الناس إلا كالبحر الاخضر في سائر البحور". وقال عنه الشافعي: "الناس عيال على مقاتل في التفسير". توفي ١٥٠هـ: ينظر: ميزان الاعتدال (٥٠٥/٦)، وتهذيب التهذيب (٢٤٩/١٠).

^(٦) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦٠٣/٢١ - ٦٠٤).

وإذا أمعنت النظر في هذه الأمثلة تجد أن الأقوال قد تنوعت، على الرغم أن كل قول يمثل عصرًا مختلفًا، وما ذلك إلا لأن اختلاف التنوع كان ظاهرًا وبارزاً في تفسير السلف، والأمثلة في ذلك كثيرة.^(١)

و المتتبع لتفسير العلماء بعد العصور الثلاثة يرى أنهم ساروا على ما كان عليه السلف في إعمالهم هذا الأصل - وهو اختلاف التنوع - وسأعرض جملةً من أقوالهم التي تدل على ذلك وهي كالتالي:

١- قال الإمام محمد بن نصر المروزي^(٢): "وسمعت إسحاق^(٣) يقول في قوله

تعالى (يٰٓمَنْكُرُ) (النساء ٥٩). قد يمكن أن يكون تفسير الآية على أولي العلم، وعلى أمراء السرايا؛ لأن الآية الواحدة يفسرها العلماء على أوجه، وليس ذلك باختلاف . قال إسحاق: وتصديق ذلك ما جاء عن أصحاب رسول الله ﷺ في الماعون، يعني أن بعضهم قال: الزكاة، وقال بعضهم: عارية المتاع. قال: وقال عكرمة: الماعون: أعلاه الزكاة، وعارية المتاع منه.^(٤)

^(١) انظر على سبيل المثال قوله تعالى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) سورة الزمر (٣٣)، وقوله تعالى (يَلْقَى الرُّوحَ) سورة غافر (١٥)، وقوله تعالى (يَعْلَمُ حَآيَةَ الْأَعْيُنِ) سورة غافر (١٩)، وقوله تعالى (الَّذِينَ لَا كُفْرَ لَهُمْ) سورة فصلت (٧)، وقوله تعالى (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا) سورة فصلت (١٠)، وقوله تعالى (رِيحًا صَرَّصَرًا) فصلت (١٦)، وقوله تعالى (أَلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) فصلت (٣٠)، وقوله تعالى (فَإِنَّمَا آيَاتُنَا) فصلت (٤٠)، وقوله تعالى (الَّذِي وَفَّى) سورة النجم (٣٧)، وقوله تعالى (عُرْيًا أَتْرَابًا) سورة الواقعة (٣٧)، وقوله تعالى (فَطَلَّتُمْ تَفَكَّهُونَ) سورة الواقعة (٦٥)، وقوله تعالى (وَمَمَّنَّا لِلْمُؤْمِنِينَ) الواقعة (٧٣)، وقوله تعالى (وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ) الجمعة (٣). وغيرها من الأمثلة.
^(٢) أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي شيخ الإسلام. برع في علوم الإسلام، وكان من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين، وكان إماماً في الفقه والحديث، توفي سنة: ٢٩٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤)، تهذيب التهذيب (٣١٢/٥).
^(٣) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي، الإمام الكبير شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أحد أئمة المسلمين، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، توفي سنة: ٢٣٨هـ. ينظر تهذيب الكمال (٣٧٣/٢)، و سير أعلام النبلاء (٣٥٨/١١)،
^(٤) ينظر أقوال السلف في تفسير الطبري (٦٧٨-٦٦٦/٢٤).

قال إسحاق: وجهل قوم هذه المعاني، فإذا لم توافق الكلمة الكلمة قالوا: هذا اختلاف^(١).

٢- ذكر الطبري عند قوله تعالى (وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ) (الأنبياء: ١٨)، يقول: "ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته، وقيل لكم: إنه اتخذ زوجةً وولداً، وفريتكم عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل، إلا أن بعضهم قال: معنى تصفون: تكذبون. وقال آخرون: معنى ذلك: تشركون، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ، فمتفكة معانيه؛ لأن من وصف الله بأن له صاحبةً، فقد كذب في وصفه إياه بذلك، وأشرك به، ووصفه بغير صفته، غير أن أولى العبارات أن يُعبر بها عن القرآن أقربها إلى فهم سامعيها"^(٢).

فبين الطبري أن اختلاف الألفاظ لا يعني التضاد بينها مادام المعنى واحداً.

- وفي سورة القيامة عند تفسير قوله تعالى (ك ك ك ك) (آية: ٢) فبعد أن ذكر الطبري الأقوال التي فيها قال: "و الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه، وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها، فمتقاربات المعاني..."^(٣).

وكثيراً ما يشير الطبري إلى مثل ذلك من احتمال الآية للمعاني التي قيلت فيها^(٤).

٣- و قال أبو علي القالي^(٥): "قرأت على أبي بكر بن الأنباري^(١): في قوله تعالى (أَللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ بِ) (ال عمران: ١٤١). أقوالاً^(٢):

(١) السنة، لمحمد بن نصر المروزي (ص: ٧-٨).

(٢) تفسير الطبري، (٢٤١/١٦).

(٣) تفسير الطبري (٤٧٠/٢٣).

(٤) وهناك أمثلة أخرى راجع تفسير قوله تعالى (ف ف ف ف...) البقرة: ١٩، وقوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ...)

سورة البقرة: ٤٤، وقوله (...ج أَلدُّ الْخِصَامِ) سورة البقرة: ٢٠٤، وقوله تعالى (...يَتَلَوْنَ ءَأَيَّتِ اللَّهُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ) آل عمران: ١٣، وقوله (إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) سورة الأنفال: ٢٩، وقوله تعالى (...وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) هود: ٢٣، وغيرها.

(٥) - إسماعيل بن القاسم بن هارون، أبو علي القالي، نزل بغداد، وأخذ من علمائها: ابن دريد وابن الأنباري وغيرهما، ثم خرج إلى الأندلس، وأقام فيها، ومن أشهر كتبه (الأمالي والنوادر)، و(البارع)، توفي سنة (٣٥٦هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٤٥-٤٧)، وإنباه الرواة، للقفطي (١/٢٣٩-٢٤٤).

قال قومٌ: يُمَحِّصُهُمْ: يُجَرِّدُهُمْ من ذنوبهم...

وقال الخليل^(٣): معنى قول الله جلَّ وعزَّ (وليمحص) : ولِيُخَلِّصَ^(٤).

وقال أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني^(٥): وليمحص: وليكشف... قال: ومعنى

قولهم: اللهم مَحِّصْ عَنَّا ذنوبنا؛ أي: اكشفها .

وقال آخرون: اطرحها عَنَّا .

قال أبو علي: هذه الأقوال كلها في المعنى واحدٌ، ألا ترى أن التخليص تجريدٌ،

والتجريد كشفٌ، والكشف طرحٌ لما عليه " ^(٦).

فجعل أبو علي القالي الأقوال السابقة ترجع إلى معنى واحد، وهذا فيه دلالة واضحة

لاحتمال الآية لكل المعاني التي قيلت فيها .

٤- وقد ذكر الجصاص^(٧) عند قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكَرُكُمْ) (البقرة: ١٥٢) قال: " قد

تضمن الأمر بذكر الله تعالى وذكرنا إياه على وجوه، وقد روي فيه أقاويل عن السلف قيل

فيه: اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي، وقيل فيه: اذكروني بالثناء بالنعمة اذكركم بالثناء

^(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري. الإمام النحوي، كان من محور العلم في اللغة العربية والتفسير والحديث، وكان صدوقاً فاضلاً، وصنف كتباً كثيرة في علوم مختلفة. توفي سنة: ٣٢٧هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٣/١٨١)، البداية والنهاية (١١/١٩٦).

^(٢) ينظر هذا النقل عن أبي بكر بن الأنباري، وهو في كتابه: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/١٦).

^(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري. علامة العربية، ومنشئ علم العروض، كان رأساً في لسان العرب، ورعاً دينياً، توفي بعد ١٦٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/٤٢٩)، تقريب التهذيب (١/١٩٥).

^(٤) ليس في مادة (محص) من كتاب العين (٣/١٢٧). وفيه "المحص : خلوص الشيء، محصته محصاً: خلصته من كل عيب ... والتمحيص: التطهر من الذنوب".

^(٥) إسحاق بن مرار الشيباني، اللغوي، الكوفي، روى عنه أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام، كان من أعلم الناس باللغة، موثقاً في ما يحكيه، جمع أشعار العرب ودونها، وله تأليف، منها: كتاب الجيم، وهو مطبوع، توفي سنة (٢٢٠هـ)، وقيل غيرها. ينظر: الأعلام للزركلي (١/٢٩٦).

^(٦) أمالي أبي علي القالي (٢/٢٧٤-٢٧٥).

^(٧) أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي، صاحب التصانيف، تفقه على أبي الحسن الكرخي، إليه المنتهى في معرفة مذهب الحنفية، كان فيه ميل إلى الاعتزال. توفي سنة (٣٧٠هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٣٤٠)، والجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، لحي الدين الحنفي (١/٢٢٠).

بالطاعة، وقيل: اذكروني بالشكر أذكركم بالثواب، وقيل فيه: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة، واللفظ محتمل لهذه المعاني وجميعها مراد الله تعالى لشمول اللفظ واحتماله إياه، فإن قيل لا يجوز أن يكون الجميع مراداً لله تعالى بلفظ واحد لأنه لفظ مشترك لمعان مختلفة، قيل له: ليس كذلك لأن جميع وجوه الذكر على اختلافها راجعة إلى معنى واحد".^(١)

٥-الراغب الأصفهاني:

فقد أشار إلى ما يقع فيه الاختلاف من الألفاظ لاشتراك أو تواطؤ أو نحوه^(٢).

ومن الأمثلة التي أشار لها: عند تفسير قوله تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣) قال: "وقول زر بأن الغيب: هو القرآن. وقول عطاء: إنه القدر تمثيل لبعض ما هو غيب. وليس ذلك بخلاف بينهم، بل كل أشار إلى الغيب بمثال"^(٣).

فالراغب بعد أن عرض الأقوال الواردة في معنى الغيب ذكر أنه لا تضاد بينها وأن الاختلاف إنما هو بسبب التمثيل للفظ العام.

ومن ذلك أيضاً قوله: "قال ابن عباس في قوله تعالى: (ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨). إنه الماء الحار في الشتاء ولم يرد به أن النعيم ليس إلا هذا، بل أشار إلى بعض ما هو نعيم تنبيهاً على سائره"^(٤).

ففي كلا المثالين أشار الراغب الأصفهاني إلى صورة من صور اختلاف التنوع وهو التفسير بالمثال.

(١) أحكام القرآن للحصاص (١/١١٤). وانظر أيضاً من الأمثلة تفسير قوله تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) (٧) سورة (الشرح: ٧).

من الأمثلة تفسير قوله تعالى (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ) سورة (الشرح: ٧).

(٢) ينظر: مقدمة جامع التفاسير (ص: ٣٠، ٣٥، ٤٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠).

(٣) مقدمة جامع التفاسير (ص: ١٥٥).

(٤) مقدمة جامع التفاسير (ص: ١٤٧).

٦- ما ورد عن ابن عطية^(١) عند قوله تعالى (كَلِمَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَعِزَّةٍ وَعِرْضًا

كَعَرَضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (سورة الحديد: ٢١). قال: "وذكر بعضهم في تفسير هذه الآية

أشياء هي على جهة المثال، فقال قوم من العلماء؛ منهم ابن مسعود رضي الله عنه: (كَلِمَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ

رَبِّكُمْ) معناها: كونوا في أول صف في القتال.

وقال آخرون منهم أنس بن مالك رضي الله عنه^(٢): اشهدوا تكبيرة الإحرام مع الإمام.

وقال آخرون منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: معناه: كن أول داخل في المسجد، وآخر

خارج منه، وهذا كله على جهة المثال^(٣).

ف نجد ابن عطية يدل على صحة الأقوال السابقة؛ بأن كل قول إنما هو بمثابة المثال

للمسابقة إلى المغفرة.

- وأيضاً عند تفسير قوله تعالى (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (الطور: ٩)، جاء في تفسيرها أقوال

عن السلف:

- عن ابن عباس قال: مورها: تشققها.

- وعن مجاهد: تدور السماء دوراً.

- وعن قتادة: مورها: تحريكها.

- ومورها: استدارتها وتحريكها لأمر الله، ومورها: موج بعضها في بعض. عن

الضحاك^(٤).

(١) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن المعروف بابن عطية الغرناطي. الإمام الكبير قدوة المفسرين، كان عالماً بالتفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها، توفي سنة: ٥٤١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/٥٨٧)، طبقات المفسرين للداودي (ص: ١٨٥).

(٢) أنس بن مالك ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصاري البخاري، خدم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، وذكر ابن سعد أنه شهد بدرًا له ألف ومائتا حديث وستة وثمانون حديثًا، مات سنة (٩٠هـ) أو بعدها، وقد جاوز المائة وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله عنهم. ينظر: الاستيعاب (١/١٠٩)، والإصابة (١/١٢٦).

(٣) المحرر الوجيز، (٨/٢٣٦).

(٤) تفسير الطبري (٢١/٥٧٢-٥٧٣).

قال ابن عطية "وهذه كلها تفاسير بالمعنى؛ لأن السماء العالية يعترها هذا كله" (١).

٧- ورد عن القرطبي (٢) عند تفسير قوله تعالى (فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) (سورة إبراهيم: ٩) قال: "أي جعل أولئك القوم أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظاً مما جاء به الرسل؛ إذ كان فيه تسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم، قاله ابن مسعود، ومثله قاله عبد الرحمن بن زيد، وقرأ (عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) (آل عمران: ١١٩). وقال ابن عباس: لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم. وقال أبو صالح (٣): كانوا إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن اسكت تكذيباً له، ورداً لقوله؛ وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى" (٤).

- وقوله تعالى (ج ج) (سورة يس: ٧٥) قال: "قال الحسن: يمنعون منهم ويدفعون عنهم. وقال قتادة: أي يغضبون لهم في الدنيا. وقيل: المعنى أنهم يعبدون الآلهة ويقومون بها؛ فهم لها بمنزلة الجند وهي لا تستطيع أن تنصرهم. وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة المعنى" (٥).

(١) الحرر الوجيز، لابن عطية (٨/٨٩). وينظر أمثلة أخرى له: عند تفسير قوله تعالى (... مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) آل عمران: ٧، قوله تعالى (... فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ...) النساء: ٩٥، وقوله تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا ...) النساء: ١٠٠، وقوله تعالى (... وَذَكَرَ يَوْمَ فِثْفُ كَسَبَتْ ...) الأنعام: ٧٠، وقوله تعالى (... رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ...) الأنعام: ١٢٨، وقوله تعالى (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا...) الحجر: ١٥، وقوله تعالى (... وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النَّفْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا ...) الفتح: ٢٦ وغيرها من الأمثلة.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري المالكي القرطبي. إمام مفسر متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه. توفي سنة ٦٧١ هـ. ينظر: طبقات المفسرين للداودي (ص: ٣٤٧)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٦٠).

(٣) اسمه باذام ويقال: باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب. قال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير وما أقل ماله في

المسند. وقال ابن حجر في التهذيب: ضعيف مدلس. ينظر: تهذيب الكمال (٤/٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي تحقيق: هشام سمير البخاري (٩/٣٤٥).

(٥) تفسير القرطبي (١٥/٥٧).

-وقوله تعالى (وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى) (سورة الليل:٦) قال: "أي بلا إله إلا الله؛ قاله

الضحاك والسلمي^(١) وابن عباس أيضاً. وقال مجاهد: بالجنة؛ دليله قوله تعالى: (لِلَّذِينَ

أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (يونس:٢٦)... الآية. وقال قتادة: بموعد الله الذي وعده أن يثيبه. وعن زيد بن أسلم قال: بالصلاة والزكاة والصوم. ابن عباس، وكله متقارب المعنى إذ كله يرجع إلى الثواب الذي هو الجنة".^(٢)

فالقراطي في الأمثلة السابقة بعد أن أورد الأقوال المختلفة في تفسير الآية جمع بينها بأنها من باب التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

٨- ما قاله الطوفي^(٣): "وأما ما ورد فيه التأويل المختلف عن العلماء، فذلك

الاختلاف:

إمّا أن يشتمل على التناقض والتضاد، أو لا. فإن اشتمل عليه - كالقراء التي صير في تأويلها إلى الحيض مرة، وإلى الإطهار أخرى - كان أحد النقيضين أو الضدين مُتَعَيِّنًا للإرادة؛

^(١) هو: "أبو عبد الرحمن السلمي": "عبد الله بن حبيب بن ربيعة"، الضرير، مقرئ الكوفة. ولد في حياة رسول الله ﷺ، ولأبيه صحبة. إليه انتهت القراءة تجويدا وضبطا. أخذ القراءة عرضا عن عثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب. وأخذ القراءة عنه أئمة التابعين، منهم الحسن والحسين، رضي الله عنهما. أقرأ القرآن في المسجد الأعظم بالكوفة، أربعين سنة، من زمن عثمان رضي الله عنه إلى أن توفي سنة (٧٤هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٤٠٨/١٤-٤١١)، وتهذيب التهذيب (١٨٣/٥).

^(٢) تفسير القراطي (٨٣/٢٠). وينظر أمثلة أخرى عند تفسير قوله تعالى (لَوْلَا أَنْ تَفِيدُونَ) سورة يوسف: ٩٤، وقوله

تعالى (أَوِ التَّلَاعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ) سورة النور: ٣١، وقوله تعالى: (...إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ)

الصفات: ٢٨، وقوله تعالى (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ) الشورى: ١٧، وقوله تعالى (وَحَلَقَ الْجَبَانَ

مِنْ مَارِجٍ مِّن نَّارٍ) الرحمن: ١٥، وقوله تعالى (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِى) الحديد: ٢٤، وقوله تعالى (لَنْسَفَعًا

بِالنَّاصِيَةِ) العلق: ١٥.

^(٣) سليمان بن عبد القوي الصرصري البغدادي الحنبلي، قرأ النحو واللغة والأدب والأصول والتفسير وغيرها، وألف فيها، ومن مؤلفاته: جدل القرآن، وتفسير سورة النبأ، وغيرها. توفي سنة (٧١٦هـ). ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (٣٦٧/٢-٣٦٩)، وشذرات الذهب (٣٩/٦-٤٠).

لاستحالة الامتثال بالجمع بينهما، وحينئذٍ يجبُ التوصلُ إلى المراد المتعين بطريقٍ قويٍّ راجح من الطرق المتقدم ذكرها، أو غيرها إن أمكن .

وإن لم يشتمل على التناقض، بل كان مجرد اختلاف وتعدد أقوال، فإن احتمل اللفظ جميعها وأمكن أن تكون مُراداً منه، ووجب حمله عليها جميعاً ما أمكن، سواءً أكان احتمالها متساوياً، أم كان بعضها أرجح من بعضٍ، وإلا فحمله على بعضها دون بعض إلغاء للفظ بالنسبة إلى بعض احتمالاته من غير مُوجب، وهو غير جائز، ولأنه لو جاز أن يكون مراداً، فإعمال اللفظ بالنسبة إليه أولى من إهماله. نعم إن كان احتمالها لها متفاوتاً في الرجحان، جاز في مقام الترجيح تقديم الأرجح فالأرجح، بحسب دلالة اللفظ عليه، أو جلالته قائله، أو عاضده الخارجي، وغير ذلك من وجوه الترجيحات .

ومثال ذلك؛ أعني: احتمال اللفظ للوجوه المتعددة، قوله تعالى: (ي يِمَوِّعِ النُّجُومِ) (الواقعة: ٧٥)، قيل: مساقط النجوم في المغرب. وقيل: إنَّ منه نزول القرآن؛ لأنه نزل في ثلاث وعشرين سنةً، فاللفظ يحتمل القولين، فيجوز أن يكون القسم بهما مراداً لله عز وجل؛ لأنهما عظيمان، لاسيما على قول من يقول: يجوز إرادة حقيقة اللفظ و مجازه جميعاً معاً...^(١).

فالطوفي أشار إلى نوعي الاختلاف _ اختلاف التنوع والتضاد - وبيّن أنه في اختلاف التضاد لا يمكن الجمع بين القولين وإنما المتعين أحدهما. أما إذا كان الاختلاف بين الأقوال ليس فيه تناقض، وإنما هو من باب التنوع؛ وعليه فاللفظ يحتمل كل المعاني التي قيلت فيه ما أمكن، والاختصار على بعضها دون بعض إلغاء لبعض احتمالات اللفظ من غير موجب.

٩- ومن العلماء الذين أشاروا لاختلاف التنوع أبو حيان فقد ورد عنه عند تفسير قوله

تعالى (أَوْكَلَّمَا عَهْدُوا عَهْدًا بَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ) (سورة البقرة: ١٠٠). قال "بَبَذَهُ

^(١) الإكسير في قواعد التفسير، للطوفي، تحقيق: د. عبد القادر حسين (ص ١٢-١٣). وقد أشار د. مساعد الطيار في كتابه (التفسير اللغوي) ص ٦٠٣ أنه تصرف محقق هذا الكتاب بعنوانه، فجعله: الإكسير في علم التفسير، وقد قال مؤلف الكتاب (ص: ١): "وسمَّيته: الإكسير في قواعد علم التفسير".

طرحه، أو نقضه، أو ترك العمل به، أو اعتزله، أو رماه، أقوال خمسة، وهي متقاربة المعنى^(١).

-وقوله تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ يَمُنُ بِبِي عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكِبُونَ) (سورة المؤمنون: ٧٤). قال ابن عباس: "لَنُكِبُونَ لعادلون، وقال الحسن: تاركون له، وقال قتادة: حائرون، وقال الكلبي: معرضون. وهذه أقوال متقاربة المعنى"^(٢).

١٠- ابن جزري:

فقد قال: "واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عده كثير من المؤلفين خلافاً وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولاً واحداً وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها، فهذا عده أيضاً كثير من المؤلفين خلافاً، وليس في الحقيقة بخلاف لأن كل قول منها مثال وليس بكل المراد، ولم نعهده نحن خلافاً بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك تحتها وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود - يقصد بذلك أسباب النزول-.

الثالث: اختلاف المعنى فهذا هو الذي عدناه خلافاً ورجحنا فيه بين أقوال الناس حسبما ذكرناه في خطبة الكتاب"^(٣).

^(١) البحر المحيط، لابي حيان (١/٤٩٣).

^(٢) البحر المحيط، لابي حيان (٦/٣٨٣). وانظر من الأمثلة له عند قوله تعالى، (إِنَّا كَفَرْنَا بِكَ يَا كَذِبُ) سورة الفاتحة: ٥ ، (وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ) سورة البقرة: ٤٨، و(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) سورة البقرة: ٦٣، و(وَعَهْدَنَا إِلَىٰ آبَائِهِمْ

وَأَسْمَاعِيلَ...) سورة البقرة: ١٢٥، و(وَأَيْنَ نُوَلِّوْا كَكَ كَكَ...) سورة البقرة: ١٣٧، (كَكَ كَكَ مُسْتَقِيمٍ) المائدة: ١٦.

^(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١/٦-٧)

فالنوع الأول والثاني هو مما يدخل تحت اختلاف التنوع لأن المعاني تكون كلها مقصودة ومرادة، لذا لم يعتبره اختلافاً حقيقياً. أما النوع الثالث فهو من اختلاف التضاد، الذي لا يمكن فيه الجمع بين المعاني ؛ لذا عده ابن جزري خلافاً معتبراً.

فالاختلاف عنده على ثلاثة أقسام: اختلاف في العبارة، واختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، واختلاف المعنى.

وقد ذكر أسباب الاختلاف بين المفسرين وأوصلها إلى اثني عشر سبباً^(١).

١١ - ابن القيم:

حيث قال "... والمعهود من ألفاظ القرآن كلها أنها تكون دالة على جملة معان فيعبر هذا عن بعضها وهذا عن بعضها، واللفظ يجمع ذلك كله وقد ذكرنا ذلك في غير هذا الموضع".^(٢)

-وقال في موضع آخر عند بيان معنى قوله تعالى (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) (سورة الطور: ٦) "وأقوى الأقوال في المسجور إنه الموقد. وهذا هو المعروف في اللغة من المسجور.

ويدل عليه قوله تعالى (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) (التكوير: ٦). قال علي وابن عباس رضي الله عنهما: أوقدت فصارت ناراً، ومن قال: يبست وذهب ماؤها، فلا يناقض كونها ناراً موقدة. وكذا من قال: ملئت؛ فإنها تملأ ناراً.

وإذا اعتبرت أسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كله، فإن البحر محبوس بقدرته الله، ومملوء ماء، ويذهب ماؤه يوم القيامة، ويصير ناراً: فكل من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني. والله أعلم".^(٣) وبهذا جمع ابن القيم بين الأقوال.

-ومن ذلك أيضاً تفسير قوله تعالى (هَلْ أُنثِيَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ)

(سورة الذاريات: ٢٤).

^(١) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (٩/١).

^(٢) جلاء الأفهام، لابن القيم ص ٣٠٨.

^(٣) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم ص ١٦٩.

حيث قال: "ففي هذا الشئ على إبراهيم من وجوه متعددة :
أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين إنه إكرام
إبراهيم لهم أنهم المكرمون عند الله ولا تنافي بين القولين فالآية تدل على المعنيين."^(١)
وهما مدح إبراهيم بإكرام الضيف، أو أنهم مكرمون عند الله، فهو متضمن أيضاً لتعظيم
خليله ومدحه إذ جعل ملائكته المكرمين أضيفاً له.
وقد أشار ابن القيم لبعض صور اختلاف التنوع، ومن ذلك:

١. عند قوله تعالى (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) (الواقعة: ٦٥). قال: "قيل : معناه تندمون وهذا تفسير
بلازم المعنى وإنما الحقيقة تزيلون عنكم التفكه وإذا زال التفكه خلفه ضده"^(٢).

٢. وقوله تعالى (ك ك ك كُنْتُ) (مریم: ٣١).

"قال غير واحد من السلف معلما للخير أينما كنت وهذا جزء المسمى بالمبارك كثير
الخير في نفسه الذي يحصله لغيره تعليماً وإقداراً ونصحاً وإرادة واجتهاداً ولهذا يكون العبد
مباركاً لأن الله بارك فيه وجعله كذلك والله تعالى متبارك لأن البركة كلها منه فعبد
مبارك وهو المتبارك"^(٣).

٣. وقوله تعالى (أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) (ق: ١٥).

(١) جلاء الأفهام، لابن القيم، ص ٢٧١. ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى (فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) سورة الواقعة: ٦٥، وقوله
تعالى (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) سورة البروج: ١٤، انظر التبيان في أقسام القرآن (١/٥٩ و ١٧١) وقوله تعالى (ك ك ك كُنْتُ)
سورة مریم: ٣١، انظر جلاء الأفهام (١/١٦٨). وقوله تعالى (أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) ق: ١٥، انظر "الفوائد لابن
القيم (١: ٨)، وينظر: بدائع الفوائد (٣/٥١٤، ٥١٣) عند قوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) (البقرة: ١٨٦)، وقوله تعالى (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ
خَوْفًا وَطَمَعًا) (الأعراف: ٥٦).
(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٦٩).
(٣) جلاء الأفهام (ص: ١٦٨).

قال: "قال ابن عباس: يريد أفعجزنا، وكذلك قال مقاتل قلت: هذا تفسير بلازم اللفظة وحقيقتها أعم من ذلك، فإن العرب تقول أعياني أن أعرف كذا وعييت به إذا لم تهتد له لوجهه ولم تقدر على معرفته وتحصيله" (١).

٤. عند تفسير قوله تعالى (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) (البروج: ١٤).

قال: "الغفور الودود يغفر لمن تاب إليه ويوده ويحبه، فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش ومع ذلك هو الغفور الودود المتودد إلى عباده بنعمه الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه، وهو الودود أيضا أي المحبوب قال البخاري في صحيحه: الودود الحبيب، والتحقيق أن اللفظ يدل على الأمرين على كونه ودا لأوليائه ومودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر باللزوم فهو الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه" (٢).

فإذا تأملت الأمثلة السابقة تجد أن ابن القيم أشار إلى احتمال الآية للمعاني الواردة فيها لأن بعضها كان من قبيل التفسير باللازم والبعض الآخر من باب التفسير بجزء المعنى، وكلاهما من صور اختلاف التنوع.

١٢- الزركشي حيث قال: متحدثا عن اللفظ إذا دل على معنيين: "أحدهما: أن يتنافيا

اجتماعا ولا يمكن إرادتهما باللفظ الواحد كالقرء حقيقة في الحيض والطهر....

الضرب الثاني: ألا يتنافيا اجتماعا فيجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ في الإعجاز والفصاحة وأحفظ في حق المكلف إلا أن يدل دليل على إرادة أحدهما" (٣).

وبين الزركشي ما يجب على المفسر ملاحظته عند نقل أقوال المفسرين بقوله:

"يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ،

ويظن من لا فهم عنده أن في ذلك اختلافا، فيحكيه أقوالا وليس كذلك، بل يكون كل

واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية وإنما اقتصر عليه لأنه أظهر عند ذلك القائل أو لكونه

أليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده

(١) الفوائد(ص:٨).

(٢) التبيان في أقسام القرآن(ص:٥٧).

(٣) البرهان في علوم القرآن(٢/١٦٨)، وانظر:النكت والعيون(١/٤٠).

وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً والمراد الجميع، فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات، كما قيل :

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

ثم قال: وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية على جهة التمثيل لما دخل في الآية، فيظن بعض الناس أنه قصر الآية على ذلك^(١).

ومن العلماء المتأخرين من تناول هذا الأصل ومنهم:

١- الشنقيطي^(٢):

فقد اعتمد رحمه الله هذه القاعدة وجعلها أصلاً يسير عليه في كتابه "أضواء البيان" فقد قال رحمه الله: "وربما كان في الآية الكريمة أقوال كلها حق، وكل واحد منها يشهد له قرآن، فإثنا نذكرها ونذكر القرآن الدال عليها من غير تعرض لترجيح بعضها، لأن كل واحد منها صحيح"^(٣). ومن الأمثلة في تفسيره:

(١) البرهان في علوم القرآن (١٥٩/٢).

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي. مفسر مدرس من علماء شنقيط بموريتانيا، ولد وتعلم بها، وحج واستقر مدرسا بالمدينة ثم بالرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وتوفي بمكة سنة (١٣٩٣هـ). ومن أهم مؤلفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن. ينظر: الأعلام (٤٥/٦).

(٣) أضواء البيان (٢٩/١).

١. عند قوله تعالى (**مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**) (الحجر: ١٧) قال: "...فقول علي عليه السلام: "إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في كتاب الله"، يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس، ولا مانع من حمل الآية على ما حملها المفسرون، وما ذكرناه أيضاً أنه يُفهم منها، لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتل معاني كلها صحيح، تعين حملها على الجميع، كما حققه بأدلته الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية - رحمه الله - في رسالته في علوم القرآن ^(١) ^(٢).

٢. ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى (**فَ قَدْ لَآيَتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ**) (سورة الحجر: ٧٥) قال " أصل التوسم تفعل من الوسم، وهو العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها. يقال: توسمت فيه الخير إذا رأيت ميسمه فيه. أي: علامته التي تدل عليه ومنه قول عبد الله بن رواحة ^(٣) رضي الله عنه في النبي صلى الله عليه وسلم:

إني توسمت فيك الخير أعرفه
والله يعلم أي ثابت النظر.

وقال الآخر:

توسمته لما رأيت مهابة
عليه وقلت المرء من آل هاشم .

هذا أصل التوسم وللعلماء فيه أقوال متقاربة يرجع معناها كلها إلى شيء واحد. ^(٤)

٣. وقوله تعالى (**أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا**) (سورة الإسراء: ٢)

(١) يقصد بذلك "المقدمة في أصول التفسير" وتسميتها بهذا ليست من ابن تيمية نفسه، وإنما هي من صنع القاضي محمد جميل الشطي، ينظر بيان هذا في مقدمة في أصول التفسير، ت: عدنان زرزور (ص: ٢٢). وسيأتي تفصيل لكلام ابن تيمية في الفصل الرابع.

(٢) أضواء البيان (١٤٨/٣).

(٣) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور، كان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها إلى أن استشهد بمؤته سنة ثمان بأرض الشام. قال ابن عبد البر: وهو أحد الأمراء في غزوة مؤته وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ينظر: .

الاستيعاب (٨٩٨/٣)، الإصابة (٨٢/٤).

(٤) أضواء البيان (١٩٠/٣) - (١٩١).

قال "وقال القرطبي وَكَيْلًا أَي: شريكاً؛ عن مجاهد. وقيل: كفيلاً بأمورهم؛ حكاة الفراء^(١). وقيل: رباً يتوكلون عليه في أمورهم؛ قاله الكلبي. وقال الفراء: كافياً. أ.هـ. والمعاني متقاربة ومرجعها إلى شيء واحد، وهو أن الوكيل من يتوكل عليه فتفوض الأمور إليه ليأتي بالخير ويدفع الشر، وهذا لا يصح إلا لله وحده جل وعلا ولهذا حذر من اتخاذ وكيل دونه لأنه لا نافع ولا ضار ولا كافي إلا هو وحده جل وعلا عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل"^(٢).

٤. وقوله تعالى (وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحج: ٢٩) قال: "فإن العتيق يطلق بالاشترار على القديم، وعلى المعتق من الجبابة، وعلى الكريم، وكلها قيل به في الآية"^(٣).

٥. وقوله تعالى (فَمَا تَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ) (الشورى: ٥) قال: "واعلم أن سبب مقاربة السماوات للتفطر في هذه الآية الكريمة، فيه للعلماء وجهان، كلاهما يدل عليه قرآن: الوجه الأول: أن المعنى: تكاد السماوات يتفطرن خوفاً من الله، وهيبةً وإجلالاً، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى قَبْلَهُ: (وَهُوَ الْعَلِيُّ ف) (الشورى: ٤)؛ لأن علوه وعظمته سبب للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر...

الوجه الثاني: أن المعنى: تكاد السماوات يتفطرن من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض - جل وعلا - من كونه اتخذ ولدًا، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً... وكلا الوجهين حق"^(٤).

(١) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الأسدي مولاهم الكوفي النحوي العلامة صاحب التصانيف. قال ثعلب: لولا الفراء لما كانت العربية له كتاب "معاني القرآن" وغيره. وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو. توفي سنة: (٢٠٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/١٠٢-١٠٣). والأعلام (٨/١٤٥).

(٢) أضواء البيان (٣/٤٨١).

(٣) ينظر: تفسير الشنقيطي (٥/٤٨٨).

(٤) تفسير الشنقيطي (٧/١٦٢). وانظر من الأمثلة له: قوله تعالى: (فَمَا اسْتَسْرَرَ مِنَ الْهَدْيِ) (سورة البقرة: ١٩٦)،

وقوله تعالى (ك ك ك ك الكهف: ٢٩، وقوله تعالى (پ پ) مريم: ١٢، وقوله تعالى (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا)

مريم: ٥٩، وقوله تعالى (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) القصص: ٨٨، وقوله تعالى (مَعِيشَةً ضَنْكًا) طه: ١٢٤، وقوله

٢-ومن تناول الحديث عن اختلاف التنوع ابن عاشور:

جعل الطاهر بن عاشور مقدمةً من مقدمات تفسيره خاصةً بهذه المسألة، وعنون لها بقوله: "المقدمة التاسعة: في أن المعاني التي تتحملها حمل القرآن، تعتبر مُراداً بها".

فقد جاء في هذه المقدمة قوله " فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يُودعها البلغاء في كلامهم.. وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقاً بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ في أقل ما يمكن من المقدار،.... والقرآن ينبغي أن يودع من المعاني كل ما يحتاج السامعون إلى علمه، وكل ما له حظ في البلاغة سواء أكانت متساوية أم متفاوتة في البلاغة إذا كان المعنى الأعلى مقصوداً، وكان ما هو أدنى منه مُراداً معه لا مُراداً دونه، سواء أكانت دلالة التركيب عليها متساوية في الاحتمال والظهور أم كانت متفاوتة بعضها أظهر من بعض ولو أن تبلغ حد التأويل، وهو حمل اللفظ على المعنى المحتمل المرجوح. أما إذا تساوى المعنيان فالأمر أظهر، مثل قوله تعالى (ك ك ك ك) (النساء: ١٥٧)، أي: ما تيقنوا قتله ولكن توهموه، أو ما أيقن النصرارى الذين اختلفوا في قتل عيسى علم ذلك يقينا بل فهموه خطأ، ومثل قوله (فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) (يوسف: ٤٢) ففي كل من كلمة (ذكر) و(ربه) معنيان، وقد تكثر المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر؛ تكثيراً للمعاني مع إيجاز اللفظ، وهذا من وجوه الإعجاز..... ولما كان القرآن نازلاً من المحيط علمه بكل شيء؛ كان ما تسمح تراكيبه الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب = مطنوناً بأنه مُرادٌ لمُتَّله، ما لم يمنع من ذلك مانعٌ صريحٌ أو غالبٌ؛ من دلالة شرعية أو لغوية أو توفيقية " (١).

تعالى (أَ ذَاتِ الْحُبُّكِ) الذاريات: ٧، وقوله تعالى (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) الواقعة: ٥، وقوله تعالى (ثُمَّ مَا لَأَ ك) الواقعة: ٦١.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/٩٣-٩٤).

فيرى ابن عاشور جواز حمل اللفظ على جميع المعاني المحتملة ما لم يمنع من ذلك مانع لغوي أو يعارضه دليل شرعي، فهو يدعو إلى تكثير المعاني مع إيجاز اللفظ ويرى أن ذلك من وجوه الإعجاز.

وقد استدل على هذه القاعدة بما ورد عن النبي ﷺ حيث قال: "ويدل لتأصيلنا هذا ما وقع إلينا من تفسيرات مروية عن النبي ﷺ لآيات فنى منها ما نُوقِنُ بأنه ليس هو المعنى الأسبق من التركيب؛ ولكننا بالتأمل نعلم أن الرسول ﷺ ما أراد بتفسيره إلا إيقاظ الأذهان إلى أخذ أقصى المعاني من ألفاظ القرآن.

مثال ذلك: ما رواه أبو سعيد بن المعلى^(١) قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فلما فرغتُ أقبلتُ إليه فقال: "ما منعك أن تُجيبني؟" فقلت: يا رسول الله كنتُ أصلي فقال: " ألم يقل الله تعالى (أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ^ط (الأنفال: ٢٤) " (٢) .

فلا شك أن المعنى المُسَوِّقُ فيه الآية هو: الاستجابة بمعنى الامتثال، كقوله تعالى (الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) (آل عمران: ١٧٢)، وأن المراد من الدعوة الهداية كقوله تعالى (يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) (آل عمران: ١٠٤)، وقد تعلق فعلُ (دَعَاكُمْ^ط) بقوله (لِمَا يُحْيِيكُمْ^ط) أي: لما فيه صلاحكم، غير أن لفظ الاستجابة لما كان صالحاً للحمل على المعنى الحقيقي أيضاً وهو: إجابة النداء، حمل النبي ﷺ الآية على ذلك في المقام الصالح له، بقطع النظر عن المتعلق وهو قوله (لِمَا يُحْيِيكُمْ^ط)... وما أرى سجود

(١) مختلف في اسمه فقيل: رافع، وقيل: الحارث، وقيل: أوس. قال ابن عبد البر: وأصح ما قيل في اسمه الحارث بن نفيع بن المعلى الأنصاري الزرقى.. له صحبة، يعد من أهل الحجاز.. توفي سنة أربع وسبعين، وهو ابن أربع وستين سنة، ينظر: الاستيعاب (٤/١٦٦٩) وما بعدها، والإصابة (٧/١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير)، باب (ما جاء في الفاتحة الكتاب)، ح (٤٢٠٤) (٤/١٦٢٣).

النبي ﷺ في مواضع سجود التلاوة من القرآن إلا راجعا إلى هذا الأصل^(١)، فإن كان فهما منه رجوع إلى ما شرحنا تأصيله، وإن كان وحياً كان أقوى حجة في إرادة الله من ألفاظ كتابه ما تحتمله ألفاظه مما لا ينافي أغراضه^(٢).

ثم بين أن هذا الأصل معروف عند السلف حيث يقول: "وكذلك لما ورد عن أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم من الأئمة مثل ما روي أن عمرو بن العاص رضي الله عنه أصبح جنباً في غزوة في يوم بارد فتيّم وقال: الله تعالى يقول: (وَلَا جِجْ جِجْ أَلَلَّ كَانِ بِكُمْ رَجِيماً) (النساء: ٢٩) مع أن مورد الآية أصله في النهي عن أن يقتل الناس بعضهم بعضاً"^(٣).

وقد جعل ابن عاشور اختلاف القراءات المتواترة التي تؤدي إلى اختلاف المعاني من هذا الأصل "وإن القراءات المتواترة إذا اختلفت في قراءة ألفاظ القرآن اختلافاً يفضي إلى اختلاف المعاني لمّا يرجع إلى هذا الأصل.

ثم إن معاني التركيب المحتمل معنيين فصاعداً قد يكون بينهما العموم والخصوص، فهذا النوع لا تردّد في حمل التركيب على جميع ما يحتمله ما لم يكن عن بعض تلك المحامل صارفٌ لفظيٌّ أو معنويٌّ.

مثل: حمل الجهاد في قوله تعالى (وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) (

العنكبوت: ٦) على معني مجاهدة النفس في إقامة شرائع الإسلام، ومقاتلة الأعداء في الذب عن حوزة الإسلام.

ثم قال: وإنك لتمر بالآية الواحدة فتأملها وتدبرها، فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض

(١) يعني -والله أعلم- أن النبي ﷺ عمم الحكم الذي من أجله سبقت الآية، كما جاء في أول مواضع السجود = في القرآن في خاتمة سورة الأعراف (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، ي) فالظاهر أنه يعني بهم الملائكة، فسجود النبي ﷺ في مثل هذا الموضع يكون قد نقل الآية من المعنى الخاص (سجود الملائكة) إلى المعنى العام (سجود كل من تتلى عليه هذه الآية).

(٢) -التحرير والتنوير، لابن عاشور (٩٤/١-٩٥).

(٣) -التحرير والتنوير (٩٥/١-٩٦).

الآخر إن كان التركيب سمحا بذلك" (١).

ثم عرض لقضية المشترك وساق أمثلة عليه فيقول: "ومن أدق ذلك وأجدره بأن ننبه عليه في هذه المقدمة استعمال اللفظ المشترك في معنيه أو معانيه دفعة....

والذي يجب اعتماده أن يحمل المشترك في القرآن على ما يحتمله من المعاني سواء في ذلك اللفظ المفرد المشترك، والتركيب المشترك بين مختلف الاستعمالات، سواء أكانت المعاني حقيقية أم مجازية، محضة أو مختلفة.

مثال: استعمال اللفظ المفرد في حقيقته ومجازه قوله تعالى (ثُرَّ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ ك) (المتحنة: ٢) فبسط الأيدي حقيقة في مداها للضرب والسلب، وبسط الألسنة مجاز في عدم إمساكها عن القول البذيء، وقد استعمل هنا في كلا معنيه.

ومثال: استعمال المركب المشترك في معنيه قوله تعالى (وَلَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ) (المطففين: ١) فمركب (ويل) له يستعمل خبرا ويستعمل دعاء، وقد حملة المفسرون هنا على كلا المعنيين (٢).

ثم ختم هذه المقدمة ببيان منهجه إذا تعددت المعاني وكيفية الجمع بينها فقال: "وعلى هذا القانون يكون طريق الجمع بين المعاني التي يذكرها المفسرون، أو ترجيح بعضها على بعض، وقد كان المفسرون غافلين عن تأصيل هذا الأصل فلذلك كان الذي يرجح معنى من المعاني التي يحتملها لفظ آية من القرآن، يجعل غير ذلك المعنى ملغى. ونحن لا نتابعهم على ذلك بل نرى المعاني المتعددة التي يحتملها اللفظ بدون خروج عن مهيع (٣) الكلام العربي البليغ معاني في تفسير الآية. فنحن في تفسيرنا هذا إذا ذكرنا معنيين فصاعدا فذلك على هذا القانون. وإذا تركنا معنى مما حمل بعض المفسرين عليه في آيات من القرآن فليس تركنا إياه دالاً على إبطاله، ولكن قد يكون ذلك لترجح غيره، وقد يكون اكتفاء

(١) التحرير والتنوير (١/٩٦-٩٧).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/٩٨-١٠٠).

(٣) المهيع الشئ الواضح الواسع البين. ينظر لسان العرب، لابن منظور مادة (هيع) (٣٧٨/٨).

بذكره في تفاسير أخرى تجنباً للإطالة، فإن التفاسير اليوم موجودة بين يدي أهل العلم لا يعوزهم استقراؤها ولا تمييز محاملها متى جروا على هذا القانون^(١).
ومن الأمثلة التطبيقية التي أوردها في تفسيره:

١. عند تفسير قوله تعالى (وَيَأْبِكُمْ فَطَهَّرَ) (المدثر: ٤).

قال: "وللثياب إطلاق صريح وهو ما يلبسه اللابس، وإطلاق كنائي فيكنى بالثياب عن ذات صاحبها.

ثم قال: " والمعنيان صالحان في الآية فتحمل عليهما معاً"^(٢).

٢. قوله تعالى (وَإِذَا فَعَلُوا فَحِيشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكُرُوا اللَّهَ) (آل عمران: ١٣٥). "ف قيل: الفاحشة المعصية الكبيرة، وظلم النفس الكبيرة مطلقاً، وقيل: الفاحشة هي الكبيرة المتعدية إلى الغير، وظلم النفس الكبيرة القاصرة على النفس، وقيل: الفاحشة الزنا، وهذا تفسير على معنى المثال"^(٣).

فكل ما سبق هو بيان لنشأة اختلاف التنوع من عصر النبي ﷺ إلى العصر الحديث.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠٠/١)

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٧/٢٩).

(٣) التحرير والتنوير (٩٢/٤).

الفصل الثالث: اختلاف التنوع، أنواعه، وأسبابه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع. وتحت مطالبان:

المطلب الأول: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى معنى واحد.

المطلب الثاني: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى أكثر من معنى.

المبحث الثاني: أسباب الاختلاف العامة.

المبحث الثالث: أسباب خاصة باختلاف التنوع. وفيه مطالبان:

المطلب الأول: أسباب راجعة إلى معنى واحد، وفيه خمسة فروع.

الأول: ذكر المثال للفظ العام.

الثاني: التفسير باللازم.

الثالث: تقريب المعنى المراد.

الرابع: تفسير اللفظ بما هو أعم منه.

الخامس: تعدد أوصاف المسمى الواحد.

المطلب الثاني: أسباب راجعة إلى أكثر من معنى، وفيه ثلاثة فروع.

الأول: الاشتراك اللغوي.

الثاني: أن يعود الضمير إلى أكثر من مذكور.

الثالث: أن يكون في الآية صفة لتحتل أكثر من موصوف.

الفصل الثالث:

اختلاف التنوع أنواعه وأسبابه.

التفسير: إما أن يكون مجمعاً عليه، وإما أن يكون مختلفاً فيه. والمجمع عليه لا يحتمل فيه النص القرآني أكثر من معنى، وإنما يردُّ الاحتمالُ فيما يقع فيه الاختلافُ.

وهذا يرجع إلى أصليين مهمين من أصول التفسير، وهما: أنواع الاختلاف، وأسباب الاختلاف.

وسيكون الحديث عن هذين الأصليين في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع.

المبحث الثاني: أسباب الاختلاف العامة.

وسأبين فيه الأسباب المشتركة بين اختلاف التنوع واختلاف التضاد.

أما المبحث الثالث: فهو في الأسباب الخاصة باختلاف التنوع وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب راجعة إلى معنى واحد، وفيه خمسة فروع.

المطلب الثاني: أسباب راجعة إلى أكثر من معنى، وفيه ثلاثة فروع.

وقبل بسط الموضوع يحسنُ التنبيه على مسائل هي:

المسألة الأولى:

أن الأسباب أعم من الأنواع، فما كان سبباً لاختلاف التنوع يمكن أن يكون سبباً لاختلاف التضاد.

المسألة الثانية: أنه قد يتداخل السبب والتنوع، فبالنظر إلى السببية يكون سبباً، وبالنظر إلى

نتيجة الاختلاف يكون نوعاً. فمثلاً عند تفسير قوله تعالى (**ثُمَّ لَتَسْتَلْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ**

النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨).

فقد فسر النعيم: بالماء البارد، وقيل الصحة، والأكل والشرب.. وغيرها. (١)

(١) ينظر: تفسير الطبري (٦٠٣/٢٤-٦١١).

فهذه الأقوال من اختلاف التنوع، فإذا رجعنا إلى السبب في اختلافها فهو أن كل واحد من المفسرين ذكر مثلاً لهذا النعيم، وإذا تأملت نوع هذا الاختلاف تجد أنه من باب ذكر المثال للفظ العام، وهكذا البقية.

فسبب الاختلاف يكون النظر فيه إلى منشأ الاختلاف، وفي النوع يكون النظر إلى النتيجة.

المسألة الثالثة: "أن هناك فرقاً بين أسباب الاختلاف واختلاف التنوع والتضاد"^(١):

ففي أسباب الاختلاف يكون البحث عن السبب الموجب لوقوع الاختلاف بين المفسرين^(٢)، أما في اختلاف التنوع والتضاد فيكون البحث عن نوع هذا الاختلاف من حيث تنوعه أو تضاده، وإمكانية القول بالجميع على أنه تنوع، أو بأحدها بعد الترجيح على أنه تضاد"^(٣).

المبحث الأول:

الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع. وتحتة مطلبان:

الأول: أن ترجع الأقوال إلى معنى واحد.

الثاني: أن ترجع الأقوال إلى أكثر من معنى. وسأبين ذلك بالأمثلة.

المطلب الأول: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى معنى واحد.

يَرِدُ في هذا القسم أنواع من الاختلاف وهي:

أولاً: التفسير على اللفظ و التفسير على المعنى. وهو أنواع:

١ - التفسير بجزء المعنى.

٢ - التفسير بالمثال.

٣ - التفسير باللازم.

ثانياً: تفسير المعنى بألفاظ متقاربة.

ثالثاً: تعدد أوصاف المسمى الواحد.

(١) سبب هذا التنبيه على الفرق أنك قد تجد تكرار مسألة في المبحثين (كالمشترك).

(٢) سأذكر أسباب اختلاف المفسرين عامة عند الحديث عن أسباب اختلاف التنوع في المبحث الثاني من هذا الفصل.

(٣) فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار (٦٥)

فهذه خمسة أنواع وإليك تفصيلها.

النوع الأول:

أن يكون تفسير المفسر على اللفظ، ويكون تفسير غيره على المعنى.

تأدية المعاني تكون بألفاظ مقارنة للفظ المفسر لكي يبين المراد منه، هذا هو الأصل، وهو التفسير اللفظي، ولكن المفسر قد يترك هذا الأسلوب لحاجة تدعوه لذلك، فيسلك مسلك التفسير على المعنى، أو يسلك التفسير على القياس، ولا بد أن يكون في هذين القسمين ارتباط بالأصل اللغوي؛ أي: لا يكون بين تفسيره بهما وبين التفسير اللفظي تناقض، بل لا بد من وجود أصل التفسير اللفظي فيهما، وهذه الأقسام الثلاثة هي التي يدور عليها تفسير الناس^(١).
"فتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون. وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف.

وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم"^(٢).
ومعرفة مثل هذه الأصول مهم للناظر في أقوال السلف في التفسير؛ لأنه إذا لم يعرفها فسيحكم على أقوالهم بالتعارض والتناقض، ولو فهمها لوجد أن أقوالهم متفقة غير مختلفة، وأن تعددها وتنوعها فيه زيادة بيان لمعنى الآية، وهذا هو الذي جعل بعض المتأخرين عن عصر السلف يتوهم كثرة الاختلاف بين تفسيراتهم وأقوالهم، ولو تأمل لظهر له أن الاختلاف بينهم إنما هو من باب التنوع .

يقول ابن القيم: "... وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفرداً من أفراد تارة، ومثلاً من أمثله، فيحكيها الجماعون للغة والسمين أقوالاً مختلفة، ولا اختلاف بينها"^(٣).

وذكر الشاطبي الخلاف الذي لا يُعتدُّ به، ثم جعل من أسباب توهم الخلاف فيه:

"أن يُذكر في التفسير عن النبي ﷺ في ذلك شيء، أو عن أحد من أصحابه، أو غيرهم، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، ثم يذكر غير ذلك القائل أشياء أخر مما يشمله اللفظ

(١) ينظر: التفسير اللغوي (ص ٦٥٢).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن (ص ٥٠).

(٣) - بدائع التفسير (٤/ ٣٥٠).

أيضاً، فيُنصَّهُما المفسِّرون على نصِّهِما، فيُظنُّ أنه خلافٌ، كما نقلوا في المنِّ أنه: خبزٌ رِفاقٌ، وقيل: زنجبيل، وقيل: شراب مزجوه بالماء، فهذا كله يشملُه اللفظ لأن الله مَنَّ به عليهم، ولذلك جاء في الحديث "الكمأة من المنِّ الذي أنزل الله على بني إسرائيل" ^(١) فيكون المنُّ جُملةً نَعَمٍ ذكر الناس منها آحاداً ^(٢). وإليك بيان تلك الأصول:

الأصل الأول: التفسير على القياس والإشارة:

وهو إدخال معنى باطنٍ في الآية بظاهرها الذي يدلُّ عليه اللفظ. أي أن يُدخل المفسر في حكم الآية شيئاً، لأنه مشبه للآية في العلة. والتفسير على الإشارة يدخل في التفسير على القياس، كما نبّه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "تلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاق ما ليس بمنصوصٍ بالمنصوص، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام" ^(٣). وهذا النوع هو أقل الأنواع عند السلف، ولم يكثروا منه، ولهذا النوع شروط ذكرها ابن القيم، وهي:

١. ألا يناقض معنى الآية.
 ٢. أن يكون معنى صحيحاً في نفسه.
 ٣. أن يكون في اللفظ إشعار به.
 ٤. أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط و تلازم ^(٤).
- ومن أمثلته: قوله تعالى (لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى) (النساء: ٤٣). فقد روي عن ابن عباس في معنى سكارى: أنه النعاس.

(١) - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب قوله تعالى "وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى" ح: ٤٢٠٨، (٤/١٦٢٧). ومسلم في صحيحه، كتاب: الأشربة، باب فضل الكمأة ومداوة العين بها، ح: (٢٠٤٩)، (٣/١٦٢٠) واللفظ له. من حديث سعيد بن زيد. رضي الله عنه.

(٢) - الموافقات (٥/٢١١).

(٣) - الفتاوى (٦/٣٧٧).

(٤) التبيان في أقسام القرآن (ص ٥١).

وكذلك روي عن الضحاك أنه قال: لم يعنِ الخمر، وإنما عنى به سكر النوم^(١).

قال شيخ الإسلام -معلقاً على قول الضحاك-:

"وهذا إذا قيل: إن الآية دلت عليه بطريق الاعتبار، أي: القياس، أو شمول معنى اللفظ

العام، وإلا فلا ريب أن سبب نزول الآية كان السكر من الخمر، واللفظ صريح في

ذلك، والمعنى الآخر صحيح أيضاً"^(٢).

فصحَّحَ شيخ الإسلام دخول السكر من النوم أو النعاس في معنى الآية للمقايضة بينهما، والعلة

هي عدم الإفاقة.

الأصل الثاني:

التفسير على اللفظ:

وهو تفسير الكلمة بعينها، أي: بما يطابقها في اللغة، وقد يتوسعون في تحليل المدلولات

اللفظية؛ كأصل الاشتقاق، ومعانيها في اللغة...^(٣).

فيعمدُ المفسرُ إلى تفسير اللفظة بما وضعت له في لغة العرب، وهذا هو التفسير المباشر للفظ.

وقد اعتنى بهذا النوع من كَتَبَ في معاني القرآن وغيره؛ ككتاب العين، وكتاب جمهرة

اللغة. فينظر المفسرُ إلى معنى اللفظة في كلام العرب.

-وقد ذكر هذه الطريقة ونَبَّه عليها الطبري، فقال: "...فَحَمَلْ تَأْوِيلَ الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَاهُ دُونَ

الْبَيَانِ عَنِ الْكَلِمَةِ بِعَيْنِهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ رُبَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِعَلَلِ كَثِيرَةٍ تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ"^(٤).

-وقال شيخ الإسلام: "فإن منهم -يقصد مفسري السلف- من يعبر عن الشيء بلازمه

ونظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه"^(٥).

وقد أشار لذلك أبو حيان في مقدمة كتابه تُحْفَةُ الْأَرِيْبِ: "...وَأَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى شَرْحِ

الْكَلِمَةِ الْوَاقِعَةِ فِي الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ تَعَرُّضٍ لِسَائِرِ تَصَارِيْفِهَا الَّتِي لَمْ تَقَعْ فِيهِ، وَاعْتَمَدْتُ فِي ذَلِكَ

(١) تنظر أقوالهم في: الدر المنثور، للسيوطي (٥٤٦/٢).

(٢) الفتاوى (٤٣٨/١٠).

(٣) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص ٧٨). وللإستزادة في ذلك يراجع "التفسير اللغوي" (ص ٦٨) وما بعدها

(٤) تفسير الطبري (٤١٧/١). تحقيق: محمود شاكر.

(٥) مقدمة في أصول التفسير (١٠٤).

على كتب أئمة اللغة... دون ما يوجد في كتب المفسرين؛ إذ المفسرون يفهمون من اللفظ معنى فيعبرون عنه بلفظٍ آخر، تارة يكون مطابقاً لما في اللغة، وتارة يكون مخالفاً^(١).

وقال السمين الحلبي^(٢): "... فلما رأيتُ بعض المفسرين قد يُفسِّر اللفظة بما جعلتُ كناية عنه أو بغايتها وقصارى أمرها، استخرتُ الله القويَّ في أن أحذو حذو القوم - يقصد المؤلفين قبله في الغريب - فأذكرُ المادة مفسراً معناها"^(٣).

ومن أمثلة ذلك:

- أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى (وَإِذَا فِى فِى) (التكوير: ٧) قال: "يُقرن بين الرجلِ الصَّالِحِ مع الصَّالِحِ في الجنَّةِ، وبين الرجلِ السَّوِّءِ مع الرجلِ السَّوِّءِ في النَّارِ"^(٤).
فقوله: "يقرن"، تفسيرٌ لمعنى التَّزويجِ في الآية. وهذا هو أصلُ معنى اللَّفْظِ لغويًّا.
قال ابنُ فارسٍ: "الزَّاءُ والواوُ والجيمُ: أصلٌ يدلُّ على مقارنةِ شيءٍ لشيءٍ"^(٥).

الأصل الثالث:

التفسير على المعنى:

وهو "بيان المراد بالآية دون النظر إلى تحرير الألفاظ في اللغة؛ أي أن المفسر لا يلتزم ببيان المفردات اللغوية، بل يذهب إلى المعنى المراد، ولو بألفاظ غير مطابقة لألفاظ الآية"^(٦).

(١) تحفة الأريب. بما في القرآن من الغريب لأبي حيان، مخطوط لوحة (٣: ٤) محفوظ بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، وهذا النص غير موجود بالمطبوع. نقلاً من رسالة الاختلاف بين السلف في التفسير، ص ٥٤.

(٢) أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. الإمام النحوي المفسر، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير والقراءات، صنف تصانيف حسنة، توفي سنة: (٧٥٦هـ). ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٤٠٢)، طبقات المفسرين للداودي (ص ٧٣).

(٣) عمدة الحفاظ (١/ ٣٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ١٤٢).

(٥) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦). (مادة: زوج)، وينظر أمثلة أخرى في تفسير الطبري: (وَيْسَتْ أَلْجِبَالُ بَسًا) (٥).

(الواقعة: ٥)، (وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ) (٢) (الطور: ٢)، (وَكَأَسَا دِهَاقًا) (٣٤) (سورة النبأ: ٣٤)، (كَلَّا لَا وَزَرَ) (١١) (القيامة: ١١).

(٦) التفسير اللغوي، (ص ٦٥٥).

ولا بد أن يكون التفسير المعنوي متضمناً للتفسير اللغوي؛ أي يكون بينهما ترابط وتآلف، فإذا كان ذلك لم يكن هناك تعارضٌ بين التفسير اللغوي والتفسير المعنوي، ولذا يحسنُ ذكر المعنى اللغوي مع تفسير السلف ليزداد الوضوح في التفسير ولتُعرفَ العلاقة بين التفسير على المعنى والتفسير اللغوي^(١).

قال الشوكاني: "واشددُ يدك في تفسير كتاب الله على ما تقتضيه اللغة العربية، فهو قرآن عربيٌّ كما وصفه الله، فإن جاءك التفسير عن رسول الله ﷺ فلا تلتفتْ إلى غيره، وكذلك ما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم من جملة العرب... ولكن إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به في لغة العرب فعليك أن تضمَّ إلى ما ذكره الصحابيُّ ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، فخذ هذه كُليَّةً تنفعُ بها"^(٢).

وقد نبه على التفسير بالمعنى عددٌ من العلماء وصرَّحوا بوجوده في تفسير السلف،

ففي قوله تعالى (الَّذِينَ يَقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) أَوْلِيَّكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (البقرة: ٢٧) قال الطبري: "الخاسرون: جمعُ خاسر، والخاسرون: الناقضون أنفسهم حظوظها - بمعصيتهم الله - من رحمته، كما يخسرُ الرجل في تجارته... وقد قيل: إن معنى "أولئك هم الخاسرون": أولئك هم الهالكون.

وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذي وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية، بحرمان الله إياه ما حرّمه من رحمته، بمعصيته إياه وكفره به. فحَمَل تأويل الكلام على معناه دون البيان عن الكلمة بعينها؛ فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعل كثيرة تدعوهم إليه"^(٣).

(١) التفسير اللغوي، (ص ٦٦٠) وينظر فيه قاعدة: لا تعارض بين التفسير اللفظي والتفسير على المعنى (ص ٦٥٢).

(٢) فتح القدير (٤/٣٠٩).

(٣) تفسير الطبري (١/٤١٧). ولم يبيّن الطبري في تفسيره هذه العلل، وإنما ذكرها غيره. ومنها: أولاً - "أن السلف قد يذكرون من النوع مثلاً له؛ لينبّهوا به على غيره، أو لحاجة المستمع إلى معرفته، أو لكونه هو الذي يعرفه". ينظر: دقائق التفسير لابن تيمية (٥/٢٧، ٧١).

- وفي قوله تعالى (أَنْ نَأْلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا) (آل عمران: ٩٢)
قال ابن عطية: "قال السُّدِّي وعمرو بن ميمون^(١): البرُّ: الجنة، وهذا تفسيرٌ بالمعنى، وإنما الخاص باللفظة ما يفعله البرُّ من أفاعيل الخير"^(٢).

وقال ابن القيم في قوله تعالى (كَذَلِكَ صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) (الحجر: ٤١) "قال الحسن: معناه صراطٌ إليّ مستقيم. وهذا يحتملُ أمرين:

- أن يكون أراد أنه من باب إقامة الأدوات بعضها مقام بعض، فقامت أداة علي مقام إلي.
- الثاني: أنه أراد التفسير على المعنى، وهو الأشبه بطريق السلف، أي: صراط موصل إليّ"^(٣).

وقال الطاهر بن عاشور في قوله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا)

(النبأ: ٢٧)،: "وقوله: (لَا يَرْجُونَ حِسَابًا) نفيٌ لرجائهم وقوع الجزاء. والرجاء اشتهر في ترقب الأمر المحبوب، والحساب ليس خيراً لهم حتى يُجعل نفي ترقبه من قبيل نفي الرجاء..."

ثانياً: أن اللفظ قد يحمل على ما يشمله الموضوع بحسب الحاجة الحاضرة لاحتساب ما يقتضيه اللفظ لغة. ينظر: الاعتصام، للشاطبي (١٠٣/١).

ثالثاً: قد يقتصر على التفسير بالمعنى لأنه أظهر عند ذلك القائل، ولكونه أليق بحال السائل. ينظر: البرهان، للزر كشي (١٥٩/٢).

رابعاً: التنبيه على الفرد الأخصى من أفراد العموم، وليس تخصيصاً للعموم. ينظر: التحرير والتنوير (١٠٠/٥). هذه بعض العلال التي تجعل المفسر يتجه للتفسير على المعنى.

^(١) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله. أدرك الجاهلية ولم يلق النبي ﷺ، روى عن جمع من الصحابة. توفي سنة (٧٤هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٢٦١/٢٢)، تقريب التهذيب (ص: ٤٢٧).

^(٢) المحرر الوجيز (٢٨٢/٢).

^(٣) بدائع التفسير (١٠٢/٢)، وينظر أمثلة أخرى مما صرح العلماء بكونه تفسيراً على المعنى في:

- تفسير الطبري، ط: تحقيق: محمود شاكر (٤١٧/١)، (٤٦٦/١٦).

- المحرر الوجيز، لابن عطية، (١٩٥/٢)، (٣٤٧، ٣٦٢، ٩١/٣)، (٥٧٤، ٢٧٨/٥)، (٢٧٨، ٦٤٧/٧)، (٨٨/٨ - ٨٩، ٢٠٦، ٥٧٨، ٢٣٠). وغيرها..

- بدائع التفسير (١٢٢/١)، (١٣٧، ٢٢/٣)، (٦٢، ٢٢/٣).

تفسير ابن كثير (٦٥/١)، تفسير القرطبي (٢٣٧/١٠)، التحرير والتنوير (١٨٦/٢٣).

ومن المفسرين من فسّر: (لَا يَرْجُونَ) بمعنى: يخافون^(١)، وهو تفسيرٌ بحاصل المعنى، وليس تفسيراً للفظ^(٢)

وإذا تأملت تفسير السلف، تبين لك أن التفسير بالمعنى هو الغالب على تفسيرهم، وهذا راجع إلى أمور:

أولها: أن مدلولات الألفاظ ومعانيها في لغة العرب غير خافية عليهم، فقد كانوا عرباً فصحاء، ولذا قلت حاجتهم إلى التفسير اللفظي.

ثانيها: أن التفسير المعنوي حتى يكون صحيحاً لا بد أن يكون متضمناً للأصل اللغوي - كما تقرر سابقاً-، فإذا ذكر المفسر التفسير بالمعنى فقد جمع بين الأمرين المعنى، والأصل اللغوي. ثالثها: أن المقصود من الكلام فهم المعنى المراد، لا مجرد بيان ألفاظه.

يقول السمين الحلبي: "وإن ذكر أهل التفسير اللفظة وفسروها بغير موضوعها اللغوي تعرّضت إليه أيضاً؛ لأنه والحالة هذه محط الفائدة"^(٣).

"فإنجاه السلف إلى التفسير على المعنى إنما كان؛ لأن بيان المراد بالقرآن كان عندهم أهم من بيان لغته التي لم تكن خافية عليهم، ولم يقع عندهم اختلاف في عربيتهم وعربية ما يفسرون به"^(٤).

"وإذا تأملت الكلام العربي رأيت كثيراً منه وارداً على المعنى لوضوحه، فلو ورد على قياس اللفظ مع وضوح المعنى لكان عيباً، وبهذه القاعدة تزول عنك إشكالات كثيرة، ولا تحتاج إلى تكلف التقديرات التي إنما عدل عنها المتكلم لما في ذكرها من التكلف"^(٥).

وبما أن التفسير على المعنى هو الغالب على تفسير السلف فهو على أنواع.

وقبل تفصيل هذه الأنواع، يحسن الإشارة هنا إلى مسألة مهمة وهي:

(١) ورد هذا التفسير قتادة، ينظر: تفسير الطبري، (٣٤/٢٤).

(٢) التحرير والتنوير (٣٩/٣٠).

- التحرير والتنوير (٣٢٥/١٥).

(٣) عمدة الحفاظ (٣٩/١).

(٤) التفسير اللغوي (ص ٦٥٨).

(٥) بدائع التفسير (٤٣٨/٣).

الفرق بين التفسير اللفظي والتفسير المعنوي:

التفسير اللفظي تكون عناية المفسر فيه منصبة على بيان معنى اللفظة في لغة العرب، وأما التفسير المعنوي فالمفسر يهتم فيه بالمعنى المفهوم من اللفظة. وقد قرر الشاطبي هذا بقوله: "أن يُذكرَ أحدَ الأقوال على تفسير اللغة، ويُذكرَ الآخرُ على التفسير المعنوي، وفرقٌ بين تقرير الإعراب وتفسير المعنى، وهما يرجعان إلى حكمٍ واحد؛ لأنَّ النظر اللغوي راجع إلى تقرير أصل الوضع، والآخر راجعُ إلى تقرير المعنى في الاستعمال، كما قالوا في قوله تعالى: (وَمَتَّعًا لِلْمُتَّقِينَ) (الواقعة: ٧٣)؛ أي: المسافرين، وقيل: النازلين بالأرض القواء وهي القفر"^(١).

وعقد ابنُ جنِّي^(٢) باباً في كتابه الخصائص سمَّاهُ "باب في التفسير على المعنى دون اللفظ"^(٣). فالعلماء يُفرِّقون بين أمرين: بين تفسير اللفظ، والمراد من اللفظ، وهذا لا يعني وجود التعارض

بينهما، فمثلاً قوله تعالى (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا

وَسَعَةً) (النساء: ١٠٠)، قال ابن عطية: "والمراغم: المتحوِّل والمذهبُ، كذا قال ابن عباس، والضحاك، والربيع"^(٤)، وغيرهم.

وقال مجاهد: المراغم: المتزحزح عما يكره"^(٥).

وقال ابن زيد: المراغم: المهاجر"^(٦).

وقال السدي: المراغم: المبتغي المعيشة"^(٧).

(١) الموافقات ٥/٢١٢.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي. إمام العربية صاحب التصانيف، لزم أبا علي الفارسي دهرًا برع وصنف، وسكن بغداد، ودرس بها، وتخرج به الكبار، توفي سنة: ٣٩٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٧)، الأعلام (٤/٢٠٤).

(٣) الخصائص (١/٢٧٩)، وينظر كلام له على هذه القضية في الخصائص أيضا (١/١٥٢).

(٤) ينظر: أقوالهم في تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٩/١١٩-١٢٠).

(٥) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٩/١٢٠).

(٦) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٩/١٢٠-١٢١).

(٧) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٩/١٢٠).

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تفسيرٌ بالمعنى، فأما الخاصُّ باللفظة، فإن المراعِم: موضعُ المراعِمة وهو أن يُرغمَ كلُّ واحدٍ من المتنازعين أنْفَ صاحبه بأن يغلبه على مراده، فكفارُ قريشٍ أرغموا أنوفَ المحبوسين بمكة، فلو هاجر منهم مهاجرٌ في أرض الله لأرغمَ أنوفَ قريشٍ بحصوله في منعة منهم، فتلك المنعة هي موضعُ المراعِمة...^(١).

فتفسير اللفظ شيء، وبيان المراد شيءٌ آخر؛ فتفسير اللفظ: هو بيان معناه من جهة اللغة على العموم، والمراد من اللفظ: هو تبيين معناه داخل السياق الذي جاء فيه.

وعلى هذا سار العلماء في التفسير على اللفظ والتفسير على المعنى، وأنه لا تعارض بينهما.

أنواع التفسير بالمعنى:

لما كثر التفسير بالمعنى في تفسير السلف، وكان هو الغالب على تفسيرهم تنوعت أساليبهم في بيانه، فتارة يفسرون اللفظ بلازم معناه، وتارة يُفسرونه بجزء معناه، وتارة يُفسرونه بذكر مثال أو أكثر من الأمثلة الداخلة تحته.

يقول ابن القيم: "وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة، وفرداً من أفرادها تارة، ومثالا من أمثله"^(٢).

ويقول الزركشي: "إن بعضهم -يعني المفسرين- يُخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته"^(٣) وعلى هذا فالتفسير على المعنى يتنوع إلى ثلاثة أنواع:

١- التفسير بجزء المعنى.

٢- التفسير بالمثال.

٣- التفسير باللازم.

وإذا تأملت الأمثلة التي سأذكرها، سيتبين لك -إن شاء الله- أن المفسر في هذه الأنواع يحرص على بيان المعنى، وإن لم يعتنِ بتحرير مدلول اللفظ في لغة العرب. وإليك بيانها بالتفصيل.

١/ التفسير بجزء المعنى.

^(١) المحرر الوجيز (٢/٦٤٣).

^(٢) بدائع التفسير (٤/٣٥٠).

^(٣) البرهان (٢/١٦٠).

المقصود به: "أن يذكر المفسر من المعنى الذي يحتمله اللفظ جزءاً منه، ليبدل به على باقي المعنى"^(١).

مثاله: قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) (البقرة: ٢٦٩).

فقد ورد عن السلف في معنى الحكمة أقوال:

-الفقه في القرآن. عن قتادة.

-الإصابة في القول والفعل. عن مجاهد.

-العلم بالدين. عن ابن زيد.

-الفهم. عن إبراهيم النخعي.

-النبوة. عن السدي.

قال الطبري: "وقد بينّا فيما مضى معنى الحكمة وأنها الإصابة، فإذا كان ذلك كذلك كانت جميع الأقوال التي قالها القائلون داخلةً فيما قلنا من ذلك، لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة، وإذا كان ذلك كذلك كان المصيب في أمره فهماً خاشياً لله، فقيهاً عالماً، وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مُسَدَّدُونَ مُفَهَّمُونَ، وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، والنبوة بعض معاني الحكمة"^(٢).

وقال ابن عطية - بعد ذكره لهذه الأقوال وغيرها -: "وكل ما ذُكِرَ فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس"^(٣).

٢- ومنه تفسير من فسر قوله تعالى (كُنْتُ) (مریم: ٣١).

قال ابن القيم: "...مباركاً: معلماً للخير أينما كنت. وهذا جزء مسمى المبارك: فالمبارك: كثير الخير في نفسه، الذي يحصله لغيره تعليماً أو نصحاً، وإرادة واجتهاداً..."^(٤).

(١) فصول في أصول التفسير، (ص: ٨٣).

(٢) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٥/٥٧٩).

(٣) المحرر الوجيز (٢/٧٩).

(٤) "جلاء الأفهام" (ص ١٦٨).

٣- ومثاله أيضاً: ما ذكره ابن عطية في قوله تعالى: (زُتْرٌ وَوَضَعُ الْمِيزَانِ ك) (الرحمن: ٧).

قال "والميزان: العدلُ فيما قال الطبري ومجاهد وأكثر الناس، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: إنه الميزان المعروف. قال القاضي أبو محمد: والميزانُ المعروف جزءٌ من الميزان الذي يُعَبَّرُ به عن العدل" (١).

فالاختلاف في الأمثلة السابقة هو من باب التفسير بجزء المعنى.

و الذي يجعل المفسر يذكر جزء معنى اللفظ دون تمام المعنى أمران:

- أحدهما: أن يقتضي السياق تفسير اللفظ بجزء معناه دون عموم لفظه.

- الثاني: أن يكون هذا الجزء المذكور سبباً في نزول الآية. وإليك بيان ذلك:

أولاً: قد يعبر المفسر عن اللفظ بجزء معناه، بسبب دلالة السياق؛ فيعدل عن المعنى العام إلى التفسير بجزء المعنى.

ومثال ذلك: قوله تعالى: (بِأَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءً بِ ن ب ۖ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) (البقرة: ٢٦٥).

قال ابن عطية: "قال ابن عباس: الربوة المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار. قال القاضي أبو

محمد: وهذا إنما أراد به هذه الربوة المذكورة في كتاب الله؛ لأن قوله تعالى (أَصَابَهَا وَابِلٌ) إلى آخر الآية يدل على أنها ليس فيها ماء جارٍ، ولم يُرد ابن عباس أن جنس الربوة لا يجري

فيها ماء؛ لأن الله تعالى قال (وَأَوْبِنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) (المؤمنون: ٥٠)

والمعروف في كلام العرب أن الربوة ما ارتفع عما جاوره سواء أجرى فيها ماء أم لم يَجْرُ (٢).

(١) المحرر الوجيز، (٥/٢٢٤). ينظر أمثلة أخرى في المحرر الوجيز (١/٢٤١، ١١٣)، (٥/٢٣٣، ٢٤٠).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٦٧).

فقد بين ابن عطية أن الربوة في كلام العرب ما ارتفع عما جاوره، سواء أجرى فيها ماء أم لم يجر، ثم بين أن ابن عباس خصص هذا المعنى بما لم يكن فيه ماء جار، وأن دافعه إلى هذا أن تلك الربوة لو كان فيها ماء جار لم يكن إبتاء أكلها ضعفين محتاجاً إلى المطر الشديد-الوابل- المذكور في الآية.

ثانياً: قد يعدل المفسر من السلف عن تفسير اللفظ بتمامه إلى تفسيره بجزء معناه؛ لكون هذا الجزء المذكور هو ما نزلت الآية بسببه كقوله تعالى: (پ پ پ) (البقرة: ٢٣٨) فإن القنوت في أصل اللغة الطاعة^(١) لكن السدي فسره بالسكوت^(٢)، والعلّة في تفسيره ذلك هو سبب نزول الآية، فعن زيد بن أرقم^(٣) قال "كنا نتكلم في الصلاة يُكلم أحدنا أخاه في حاجته، حتى نزلت هذه الآية (أ على الصّكواتِ والصّكوةِ الوُسطىِ پ پ پ) (البقرة: ٢٣٨) فأمرنا بالسكوت^(٤)."

فلما كانت الآية نازلة لهذا السبب فسّر السدي القنوت ببعض معانيه لا حصراً للمعنى فيما فسّر ولكن تنبيهاً على المعنى الذي نزلت الآية بسببه. قال الطبري بعد أن ذكر أقوال السلف في معنى القنوت ومنها السكوت: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله (پ پ پ) قول من قال: تأويله: مُطيعين، وذلك أن أصل القنوت الطاعة، وقد تكون الطاعة لله في الصلاة بالسكوت عما هي الله عنه من الكلام فيها، ولذلك وجه من وجه تأويل القنوت في هذا الموضع إلى السكوت في الصلاة إلا عن قراءة قرآن أو ذكر له بما هو أهله، ومما يدل على أنهم قالوا ذلك كما وصفنا قول النخعي ومجاهد... قالوا: كانوا يتكلمون في الصلاة يأمر أحدهم أخاه بالحاجة فتزلت (پ پ پ)

(١) ينظر: مقاييس اللغة، مادة قنت (٢٥/٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٣١/٥).

(٣) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة، سكن الكوفة ومات بها سنة (٦٨ هـ). ينظر: الاستيعاب (٥٣٥/٢)، والإصابة (٥٨٩/٢-٥٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب قول الله تعالى (پ پ پ) (٤/١٦٤٨) ح (٤٢٦٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، (٣٨٣/١) ح (٥٣٩).

قال: فقطعوا الكلام، والقنوتُ السكوت، والقنوت الطاعة، فجَعَلَ إبراهيم ومجاهدُ القنوت سكوتاً في طاعة الله على ما قلنا في ذلك من التأويل^(١).

ويحسن التنبيه هنا إلى أمرين:

الأول: أن التفسير بجزء المعنى إذا كان هو المراد في الآية دون المعنى العام، فهو شبيهة بالعام المراد به الخصوص.

الثاني: إذا فسرت كلمة بجزء معناها في سياقٍ ما فلا يصح أن يجعل معنى لها في جميع مواضعها، بل هو خاصٌ بهذا الموضع دون سواه، كما تقدم مثلاً في تفسير ابن عباس للربوة، بأنها المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار، فلا يعمم هذا المعنى على كلمة الربوة في كل مواطنها، إذ لو عممها لبادر إلى تخطئة ابن عباس وحكم على قوله بمخالفة ظاهر القرآن إذا نظر إلى تفسير لقوله تعالى (وَأَوْبِنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ) (المؤمنون: ٥٠).

٢/: التفسير بالمثل.

وهو أن يعمد المفسرُ إلى لفظٍ عام، فيذكر فرداً من أفرادهِ على سبيل المثال لهذا الاسم العام. لا على سبيل تخصيصه أو حصره فيما مثل به، وإنما من أجل توضيحه وتقريب معناه، إذ "التعريف بالمثل أسهل من التعريف بالحد المطابق"^(٢).

وقد نص جمعٌ من العلماء على التفسير بالمثل، كالراغب الأصفهاني^(٣)، وابن عطية^(٤)، وابن تيمية^(٥)، وابن جزري^(٦)، وابن القيم^(٧)، والشاطبي^(٨) والزرکشي^(٩).

(١) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٣٦/٥).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٤).

(٣) ينظر: مقدمة جامع التفاسير (ص ٦١، ١٥٥).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (١/٨٥، ٣١٢، ٣٩٨) وغيرها.

(٥) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٣-٤٩).

(٦) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (ص: ٧).

(٧) ينظر: بدائع التفسير (٤/٣٥٠).

(٨) ينظر: الاعتصام (١/٥٦-٥٥).

(٩) ينظر: البرهان (٢/١٦٠).

قال الراغب الأصفهاني: "المفسر إذا فسّر العام بالخاص فقصدته أن يُبين تخصيصه بالذكر، ويذكر مثاله، لا أنه يريد أنه هو هو لا غير" (١).

يقول ابن تيمية: "وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير: تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وأقسامه كالتمثيلات، هما الغالب على تفسير سلف الأمة الذي يُظن أنه مختلف" (٢).

وذكر ابن جزري النوع الثاني من أنواع الاختلاف فقال "الثاني: اختلاف التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومها" (٣).

وقال ابن القيم: "وقد يقع في كلام السلف تفسير اللفظ العام بصورة خاصة على وجه التمثيل لا على تفسير معنى اللفظة في اللغة بذلك... كما قال بعضهم في قوله تعالى (ثُمَّ

لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨): إنه الماء البارد في الصيف، فلم يُردّ به أن النعيم المسؤول عنه هو هذا وحده.

وكما قيل في قوله تعالى (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (الماعون: ٧): إنه القدرُ والفأسُ والقصعةُ، فالماعون اسمٌ جامعٌ لجميع ما يُنتفع به، فذكر بعض السلف هذا للسائل تمثيلاً وتنبهاً بالأدنى على الأعلى، فإذا كان الويل لمن منع هذا فكيف بمن منع ما الحاجة إليه أعظم؟ وإذا كان العبد يُسأل عن شكر الماء البارد فكيف بما هو أعظم نعيماً منه؟.

وفي قوله تعالى: (رِثْلَ اللَّهِ الَّذِي كَكَ كَكَ) (فاطر: ٣٤): هم الغداء والعشاء.

وفي قوله تعالى (رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) (البقرة: ٢٠١) أنها المرأة الموافقة. فهذا كله من التمثيل للمعنى العام ببعض أنواعه" (٤).

(١) مقدمة جامع التفاسير (ص ٦١).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٩).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (ص: ٧).

(٤) الصواعق المرسله لابن القيم (٢/٧٠٠).

وقال الزركشي: "وكثيراً ما يذكر المفسرون شيئاً في الآية على جهة التمثيل لما دخل في الآية، فيظن بعض الناس أنه قصر الآية على ذلك"^(١).
ومن أمثلة التفسير بالمثال:

ما ورد في تفسير قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ) (البقرة: ٥٧) فُسر المَنَّاءُ على أقوال:

الأول: صمغة تنزل على الشجر، مثل الثلج.

الثاني: شرابٌ كان يتزل عليهم، مثل العسل.

الثالث: خبز الرقاق.^(٢)

وإذا تأملت هذه الأقوال، تبين لك أن المَنَّاءَ عموم ما من الله به على بني إسرائيل، فالمَنَّاءُ من المنة، وليس المراد به ما يتزل من السماء على الشجر، فينعقد كالعسل، ويجف كالصمغ فقط^(٣)، وأن المفسر ذكر من عموم ما من الله به على بني إسرائيل مثلاً له. ويبقى ما عداه مسكوتاً عنه عنده.

ويشهد أن المراد به مجموع المنن، ما رواه ابن أبي حاتم^(٤) عن سعيد بن زيد^(٥) رضي الله عنه قال: خرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده كمأة، فقال: "أتدرون ما هذا؟ هذا من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل، وماؤها شفاءٌ للعين"^(٦).

(١) البرهان (١٦٠/٢).

(٢) ينظر من قال به من السلف في تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٦٠/٢-٩٤).

(٣) ينظر في معنى المن، مادة (منن) في القاموس المحيط. ص ١٥٩٤.

(٤) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو محمد الرازي. الإمام الثبت حافظ الري وابن حافظها، كان بجرأ في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في العلل، ونقد الرجال، والفقهاء والتفسير، توفي سنة (٣٢٧هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣)، والبداية والنهاية (١٩١/١١).

(٥) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، من السابقين إلى الإسلام شهد أحد و المشاهد بعدها، روى عنه جمع من الصحابة والتابعين، توفي سنة (٥٠هـ) وقيل (٥١هـ). ينظر:

الاستيعاب (٦١٤/٢) الإصابة (١٠٤/٣)

(٦) تفسير ابن أبي حاتم (١١٤/١)، سبق تخريجه صفحة (٧٨).

قال ابن كثير "والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب، والظاهر - والله أعلم - أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب، وغير ذلك، مما ليس لهم فيه عمل ولا كد. فالمن المشهور إن أكل وحده كان طعاما حلواً، وإن مزج مع الماء صار شراباً طيباً، وإن ركب مع غيره صار نوعاً آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده، والدليل على ذلك قول البخاري"^(١) ثم ساق الحديث.

-ومن ذلك أيضاً: ما ورد عن السلف في معنى الطاغوت: في قوله تعالى (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۗ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَكُنْ مِنَ الْمُهْتَابِينَ) (البقرة: ٢٦٥)

قال ابن عطية: "واختلف المفسرون في معنى الطاغوت: فقال عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي، والضحاك، وقتادة، والسدي الطاغوت: الشيطان، وقال ابن سيرين^(٢) وأبو العالية الطاغوت: الساحر، وقال سعيد بن جبير وجابر بن عبد الله وابن جريج: الطاغوت: الكاهن. قال أبو محمد: ويبيّن أن هذه أمثلة في الطاغوت لأن كل واحد منها له طغيان، والشيطان أصل ذلك كله"^(٣)

-و في قوله تعالى: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٩) ورد عن السلف أقوال في المحروم، منها:
الأول: الذي ليس له في الإسلام سهم. وهو قول ابن عباس.
الثاني: الذي أصيبت ثمرته. قاله ابن زيد.
الثالث: الذي ماتت ماشيته. قاله ابن زيد.

^(١) تفسير ابن كثير (١: ٢٦٨).

^(٢) محمد بن سيرين الأنصاري أبو بكر، مولى أنس بن مالك، روى عنه وعن خديفة والحسن بن علي، كان محمد بن سيرين من أروع أهل البصرة وكان فقيهاً فاضلاً حافظاً متقناً يعبر الرؤيا رأى ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ مات في شوال سنة عشر ومئة. ينظر: وسير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦)، تهذيب الكمال (٢٥/٣٤٤-٣٥٤).

^(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٢/٣٢).

الرابع: الذي لا ينمى له مال. وهو قول مجاهد، وعطاء^(١).

والمعنى الجامع لهذه الأقوال: أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه،^(٢)

قال الطبري "والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرِمَ الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك

أولى بالصواب من أن تعم، كما قال جل ثناؤه: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ).^(٣) فالأقوال السابقة وإن اختلفت إلا أن الآية تحتلها جميعها؛ لأن الاختلاف بينها من باب التنوع فكل واحد من المفسرين ذكر مثلاً لهذا المحروم.

ومن ذلك أيضاً: ما ورد عن السلف في تفسير معنى الهداية في قوله تعالى (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى: ٣) قال ابن عباس: هداية الذكر لإتيان الأنثى.

وقال مجاهد: هدى الإنسان لسبيل الخير والشر.^(٤)

قال ابن القيم: "وما ذَكَرَ مجاهدٌ فهو تمثيلٌ منه، لا تفسيراً مطابقاً للآية؛ فإن الآية شاملةٌ لهداية الحيوان كُله، ناطقه وبهيمه، وطيره وداوآبه، فصحيحه وأعجمه، وكذلك قول من قال: إنه هداية الذكر لإتيان الأنثى تمثيل أيضاً، وهو فردٌ واحدٌ من أفراد الهداية التي لا يُحصيها إلا الله"^(٥).

(١) ينظر تفسير الطبري (٢١/٥١١-٥١٧).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٨/٦٩).

(٣) تفسير الطبري (٢١/٥١٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/٣١١).

(٥) بدائع التفسير (٥/١٩٤). ينظر أمثلة أخرى: مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني، ص ١٥٥، عند قوله تعالى:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) البقرة: ٣، و تفسير المحرر الوجيز، عند قوله تعالى: (مِنهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

مُتَشَبِهَاتٌ) آل عمران: ٧ (٢/١٥٦)، و (وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ) الأنعام: ١٧ (٣/٣٢٦)، وقوله تعالى: (رَبَّنَا

أَسْتَمْتَع بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) (الأنعام: ١٢٨) (٣/٤٦٠)، وقوله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) هود:

١١٤ (٥/٢٩)، وقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمَنْ فَتِنَا وَمِنْهُمْ مَّقْتَصِدٌ

و إذا أمعنت النظر في الأمثلة السابقة، تجد أن المفسر قصد التمثيل للمعنى العام، ولم يرد حصر معنى الآية فيما فسّر به.

إلا أنه في بعض الأحيان يكون سياق الآية يُحتمّ تعيين معنى واحد، أو ذات واحدة فيخرج عن كونه مثالا. مثل الخلاف في المنادي في قوله تعالى (فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي) (مريم: ٢٤) قيل: المنادي: جبريل، وقيل: عيسى^(١)، فلا يصح أن يقال إنهما من باب التمثيل؛ لكون الآية ظاهرة في كون المنادي واحداً.

وينبغي الإشارة هنا إلى مسائل متعلقة بالتفسير بالمثل:

المسألة الأولى: أن المفسر حين يفسر الآية بمثال، لا يشترط أن يكون قصده التمثيل وحصر المعنى فيما فسّر به^(٢)، وإنما خصّ هذا المثال دون غيره لأمر منها: أ- لكون الآية حال نزولها لم يكن معناها متحققاً في غير هذا المثال، فهو بمنزلة سبب النزول، لا يقصد الذي يذكره حصر معنى الآية فيه، ولكن خصه بالذكر لاختصاص النزول به.

مثال ذلك: ما ذكره ابن عطية في قوله تعالى (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ) (البقرة: ٢٧٣) قال: "وقال مجاهد: المراد بمؤلاء الفقراء: فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم، قال الفقيه أبو محمد: ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقر غابر الدهر، وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر؛ لأنه لم يكن هناك سواهم، لأن الأنصار كانوا أهل أموال وتجارة في قطرهم"^(٣).

وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخَيْرَاتِ.... (فاطر: ٣٢)، و التسهيل لعلوم التنزيل، عند قوله تعالى (وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) الأعلى: ٣ (١٩٣/٤)، وغيرها من الأمثلة.

^(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/٥٠١-٥٠٣).

^(٢) وهذا إنما يكون في كل ما يصلح تعميم معناه، لا فيما ظاهره الخصوص أو يدل على الخصوص.

^(٣) المحرر الوجيز (٢/٨٧).

فابن عطية بين أنه إنما ذكر فقراء المهاجرين، لما لم يكن هناك غيرهم ممن يصدق فيه معنى الآية، ولكونهم مقصودين بالآية قصداً أولاً؛ لذا خصهم بالذكر دون سواهم، لا بقصد حصر المعنى فيهم دون غيرهم.

ب- أو لأن سياق الآيات يشير إلى المثال الممثل به:

قد يفسر المفسر الآية بمثالٍ دون غيره، لكون سياق الآية يشير إلى معنى ما مثَّل به، فهو أولى بالدخول في معنى الآية، وإن كان غيره محتملاً، فلا داعي لتخصيص الآية بواحد من المعاني التي جاءت من قبيل التفسير بالمثال، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها.

ففي قوله تعالى: (أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي پ پ) (يس: ٥٥).

قال ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب^(١) في افتضاض الأبيكار، فهذا مثلاً من الأمثلة على النعيم الذي ينشغل فيه أهل الجنة، وإن كانت هناك صور من النعيم غيره، لكن مثل السلف بذلك لأنه جاء في الآية التي تليها قوله تعالى: (يَ وَأَرْوَجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) (يس: ٥٦) فمثلوا بما يناسب سياق الآيات، لكونه أولى ما يدخل في معنى الآية، وليس حصراً لنعيم الجنة فيما ذكروا.

قال ابن عطية: "وقال مجاهد معناه نعيم قد شغلهم. قال القاضي أبو محمد: وهذا هو القول الصحيح وتعيين شيء دون شيء، لا قياس له ولما كان النعيم نوعاً واحداً من حيث هو نعيم وحده، فقال في شغل ولو اختلف لقال في أشغال"^(٢).

"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه (أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) وهم أهلها (في پ پ) بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبيكار، وهو ولذة، وشغل عما يلقي أهل النار"^(٣).

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب أبو محمد القرشي المخزومي. شيخ الإسلام فقيه المدينة، أحد العلماء الأثبات، كان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، وكان من أعلم الناس بقضاء عمر وفتاويه، توفي بعد التسعين. ينظر: تذكرة الحفاظ (٤٤/١)، تقريب التهذيب (٣٦٤/١).

(٢) المحرر الوجيز، تحقيق: محمود شاكر (٢٥٧/٧).

(٣) تفسير الطبري (٤٦١/١٩).

ومثله قوله تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (البقرة: ٣١) فقد روي عن

الربيع بن أنس أنه أسماء الملائكة، وعن ابن زيد أسماء آدم وذريته^(١).

فتفسير الربيع وابن زيد إنما هي أمثلة للمعنى العام الذي دل عليه لفظ الأسماء، دون

إرادة حصر معنى الأسماء فيما مثلت به، ولعل الربيع وابن زيد فسرا (أَلْأَسْمَاءُ) بأسماء

الملائكة، أو أسماء ذرية آدم؛ وذلك لاشتمال سياق القصة على ذكر الملائكة، وعلى ذكر آدم وذريته.

قال ابن كثير في تعقبه على ما ذهب إليه ابن جرير من تخصيص الأسماء بأسماء آدم وذريته

وأسماء الملائكة^(٢) واختار ابن جرير أنه علمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنه قال: (ثُمَّ

عَرَضَهُمْ) وهذا عبارة عما يعقل، وهذا الذي رجح به ليس بلازم؛ فإنه لا ينفي أن يدخل

معهم غيرهم، ويُعَبَّرُ عن الجميع بصيغة من يعقل للتغليب. كما قال: (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ

مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ فِئَةٌ مِّنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ

اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ جِجَ جِجَ قَدِيرٌ) (النور: ٤٥) "^(٣).

ويقول الشوكاني: " والتأكيد بقوله: (كُلَّهَا) يفيد أنه علمه جميع الأسماء ولم يخرج عن هذا

شيء منها كائنا ما كان "^(٤).

ج- أو لكون المثال المذكور هو الغالب على معنى اللفظة والأكثر شهرة وشيوعاً:

قد يفسر المفسر الآية بمثال، مع أن اللفظ يدل على العموم، ولكن لغلبة المثال المفسر به على

معنى الكلمة، مثال ذلك: لفظ "الفاحشة" غلب استعمالها في الزنا، ولكن معناها عام في كل ما

يَفْحُشُ. قال ابن عطية في قوله تعالى: (إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً) (آل عمران: ١٣٥) "

(١) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٤٨٥/١).

(٢) ينظر تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٤٨٦/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٢٣/١).

(٤) فتح القدير (١٠٢/١). من الأمثلة في ذلك أيضاً ينظر: الحرر الوجيز (٤٠/٢-٤١).

والفاحشة: لفظٌ يعمُّ جميع المعاصي ، وقد كَثُرَ اختصاصُه بالزنا ، حتى فسَّر السُّديُّ هذه الآية بالزنا ، وقال جابر بن عبد الله لما قرأها : زَنَى القَوْمُ وربَّ الكعبة" (١).

فهذه بعض المسوغات التي تجعل المفسِّر يفسِّر بمثال دون غيره.

ولكن تجدر الإشارة إلى أمرين مهمين:

الأول: أن خفاء مقصد المفسر في تفسيره بمثال ما ليس مسوغاً لتخطئته، فقد يظهر مقصده و تعرف وجهته، وقد لا يعرف. ومن الأمثلة على ذلك:

١- ما أمكن أن يُعرف فيه مقصد المفسِّر في تمثيله، ما ورد في المراد بالنفقة في قوله تعالى (وَمِمَّا

رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة: ٣).

فقد فسر بعض السلف النفقة بالزكاة، كما ورد عن ابن عباس.

وفسرها آخرون بنفقة الرجل على أهله، ورد عن ابن عباس.

وفسرها غيرهم بالصدقة، عن الضحاك (٢).

وكل هذه أمثلة للمعنى المراد بالنفقة، أمكن للمفسرين معرفة مقاصد قائلها في تمثيلهم

بها، فمن فسَّر الإنفاق بالزكاة نظر إلى أنها أهم أنواع النفقة، ومن فسَّر بنفقة الرجل على أهله

نظر إلى أنها أفضل النفقات، ومن فسَّر بصدقة التطوع أراد التنبيه على أن النفقة غير مقصورة

على الزكاة المفروضة (٣).

٢- عدم معرفة مقصد المفسِّر في اختياره التمثيل بمثال دون غيره، مثاله:

(١) المحرر الوجيز (٢/٣٦٠). وينظر أمثلة أخرى في تفسير الشوكاني لسورة البقرة (رَفَثٌ وَلَا فُسُوكٌ وَلَا جِدَالٌ

فِي الْحَيِّجِ) (آية: ١٩٧). (١/٣٠٦).

(٢) تراجع أقوالهم في تفسير الطبري (١/٢٤٣-٢٤٤).

(٣) ينظر في توجيه هذه الأقوال وبيان مقاصد التمثيل بها: أحكام القرآن لابن العربي (١/١٩)، تفسير

القرطبي (١/١٧٩)، البحر المحيط (١/١٦٣)، تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (١/٣١-٣٢).

قوله تعالى: (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) (آل عمران: ١٣٤) "قال أبو العالية: يريد المماليك" أي الإمام العبيد "قال ابن عطية: وهذا حسنٌ على جهة المثال، إذ هم الخدَمَةُ فهم مُذنبون كثيراً والقدرة عليهم مُتيسرةٌ، وإنفاذ العقوبة سهلٌ فلذلك مثل هذا المفسر به" (١).

فمعرفة العلة التي ذكرها ابن عطية لتمثيل أبي العالية لا يمكن معرفتها إلا بعد تأمل وطول نظر.

الثاني: لو ورد عن المفسر ما يدل على إرادته حصر المعنى فيما فسر به، فلا يعد تفسيره تفسيراً بالمثال. إلا إذا كان ذلك في حكاية سبب النزول.

ومثاله ما ورد عن قتادة في قوله تعالى: (ثُمَّ عَلَّمَهُمْ) (الفاحة: ٧).

قال: « المنعم عليهم الأنبياء خاصة » (٢).

فلا يصح جعل تفسير قتادة هذا تفسيراً بالمثال لتخصيصه المنعم عليهم بالأنبياء وتصريحه بذلك، و للمنافاة الظاهرة بين التفسير بالمثال والحصر. لكن لو خالفه غيره من المفسرين وحمل لفظ الآية العموم، فلا يرد تفسيره مادام المعنى محتملاً له.

لكن لو ورد مثل هذا التخصيص في سبب نزول فإنه يكون من باب التفسير بالمثال، إذ تخصيص المفسر في سبب النزول واقعٌ على الحادثة التي كانت سبباً في نزول الآية، لا على ما يدخل في معنى الآية ويندرج تحتها.

مثال ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة

قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْيَوْمِ وَزُلْفَا مِنْ الْيَلِّ

(١) المحرر الوجيز (٣٥٩/٢).

(٢) المحرر الوجيز (٨٨/١).

إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ (هود: ١١٤). فقال الرجل: يا رسول

الله، ألي هذا؟ قال: "لجميع أمتي كلهم"^(١).

فإذا قال أحد السلف أن الآية نزلت في كذا إنما هو تمثيلٌ بمن نزلت فيه الآية أولاً، ولا يُرادُ بذلك أنها مختصة به دون سواه.

المسألة الثانية: أن هناك فرقاً بين التفسير بالمثل والتفسير بجزء المعنى^(٢).

فإذا تأملت أمثلة التفسير بالمثل والتفسير بجزء المعنى ظهر لك ما يلي:

- أن التفسير بجزء المعنى ينظر المفسر فيه إلى معنى كلي ويذكر منه جزءاً يدل على المعنى، أما

المثال فهو صورة للمعنى العام وتقريبٌ له، فليس هو المعنى العام وليس هو جزءه، وإنما هو

صورة للمعنى، أي أن المعنى تحقق في مثال ما ففسر المفسر بالمثل ليبين صورة هذا المعنى، كما

فسر بعضهم النعيم في قوله تعالى: (ثُمَّ لَسْتُمْ لَهَا يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨) بأنه

الماء البارد، فهل معنى النعيم هو الماء البارد؟ بالطبع لا. لكن الماء البارد صورةٌ من صور النعيم.

وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا أنه في جزء المعنى يكون المعنى المراد مُصرحاً ببعضه لدلالته

على البعض الآخر، أما في المثال فالمعنى المراد غير مُصرح به ولا ببعضه، بل هو موجودٌ ضمناً.

- قد يقتضي السياق إثبات جزء من المعنى ويكون الجزء الآخر غير مراد، فيتناهى اجتماع

الجزأين، كما في تفسير ابن عباس للربوة في قوله تعالى: (أَأَلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

ابْتِغَاءَ وَبِ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَاهَا

ضَعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ^٣) (البقرة: ٢٦٥). فقد فسرها بأنها المكان الذي

لا تجري فيه الأنهار، وهذا تفسير للربوة ببعض معناها؛ إذ الربوة ما ارتفع عما جاورها سواء

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، (١/٩٦) ح (٥٠٣)، واللفظ له، وصحيح

مسلم، كتاب (التوبة) باب قوله تعالى (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ) هود: ١١٤، (٤/٢١١٥) ح (٢٧٦٣).

^(٢) والسبب في التفريق بين التفسير بجزء المعنى والتفسير بالمثل هو استعمال ابن القيم لهما في مواضع، فيذكر جزء المعنى في موضع، ويذكر المثال في آخره؛ وكأنه باستعماله هذا يرى فرقاً بينهما.

أجرى فيها ماءٌ أم لم يجرِ فيها ماءٌ، فإن السياق يأبى اجتماع المعنيين، أما لو فسّر المعنى الواحد بأمثلة متعددة فإن الأمثلة لا يتنافى اجتماعها ولو كثرت^(١).

٣- النوع الثالث: التفسير باللازم.

والمراد به: أن المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن يلزم منه هذا المعنى المستفاد عقلاً أو عرفاً؛ كالكتابة تستلزم كاتباً^(٢).
واللزوم أحد الدلالات اللفظية الوضعية، التي تُستفاد من اللفظ عقلاً أو عرفاً، كالكتابة تستلزم كاتباً، والبناء يستلزم بناءً، وهكذا^(٣).
واللازم نوعان:

"الأول: أن يكون لازماً للفظ من جهة المدلول اللغوي، ويدخل في ذلك التنبيه على جزء المعنى عندما يكون اللفظ مشتملاً على أجزاء من المعاني لا يطلق عليه لأجل أحدها بل لوجودها كلها؛ كالإذن يستلزم العلم، إذ كيف يأذن بما لا يعلم، وليس الإذن مجرد العلم فقط، بل هو علمٌ مع إباحةٍ.

الثاني: لازم للمعنى المراد، وفي هذا يشترك مدلول اللفظ مع المعنى السياقي المراد فيتكون منها

المعنى الجملي"^(٤)، ومن ذلك تفسير ابن جريج لقوله تعالى: (أَبْجَيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ

فِرْعَوْنَ پ پ پ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ^٥ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ

(٤٩) (البقرة: ٤٩)، قال: "يسترقون نساءكم"^(٥).

فتعبيره هذا تفسير بلازم المعنى السياقي، إذ هم يستبقونهنّ أحياء ليكن رقيقات حال كونهنّ نساءً.

(١) ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير (ص ٧٠).

(٢) فصول في أصول التفسير (ص ٨٢).

(٣) ينظر في ذلك: التعريفات، للجرجاني (ص ٢٤٤)، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون للأحمد

نكري (٢: ١٢٤).

(٤) شرح مقدمة في أصول التفسير، د. مساعد الطيار (ص: ٢٩٠).

(٥) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢/ ٤٦).

ومن الأمثلة على التفسير باللازم:

١- قوله تعالى: (**بِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**) ﴿١٦﴾
(الأعراف: ١٦)

قال ابن عطية: "وقال الحسن: أعويتني: لعنتني، وقيل معناه: خيبتني، قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تفسيرٌ بأشياءٍ لَزِمَتْ إغواءه" (١).

فالاختلاف هنا من باب التفسير باللازم. ومثله قوله تعالى: (**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ**)
كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ﴿٨٣﴾ (الأعراف: ٨٣).

إلا امرأته كانت من الغابرين قال ابن كثير: "أي الباقين. ومنهم من فسر ذلك "من الغابرين" من الهالكين، وهو تفسير باللازم" (٢).
فيقال: هي من الغابرين أي الباقين في العذاب، وهي من الغابرين: الداهيين الهالكين.

٣- وقوله تعالى: (**إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**) **وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ**) (الكهف: ٢٤)
قال ابن كثير: "قيل: معناه: وإذا نسيت الاستثناء، فاستثن عند ذكرك له. قاله أبو العالية، والحسن البصري.

وقال عكرمة: "واذكر ربك إذا نسيت أي: إذا غضبت. قال ابن كثير: "وهذا تفسير باللازم" (٣). لأن من غضب نسي.

(١) المحرر الوجيز (٣/٥٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/١٤٩).

ومن الأمثلة أيضاً: قوله تعالى: (**وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ**) (البقرة: ٤٩)، تفسير الطبري (١/٢٧٣). وقوله تعالى: (**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**) **أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** (البقرة: ١٨٦)، وقوله تعالى: (**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**) (الأعراف: ٥٥)، وقوله تعالى: (**وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا**) (الأعراف: ١٧٥-١٧٦، ينظر التفسير القيم، لابن القيم ص ٢٨٤، وقوله تعالى: (**أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ**) (الرعد: ٣٣، ينظر تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (١٣/١٦٠)، وقوله تعالى: (**ثُمَّ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**) (الإسراء: ٧٨)، وقوله تعالى: (**وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**) (غافر: ٦٠)، وقوله تعالى:

وينبغي التنبيه هنا إلى أمور وهي :

- ١- إنه في التفسير باللازم ليس شرطاً أن يُنص المفسر على المعنى الأصلي، بل يترك النص عليه لوضوحه.
- ٢- قد يكون في الكلام حذفٌ وهذا المحذوف لازمٌ من لوازم المعنى الأصلي المذكور، فتفسر الآية باللازم لينبّه على هذا المحذوف ويلفت النظر إليه.
- ففي قوله تعالى (پ پ پ) (يوسف: ٣١) فسّر مجاهد وعكرمة "المتكأ" بالطعام.
- قال الطبري: "فسّر بعضهم المتكأ بأنه الطعام، على وجه الخبر عن الذي أُعدّ من أجله المتكأ... واستغنيَ بذكر اعتدادها لهن المتكأ عن ذكر ما يُعتدُّ له المتكأ- مما يحضر المجالس من الأطعمة و الأشربة والفواكه و صنوف الانتهاء- لفهم السامعين بالمراد من ذلك، ودلالة قوله (پ پ پ) عليه، فأما نفس المتكأ فهو ما وصفنا خاصةً دون غيره"^(١).
- وقال ابن عطية: "متكأ" ما يُتكأ عليه من فُرشٍ ووسائد، وعبرَ بذلك عن مجلس أُعدّ لكرامة، ومعلومٌ أن هذا النوع من الكرامات لا يخلو من الطعام والشراب؛ فلذلك فسّر مجاهد وعكرمة "المتكأ" بالطعام"^(٢).
- فتفسير مجاهد وعكرمة المتكأ بالطعام، تنبيهاً على هذا اللازم المحذوف وإشارة إليه، فمن لوازم المتكأ، وحمل السكين، الطعام.

- ٣- إن المفسر حال تفسيره للآية بلازم المراد منها يُريد بذلك التنبيه على أن معنى الآية غير قاصرٍ على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره، - كما أشرت سابقاً - فيتسع مدلول الآية، كما

(أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ...) ق: ١٥، ينظر الفوائد، لابن القيم (٨/١)، وقوله تعالى: (فَطَلَّتُمُ تَفَكَّهُونَ)

الواقعة: ٦٥، ينظر التبيان في أقسام القرآن، ص ١٦٩، وقوله تعالى: (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) التكويد: ٥، تفسير الطبري

(١٣٧/٢٤)، وقوله تعالى: (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ) البروج: ١٤، ينظر التبيان في أقسام القرآن ص ٦٠، وقوله تعالى: (وَمِنْ

شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) (الفلق: ٣). وغيرها.

(١) تفسير الطبري (٧٥-٧٠/١٦) وقد بين الطبري أن المتكأ هو المجلس الذي فيه النمارق والوسائد.

(٢) المحرر الوجيز (٧٧/٥).

يكون فيه تنبيه على لازم معنى الآية الذي ربما يخفى على البعض دخوله فيها أو

يكون فهمه محتاجاً لدقة نظر ففي قوله تعالى: (وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ)

(يوسف : ٢٠)

قال ابن عطية: "البخسُ مصدرٌ وصفَ به الثمن وهو بمعنى النقص، وهذا أشهر معانيه فكأنه

القليل الناقص، وهو قول الشعبي، وقال قتادة: البخسُ هنا بمعنى الظلم، ورجحه الزجاج ^(١) من

حيث إن الحرَّ لا يحلُّ بيعه، وقال الضحاك: وهو بمعنى الحرام، وهذا أيضاً لا يحلُّ بيعه" ^(٢).

وإذا تأملت هذا المثال تجد أن تفسير البخس بالظلم أو الحرام تفسيرٌ باللازم، واستنباطهما يحتاج إلى دقة فهم وبعد نظر.

النوع الرابع: من أنواع اختلاف التنوع التي ترجع إلى معنى واحد:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

المراد به: أن تفسر اللفظة القرآنية بألفاظ مقاربة لها في المعنى، دون أن تطابقها أو

تمائلها، إذ لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له.

وقد بين ابن تيمية هذا النوع بقوله: "ومن الأقوال الموجودة عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافاً؛ أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة" ^(٣).

ولذا أنكر كثير من العلماء الترادف في اللغة عموماً وفي القرآن خصوصاً كالراغب الأصفهاني ^(٤)، وابن عطية ^(٥)، وابن تيمية ^(٦)، والزرکشي ^(١) وغيرهم. وذلك لأن كل لفظ له

^(١) إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي أبو اسحاق. الإمام شيخ العربية نحوي زمانه، كان فاضلاً ديناً حسن

الاعتقاد، وكان أول أمره يخرط الزجاج، فلذلك عُرف بالزجاج، توفي سنة ٣١١هـ. ينظر: سير أعلام

النبلاء (٤/٣٦٠)، البداية والنهاية (١١/١٤٨).

^(٢) المحرر الوجيز (٥/٦٠).

^(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٥١).

^(٤) ينظر: مقدمة جامع التفاسير (ص ٢٩).

^(٥) ينظر: المحرر الوجيز (١/٥٢).

^(٦) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص ٥١).

معنى خاص به لا يشاركه فيه غيره، وقد يستعمل اللفظان للدلالة على معنى واحد، وهذا لا يعني ترادفهما بل لا بد من فرق بينهما وإن اشتركا في معنى عام يجمعهما.

"فالكلمة القرآنية مهما روعيت الدقة في تفسيرها تبقى فوق ذلك منفردة بجلالها وجمالها وإعجازها، وأنه لا يغض من قدر المفسرين سواء أكانوا من الصحابة والتابعين، أم من الأئمة المتأخرين ألا تكون الكلمة القرآنية مرادفة لما يذكرونه في تفسيرها، بل يفرض الإعجاز البياني للقرآن الكريم أن يعي أي مفسر عن الإتيان بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو من قبيل الشرح والتقريب، ولا يعني ذلك بحال أنها والكلمة القرآنية سواء"^(٢).
ولذا لا بد للناظر في أقوال السلف في التفسير أن يكون على بصيرة بهذا ومعرفة به، فكثيرا ما تأتي عنهم أقوال في تفسير لفظة أو جملة، وليس غرضهم إلا تقريب المعنى المراد من هذه اللفظة أو الجملة دون ادعاء الترادف بين اللفظ المفسر واللفظ المفسر، فيكون اختلافهم اختلافا في العبارات التي يتضح بها المعنى ويظهر، فالاختلاف في مثل هذا اختلاف في العبارات لا في المعاني والمرادات.

ومن أمثلته:

- ما ورد عن السلف في معنى (خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ^٤) (البقرة: ١٦٨) فقد ورد فيها

أقوال:

- ١- عمله. عن ابن عباس.
- ٢- خطاياها. عن مجاهد.
- ٣- طاعته. عن السدي.

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (٩٣/٤).

(٢) الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرقي. د: عائشة بنت الشاطي، (ص: ٥٠٨).

٤- النذور في المعاصي. عن أبي مجلز^(١) (٢).

قال الطبري: "وهذه الأقوال قريب معنى بعضها من بعض؛ لأن لكل قائل منهم قولاً في ذلك فإنه أشار إلى نهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله"^(٣).
وإذا أمعنت النظر في هذه الأقوال تجد أن بينها اختلافاً، ونوع هذا الاختلاف من باب التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

- ومنه أيضاً قوله تعالى: (ثُمَّ كَكَ كَكَ كَكَ كَكَ كَكَ قَدَّمْتُمْ لَهَنَّا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا

تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾) (يوسف: ٤٨).

قال الطبري: "إلا قليلاً مما تحصنون" يقول: إلا يسيراً مما تحرزونه.
والإحصان: التصيير في الحصن، وإنما المراد منه الإحراز، ثم أورد أقوال السلف:
- عن قتادة: ما تدخرون.

- ابن عباس: تحزون، وفي رواية أخرى: تحرزون.

- السدي: ترفعون.

ثم قال معقّباً- "وهذه الأقوال في قوله: "تحصنون"، وإن اختلفت ألفاظ قائلها فيه، فإن معانيها متقاربة، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت"^(٤).

- وقوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا

مَسَّنَا جِجْ جِجْ) (ق: ٣٨)، فقد ورد في تفسير لفظ "لغوب" أقوال متقاربة وهي:

١- لغوب: إزحاف؛ أي: إعياء، عن ابن عباس.

٢- لغوب: نصب، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وعن مجاهد.

(١) لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري أبو مجلز. من ثقات التابعين، قدم خراسان مع قتيبة بن مسلم، روى عن أبي موسى الأشعري والحسن بن علي، وروى عنه قتادة وعاصم الأحول، توفي سنة (١٠٦ هـ) وقيل بعدها. ينظر: تهذيب الكمال (١٧٦/٣١)، وميزان الاعتدال (١٥٢/٧).

(٢) تنظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٣٠١/٣-٣٠٢).

(٣) تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٣٠٢/٣).

(٤) تفسير الطبري (١٢٧/١٦-١٢٨).

٣- لغوب: عناء، عن ابن زيد^(١).

وهذه التفسيرات - مع اختلافها في العبارة - متقاربة المعنى، وهي ترجع إلى معنى واحد، وهو التعب.

وإذا تأملت الأمثلة السابقة تجد أن المعنى الذي يقصده المفسرون واحد، لكن تختلف عباراتهم في التعبير عنه وبيانه، لأن عملية التفسير إنما هي من باب تقريب المعنى لا تحقيقه.

النوع الخامس:

تعدد أوصاف المسمى الواحد .

والمقصود به: أن يكون المعنى المراد تفسيره متعدد الأوصاف، فتختلف عبارات المفسرين باختلاف هذه الأوصاف، فهي متفقة من حيث دلالتها على المعنى، وهي مختلفة باعتبار أن كل وصف منها له معنى مغاير لمعنى الوصف الآخر.

وقد ذكر ابن تيمية هذا النوع فقال: "هو أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى"^(٢).
وقد أوضح ذلك ابن تيمية فقال: "فإذا كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا عنه بأي اسم كان إذا عرف مسمى هذا الاسم، وقد يكون الاسم علما، وقد يكون صفة كمن يسأل عن قوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) (طه: ١٢٤) ما ذكره؟ فيقال له: هو القرآن

^(١) ينظر: تفسير الطبري (٤٦٥/٢١-٤٦٧).

ومن الأمثلة في ذلك أيضا: قوله تعالى: (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) آل عمران: ١١٣، وقوله تعالى: (مَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ عَائِنَةً أَلَيْلٍ) آل عمران: ١١٣، وقوله تعالى: (وَلَا يَحْرَمَكُمُ شَيْئًا مِنْكُمْ...) المائدة: ٢، وقوله تعالى: (وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ) الأنفال: ٥٨، وقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْتَبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) هود: ٢٣، وقوله تعالى: (... وَجِئْنَا بِضَلْعَةٍ مُّزْنَجَةٍ...) يوسف: ٨٨، وقوله تعالى: (... لَوْلَا أَنْ تَفْتَدُونَ) يوسف: ٩٤، وقوله تعالى: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَكُلِّبًا لَّيْسَ لَهُمْ صَوْلَةٌ وَلَا تَرْجَاءٌ) النور: ١٨.
^(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٨).

مثلاً، أو هو ما أنزله من الكتب. فإن الذكر مصدر، والمصدر تارة يضاف إلى الفاعل، وتارة إلى المفعول فإذا قيل: ذكر الله بالمعنى الثاني كان ما يذكر به، مثل قول العبد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فإذا قيل بالمعنى الأول كان ما يذكره هو، وهو كلامه، وهذا هو المراد في قوله (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) لأنه قال قبل ذلك (فَإِذَا مَا يَأْتِيَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (طه: ١٢٣) وهداه هو ما أنزله من الذكر، وقال بعد ذلك (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا يَا كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيُنَنَا فَانصُرْنَا يَا مَلِكُ) (طه: ١٢٥-١٢٦). والمقصود أن يعرف أن الذكر هو كلامه المتزل، أو هو ذكر العبد له، فسواء قيل: ذكرني: كتابي، أو كلامي، أو هداي، أو نحو ذلك كان المسمى واحداً. ...

فالسلف كثيراً ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها من الصفة ما ليس في الاسم الآخر؛ كمن يقول: أحمد هو الحاشر والمأحي والعاقب، والقدوس هو الغفور والرحيم؛ أي أن المسمى واحداً، لا أن هذه الصفة هي هذه الصفة، ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس^(١).

وقال ابن جزي: "ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع: الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى"^(٢).

وقال الشاطبي: "أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى بحيث ترجع إلى معنى واحد، فيكون التفسير فيها على قول واحد، ويوهم نقلها على اختلاف اللفظ أنه خلاف محقق"^(٣).

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٩-٤١).

(٢) التسهيل في علوم الترتيل (ص ٦).

(٣) الموافقات (٥/٢١١).

وقد صرح الزهري بوجود هذا النوع عند السلف، ففي قوله تعالى: (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) (الحجر: ٩٥).

قال ابن عطية: "قال أبو بكر الهذلي^(١): قلت للزهري: إن ابن جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين، فقال ابن جبير هو الحارث بن غيظلة، وقال عكرمة: هو الحارث بن قيس، فقال الزهري: صدقاً أمه غيظلة وأبوه قيس"^(٢). فأبو بكر ظن أن عكرمة أراد رجلاً غير الذي أراده ابن جبير، فبين له الزهري أن الرجل في القولين واحد، لكن ابن جبير نسبه إلى أمه، ونسبه عكرمة إلى أبيه. وذلك يفعل لأحد أمرين:

- إما لأن الشيء في نفسه لا يمكن إبرازه إلا بالعبارات الدالة على أوصافه، كعرفة الله - عز وجل - لما صعبت، ولم يكن لنا سبيل إليها إلا بصفاته.

وكان الله تعالى جعل لنا أن نصفه بهذه الأوصاف، لتكون ذريعة لنا إلى معرفته، إذ لا سبيل لنا إليها إلا استدلالاً بأوصافه وأفعاله، ولذلك قال موسى عليه السلام لما سأله

فرعون ﴿فَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا (الشعراء: ٢٣-٢٤)، ولما قال له (ب) يَا رَبُّ كَمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ تَمَّ رَبُّنَا تِي أَعْطَى ثُمَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ (طه: ٤٩-٥٠) فلم يُجِبْهُ عن الماهية، وأحاله على صفاته الكثيرة.

- وإما لأن الشيء له تركيبات وأحوال، فيُجعل له بحسب كل واحد منها اسم، وبحسب ذلك قال النبي ﷺ "سميت محمداً وأحمداً وخاتماً وحاشراً وعاقباً

(١) سُلمى بن عبد الله بن سلمى أبو بكر الهذلي البصري وهو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميري. روى عن الحسن ومحمد بن سيرين، وروى عنه وكيع وأبو نعيم، وهو متروك الحديث. ينظر: الجرح والتعديل (٣١٣/٤)، والكامل في الضعفاء، لابن عدي (٣٢١/٣).

(٢) المحرر الوجيز (٣٢١/٥).

وماحياً^(١) لأنه محمود، وحامد، وخاتم الأنبياء، وحاشر؛ لأنه بعث مع الساعة نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد، وعاقب؛ لأنه عقب الأنبياء، وماحياً؛ لأنه محي به سيئات من اتبعه^(٢).

فيذكر كل مفسرٍ وصفاً من تلك الأوصاف، وكلها تعود إلى معنى واحد .

فالأنواع السابقة يعود فيها الاختلاف إلى معنى واحد.

أما الأنواع التي يعود فيها اختلاف التنوع إلى أكثر من معنى فسأشرحها في المطلب القادم وأذكر لكل نوع ما يوضحه من الأمثلة.

المطلب الثاني:

ما يعود فيه اختلاف التنوع إلى أكثر من معنى.

إذا رجعت الأقوال إلى أكثر من معنى، فإنه يرد عليها احتمالان وهما:

- ١- أن يكون بين هذه المعاني تضاد، غير أنه يجوز أن تحتل الآية هذين المعنيين لسبب يحيط بالمثل ذاته، ولا يصلح هذا السبب لغيره
 - ٢- أن لا يكون بينهما تضاد، والآية تحتلها جميعاً، فيجوز حملها عليها، إذا لم يمنع مانع.
- وإليك الأمثلة :

أولاً: أن ترجع الأقوال إلى أكثر من معنى بينها تضاد والآية تحتلها:

ومن ذلك قوله تعالى: (كك كك كك) (التكوير: ١٧)

فقد اختلف المفسرون في لفظ "عسعس" على قولين:

القول الأول: بمعنى أدبر. روي عن علي، وابن عباس، والضحاك، وقتادة، وابن زيد. رضي الله عنهم

القول الثاني: بمعنى أقبل. روي عن مجاهد، والحسن، وعطية العوفي. رضي الله عنهم^(١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب "باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، ح (٣٣٣٩) (٣/١٢٩٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل "باب في أسمائه ﷺ، ح (٢٣٥٤) (٤/١٨٢٨). ولفظ البخاري "لي خمسة أسماء أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب". دون لفظ "خاتماً". جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٢) مقدمة جامع التفاسير (ص ٥٢-٥٤).

وهذا فيه تضاد، غير أنه يجوز أن تحتل الآية هذين المعنيين لاختلاف الزمن المحمول عليه اللفظ، وهو أول الليل وآخره، وبهذا يكون من قبيل اختلاف التنوع.

ثانياً: أن ترجع الأقوال إلى أكثر من معنى ليس بينها تضاد:

وقد ذكر الراجب في مقدمته فصلاً لبعض ما يدخل في هذا النوع فقال:

"فصل في جواز إرادة المعنيين المختلفين بعبارة واحدة" ثم قال: "العبارة الموضوعة لمعنيين على سبيل الاشتراك متى تنافي معنيها في المراد لم يصح أن يراداً معاً بعبارة واحدة.... وإذا لم يتنافيا صح ذلك نحو "اللمس" المراد به المسيس، والمس" (٢).

ويبين ابن تيمية هذا النوع بقوله: "ومن المتنازع الموجود عنهم-يعني السلف- ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين:

إما لكونه مشتركاً في اللغة، كلفظ قسورة الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد، ولفظ عسعس الذي يراد به إقبال الليل وإدباره.

وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشيعين، كالضمائر في

قوله (ثُمَّ دَنَا فَدَدَلَى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَوْجَحٍ) (النجم: ٨-٩) وكلفظ الفجر في (أ)

﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ (الفجر: ١-٣)، وما أشبه ذلك" (٣).

وأشار الطوفي إلى نحو هذا فقال: "اعلم أن الكلام إما أن يكون متضح اللفظ والمعنى، أو لا. فالأول: لا حاجة له إلى تفسير؛ بل هو بين بنفسه....

أما الثاني: وهو غير الواضح لاشتراك في لفظه ومعناه، نحو (چ چ چ) (البقرة: ٢٢٨) للطهر

والحيض، وعسعس الليل: لأقبل وأدبر، و﴿يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٩) لا حتماله النهي والخبر... (٤).

(١) تفسير الطبري (١٥٩/٢٤-١٦١).

(٢) مقدمة جامع التفاسير (ص ٩٨).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٩-٥٠).

(٤) الإكسير في قواعد التفسير للطوفي (ص ٣٣).

فكلام الراغب، والطوفي، وابن تيمية، يدل على أن المشترك والمتواطئ هما من أبرز الصور التي يكون اللفظ فيها محتملاً لأمرين، ولذا سأبين هذين النوعين وما يتعلق بهما باختصار.

أولاً: المتواطئ :

الألفاظ المتواطئة: "هي الألفاظ الدالة على الأعيان المتغايرة بالعدد، المتفقة في المعنى الذي وضع اللفظ له، كدلالة لفظ الإنسان على زيد وعمرو وبكر" (١)

أنواع المتواطئ:

الأول: الوصف المحتمل لأكثر من موصوف:

وهو الوصف الذي لم يحدد موصوفه في الآية، فيحمل كل مفسر هذا الوصف على ما يحتمله من الموصوفات. ومن أمثلته:

- قوله تعالى (فَالزَّيْجَرَاتِ زَجْرًا پ) (الصفات: ٢).

وفي الزاجرات قولان :

أحدهما : إنها الملائكة التي تزجر السحاب ، قاله ابن عباس.

والثاني : إنها زواجر القرآن وكلُّ ما ينهى ويزجر عن القبيح ، قاله قتادة (٢).

وهذان المعنيان مختلفان ومع هذا فالآية تحتملها جميعاً، لأن الاختلاف بينهما من باب التنوع

فالزاجرات تشمل الملائكة و زواجر القرآن، لأن كليهما متصف بالزجر.

- وكذلك ما ورد في تفسير النازعات من قوله تعالى (وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا) (١).

فقد ورد فيها أقوال وهي:

(١) البحر المحيط، للزرکشي (٤٣٦/١). وينظر: التعريفات، للجرجاني (ص: ٢٧٤)، وكشاف اصطلاحات الفنون، للتهانوي

(٤: ١٥٩).

(٢) ينظر تفسير الطبري (٤٩٣/١٩-٤٩٤).

- ١- إنها الملائكة التي تجذب روح الكافر من أقاصي بدنه، ورد ذلك عن ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير.
- ٢- الموت يترع النفوس، وهو قول مجاهد.
- ٣- النجوم تترع من أفق إلى أفق، وهو قول الحسن، وقتادة.
- ٤- القسي تترع بالسهم، وهو قول عطاء.
- ٥- النفس حين تترع، وهو قول السدي^(١).

وإذا تأملت هذه الأقوال فإنك ستجدها مختلفة، ومع ذلك فالآية صالحة لأن تحمل على كل ما قيل فيها من أقوال، لأنها من قبيل اختلاف التنوع فهي أوصاف لم يذكر موصوفها، وعليه فهي من قبيل المتواطئ.

يقول الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقاً، ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكل نازعة غرقاً فداخلة في قَسَمِهِ، مَلَكًا كان أو موتاً، أو نجماً، أو قوساً، أو غير ذلك، والمعنى: والنازعات إغراقاً كما يغرق النازع في القوس"^(٢).

النوع الثاني: الضمير الذي يحتمل رجوعه إلى أكثر من معنى أو ذات:

فإذا كانت الضمائر صالحة للمعنيين فهو اختلاف تنوع، ويكون كل واحد من المفسرين ذكر نوعاً، وإذا لم تكن محتملة للمعنيين فهو اختلاف تضاد.

مثال على التضاد قوله تعالى: (فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا

﴿٢٤﴾ (مریم: ٢٤).

^(١) ينظر تفسير الطبري (٥٧/٢٤-٥٩).

^(٢) تفسير الطبري (٥٩/٢٤).

وهناك أمثلة أخرى مثل (النَّبَأُ: ٢)، (نَكَالَ الْآخِرَةَ وَالْأُولَى) (النازعات: ٢٥)، (بِالْحُسْنِ)

(التكوير: ١٥)، (لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ) ﴿١٩﴾ (الانشقاق: ١٩)، (بِأَنَّ) ﴿١﴾ (الفجر: ١)، (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ

الْعَدِيبَةِ) ﴿١﴾ (الغاشية: ١)، (بِ بِ بِ) (الفجر: ٣)، (بِ كِ) (العاديات: ١) وغيرها.

اختلف مفسرو السلف في المنادي من هو على قولين:

الأول: إن المنادي جبريل عليه السلام ، وهو قول ابن عباس، وعمرو بن ميمون، والضحاك، وقتادة، والسدي.

الثاني: إن المنادي عيسى عليه السلام ، وهو قول أبي بن كعب، ومجاهد، والحسن، ووهب بن منبه، وسعيد بن جبير، وابن زيد ^(١).

والمنادي هنا واحد، ولا يحتمل أن يكون ناداها الاثنان، ولا دلالة تدل على ذلك من قريب ولا من بعيد، لذا لا يحتمل المنادي إلا أحدهما. فهذا اختلاف تضاد.

وأما اختلاف التنوع الذي تكون فيه الضمائر صالحة للمعنيين فمثاله:

قوله تعالى: (مَا تَرَى مِنْ عِلْمٍ كَ كَ كَ كَ كَ كَ كَ) (النساء: ١٥٧).

فقد أعاد بعض المفسرين الضمير الواقع في قوله تعالى "قتلوه" إلى المسيح عليه السلام . أي: ما تيقنوا قتله بل توهموه.

بينما أعاد آخرون الضمير إلى العلم المذكور في قوله "ما لهم به من علم" أي: ما أيقن النصراري الذين اختلفوا في قتل عيسى عليه السلام ذلك يقيناً بل فهموه خطأً. فيكون من قول العرب "قتلت الشيء علماً" ^(٢).

وهذان المعنيان كلاهما محتمل و يمكن أن تُحمل الآية عليهما جميعاً. فما تيقنوا قتله وما علم النصراري ذلك يقيناً بل فهموه خطأً.

- ومثاله أيضاً: قوله تعالى (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ

فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ... (يوسف: ٤٢).

ففي قوله "فأنساه الشيطان ذكر ربه" معنيان:

الأول: فأنسى الشيطان الرجل الذي نجى من السجن ذكر يوسف لربه (وهو الملك)، رواه ابن عباس، وبه قال ابن إسحاق.

^(١) تنظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٥/٥٠١-٥٠٣).

^(٢) ينظر تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٩/٣٧٧).

الثاني:فأنسى الشيطان يوسف ذكر ربه، وأمره بذكر الملك ابتغاء الفرج من عنده،قاله مجاهد ومقاتل والزجاج،وهذا نسيان عمد،لا نسيان سهو^(١).
وإذ تأملت هذين المعنيين تجد أن الضمير إما أن يعود على الله سبحانه وتعالى، أو على الملك.

ومع هذا الاختلاف في مرجع الضمير إلا أن الآية تحتملها جميعاً.

٣-ومن الأمثلة في ذلك أيضاً:قوله تعالى(يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ^(٦)) (الانشقاق:٦).

فالضمير في "ملاقيه":

قيل:تلاقي ربك.

وقيل تلاقي عملك.

وكلاهما صحيح محتمل، لأن الإنسان سيلاقي ربه، وعمله^(٢).

النوع الثالث:

أسماء الأجناس:كالإنسان، والفجر، والعصر.

ومن أمثلته:الأقوال الواردة في المراد بالفجر في قوله تعالى(أ^(١)) (الفجر:١)

قيل:الفجر:صلاة الصبح، وقيل:النهار، وقيل:فجر يوم النحر^(٣).

فكل هذه الأقوال يصدق عليها معنى الفجر.

ومن الأمثلة أيضاً الأقوال الواردة في قوله تعالى(أ^(١)) (العصر:١)

قيل:الدهر، وقيل:العشي، وقيل:صلاة العصر^(١).

^(١) ينظر تفسير الطبري(١٠٩/١٩-١١٠).وزاد المسير (٢٢٧/٤).

^(٢) ومن الأمثلة في ذلك أيضاً قوله تعالى (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى^(٨)) النجم:٨-٩، وقوله تعالى (إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ^(٨))

الطارق:٨، وقوله تعالى(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا^(٩)) الشمس:٩، وقوله تعالى(وَقَدْ حَابَّ مَنْ دَسَّهَا^(١٠))

الشمس:١٠، وقوله تعالى(ك ك ك ك) الشمس:١٥، وقوله تعالى(وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ^(٧))

العاديات:٧. وغيرها.

^(٣) تنظر الأقوال في:تفسير الطبري(٣٤٤/٢٤-٣٤٥).

فالقدر المشترك بين هذه الأقوال إطلاق لفظ العصر على كل منها.

(١) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦١٢/٢٤)، وزاد المسير (٩/٢٢٤-٢٢٥).

النوع الثاني من أنواع الاختلاف الذي يرجع إلى أكثر من معنى:
المشترك^(١).

تعريفه^(٢):

عرفه ابن منظور: بأنه الذي تشترك فيه معان كثيرة^(٣).
وقيل: هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين، أو أكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة"^(٤).

وقد اختلف العلماء في مسألة وقوع المشترك في اللغة وفي القرآن، والذي عليه أكثر العلماء، أن المشترك جائز وقوعه عقلاً، ووقوعه سمعاً في اللغة، وهو واقع في القرآن في مثل القرء، فلا وجه لمن أنكر ذلك^(٥).

– والمشارك على نوعين: معنوي ولفظي.

فالمشارك المعنوي: هو اللفظ الموضوع لمعنى مشترك بين أفراده، كالإنسان يصدق على زيد وعمرو بالتساوي، ولا فرق بينهما في هذه النسبة^(٦).
وهذا النوع من المشارك هو المعروف بالمتواطئ^(٧). وهذا ما أشرت إليه سابقاً.

-
- (١) يمكن الاستفادة في موضوع المشارك اللغوي في ألفاظ القرآن من الكتب التالية:
– الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، لمحمد نور الدين المنجد. نشر دار الفكر المعاصر.
– المشارك اللفظي في الحقل القرآني، للدكتور عبد العال سالم مكرم، نشر دار الرسالة.
– المشارك اللغوي نظرية وتطبيقاً، لتوفيق محمد شاهين، مكتبة، القاهرة.
(٢) ينظر في تعريف المشارك: الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس (ص ٢٢٥)، مقدمة جامع التفاسير (ص ٢٩-٣٣)،
الحصول في علم أصول الفقه، للرازي (٣٥٩/١)، الإحكام للآمدي (٤١/١)، نهاية السؤل، للأسنوي (١٨٥/١)، البحر
المحيط للزر كشي (٨١/٢)، التعريفات (ص: ٢٧٤)، كشف اصطلاحات الفنون (٤: ١٥٥).
(٣) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (شرك) (٤٤٩/١٠).
(٤) الإبهام في شرح المنهاج، لعلي بن عبد الكافي السبكي (٢٤٨/١)، المزهري في علوم اللغة للسيوطي (٢٩٢/١).
(٥) ينظر في هذه المسألة: إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول، للشوكاني (ص ٤٥-٤٨)، الحصول (٣٦٠/١)، البحر
المحيط (٤٩٠/١)، نهاية السؤل (ص ١١٠-١١٤).
(٦) ينظر: التعريفات (ص: ٢٧٤)، وكشف اصطلاحات الفنون (٤: ١٥٩).
(٧) الفرق بين المشارك والمتواطئ:
- ١- أن المشارك موضوع للماهية والحقيقة على سبيل التعدد، والمتواطئ موضوع للقدر المشترك بين أفراده.

أما الاشتراك اللفظي: فهو أن يكون اللفظ موضوعاً لمعنيين، أو لمعانٍ بأوضاع متعددة، كلفظ العين للباصرة والجارية والذهب، وغير ذلك^(١).

– فالمشترك اللفظي قسمان:

– قسم يدل على معانٍ مختلفة متضادة.

– قسم يدل على معانٍ مختلفة غير متضادة.

القسم الأول: – مادل على معانٍ مختلفة متضادة، وله أحوال:

١ – قد يجوز حمل الآية على المعنيين المتضادين، مثل قوله تعالى (ك ك ك ك ك) (التكوير: ١٧)^(٢). وهذا يدخل في اختلاف التنوع.

ومثله قوله تعالى (إِلَّا أَمْرَاتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِينَ) (الأعراف: ٨٣).

فلفظة (الْغَيْرِينَ) جاءت لمعنيين:

الأول: الباقيين. عن ابن عباس وقتادة.

الثاني: الهالكين. فغير الشيء إذا مضى وغير إذا بقي وهو من الأضداد^(٣).

ومع هذا يمكن أن تحمل الآية عليهما جميعاً فيقال: هي من الغابرين أي الباقيين في العذاب، وهي من الغابرين: الذاهبين الهالكين.^(٤)

٢ – وقد يمتنع حمل الآية عليهما معاً، ويلزم من القول بأحدهما نفي الآخر.

٢ – المتواطئ يلزم في أفراده نسبة التساوي في المعنى، أما المشترك فلا يلزم فيه ذلك.

٣ – المتواطئ موضوع لمعنى واحد صادق على أفراد كثيرين، أما المشترك فموضوع لمعانٍ متعددة.

ينظر: الحصول (٢٣٤/٣)، الاشتراك وأثره في استنباط الأحكام، لأسامة عبد العظيم (ص: ٣٠)، فصول في أصول

التفسير، (ص ٦٣).

^(١) ينظر: التعريفات، (٢٧٤)، كشف اصطلاحات الفنون (١٥٥/٤).

^(٢) سبق شرح هذا المثال صفحة (٣٧).

^(٣) ينظر تفسير القرطبي (٢٤٦/٧)، وتفسير ابن كثير (٤٤٦/٣).

^(٤) ومن الأمثلة أيضاً: لفظ "المسحور"، في قوله تعالى (وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورِ) سورة الطور: ٦، وقوله تعالى (وَإِذَا

الْبَحَارُ سُجِّرَتْ) سورة التكوير: ٦، وغيرها.

ومن الأمثلة في المشترك المتضاد قوله تعالى (**وَأَمُطَلَقَتْ يُتَرَبَّصْنَ** ج ج)

(البقرة: ٢٢٨) فقد ورد في لغة العرب أن (القرء) بمعنى الطهر، وبمعنى الحيض.

روي المعنى الأول عن زيد بن ثابت، وابن عمر، وعائشة، والزهري.

وروي المعنى الثاني عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبي موسى، وعبادة بن الصامت، وأبي

الدرداء، وعكرمة، والضحاك، وسفيان الثوري، والسدي^(١).

وفي هذا المثال يمتنع حمل الآية على المعنيين معاً؛ لأن القول بأحدهما يستلزم نفي

الآخر، فالملبوس من المرأة أن تتربص؛ إما ثلاثة أطهار، أو ثلاث حيض. وهذا غير داخل في

اختلاف التنوع.

القسم الثاني: ما دل على معان مختلفة غير متضادة. وهو على نوعين:

الأول: ما أمكن الحمل فيه على جميع المعاني:

ومن الأمثلة في ذلك:

١- قوله تعالى: (.....) **لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً^٢ يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى**

قُلُوبُهُمْ^٣ ج ج) (التوبة: ٨).

فقد ورد عن السلف في معنى "الإل" ثلاثة أقوال:

الأول: الله وهو قول: سعيد بن جبير^(٢)، ومجاهد^(٣)، وأبي مجلز^(٤)، وعكرمة^(٥).

الثاني: القرابة. روي عن ابن عباس، والضحاك، والسدي^(٦).

الثالث: وقال آخرون: "الإل" هو العهد، وهو قول مجاهد، وعبد الرحمن بن زيد^(٧).

وعن قتادة: الحلف^(١)، وهو بمعنى العهد والعقد.

(١) انظر أفواهم في "تفسير الطبري" (٥٠٠/٤) وما بعدها.

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٤١/٢).

(٣) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٤٦/١٤).

(٤) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٤٦/١٤).

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٣٤/٤).

(٦) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٤٦/١٤-١٤٧).

(٧) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٤٨/١٤).

ولكنه كرّر لما اختلف اللفظان، وإن كان معناهما واحداً.
قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وحصرهم والعودة لهم على كل مرصد: أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم "إلا".
و"الإل": اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد، والعقد، والحلف، والقراية، وهو أيضاً بمعنى "الله". فإذا كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يُعمّ ذلك كما عمّ بما جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمنٍ الله، ولا قرايةً، ولا عهداً، ولا ميثاقاً"^(٢).

٢- لفظ "تتلوا" في قوله تعالى (بَا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ ب پ پ كَفَرَ سُلَيْمَنُ) (البقرة: ١٠٢).

فقد ورد في معنى "تتلوا" قولان:

الأول: تتلوا: تقرأ. وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة^(٣).

الثاني: تتلوا: تتبع. وهو قول ابن عباس أيضاً، وأبو رزين^(٤) ^(٥).

وقد بين الطبري الاشتراك في لفظ "تتلوا" بين المعنيين، وحمل الآية عليهما معا فقال: "ولقول القائل: هو يتلو كذا في كلام العرب معنيان:

أحدهما: الإتيان، كما يقال: تلوت فلانا إذا مشيت خلفه وتبعته أثره، كما قال جل ثناؤه

(هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ) (يونس: ٣٠) يعني بذلك تتبع

(١) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٤٧/١٤).

(٢) تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (١٤٥/١٤-١٤٨).

(٣) تفسير الطبري (٤٠٩/٢-٤١٠).

(٤) مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي الكوفي مولى أبي وائل الأسدي. روى عن معاذ بن جبل، وابن مسعود، وروى عنه الأعمش وعطاء بن السائب، شهد صفين مع علي، وكان عالماً فهماً، ثقة فاضلاً، توفي سنة (٨٥هـ). ينظر: تهذيب

الكمال (٤٧٧/٢٧)، تقريب التهذيب (ص: ٥٢٨).

(٥) تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٤١٠/٢).

والآخر: القراءة والدراسة، كما تقول: فلان يتلو القرآن بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه، كما قال حسان بن ثابت^(١):

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد^(٢)

ولم يجربنا الله - جل ثناؤه - بأي معنى التلاوة كانت تلاوة الشياطين - الذين تلوا ما تلوه من السحر على عهد سليمان - بخر يقطع العذر، وقد يجوز أن تكون الشياطين تلت ذلك دراسة ورواية وعملا، فتكون كانت متبعتة بالعمل، ودراسته بالرواية، فاتبعت اليهود منهاجها في ذلك وعملت به، وروته^(٣)

وإذا نظرت إلى هذه المعاني المختلفة، لم تجد بينها تضاداً، كما لا يوجد مانع يمنع من

الحمل على هذه المعاني جميعاً، ومن ثم، فإنه يجوز حمل هذه المعاني جميعها على

الآية، بسبب الاشتراك اللغوي في كلمة "تلوا".

والأمثلة في ذلك كثيرة يضيق المقام عن حصرها^(٤).

الثاني: ما لم يمكن فيه الحمل على جميع المعاني:

(١) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مائة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري، الشاعر يكنى أبا الوليد وقيل يكنى أبا عبد الرحمن وقيل أبا الحسام، روى عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير وآخرون، كان يقال له شاعر رسول الله ﷺ، قال أبو عبيدة: حسان بن ثابت شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر أهل اليمن في الإسلام وهو شاعر أهل القرى، وتوفي حسان بن ثابت رحمه الله قبل الأربعين في خلافة علي رضي الله عنه، وقيل غير ذلك. وعاش مائة وعشرين سنة. منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام. ينظر: الاستيعاب (٣٤١/١)، والإصابة (٦٢/٢-٦٤).

(٢) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٥١) وفيه "وفي كل مسجد" ووقعت هنا "في كل مشهد".

(٣) تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٤١١/٢).

(٤) وهناك أمثلة أخرى مثل: (تَلُّوا) البقرة: ١٠٢، (تَأْوِيلُهُ) آل عمران: ٧، (نَحْلَةٌ) النساء: ٤، (أ)

أَجَلٍ) المائدة: ٣٢، (يَعْدِلُونَ) الأنعام: ١، (بَرِّعَ) يوسف: ١٢، (مُفْرَطُونَ) النحل: ٦٢، (أَلْعَتِيقِ) الحج: ٢٩، (ك)

الحج: ٥٢، (يَأْتَلِي) النور: ٢٢،

(يَتَقَطَّرُونَ) الشورى: ٥، (وَأَلْرِيحَانُ) الرحمن: ١٢، (يَطْمِئِنُّ) الرحمن: ٧٤، (أَلْهِيمِ) الواقعة: ٥٥، (يَمَوْقِعِ)

الأنعام: ٧٥، (أَلْمَسْجِدِ) الجن: ١٨، (فَسَوْرَةٍ) المدثر: ٥١، (مَعَاذِيرُهُ) القيامة: ١٥، (ث) عبس: ١٥، (نَقْمُوا)

البروج: ٨. وغيرها.

ومنه قوله تعالى: (أَكُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى) (البقرة: ١٣٥).
 فلفظ "أو" قد يأتي بمعنى التخيير، وقد يأتي بمعنى التفصيل والتبعض واحتمال كونها
 بمعنى التخيير هنا غير ممكن. لأن كل طائفة منهم لا تخير بين الأمرين.
 فيبقى المعنى الآخر وهو التبعض، وعليه يكون المعنى: أن بعضهم-وهو اليهود-قالوا: كونوا
 هوداً. وبعضهم-وهو النصارى-قالوا: كونوا نصارى^(١).
 وعليه يُقال: إن حملها على المعنيين غير ممكن في هذه الآية.
 فتلخص مما سبق: أن المشترك من حيث قبول المعاني الدالة عليه أو عدم قبولها، له صور
 عدة هي^(٢):

أولاً: صور معاني المشترك غير المتضاد. وهي أربع صور:
 الصورة الأولى: أن يكون في السياق ما يعين أحد المعاني التي دل عليها اللفظ، فيكون ما
 عينه السياق هو المراد دون غيره.

مثاله: لفظ "أمة" فإنه يشترك بين معان كثيرة منها: الإمام، والجماعة، والسنين^(٣).
 ففي قوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) (النحل: ١٢٠) لا يسوغ القول إن كلمة "أمة"
 بمعنى الجماعة، أو بمعنى السنين، إذ السياق يعين معنى الإمام.
 وهذه الصورة لا يصلح عد المشترك فيها من أسباب الخلاف، إذ لا خلاف أصلاً.
 الصورة الثانية: أن يكون أحد معاني اللفظ المشترك باطلاً، فيردُّ، ويقبل غيره من المعاني
 الصحيحة.

مثاله: قوله تعالى (ك ك ك) (الضحى: ٧) فلفظ الضلال لما كان مشتركاً بين عدة معاني،
 اختلف المفسرون في المراد به في الآية على أقوال منها:
 (١) وجدك ضالاً عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، فهذا إلهاء. قاله الجمهور منهم الحسن
 والضحاك^(١).

^(١) ينظر تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (١٠١/٣-١٠٣).

^(٢) ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير (ص ١٧٠-١٧٢).

^(٣) تنظر معاني لفظ "أمة" في: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، لـ د. عبد العال سالم (ص: ١٠٠-١٠٢).

(٢) كان على أمر قومه أربعين عاما. عن السدي^(٢).

وهذا القول مردود ولا يصح إذ فيه إيهام أن النبي ﷺ كان مشاركا لقومه في عباداتهم.

قال القرطبي: "وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتزيههم عن الشرك منذ ولدوا ونشأهم على التوحيد والإيمان، ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم حقق ذلك، كما عُرف من حال موسى، وعيسى، ويحيى، وسليمان، وغيرهم عليهم السلام"^(٣).

الصورة الثالثة: أن تكون المعاني التي دل عليها اللفظ المشترك كلها صحيحة لكن بعضها أُرجم من غيره لإشارة سياق أو نحوه.

مثاله: قوله تعالى (ك ك ك ك) (المرسلات: ٣٢) فقد اختلف السلف في معنى القصر على قولين:

الأول: أنه واحد القصور المبنية. ورد ذلك عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وعن محمد بن كعب القرظي.

الثاني: أنه الغليظ من الخشب؛ كأصول النخل ونحوه. ورد ذلك عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وعن مجاهد، وقتادة، والضحاك^(٤).

وقد رجح الطبري القول الأول فقال: "وأولى التأويلات به أنه القصر من القصور، وذلك

لدلالة قوله: (كَانَهُ جَمَلَتْ صُفْرًا) (المرسلات: ٣٣) على صحته، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية"^(٥).

(١) ينظر: زاد المسير (١٥٨/٩).

(٢) تفسير الطبري (٤٨٩/٢٤). وإسناده ضعيف عن السدي، ففيه محمد بن حميد الرازي، قال عنه البخاري: فيه نظر، وكذبه أبو زرعة، وقال يعقوب بن شيبه: كثير المناكير. وقال ابن حجر: حافظ ضعيف. ينظر: ميزان الاعتدال (١٢٦/٦)، تقريب التهذيب (ص: ٤٧٥).

(٣) تفسير القرطبي (٥٥/١٦).

(٤) تفسير الطبري (٦٠١/٢٣-٦٠٤).

(٥) تفسير الطبري (٦٠٤/٢٣).

الصورة الرابعة: أن تكون المعاني متساوية في احتمال اللفظ لها، وفي إشارة السياق

إليها. مثاله: تفسير لفظ "النجم" من قوله تعالى (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾)

(الرحمن: ٦)

فقد اختلف المفسرون فيها على قولين:

القول الأول: إن النجم: ما نبت على وجه الأرض مما ليس له ساق.

وهو قول ابن عباس، وابن جبير، والسدي، والكلبي، وسفيان الثوري. (١)

القول الثاني: النجم: نجم السماء. وبه قال: مجاهد، والحسن البصري، وقتادة (٢).

فالخلاف هنا إنما كان بسبب الاشتراك اللغوي في دلالة لفظ النجم، حيث يطلق النجم في

لغة العرب ويراد به ما نجم من الأرض، ويطلق ويراد به نجم السماء.

وإذا تأملت هذين الوجهين التفسيرين، وجدت أن لكل وجه منهما حظاً من النظر: من حيث

صحة الإطلاق في اللغة أولاً، ثم بصحة حملهما في سياق الآية، فالآية تقبل هذه وتقبل ذاك

على جهة التفسيرين، وهما من باب اختلاف التنوع الذي تحتمله الآية بلا تضاد.

قال الطاهر بن عاشور: "وجعل لفظ النجم واسطة الانتقال لصلاحيته؛ لأنه يُراد منه: نجوم

السماء، وما يسمى نجماً من نبات الأرض" (٣).

فسبب الاختلاف هو الاشتراك، والسياق محتمل لكلا المعنيين:

فمن فسرهُ بالنبت الذي لا ساق له: نظر إلى اقترانه بلفظ الشجر ومجيئه بعده، فالشجر: ماله

ساق، والنجم: ما ليس له ساق.

ومن فسر بنجم السماء نظر إلى ما تقدمه مباشرة وهو قول الله تعالى (الشمس والقمر

بِحسبان ﴿٥﴾) (الرحمن: ٥).

فالصورتان الأخيرتان هما مما يدخل في اختلاف التنوع.

وأما المشترك المتضاد فله صورتان:

(١) ينظر تفسير الطبري (١٧٤/٢٢)، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني، ت: مصطفى مسلم (٢٦٢/٣).

(٢) ينظر تفسير الطبري (١٧٥/٢٢)، وتفسير عبد الرزاق الصنعاني (٢٦٢/٣).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣٥/٢٧).

الصورة الأولى: "أن يمكن حمل الآية على المعنيين المتضادين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية، ويكون هذا إذا اختلف المحل"^(١).

الصورة الثانية: "أن يمتنع الحمل على المعنيين المتضادين معاً، بحيث يلزم من القول بأحدهما نفي الآخر"^(٢).

وعود على بدء نقول: إن المشترك والمتواطئ إذا كان اللفظ فيهما محتملاً لأكثر من معنى، والآية محتملة لها؛ كان شبيهاً بالاسم العام.

"ولا يكون ذلك إلا بالنظر إلى تعميم الوصف في المشترك والمتواطئ، دون النظر إلى ما ترجح منها"^(٣).

وقد بين ذلك ابن تيمية بقوله: "وهذا النوع -احتمال اللفظ لأمرين- إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني"^(٤).

ووجه إرجاعه للاسم العام أنه مشابه له من وجهين:

"أحدهما: أن معنى اللفظ غير منحصر في معنى من هذه المعاني، فصار هذا اللفظ بمتزلة الاسم العام الذي لا ينحصر معناه في مثالين أو أكثر من أمثله.

ثانيهما: أن هذه المعاني ليس بينها تناف يمنع اجتماعها، فصار كل معنى منها بمتزلة المثال للمعنى العام لا ينافي دخول غيره من الأمثلة التي يشملها المعنى"^(٥).

أما إن كان اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، لكن أحدها هو المراد دون غيره، فهذا لا يمكن إرجاعه للاسم العام، بل هو نوع مستقل بنفسه من أنواع التنوع.

هذا ما يتعلق بالأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع، أما الأسباب فسأذكرها في المبحث الثاني.

(١) فصول في أصول التفسير (ص: ٦٦).

(٢) فصول في أصول التفسير (ص: ٦٦).

(٣) شرح مقدمة التفسير، د. مساعد الطيار (ص: ١١٤).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٥١).

(٥) الاختلاف بين السلف في التفسير (ص: ١٢٥).

المبحث الثاني:

أسباب الاختلاف العامة.

وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، ولهذا الاختلاف أسباب أوجبت.

وهو في أصل نشأته يرجع إلى أمرين مهمين^(١):

أحدهما: ما يرجع إلى اختلاف فهم المجتهدين من العلماء.

وثانيهما: أن يكون النص محتملاً لأكثر من معنى.

إذاً فالخلاف منه ما يرجع إلى المجتهد، ومنه ما يرجع إلى النص.

وقبل بيان أسباب اختلاف التنوع لابد من معرفة أسباب اختلاف المفسرين لأنه قد تتكرر

المسألة في أسباب اختلاف المفسرين وأسباب اختلاف التنوع هذا من جهة، ومن جهة

أخرى ليس كل سبب لاختلاف المفسرين يصلح أن يكون سبباً لاختلاف التنوع.

فهناك فرق بينهما كما تقرر سابقاً.

ومن أسباب الاختلاف بين مفسري السلف^(٢):

١- الاختلاف في الرواية عن الرسول ﷺ :

وذلك بأن يروى عن النبي ﷺ حديث في تفسير اللفظة أو الآية فيبلغ بعض

المفسرين، فيفسرون الآية بمقتضاه، ولا يبلغ غيرهم، فيكون ذلك سبباً في اختلاف

^(١) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص ٦٥).

^(٢) ولمعرفة المزيد في أسباب اختلاف المفسرين ينظر: الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم، لابن السيد البطليوسي ص ٣٣-٧٠، والإكسير في قواعد التفسير، (ص: ١٢-١٣)، التسهيل في علوم الترتيل، (٩/١)، الموافقات (٥/٢١٠-٢١٨)، وكتاب اختلاف المفسرين، أسبابه وآثاره، للدكتور: سعود بن عبد الله الفينسان، و"اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف" وهي رسالة علمية مقدمة لنيل الدكتوراه للدكتور: عبد الله بن عبد الله الأهدل، عام ١٤٠٧ هـ كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه، وكتاب "أسباب اختلاف المفسرين"، وكتاب "بحوث في أصول التفسير ومناهجه" أ.د. فهد الرومي (ص ٤٤-٥٤)، وكتاب "فصول في أصول التفسير" سليمان (ص ٦٦-٧٢)، وكتاب "أصول التفسير وقواعده" لخالد العك (ص ٨٦-٩٠).

المفسرين، وهو سبب واسع الأثر، ومثاله قوله تعالى: (أَيُّ يَوْمٍ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ بِ
 پ پِ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (مریم: ٣٩).

فقد ورد في معنى قوله (إِذْ قُضِيَ بِ) أقوال:

- ١- إن المراد قضى العذاب عليهم، عن الكلبي^(١).
- ٢- أي قضى الموت انقطاع التوبة واستحقاق الوعيد. عن مقاتل^(٢).
- ٣- إنه ذبح الموت يوم القيامة، عن ابن عباس^(٣)، وابن مسعود^(٤).

والقول الثالث هو الصحيح لما ورد عن النبي ﷺ في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
 قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون
 وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت - وكلهم قد رآه - ثم ينادي: يا أهل
 النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت - وكلهم قد رآه -
 فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. ثم قرأ: (أَيُّ يَوْمٍ
 الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ بِ پ پِ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) ^(٥).

فقراءة النبي ﷺ للآية بعد ذكره ذبح الموت تدل على أن المراد بقوله (إِذْ قُضِيَ بِ) أي: ذبح
 الموت^(٦).

فعل القائلين بقضي العذاب عليهم، أو قضى الموت انقطاع التوبة، لم يبلغهم الحديث، أو لم
 يثبت عندهم فلو بلغهم لقالوا به. فكان عدم بلوغ الحديث سبباً للخلاف في الآية.

(١) ينظر: تفسير ابن الجوزي (٢٣٥/٥).

(٢) ينظر: تفسير الماوردي (٣٧٤/٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥٤٦/١٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٣٣/٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير)، باب (تفسير سورة مریم) (٤/١٧٦٠) ح (٤٤٥٣)، ومسلم في
 كتاب (الجنة وصفة نعيمها وأهلها) باب (النار يدخلها الجبارون والنار يدخلها الضعفاء) (٨/١٥٢)، ح (٧٣٦٠).

(٦) ينظر: أضواء البيان (٤٢٢/٣).

٢- احتمال الإطلاق والتقييد .

ورود بعض النصوص القرآنية مطلقة في موضع، ومقيدة في موضع آخر سبب لاختلاف المفسرين؛ إذ يجعل بعضهم النص باقياً على إطلاقه، لعدم اعتباره بالنص المقيد، ويخالفه غيره فيقيد النص المطلق بالنص المقيد.

فالمطلق هو: "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه" والمقيد: "هو المتناول لمعين أو غير معين موصوفٌ بأمرٍ زائدٍ على الحقيقة الشاملة"^(١).

ومثاله قوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) (النساء: ٤٣).

هذه الآية ذكرت أعضاء التيمم الوجه واليدين، وكذا آية المائدة (چ چ چ چ

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ) (آية: ٦)، وفي الآيتين إطلاق المسح بالأيدي دون تحديد،

بينما حددت اليدين في الوضوء بأفهما إلى المرافق قال تعالى: (بِأَلْيَدَيْكَ إِذَا

قُمْتُمْ بِرِجْلِ يَدَيْكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) (المائدة: ٦).

لهذا اختلف العلماء أين يبلغ بالتراب عند مسح اليدين؟

وقد ذكر الطبري -رحمه الله- الخلاف في ذلك فقال "وأما المسح باليدين، فإن أهل التأويل

اختلفوا في الحد الذي أمر الله بمسحه من اليدين فقال بعضهم: حد ذلك الكفان إلى

الزندان، وليس على المتيمم مسح ما وراء ذلك من الساعدين". ثم ساق الآثار الواردة في

ذلك. ثم قال: "وقال آخرون: حد المسح الذي أمر الله به في التيمم، أن يمسح جميع الوجه

واليدين إلى المرفقين". وذكر الآثار الواردة في ذلك. ثم قال "وقال آخرون: الحد الذي أمر الله

أن يبلغ بالتراب إليه في التيمم: الأباط"^(٢).

فاختلاف العلماء هنا بسبب احتمال آيات التيمم للإطلاق والتقييد، فمن يرى أنها مطلقة فلا

يقول بالتقييد الوارد في آية الوضوء بأنه في اليدين إلى المرافق وإنما يبقئها على إطلاقها، غير

^(١) روضة الناظر، لابن قدامة (ص ٢٦٠).

^(٢) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٨/٤١٠) وما بعدها.

أن بعض هؤلاء لاحظ أقل ما يطلق عليه اسم (يد) فبلغ بمسحه الرسغين، وبعض هؤلاء لاحظ أن اليد تشمل الكف والعضد والزند فأوجب المسح في كل ذلك. ومن يرى أنها وإن أطلقت لكنها تقيد بآية الوضوء؛ أوجب أن يكون المسح إلى المرفقين كالوضوء^(١).

ومما ينبغي التنبيه إليه: أن الخلاف في حمل المطلق على المقيد أو عدم حمله، محله ما إذا كان النص المطلق في كلام مستقل، وكان المقيد في كلام مستقل آخر، أما إذ اجتمعا في كلام واحد فلا خلاف في حمل المطلق على المقيد^(٢).

٣ - احتمال العموم والخصوص.

تختلف أقوال المفسرين أحياناً؛ لكون بعضهم فسر الآية بالعموم الذي تقتضيه ألفاظها، ويخالفه غيره فيرى أن هذا العموم مُخَصَّصٌ أو مراد به الخصوص. فالعام: "هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد دفعة"^(٣). والخاص: "هو كل لفظ وضع لمعنى معلوم على الانفراد فهو الخاص"^(٤).

والتخصيص: "هو إخراج بعض ما كان داخلياً تحت العموم، على تقدير عدم المخصص"^(٥). فالعموم والخصوص من أسباب الاختلاف بين المفسرين، فقد يختلفون في عموم لفظ أو خصوصه كاختلافهم في عموم أو خصوص قوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ (البقرة: ٢٢١).

^(١) ومن الأمثلة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمَتَّ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ﴾ (البقرة: ٢١٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ (النساء: ٩٢).

^(٢) ينظر: معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، لمحمد بن حسين الجيزاني (ص: ٣٧٦، ٤٣٨).

^(٣) إرشاد الفحول (ص: ١٩٧). وقد اعترض على هذا التعريف بأنه قاصر؛ لأن التعبير بـ"اللفظ" لا يشمل المعاني، والعام لا يقتصر على اللفظ بل يشمل المعنى على الأرجح، خلافاً لمن يقصره على الألفاظ. (ينظر: مجموع

الفتاوى (٢٠/٢٨٨). لذا عرّف بعض العلماء العام بأنه: ما يستغرق جميع ما يصلح له.. (ينظر: العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى الحنبلي (١/١٤٠)).

^(٤) الكليات (ص: ٤١٤).

^(٥) إرشاد الفحول (ص: ٤٧٧). وذكرت تعريف التخصيص لأنه المقصود في باب العموم والخصوص.

فقيل: إن لفظ المشركات عام يشمل الوثنيات والكتايبات. وقيل: خاص بالوثنيات.

وعلى القول الأول فإن قوله تعالى: (وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) (المائدة: ٥). مخصص لهذه الآية، وهذا مروى عن

عثمان، وحذيفة، وجابر، وابن عباس، وقتادة، وابن جبير.

وقيل: إنها ليست مخصصة، بل المشركات هنَّ عابدات الأوثان من العرب وغيرهم ممن ليس

لهم كتاب، وهذا مروى عن قتادة، وسعيد بن جبير^(١).

٤- احتمال الحقيقة والمجاز^(٢).

^(١) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٤/٣٦٢-٣٦٣)، و"ناسخ القرآن ومنسوخه" لابن الجوزي (ص ٢٠٢-٢٠٤)،

ومن الأمثلة أيضا قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ ك ك ك) (سورة البقرة: ١٧٣)، وقوله تعالى: (ك ك ك أَوْلَادِكُمْ^ط لِلذَّكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ) (النساء: ١١)، وقوله تعالى: (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ^٥ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا^{٢٣}) (النساء: ٢٣)، وقوله تعالى (أَمْ فِئْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^{٥٤}) (النساء: ٥٤) راجع تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٨/٤٧٦-٤٧٧). وقوله تعالى: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ^٥) (المائدة: ٥). وقوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (المائدة: ٣٨).

^(٢) وقوع المجاز في اللغة والقرآن الكريم من المسائل التي هي محل نزاع بين العلماء، والخلاف فيها مشهور معروف، اقتصر منه على ذكر الخلاف دون حجج المانعين، والمجيزين، لأنه ليس مقصودي هنا: فذهب بعض العلماء إلى أن المجاز واقع في اللغة والقرآن. ينظر: المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين البصري (١/٢٣)، والإحكام للآمدي (١/٥٤)، والمسودة في أصول الفقه، لشهاب الدين بن تيمية الحراني (ص ١٤٩-١٥٧)، وشرح الكوكب المنير، لابن النجار (١/١٩١)، وإرشاد الفحول (٥١-٥٩)، والمجاز في اللغة وفي القرآن لعبد العظيم المطعني (١/٦٠٢)، (٢/١٢٤).

- وبعضهم أنكر المجاز مطلقاً في اللغة والقرآن

ينظر: الإجماع في شرح المنهاج، (ص ٢٩٦)، وكتاب الإيمان، لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٧/٨٧)، ورسالة الحقيقة والمجاز ضمن مجموع الفتاوى (٢٠/٤٠٠)، مختصر الصواعق المرسله، لابن القيم (٢/٦٣٢)، ومنع جواز المجاز في المترل للتعبد والإعجاز، للشنقيطي (ص ٣٦)، ومجموع فتاوى سماحة الشيخ ابن باز (١/٣٦٠)، وشرح الأصول من علم الأصول، لابن عثيمين (ص ١١٩).

- ومن العلماء من قال بإنكار المجاز في القرآن وحده دون اللغة.

الحقيقة: "هي اللفظ المستعمل فيما وضع له. فيشمل هذا الوضع اللغوي،
والشرعي، والعرفي، والاصطلاحي..".

"والجواز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة، مع قرينة".^(١)

مثاله قوله تعالى: (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى) (النجم: ٤٣)

"قال مجاهد والحسن والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال سهل بن عبد الله: أضحك المطيعين بالرحمة، وأبكى العاصين بالسخط وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر"^(٢).

فالتفسير الأول هو بيان المعنى الحقيقي للضحك والبكاء، أما التفسير الثاني فهو تفسير بالمعنى المجازي، ولهذا اختلفت أقوالهم.

ومثله أيضاً قوله تعالى: (وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) (المسد: ٤)

اختلف المفسرون في قوله تعالى "حمالة الحطب" على أقوال منها:

١- "حمالة الحطب" أي: كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ، ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة. روي هذا المعنى عن ابن عباس، والضحاك، وابن زيد، والربيع بن أنس، ومرة الهمداني. ﷺ

٢- وقيل: تمشي بالنميمة، عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

٣- وقال سعيد بن جبير: معنى حمالة الحطب أنها حمالة الخطايا والذنوب.^(٣)

ينظر: المعتمد (٢٤/١)، الإحكام للآمدي (٤٧/١)، المحصول (٤٦٢/١)، الإيمان لشيخ الإسلام (٨٩/٧)، وإحكام

الفصول، للباجي (٦٩/١)، والمسودة (ص ١٦٥)، ومختصر الصواعق (٢٣٢/٢)، والبحر المحيط

للزركشي (١٨٢/٢)، البرهان للزركشي (٢٧٢/٢)، والإبهاج (ص ٢٩٦).

^(١) إرشاد الفحول (ص ١٠٦-١٠٧) وانظر: المعتمد في أصول الفقه (١١/١)، المستصفي من علم

الأصول، للغزالي (٢٤/٢)، والمحصول في علم أصول الفقه (٣٩٧/١)، والتمهيد في تخريج الفروع على

الأصول، للأسنوي (ص ١٨٥).

^(٢) معالم التنزيل، للبغوي (٤١٨/٧)، وينظر: فتح القدير للشوكاني (١١٧/٥).

^(٣) انظر جملة أقوالهم في "تفسير الطبري" (٧١٩-٧٢١)، وفتح القدير (٦٩١/٥).

فإذا تأملت أقوال المفسرين تجد، أن بعضهم فسر بالمعنى الحقيقي لحمل الحطب، كما في القول الأول، وبعضهم فسر على المعنى المجازي، كما في القول الثاني، والثالث؛ لذا اختلفت أقوالهم.

٥- أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ.

من أسباب اختلاف المفسرين أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ، فيحكم بعض المفسرين بأنها منسوخة، ويخالفه غيره فيحكم بإحكامها. والنسخ يُطلق عند السلف والمتقدمين ويراد به البيان، فيدخل فيه تخصيص العموم، وتقييد المطلق، وبيان المحمل، ورفع الحكم (وهو النسخ في اصطلاح المتأخرين)^(١). وعليه يكون معناه عند المتقدمين: "بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه"^(٢). - ومعنى النسخ في اصطلاح الأصوليين والمتأخرين^(٣): "رفع حكم شرعي. بمثله، مع تراخيه عنه"^(٤).

فمعرفة مراد المفسر بلفظ النسخ تؤثر على الحكم بتنوع الخلاف أو تضاده، إذ القول بالإحكام يخالف القول بالنسخ مخالفة تضاد إذا أريد بالنسخ رفع الحكم، وأما إذا أطلق النسخ وأريد به البيان، أو التخصيص، أو نحو ذلك، فالخلاف في هذا دائر بين التنوع والتضاد.

ومثال النسخ: قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ) (البقرة: ٢١٩). قيل: هي منسوخة بآية الزكاة، وهذا مروى عن ابن عباس، والسدي؛ لأنه يرى أنه فرض نزل قبل الزكاة، فنسخ بالزكاة.

(١) ينظر: الاستقامة، لابن تيمية (٢٣/١)، ومجموع الفتاوى (٢٩/١٣)، و(١٠١/١٤)، وأعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣٥/١) و(٣١٦/٢)، والمواقفات (١٠٨/٣).

(٢) إعلام الموقعين (٣٥/١).

(٣) شرح الكوكب المنير (٥٢٥/٣)، والمستصفي (١٠٧/١)، والإحكام لابن حزم (٤٣٨/١، ٤١)، والبحر المحيط للزرکشي (٦٣/٤)، والبرهان للزرکشي (٢٩/٢)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص ٩٠)، والناسخ والمنسوخ للنحاس (٤٢٤/١، ١٠١-٤٢٨)، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، لمكي بن أبي طالب (ص ٤٧-٥٥). وغيرها.

(٤) إرشاد الفحول (ص: ١٨٤).

وقيل: هي محكمة، وهي في الصدقة العامة المندوب إليها، وهذا مروى عن ابن عباس، ومقاتل بن حيان^(١).

- ومثله قوله تعالى (فَأَمَّا كَ كَ كَ كَ كَ كَ كَ) (محمد: ٤).

اختلف المفسرون في هذه الآية، فقال بعضهم: هي منسوخة، نسخها قوله تعالى: (فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) (التوبة: ٥)، وقوله تعالى: (كَ كَ كَ كَ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ) (الأنفال: ٥٧). أي لا يجوز المنّ على الأسير، أو الفداء به، وإنما يُقتل.

وهذا مروى عن ابن عباس والسدي وقتادة وغيرهم^(٢).

وقال بعضهم: هي ناسخة لقوله تعالى: (فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فلا يجوز قتل الأسير، ولكن يمن عليه، أو يفادى به. وهذا قول الضحاك وجماعة^(٣).

وقال آخرون: بل الآية محكمة، وليست بمنسوخة، وكذا آية القتل محكمة. أي له المنّ، أو

الفداء، أو القتل، أو الاسترقاق، على ما يراه الإمام من الأصلح للإسلام والمسلمين. وهذا مروى عن ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وغيرهم^(٤).

^(١) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٤/٣٤٤-٣٤٦)، وهو مقاتل بن حيان البكري مولاهاهم النبطي أبو بسطام البلخي الخراز روى عن مجاهد وعروة وسلم وروى عنه إبراهيم بن أدهم وابن المبارك وابن معين، مات سنة (١٥٠هـ) تقريباً. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٤١)، تقريب التهذيب (ص ٥٤٤).

^(٢) تنظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/١٨٤-١٨٥)، وانظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ت: د. سليمان اللاحم (٣/٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص ٥١٩).

^(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٣/١٠)، والإيضاح لناسخ القرآن لمكي (ص ٤١٤).

^(٤) تنظر أقوالهم في تفسير الطبري (٢١/١٨٥-١٨٦). ولمزيد أمثلة قوله تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ٥٧ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ) (البقرة: ١٨٠)، وقوله تعالى (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ٣٦ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) (البقرة: ٢١٧) مع قوله تعالى (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) (التوبة: ٣٦)، وقوله تعالى (فَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (البقرة: ٢٤٠) مع قوله (بِأَيْتُونَكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ يَبْغِ يَكْفُرْ) (البقرة: ٢٤٠) وعشراً

فاختلفت أقوال المفسرين تبعاً لاختلافهم في حكم الآية بين النسخ والإحكام. وهذا الاختلاف ليس اختلافاً في معنى الآية، وإنما هو اختلاف في كون المعنى المستفاد من الآية باقياً أو لا.

٦- ومن الأسباب أيضاً اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

وذلك كلفظ "عضين" من قوله تعالى (أَجْعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر: ٩١). اختلف المفسرون فيه على قولين:

القول الأول: عضين: فرقوه فرقاً، وجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور.

روي هذا القول عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد وغيرهم.

القول الثاني: عضين: سحر.

وورد هذا التفسير عن مجاهد، وعكرمة^(١).

وسبب هذا الخلاف: هو النظر في أصل اللفظ واشتقاقه، يقول الأزهرى^(٢) مُبيناً ذلك: "وأما

قول الله جل وعز (أَجْعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ) (الحجر: ٩١) فقد اختلف أهل العربية في

اشتقاق أصله وتفسيره: فمنهم من قال واحداً عِضَةً، وأصلها عَضُوةٌ، من عَضَيْتُ الشيء،

إذا فرقته، جعلوا النقصان الواو (كذا). المعنى أنهم فرقوا - يعني المشركون - أقاويلهم في

القرآن، أي فجعلوه مرة كذباً، ومرة سحراً، ومرة شعراً، ومرة كهانةً.

ومنهم من قال: أصل العِضَةِ عِضِيَّةٌ، فاستثقلوا الجمع بين هاءين، فقالوا: عِضَةٌ، كما قالوا:

شَفَّةٌ، والأصل شَفَّهَةٌ، وكذلك سَنَّةٌ، وأصلها: سَنَهَةٌ.

وقال الفراء: العِضُونُ في كلام العرب: السحر^(٣)، وذلك أنه جعله من العِضَةِ.

(البقرة: ٢٣٤). وغيرها

^(١) ينظر تفسير الطبري (١٣٤/١٤-١٣٧).

^(٢) محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهرى الهروي الشافعي. كان رأساً في اللغة والفقه، ثقة ثبتاً، كثير العبادة، سافر قاصداً للحج، وعند عودته أسره الأعراب، وكان لهذا الأسر أثر كبير في تعلمه اللغة ونبوغه فيها، ثم

تخلص من الأسر وذهب إلى بغداد. من كتبه: تهذيب اللغة. توفي سنة: ٣٧٠هـ. ينظر: سير أعلام

النبلاء (٣١٥/١٦)، شذرات الذهب (٧٢/٣).

^(٣) ينظر قوله في معاني القرآن (٩٢/٢).

وروى عن عكرمة أنه قال: العَضَّةُ: السَّحْرُ بلسان قريش. وهم يقولون للساحر: عَاَضَةٌ^(١).

والكسائي^(٢) ذهب إلى هذا^(٣).

– ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى (وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ)

(القمر: ٢). فقد اختلف المفسرون في لفظ "مستمر" على أقوال، منها:

القول الأول: مستمر، ذاهب وزائل. روي عن مجاهد، وقتادة^(٤).

القول الثاني: مستمر: شديد قوي. ونُسبَ إلى أبي العالية، والضحاك^(٥).

فأصل اللفظ على التفسير الأول: مَرَّ يَمُرُّ: إذا ذهب^(٦).

وأصله على التفسير الثاني: أنه مُسْتَفْعَلٌ من الإمرار، من قولهم: قد مرَّ الحبل: إذا صَلَبَ وقوي واشتد^(٧).

وبهذه الأمثلة يظهر أن التفسير يختلف باختلاف اللغويين في أصل اللفظة^(٨).

٧- اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

المشترك: هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين مختلفين أو أكثر، فيُفسَّر أحد العلماء اللفظة بأحد المعنيين ويُفسرها آخر بالمعنى الثاني، فتختلف أقوالهم^(١).

^(١) ينظر قوله في تفسير الطبري (١٣٧/١٤).

^(٢) ينظر قوله في غريب الحديث، للحري (٩٢٥/٣). والكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن قيس بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي الكسائي، أحد أئمة القراءة والتجويد في بغداد، أخذ القراءة عن حمزة الزيات مذاكرة وقرأ عليه القرآن أربع مرات، وأخذها أيضاً عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وأخذ عن الخليل بن أحمد فمات في سنة (٨٠هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣١/٩)، تهذيب التهذيب (٢٧٥/٧).

^(٣) تهذيب اللغة (٩٥/١).

^(٤) تفسير الطبري (١١٣/٢٢).

^(٥) ينظر: معالم التنزيل (٢٥٨/٤)، والمحزر الوجيز (١٣٨/٨)، وزاد المسير (٢٤٣/٧).

^(٦) ينظر: تهذيب اللغة (١٤٣/١٥).

^(٧) ينظر: تفسير الطبري (١١٤/٢٢)، وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبه (ص ٤٣١).

^(٨) والأمثلة في ذلك كثيرة، ينظر الألفاظ التالية

في تهذيب اللغة: حصير (٢٣٣/٤)، حسوماً (٣٤٤/٤)، حاق (١٢٦/٥)، المحيض (١٥٩/٥)، تصدى (١٠٤/١٢)

، صلصال (١١٣/١٢)، مسنون (٣٠١/١٢)، مثاني (١٣٨/١٥)، أمان (٥٣٤/١٥).

مثاله: قوله تعالى: (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾) (الرحمن: ١٢).

اختلف المفسرون في تفسير لفظ "الريحان" على أقوال منها:

القول الأول: الريحان: الرزق.

وبه قال من السلف: ابن عباس، ومجاهد، والضحاك.

القول الثاني: الريحان: نبت الريحان الذي يُشم.

وبه قال من السلف: ابن عباس، والضحاك، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن زيد^(٢).

فهذا الاختلاف وقع بسبب احتمال هذا اللفظ للمعنيين على سبيل الاشتراك اللغوي.

٨- أن يكون في الجملة حذف و يحتمل في تقديره أكثر من معنى، فيذكر كل واحد من

المفسرين أحد المعاني المحتملة. فيكون هذا سبباً في اختلافهم.

مثاله: قوله تعالى (وَتَرَعَّبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) (النساء: ١٢٧).

ففي متعلق "ترغبون" تقديران:

الأول: ترغبون في نكاحهن، وهذا قول عائشة وعبيدة.

الثاني: ترغبون عن نكاحهن، وهذا قول الحسن^(٣).

ففي الأول صارت الرغبة في زواجهن، وفي الثاني صرن غير مرغوب فيهن.

ومثله: قوله تعالى: (پ پ پ پ) (الجنات: ٢٣). قيل في مرجع علم قولان:

الأول: على علم من العبد بضلاله، وهذا قول مقاتل.

الثاني: على علم من الله بضلاله، وهذا قول ابن عباس^(٤).

^(١) سبقت الإشارة إلى تعريف المشترك وأقسامه (ص: ١١٧) وما بعدها

^(٢) تنظر أقوالهم في تفسير الطبري (١٨٦/٢٢-١٨٧)

^(٣) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٩/٢٦٢-٢٦٣).

^(٤) ينظر: تفسير الماوردي (٤/٢٢). وينظر أمثلة أخرى على هذا السبب في قوله تعالى (أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا وَخَلَقْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَكَلَّمَكُم بِنُورٍ) (البقرة: ٢٥).

أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا وَخَلَقْنَاكُمْ مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَكَلَّمَكُم بِنُورٍ

من ف ف (البقرة: ٢٥)، وقوله تعالى (ف ف ف ف نَعْلَمُونَ) (البقرة: ٣٠)، وقوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ

رُسُودَهُ مِنْ قَبْلُ) (الأنبياء: ٥١)، وقوله (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (المطففين: ١٥).

فاختلف المعنى بسبب الحذف في الجملة.

٩- أن تحتمل اللفظة أكثر من تصرف في اللغة ويحمل كل واحد من المفسرين الآية على أحد التصريفات.

ومثاله: "يُضَارُّ" في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

فتصريف لفظة "يُضَارُّ" تحتمل أن تكون (يُضَارُّ)، وتحتمل أن تكون (يُضَارِر) فعلى الاحتمال الأول يكون النهي واقعاً على أن يُضِرَّ بالكاتب أو الشهيد، أي: أن الضرر يقع على الكاتب والشهيد، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، والربيع. وعلى الاحتمال الثاني: يكون النهي واقعاً على أن يَضُرَّ الكاتب والشهيد، أي: أن الضرر يقع من الكاتب والشهيد، وهذا قول طاووس^(١)، والحسن، وقتادة^(٢).

ومثله: قوله تعالى: ﴿ لَا تُضَارُّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

١٠- تنوع الاستعمال العربي للفظة في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة، فيحمل بعضهم اللفظة على المعنى القريب الظاهر، ويحملة آخرون على المعنى البعيد^(٣).

ومثاله: قوله تعالى: ﴿ وَوَلَا رَهْطَكَ لَرَجْمِنَاكَ ﴾ (هود: ٩١).

في قصة شعيب، قيل في المراد بالرجم قولان:

الأول: لرجمناك بالحجارة.

الثاني: لرجمناك بالسب، والشتم^(٤).

والأول هو المعنى القريب المتبادر للذهن، قال ابن عطية: وهو الظاهر^(٥).

(١) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن. الفقيه القدوة شيخ أهل اليمن ومفتيهم، سمع من جمع من الصحابة، روى عطاء عن ابن عباس قال: إني لأظن طاوساً من أهل الجنة، توفي بمكة قبل يوم التروية بيوم سنة: ١٠٦ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ (١/٦٩)، وتهذيب الكمال (٣/٤٩٥).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٦/٨٥) وما بعدها.

(٣) والفرق بين هذا وبين المشترك: تساوي معنيي المشترك في دلالة اللفظ عليهما، بخلاف دلالة اللفظ على المعنيين هنا فليست بمستوية؛ إذ أحدهما قريب متبادر من اللفظ، والآخر بعيد. ينظر: أسباب الخلاف بين السلف (ص: ١٧٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٥/٤٥٨).

(٥) تفسير ابن عطية (٥/٩) وينظر أمثلة أخرى في الألفاظ الآتية: "فضحكت" في قوله تعالى (وَأْمُرْ أَهْلَهُ بِالسَّلَامِ) (هود: ٧١)،

والثاني، وإن كان محتملاً إلا أنه أبعد من الأول.

ويدخل في هذا النوع والله أعلم، الاختلاف بسبب الحقيقة والمجاز.

١١- ومن أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في مفسر الضمير.

بأن يكون في الآية ضمير يحتمل عودته إلى أكثر من مذكور،

ومثاله قوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَوْجَحٍ) (النجم: ٨-٩). فقد

ورد في تفسير الضمير قولان:

الأول: إنه يرجع إلى الرب سبحانه، قال ابن عباس: "دنا ربه فتدلى".

الثاني: أنه يرجع إلى جبريل عليه السلام، وهو قول

الجمهور، منهم: الحسن، وقتادة، والربيع، والمعنى: دنا جبريل وتدلى^(١).

١٢- أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف، ولا يجدد موصوفه في الآية، فيحمل

كل مفسر هذا الوصف على ما يحتمله من الموصوفات. ومن أمثله:

قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾) (الغاشية: ١)

قيل في هذا الوصف-الغاشية-: أنه من أسماء يوم القيامة، ورد هذا القول عن ابن عباس

وقتادة. وقيل: الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفرة، روي عن سعيد بن جبيرة^(٢).

وعلى هذا فإن سبب الاختلاف أن الغاشية وصفٌ محذوف، فذكر كل واحدٍ منهم ما يحتمله

من الموصوفات.

وهذا النوع والذي قبله هو من باب المتواطئ.

"ينصره" في قوله تعالى (مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَمُوتَ بِبِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ يَدَّهُ إِلَىٰ تِي تُمْ ثُمَّ فَلْيَنْظُرْ هَلْ

يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ) (الحج: ١٥)، "أعناقهم" في قوله تعالى (فَطَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) (الشعراء: ٤)

، "نعجة" في قوله تعالى (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ سَعٌّ وَسَعُونَ نَعَجَةً) (ص: ٢٣).

^(١) ينظر في تخريج هذه الأقوال، تفسير الطبري (١٥-١٤/٢٢).

^(٢) ينظر في تخريج هذه الأقوال، تفسير الطبري (٣٢٧-٣٢٦/٢٤).

هذه بعض أسباب اختلاف السلف في التفسير يجد المتأمل فيها أن بعضها مرده لغوي، والبعض الآخر مرده إلى قواعد أصولية، وبعضها مرده إلى غير ذلك، وهي أسباب عامة يدخل فيها اختلاف التنوع واختلاف التضاد^(١). غير أن هناك أسباب خاصة باختلاف التنوع؛ سيما وأنه ليس كل سبب لاختلاف المفسرين يصلح لأن يكون سبباً لاختلاف التنوع، وهذه الأسباب الخاصة هي محور حديثي وهي ما أردت بيانه هنا.

^(١) ينظر في ذلك رسالة (اختلاف التنوع والتضاد في تفسير السلف) لـ د. الأهدل، فقد عرض الأسباب العامة لاختلاف المفسرين وذكر تحت كل سبب نوعي الاختلاف - التنوع والتضاد.

المبحث الثالث:

أسباب خاصة باختلاف التنوع. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب راجعة إلى معنى واحد، وفيه خمسة فروع.

الأول: إرادة التمثيل للفظ العام.

فيذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، فيكون هذا سبباً للاختلاف.

ومن أمثلته:

١- قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣).

فقد اختلف المفسرون في معنى الغيب على أقوال:

الأول: قال زر^(١): الغيب: القرآن.

الثاني: وقال عطاء^(٢): الغيب: القدر.

قال الراغب: "وقول زرُّ بأن الغيب: هو القرآن، وقول عطاء: أنه القدر؛ تمثيل لبعض ما هو غيب، وليس ذلك بخلاف بينهم، بل كل أشار إلى الغيب بمثال"^(٣).

فذكر كل واحد من المفسرين مثلاً لهذا الغيب فاختلقت أقوالهم.

٢- وقوله تعالى: (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ) (هود: ١١٤)

قيل: الحسنات الصلوات، روي هذا المعنى عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، والضحاك وغيرهم. وقيل: قول الرجل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. قاله مجاهد^(٤).

(١) زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الأسدي أبو مرثم الكوفي. مخضرم أدرك الجاهلية، روى عن أبي بن كعب، وابن

مسعود، وكان ثقة جليلاً، توفي سنة (٨١هـ)، وقيل بعدها. ينظر: تهذيب الكمال (٣/٢٠).

تقريب التهذيب (١/٣١١).

(٢) هو عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي الفهري أبو محمد المكي. القدوة العلم، مفتي أهل مكة ومحدثهم، وكان فصيحاً كثير العلم، شهد له ابن عباس بالعلم فقال: يا أهل مكة تجتمعون عليّ وعندكم عطاء، توفي سنة (١١٤هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٥/١٦٦)، تذكرة الحفاظ (١/٧٥).

(٣) مقدمة جامع التفاسير، (ص ١٥٥).

(٤) ينظر في تخريج هذه الأقوال، تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٥/٥١٠-٥١٥).

وهذه الأقوال وإن كانت مختلفة، إلا أنها مما تحتمل الآية؛ لأن سبب اختلافها التمثيل للحسنات.

٣- و مثله أيضا قوله تعالى: (ك ك مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الحديد: ٢١).

قال ابن عطية: "وقد ذكر بعضهم في تفسير هذه الآية أشياء هي على جهة المثال، فقال قوم من العلماء؛ منهم ابن مسعود رضي الله عنه : (ك ك مِّن رَّبِّكُمْ)؛ معناها : كونوا في أول صف في القتال .

وقال آخرون ؛ منهم أنس بن مالك رضي الله عنه : اشهدوا تكبيرة الإحرام مع الإمام . وقال آخرون؛ منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه : معناه: كن أول داخل في المسجد ، وآخر خارج منه ، وهذا كله على جهة المثال" (١). وعليه فالأقوال كلها صحيحة محتملة. ولعلك تلاحظ أن الأمثلة السابقة اختلفت أقوال المفسرين فيها، بسبب أن كل مفسر أراد التمثيل للفظ العام.

ويدخل في باب التمثيل للفظ العام أسباب التزول، فقد تختلف أقوال المفسرين بسبب تعدد أسباب التزول، وإذا تعددت أسباب التزول في الآية الواحدة، فإن اعتبرناه مثالا أمكننا قبولها كلها، سواء منها ما كانت الآية نازلة بسببه أصلاً، أو ما كان منها مُعبراً عنه بالتزول لصدق معنى الآية عليه.

ومما يدل على ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن معقل رضي الله عنه (٢) قال: قعدتُ إلى كعب بن عُجرة رضي الله عنه (٣) في هذا المسجد-يعني مسجد الكوفة- فسألته

(١) المحرر الوجيز (٢٣٦/٨).

(٢) عبد الله بن معقل بن مُقرن المزني الكوفي أبو الوليد. روى عن علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وكعب بن عجرة، وروى عنه الشعبي، وأبو إسحاق السبيعي، وكان تابعياً ثقة من التابعين، توفي سنة (٨٨هـ). ينظر: الجرح والتعديل (١٦٩/٥)، وتقريب التهذيب (٥٣٧/١).

(٣) كعب بن عجرة بن أمية البلوي القضاعي حليف الأنصار، قطعت يده في بعض المغازي سكن الكوفة، ومات بالمدينة سنة (٥١هـ) أو بعدها بسنة أو سنتين. ينظر: الاستيعاب (١٣٢١/٣) والإصابة (٥٩٩/٥-٦٠٠).

عن "فدية من صيام" فقال: "حُمِلت إلى النبي ﷺ والقملُ يتناثر على وجهي فقال: "ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أما تجد شاة؟" قلت: لا، قال: صُم ثلاثة أيامٍ، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكينٍ نصف صاعٍ من طعامٍ واحلق رأسك، فترلت في خاصة وهي لكم عامة"^(١).

فقد صرَّح الصحابي بكون الآية نزلت فيه خاصة، وأن معناها يدخل فيه عموم الأمة. قال الطبري: "والآية قد تترلُّ بسبب من الأسباب، ثم تكون عامةً في كل ما كان نظير ذلك السبب"^(٢).

وقال أيضاً: "الآية تترلُّ في معنى فتعمُّ ما نزلت به فيه وغيره، فيلزمُ حُكْمُها جميع ما عمته"^(٣). "وإذا اعتبرت هذه الأسبابُ من باب المثال في التفسير فإنه لن يُشكلَ تعدُّدها، ولا تعدد من نزلت فيه الآية.

وهذا يعني أن ما يردُّ عن السلف في هذا الباب إذا اعتبرته من هذه الجهة فإنه يصحُّ عندك بلا إشكال"^(٤).

فما يذكره المفسرون من أسباب التزلُّ، فهي كالمثال، فإذا قيل نزلت هذه الآية في كذا، وقيل غير ذلك من أسباب فإنها كالأمثلة تدخل في حكم الآية.

(١) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب قوله تعالى "فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه"، (١٦٤٢/٤)، ح (٤٢٤٥).

(٢) تفسير الطبري (٤٩٣/١٦).

(٣) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٦٩/٨)، وينظر: المحرر الوجيز (٤٨١/١)، (٣٢٣/٢-٣٢٤).

(٤) شرح مقدمة في أصول التفسير، للدكتور: مساعد الطيار (١٢١).

السبب الثاني: التنبيه على المعنى اللازم.

المراد به: أن المفسر يُفسرُ اللفظ بلازمه لا بمطابقه، للتنبيه على دخول هذا اللازم في معنى الآية.

فتختلف أقوال المفسرين بسبب إرادة التنبيه على لازم المعنى.
فينتج عنه معنيان:

- معنى تدل عليه ألفاظ الآية. وهو المعنى الأصلي.

- ومعنى لازمٌ للمعنى المراد وتابع له.

ومن الأمثلة في ذلك:

١. قوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا فِث) (النحل: ١٢٠)

ورد في معنى الحنيف قولان:

الأول: المقبل على الله المعرض عما سواه.

الثاني: المائل.

قال ابن القيم: "ومن فسره بالمائل فلم يُفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسره بلازم المعنى، فإن الحنفَ هو الإقبال، ومن أقبل على شيءٍ مال عن غيره... فالحنيف المقبل على الله، ويلزم هذا المعنى ميله عما سواه، فالميل لازم معنى الحنيف لا أنه موضوعه لغة" (١)

٢- وقوله تعالى (أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) (ق: ١٥).

" قال ابن عباس: يريد أفعجزنا، وكذلك قال مقاتل.

وهذا تفسير بلازم اللفظة وحقيقتها أعم من ذلك فإن العرب تقول أعياني أن أعرف كذا وعييت به إذا لم تهتد له لوجهه ولم تقدر على معرفته وتحصيله فتقول أعياني دواؤك إذا لم تهتد ولم تقف عليه. ولازم هذا المعنى العجز عنه" (٢).

٣- وفي قوله تعالى: (لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ) (الواقعة: ٦٥).

قيل: معناه تندمون، وهذا تفسير باللازم، وإنما الحقيقة تزيلون عنكم التفكه، وإذا زال التفكه

(١) بدائع التفسير (٣/٦٢-٦٤).

(٢) الفوائد لابن القيم (١/٨).

خَلَفَهُ ضِدَّهُ^(١).

وإذا نظرت في الأمثلة السابقة تجد أن المفسر لم يأت بما يدل عليه اللفظ مباشرة وإنما أتى بلازم المعنى للتنبيه على هذا اللازم، لذا اختلفت أقوالهم في الآية، لكنها كلها محتملة؛ لأن التفسير باللازم من أسباب اختلاف التنوع الذي يعود فيه الاختلاف إلى معنى واحد.

^(١) التبيان في أقسام القرآن (١٧١).

السبب الثالث: تقريب المعنى المراد.

ومن أسباب اختلاف التنوع التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة، لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا تختلف أقوال المفسرين. وهو اختلاف في العبارة لا في المعنى، لأن الأقوال وإن تعددت إلا أنها ترجع إلى معنى واحد. واختلاف السلف بسبب هذا كثير جداً، ومن الأمثلة في ذلك:

١- ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ

ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ (آل عمران: ١١٣) فاختلّفوا في قوله "ءاناء الليل" على أقوال:

الأول: إنها بمعنى: ساعات الليل، روي عن قتادة و الربيع.

الثاني: وقال آخرون "أناء الليل"، جوف الليل. عن السدي.

الثالث: وقال آخرون: بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الآخرة.

عن عبد الله بن مسعود^(١).

قال الطبري: "وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها، متقاربة المعاني. وذلك أن الله تعالى ذكره ووصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله في ساعات الليل، وهي أناءه، وقد يكون تاليها في صلاة العشاء تالياً لها أناء الليل، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء، ومن تلاها جوف الليل، فكلٌّ تالٍ له ساعات الليل"^(٢).

٢- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ (هود: ٢٣).

واختلف أهل التأويل في معنى الإخبات فقال بعضهم:

١- معنى ذلك: وأنابوا إلى ربهم، عن ابن عباس، وقتادة.

٢- وقال آخرون: معنى ذلك وخافوا، عن ابن عباس.

^(١) ينظر في أقوالهم: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٢٦/٧-١٢٩).

^(٢) تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (١٢٩/٧).

٣- وقال آخرون: معناه اطمأنوا، عن مجاهد.

٤- وقال آخرون: معنى ذلك خشعوا، عن قتادة^(١).

"وهذه الأقوال متقاربة المعاني، وإن اختلفت ألفاظها، لأن الإنابة إلى الله من خوف الله، ومن الخشوع والتواضع لله بالطاعة، والطمأنينة إليه من الخشوع له، غير أن نفس الإخبات"، عند العرب: الخشوع والتواضع^(٢).

٣- وما ورد في تفسير قوله تعالى: (فَإِنَّ لِلَّذِينَ كَذَبُوا كَذِبًا كَرِيمًا) (الذاريات: ٥٩) قولان متقاربان:

الأول: الذنوب، الدلو، وقد ورد عن ابن عباس، والحسن البصري.

الثاني: الذنوب: السجل، وقد ورد عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة^(٣).

فاختلفت أقوال المفسرين بسبب التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

^(١) ينظر في أقوالهم: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٨٩/١٥) وما بعدها.

^(٢) تفسير الطبري، محمود شاكر (٢٩٠/١٥).

^(٣) ينظر في أقوالهم: تفسير الطبري (٥٥٨/٢١-٥٥٩). وغيرها من الأمثلة مثل قوله تعالى (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ

رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النُّقُوتِ) (الفتح: ٢٦).

السبب الرابع: تفسير اللفظ بما هو أعم منه.

من أسباب اختلاف المفسرين أن يُفسَّر اللفظ بمعنى أعم من معنى اللفظة نفسها، فيكون من باب تفسير الخاص بالعام^(١).

وهو عكس التفسير بالمثل الذي يذكر فيه المفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال.

مثاله قوله تعالى (فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) (سورة الأنفال: ١٢).

(وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) ورد فيها قولان:

القول الأول: كل مفصل. قاله عطية والضحاك، وعكرمة.

القول الثاني: كل بنان يعني بالبنان الأطراف. قاله ابن عباس، وابن جريج، والضحاك^(٢). فُفسر لفظ "البنان" بما هو أعم منه. فالبنان جزء من المفاصل والأطراف.

٢- وقوله تعالى: (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ) (الدخان: ١٧).

وفي معنى (كَرِيمٌ) ثلاثة أقوال:

أحدها: حسن الخلق، قاله مقاتل.

والثاني: كريم على ربه، عن قتادة.

والثالث: شريف وسيط النسب. عن قتادة^(٣).

فحُسن الخلق يشمل الكريم وغيره، فمن فسر الكريم بحسن الخلق فهو من تفسير اللفظ بما هو أعم منه.

٣- وقوله تعالى: (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات: ٢٢)

قوله (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) فيه قولان:

^(١) راجع مقدمة "جامع التفاسير" للراغب الأصفهاني ففيها بيان جواز تفسير الخاص بالعام (ص: ٦٣).

^(٢) ينظر: تفسير الطبري تحقيق: محمود شاكر (٤٣٢/١٣)

^(٣) ينظر تفسير الطبري (٢٨/٢١) وتفسير ابن الجوزي (٩٠/٤).

أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور .

والثاني : الجنة ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد^(١).

فمن فسر الرزق بالجنة فهو من باب تفسير اللفظ بما هو أعم منه؛ لأن الجنة أعم من مجرد الرزق..

فالأمثلة السابقة اختلفت فيها أقوال المفسرين بسبب تفسير اللفظ بمعنى أعم منه.

^(١) تفسير ابن الجوزي(٤/١٦٩).

السبب الخامس: تعدد أوصاف المسمى الواحد.

من أسباب اختلاف التنوع أن يحتمل اللفظ المفسر أكثر من وصف، فيذكر كل مفسر وصفاً من هذه الأوصاف، فتختلف أقوالهم وهي في الحقيقة تعود كلها إلى معنى واحد. مثل تفسير قوله تعالى (پ پ پ) (الإخلاص: ٢).

اختلفت عبارة السلف في تفسير الصمد على أقوال :

الأول: الذي لا جوف له ، ورد ذلك عن بريدة الأسلمي^(١) ، وابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد ، والحسن ، وسعيد بن جبير، والشعبي ، والضحاك ، وسعيد بن المسيب، وعكرمة.

الثاني : الذي لا يخرج منه شيء ، ورد ذلك عن عكرمة.

الثالث : الذي لم يلد ولم يولد ، ورد ذلك عن أبي العالية.

الرابع : السيد الذي قد انتهى في سؤدده ، ورد ذلك عن أبي وائل شقيق^(٢) ، وابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة .

الخامس : الباقي الذي لا يفني ، ورد ذلك عن الحسن وقتادة^(٣) .

وإذا نظرت فهذه الأقوال تجد أنها مختلفة والسبب في اختلافها أن "الصمد" لفظ تعددت أوصافه وذكر كل مفسر وصفاً منها، وهذا الاختلاف من اختلاف التنوع الذي يكون في العبارة لا المعنى؛ لأن هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، وهو غنى الله عما يحتاجه خلقه، لكمال سؤدده.

(١) بريدة بن الحبيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج الأسلمي، أسلم حين مر به النبي ﷺ مهاجراً بالغميم، غزا مع النبي ﷺ عشر غزوات، مات في خلافة يزيد بن معاوية سنة (٦٣هـ). ينظر: الاستيعاب (١٨٥/١)، والإصابة (٢٨٦/١).

(٢) شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي، أدرك النبي ﷺ ولم يره، روى عن جمع من الصحابة منهم ابن مسعود، وكان من أخص تلاميذه به، توفي بعد سنة ٨٢هـ. ينظر: الاستيعاب (٧١٠/٢)، الإصابة (٣٨٦/٣) .

(٣) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٧٣١-٧٣٦). ولا يهولنك إنكار بعض الخلف لبعض هذه المعاني الواردة عن السلف، وزعمهم أن هذه الأقوال لا تساعد عليها اللغة، وهذا قول من لم يفهم تفسير السلف، ولا استفاد منه من ثبوت معاني ألفاظ اللغة من تفسيراتهم، والله أعلم. (تفسير جزء عم، د. مساعد الطيار ص ٢٦٨).

هذه جملة من أسباب اختلاف التنوع التي ترجع إلى معنى واحد، وسأبين أسباب اختلاف التنوع التي ترجع إلى أكثر من معنى في المطلب القادم.

المطلب الثاني: أسباب راجعة إلى أكثر من معنى. وفيه ثلاثة فروع:

الأول: الاشتراك اللغوي.

سبق أن بيّنت أن من أنواع اختلاف التنوع اشتراك اللفظ بين معنيين مختلفين، والمشارك أيضاً من أسباب اختلاف التنوع، فإن المفسرين تختلف أقوالهم في بيان معنى الآية، ولا مانع من حمل الآية على ما قيل فيها؛ بسبب أن اللفظ من قبيل المشترك، والاشتراك ثلاثة أقسام هي^(١):

القسم الأول:

الاشتراك العارض في موضوع اللفظة المفردة اسماً كانت أو حرفاً.

وهو نوعان:

النوع الأول: اشتراك يجمع معاني مختلفة متضادة.

وهذا النوع بالنظر إلى إمكان الحمل على سائر معانيه على قسمين:

أ- ما أمكن فيه الجمع بين المعاني، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: (وَإِذَا أَلْبَحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾) (التكوير: ٦).

فقد اختلف المفسرون في لفظ "سجرت"^(٢) على أقوال:

الأول: أشعلت وأوقدت، وهو قول أبي بن كعب، وابن عباس، وابن زيد، وسفيان الثوري.

الثاني: ملئت وفاضت، وبه قال: الربيع بن خثيم، والضحاك، ومحمد بن السائب الكلبي.

الثالث: فجرت، وهو قول الضحاك.

الرابع: يبست، وذهب ماؤها، وبه قال: قتادة، والحسن البصري^(٣).

وإذا تأملت هذه الأقوال تجد أنها مختلفة، كما يُلاحظ أن بين قولي الامتلاء واليبس تضاداً،

ولكن جاز حمل الآية عليهما بسبب الاشتراك اللغوي في لفظ "سجرت"، وهو من قبيل

(١) ينظر: الإنصاف، للبطليوسي (ص ٣٧-٦٧)، البحر المحيط، للزرکشي (٤٥٧/٣)، شرح الكوكب المنير، لابن النجار (٤١٥/٣).

(٢) وقع مثل هذا الخلاف أيضاً في قوله تعالى: (وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾) (الطور: ٦).

(٣) ينظر تفسير الطبري، (١٤٠-١٣٧/٢٤).

اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من قول.

ب- ما لم يمكن فيه الجمع.

ومن ذلك اختلافهم في قوله تعالى (ثف ث) (القلم: ٢٠)

"فالصريم" يطلق على النهار المضيء. أي بيضاء لاشيء فيها.

ويطلق على الليل المظلم. أي سوداء لاشيء فيها^(١).

ولا يمكن أن يقال باجتماع المعنيين فتكون سوداء وبيضاء في وقت واحد^(٢).

النوع الثاني:

اشتراك يجمع معاني مختلفة غير متضادة:

وهو أيضاً على قسمين:

أ- ما أمكن معه الحمل على جميع المعاني: ومثال ذلك:

- قوله تعالى: (وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) (الحج: ٢٩).

فقد ورد في تفسير لفظ "العتيق" أقوال منها:

١- أنه المعتق من الجبارة، عن ابن الزبير، ومجاهد، وقتادة.

٢- أنه القديم، عن ابن زيد^(٣).

و حمل الآية على المعنيين معاً لا إشكال فيه، وإن تغايراً، لأنه لا تضاد بينهما.

- وقوله تعالى: (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ) (الرحمن: ١٢).

اختلف المفسرون في تفسير لفظ "الريحان" على أقوال، منها:

القول الأول: الريحان: الرزق.

وبه قال من السلف: ابن عباس، ومجاهد، والضحاك

^(١) ينظر زاد المسير، لابن الجوزي (٣٢٣/٤)، والإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف ص ٤٣ -

^(٢) ومن الأمثلة: تفسير لفظ القرء، وغيرها من الألفاظ القرآنية التي تذكرها كتب الأضداد.

^(٣) تفسير الطبري (٥٢٩/١٦ - ٥٣٠).

القول الثاني: الريحان: نبت الريحان الذي يُشتم.

وهو قول: ابن عباس، والضحاك، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن زيد^(١) ..

وإذا تأملت هذين الوجهين التفسيرين، وجدت أن لكل وجهٍ منهما حظاً من النظر: من حيث صحة الإطلاق في اللغة أولاً^(٢)، ثم بصحة حملهما في سياق الآية، فالآية تقبلُ هذه وتقبلُ ذاك على جهة التفسيرين، وهما من باب اختلاف التنوع الذي تحتمله الآية بلا تضاد^(٣).

ب/ ما لم يمكن فيه الحمل على جميع المعاني:

ومن الأمثلة في ذلك:

١- قوله تعالى (چ چ چ یحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا

أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُرْمَوا وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ كَمَا كَمَا) (المائدة: ٣٣)

فلفظ "أو" يأتي بمعنى التخيير. فالسلطان مخير في هذه العقوبات، يفعل أيها شاء. وهو مروى عن ابن عباس، وهو قول سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد، وعطاء، والحسن البصري، وإبراهيم النَّخَعِي، والضحاك. وروى ذلك كله أبو جعفر بن جرير^(٤)، وحكي مثله عن مالك بن أنس، رحمه الله.

- ويأتي بمعنى التفصيل والتبويض. وبهذا فسرهُ غير واحد من السلف فقد رواه ابن أبي شيبة^(٥)

^(١) ينظر تفسير الطبري (٢٢/١٨٦-١٨٨).

^(٢) ينظر مثلاً: معاني القرآن، للفراء (٣/١١٤)، ومجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢/٢٤٢)، وتفسير غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤٣٧).

^(٣) وهناك أمثلة أخرى مثل: (تَتَلَوُا) البقرة: ١٠٢، (تَأْوِيلُهُ) آل عمران: ٧، (مُحَلَّةٌ) النساء: ٤، (أَجَلٍ) المائدة: ٣٢، (يَعْدِلُونَ) الأنعام: ١، (إِلَّا وَلَا ذِمَّةً) التوبة: ٨، (بَرَّعَ) يوسف: ١٢، (مُفْرَطُونَ) النحل: ٦٢، (كَمَا) الحج: ٥٢، (يَأْتَلِي) النور: ٢٢، (يَتَفَطَّرُونَ) الشورى: ٥، (وَالنَّجْمِ)

الرحمن: ٦، (يَطْمِئِنُّ) الرحمن: ٧٤، (أَلْهِيمِ) الواقعة: ٥٥، (بِمَوَاقِعِ) النجوم الواقعة: ٧٥، (المَسْجِدِ) الجن: ١٨، (فَسَوَّرَكُمُ) المدثر: ٥١، (مَعَاذِيرُهُ) القيامة: ١٥، (ث) عبس: ١٥، (نَقَمُوا) البروج: ٨. وغيرها.

^(٤) ينظر تفسيره، تحقيق: محمود شاكر (١٠/٢٦٢-٢٦٦).

^(٥) هو الإمام الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم العبسي مولاهم الكوفي صاحب الكتب الكبار

، عن ابن عباس، وعن أبي مجلز، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النَّخَعِي، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، وعطاء الخُراساني.
فقالوا: من حارب وقتل وأخذ المال صُلب، ومن قتل ولم يأخذ المال قُتل، ومن أخذ المال ولم يقتل قُطعت يده ورجله من خلاف^(١).
فإذا أمعنت النظر في هذين القولين تجد أنهما قولان مختلفان، وعليه يُقال: إن حملها على المعنيين غير ممكن في هذه الآية، وإن لم يتضادا؛ لأن الصواب واحد منهما، لا جميعهما. وهذا لا يندرج تحت اختلاف التنوع.

القسم الثاني: الاشتراك العارض من قبل اختلاف أحوال الكلمة دون موضوع لفظها.

ومثاله: كلفظ (ف) في قوله تعالى (ف ث) (البقرة: ١٢٨).

فإنه مشترك بين أن يكون:

- اسم مكان: أي مواضع ومواقف نسكنا، كعرفة ومزدلفة. وهو قول قتادة والسدي^(٢).

- المناسك: المذابح، أي أرنا كيف ننسك لك ذبائحنا. وهو قول عطاء ومجاهد^(٣).

ومثله أيضا: لفظة "يُضَارُّ" في قوله تعالى: (وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) (البقرة: ٢٨٢).

فتصريف لفظة "يُضَارُّ" تحتمل أن تكون "ولا يُضَارُّ" بفتح الراء، وتحتمل أن تكون (يُضَارُّ) فعلى الاحتمال الأول يكون النهي واقعا على أن يُضَرَّ بالكاتب أو الشهيد، أي: أن الضرر يقع على الكاتب والشهيد، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، والسدي، والربيع.

وعلى الاحتمال الثاني: يكون النهي واقعا على أن يُضَرَّ الكاتب والشهيد، أي: أن الضرر يقع من الكاتب والشهيد، وهذا قول طاووس، والحسن، وقتادة^(٤).

(المسند، المصنف، التفسير)، توفي سنة (٢٣٥هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/١٢٢).

(١) ينظر تفسير القرطبي (٦/١٤٥)، وتفسير ابن كثير (٣/٩٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٣/٧٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، محمود شاكر (٣/٧٧-٧٨).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٦/٨٥) وما بعدها.

ومثله قوله تعالى: (لَا تُضَكَّرْ وَلَا دُهُمٌ بِوَلَدِهَا) (البقرة: ٢٣٣).

إذ يُحتمل أن يكون الضرر ملحقاً بها وواقعاً عليها. ويُحتمل أن تكون هي الملحقة الضرر
بغيرها. كأن تطلب أكثر من أجر مثلها^(١).

ففي هذين المثالين لا يوجد ما يمنع من حمل الآية على جميع المعاني السابقة.

-ومنه أيضاً لفظ (مَعِيشَةٌ) في قوله تعالى (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) (طه: ١٢٤).
فإن فيها احتمالين:

الأول: المصدر: أي معيشة ذات ضنك. وهو قول ابن عباس ومجاهد^(٢).

الثاني: اسم مكان، أي موضع عيش ذي ضنك، وهو عذاب القبر. وهو قول ابن مسعود، وأبي
سعيد^(٣).

القسم الثالث: الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام، وبناء بعض الألفاظ على
بعض.

وهو نوعان:

الأول: ما يدل على معانٍ مختلفة متضادة.

ومثال ذلك:

قوله تعالى: (وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ

مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) (النساء: ١٢٧).

فقوله: (وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) يحتمل معنيين متضادين هما:

الأول: أي ترغبون في نكاحهن لما لهن. و به فسر الآية بعض العلماء^(٤).

الثاني: أي ترغبون عن نكاحهن لقلّة ما لهن...

^(١) ينظر تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٤٨/٥) وما بعدها.

^(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩٣/١٦).

^(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٩٦/١٦-١٩٨).

^(٤) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٥٥/٩) وما بعدها.

والآية محتملة للمعنيين لأن الكلام فيها ركب تركيباً لم يُذكر معه حرف الجر.

وليس ثمت ما يمنع من الحمل على المعنيين في هذه الآية.

الثاني: ما يدل على معانٍ مختلفة غير متضادة^(١).

وهو قسمان:

أ- ما يمكن معه الحمل على جميع المعاني:

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: (پ پ پ پ) (الجاثية: ٢٣).

وقوله: (پ پ) قيل راجع إلى العبد، أي على علم من العبد بضلاله.

وقيل: راجع إلى الله تعالى. أي: على علم من الله بضلاله^(٢).

وكلاهما محتمل ويمكن أن تُحمل الآية على المعنيين.

ب- ما لا يمكن فيه الحمل على جميع المعاني.

ومثال ذلك: قوله تعالى: (يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا ف ف ف ف ف ف)

قَبْلِكُمْ) (البقرة: ١٨٣).

وقد اختلف المفسرون في هذا التشبيه:

فقيل إنما هو في عدد الأيام.

وقال آخرون: إنما وقع في أصل الفرض لا في عدد الأيام.

وقال آخرون: في الوقت والمقدار^(٣).

فهذه المعاني وإن كانت غير متضادة إلا أنها مختلفة، ولا يمكن أن تحمل الآية عليها بل المراد أحد هذه المعاني.

- وكقوله تعالى (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ^ط) (آل عمران: ٩٧) فإن فيه احتمالين:

الأول: الإنشاء، فيكون أمراً في صورة الخبر، والمعنى: من دخل الحرم فأمنوه.

^(١) ويدخل في هذا النوع الخلاف الواقع بسبب الاختلاف في موضع عود الضمير، وهو من أنواع المتواطئ وسأبينه لاحقاً.

^(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/٢٦٨).

^(٣) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكرا (٣/٤٠٩-٤١٣).

الثاني: الخبر وفيه احتمالان:

- أ- إما أن يكون خبراً عما مضى في الجاهلية من تأمين كل من دخل الحرم.
ب- وإما أن يكون خبراً عن المستقبل، أي من دخله للتقرب إلى الله كان آمناً من النار.^(١)

وإذا تأملت الأقسام السابقة تبين لك أن اللفظ المشترك على نوعين :

-النوع الأول: أن تكون المعاني فيه متضادة.

-النوع الثاني: أن تكون المعاني غير متضادة .

وقد يمتنع في كلا النوعين (المتضاد وغير المتضاد) حمل الآية على المعاني الواردة فيها، ويلزم من القول بأحدهما نفي الآخر.

و قد يجوز فيهما حمل الآية على المعنيين، ويكونان بمثابة التفسيرين للآية، فيندرج تحت اختلاف التنوع. وهو ما يعيننا هنا.

فإن وُجد ما يرجح أحد المعنيين أخذنا به، وإلا قلنا اللفظ صالح للأمرين فهو شامل لكل المعاني^(٢). وهذا الكلام يشير إلى مسألة مهمة في المشترك وهي:

مسألة الأقوال في المشترك هل تقبل أو لا؟

اتفق أهل الأصول على عدم جواز استعمال اللفظ المشترك في معنياه أو معانيه من متكلم واحد في وقت واحد، إذا امتنع الجمع بين مدلوليه أو مدلولاته. مثل "القرء"، فإنه يراد به "الحيض" ويراد به "الطهر" ولا يمكن أن يكون المراد الاعتداد بهما معاً في آن واحد.

^(١) تنظر الأقوال في: تفسير الطبري (٢٩/٧-٣٠).

^(٢) هناك فرق بين العموم والمشارك اللفظي:

أن المشترك لفظ واحد يطلق على مسمين فأكثر إلا أنه ليس في وقت واحد، فالعين تطلق على الباصرة، والحسد، وعين الماء، لكن هذا الاطلاق ليس في وقت واحد، فإما يُراد بما هذا أو ذاك أما الاسم العام فيطلق على أكثر من واحد في وقت واحد . ووجه التشابه بينهما من حيث أن المشترك اللفظي عبارة عن لفظ مشترك له أكثر من معنى، ذاك لفظ عام له أكثر من فرد. ينظر: "شرح مقدمة التفسير لابن تيمية" شرحه د. مساعد الطيار (ص ١١٢)، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد الرومي (ص ٤٩).

قال الماوردي^١ في مقدمة تفسيره: "أن يتفق أصل الحقيقة فيهما- في المعنيين- فيكونا مستعملين في اللغة على سواء أو في الشرع أو في العرف، فهذا على ضربين: أحدهما: أن يتنافى اجتماعهما ولا يمكن استعمالهما، في الأحكام الشرعية مثل "القرء" الذي هو حقيقة في الطهر وحقيقة في الحيض، ولا يجوز للمجتهد أن يجمع بينهما، لتنافيهما، وعليه أن يجتهد رأيه في المراد منهما بالأمارات الدالة عليه... " (٢). أ.هـ.

إذا لم يمتنع الجمع بين مدلولي المشترك، فهل يجوز استعماله فيهما؟ فيه مذهبان:

الأول: أنه يصح إطلاق المشترك المفرد في معنیه أو معانيه معاً في وقت واحد من متكلم واحد، ونسبه الشوكاني إلى جمهور العلماء^(٣)، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، قال رحمه الله "ومن التنازع الموجود عنهم ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين. إما لكونه مشتركاً في اللفظ كلفظ "قسورة" الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد. ولفظ "عسعس" الذي يراد به إقبال الليل وإدباره.

وأما لكونه متواطئاً في الأصل؛ لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشئيين كالضمائر في

قوله: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَوْجَحٍ) (النجم: ٨-٩) وكلفظاً

﴿١﴾ وَلَيْلٍ عَشْرِ ﴿٢﴾ پ پ پ (الفجر: ١-٣) وما أشبه ذلك،

فمثل هذا قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وقد لا يجوز ذلك. فالأول إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة، وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه، إذ قد جوز ذلك أكثر الفقهاء: المالكية، والشافعية، والحنبلية، وكثير من أهل الكلام^(٤). أ.هـ.

المذهب الثاني: أنه لا يجوز أن يُحمل المشترك على معنیه أو معانيه في وقت واحد من

^١ - علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن الماوردي البصري الشافعي. أحد الأئمة له التصانيف الحسان في كل

فن من العلم، وكان حافظاً للمذهب، وولي القضاء ببلاد كثيرة، توفي سنة (٤٥٠هـ). ينظر: لسان

الميزان (٢٩٩/٤)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٧١)

^(٢) النكت والعيون (٣٩/١).

^(٣) إرشاد الفحول ص ٤٨.

^(٤) مجموع الفتاوى (٣٤١/١٣) وهو ترجيح الشنقيطي في أضواء البيان (٣٣٦/١) و (٤٢٥/٥) و (١١/٩).

متكلم واحد. وهو اختيار الرازي في المحصول^(١). وانتصر لهذا المذهب العلامة ابن القيم فقال: "إن الأكثرين لا يجوزون استعمال اللفظ المشترك في معنييه، لا بطريق الحقيقة، ولا بطريق المجاز وما حكى عن الشافعي رحمه الله من تجويزه ذلك فليس بصحيح عنه، وإنما أخذ من قوله: "إذا أوصى لمواليه، وله موال من فوق ومن أسفل تناول جميعهم". فظن من ظن أن لفظ المولى مشترك بينهما، وأنه عند التجرد يحمل عليهما، وهذا ليس بصحيح. فإن لفظ المولى من الألفاظ المتواطئة، فالشافعي - في ظاهر مذهبه - وأحمد يقولان بدخول نوعي الموالي في هذا اللفظ وهو عنده عام متواطئ لا مشترك^(٢)". أ.هـ.

فمحل الخلاف: "إنما هو في المعاني التي يصح الجمع بينهما وفي المعنيين اللذين يصح الجمع بينهما، لا في المعاني المتناقضة"^(٣).

و الصحيح - والله أعلم - هو الذي عليه جمهور العلماء : بأن يُحمل المشترك الذي لا يمتنع الجمع فيه بين مدلولاتها على جميع معانيه في الآية.

أما الذي يمتنع الجمع بين مدلوليه أو مدلولاته، فلا يجوز أن يحمل على معنييه أو معانيه، بحيث تكون مرادة جميعها في الآية.

فتلخص مما سبق أن من أسباب اختلاف التنوع المشترك، ولهذا لا بد لمن يريد فهم القرآن الكريم وتفسيره أن يكون عالماً باللغة ودقائقها كالاشتراك في الألفاظ.

يقول الزركشي: "ليس لغير العالم بحقائق اللغة، و مفهوماتها تفسير شيء من الكتاب العزيز، ولا يكفى في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين"^(٤)

^(١) المحصول في علم أصول الفقه (٣٧٣/١)، وانظر تفسيره (٢١/١٠). والرازي هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين الرازي أبو عبد الله القرشي. إمام المفسر الفقيه المتكلم، كان إماماً في العلوم الشرعية والعقلية، وصنف المصنفات المشهورة، ومنها "التفسير الكبير" توفي سنة (٦٠٦هـ). ينظر: طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي (٨١/٨)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١٠٠).

^(٢) جلاء الأفهام ص ١٦٠-١٦١.

^(٣) إرشاد الفحول (٩٣/١).

^(٤) البرهان (٢٩٥/١).

السبب الثاني:

عود الضمير إلى أكثر من مذكور.

ومن أسباب اختلاف التنوع التي ترجع إلى أكثر من معنى:

أن يكون اللفظ من قبيل المتواطئ، و يشمل التواطؤ:

-الضمير الذي يحتمل رجوعه إلى أكثر من ذات .

-و الأوصاف التي حذف موصوفها.

أولاً: الضمير الذي يحتمل رجوعه إلى أكثر من ذات.

إن المتأمل في آيات القرآن الكريم يجد فيها أحياناً ضميراً أو ضمائر، فيختلف المفسرون في

تعيين مرجع كل ضمير، مما ينبني عليه اختلاف المعنى والتفسير، بين المفسرين .

والاختلاف بين المفسرين لهذا السبب كثير.

فمن أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير^(١):

١-إعادة بعض المفسرين الضمير إلى أكثر من مذكور، وبعضهم يعيده إلى مذكور واحد:

في بعض الحالات يكون في الآية ضمير يحتمل رجوعه إلى أكثر من مذكور، فلا مانع من

حملة على جميع المعاني.

ومن الأمثلة في ذلك: قوله تعالى (وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى

الْخَاشِعِينَ) (البقرة: ٤٥).

اختلف المفسرون في عود الضمير في (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) على أقوال:

١- إن الضمير عائد على الصلاة .

٢-وقيل : يعود على الاستعانة ، وهو المصدر المفهوم من قوله : (وَأَسْتَعِينُوا).

٣- وقيل : يعود على إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الصبر والصلاة مما كان

يدعو إليه .

^(١)يراجع "من أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير" د. صالح ناصر الناصر، (ص ٢٦١-٢٩١)، وهو بحث

منشور في مجلة الحكمة، العدد (٣٤)، محرم ١٤٢٨هـ.

- ٤- وقيل : على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة .
 ٥- وقيل : يعود على الكعبة ، لأن الأمر بالصلاة إليها .
 ٦- وقيل : يعود على جميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها ، من قوله : (أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ) إلى (وَأَسْتَعِينُوا)^(١) .
 فالأقوال السابقة وإن كانت مختلفة في مرجع الضمير، إلا أنها كلها صحيحة ويمكن أن تحمل عليها الآية.

-ومن ذلك أيضا قوله تعالى (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فِتْنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ (النحل: ١١٠).

قال الشوكاني: "والضمير في "بعدها" يرجع إلى الفتنة، أو إلى المهاجرة، أو الجهاد والصبر، أو إلى الجميع"^(٢) .

-وفي قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ (الحديد: ٢٢).

قال الشنقيطي: "الضمير فيه-أي قوله "نبرأها"-عائد على الخليفة المفهومة في ضمن قوله (فِي) أَنْفُسِكُمْ ، أو إلى المصيبة، واختار بعضهم رجوعه لذلك كله"^(٣) .

٢- التزام بعض المفسرين بعود الضمير إلى أقرب مذكور:

من أسباب اختلاف المفسرين في مرجع الضمير: التزام بعض المفسرين بإعادة الضمير إلى أقرب مذكور مع أن هذه القاعدة ليست مطردة، فالضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم يرد

^(١) تفسير البحر المحيط (١/٢٣٥).

^(٢) فتح القدير (٣/١٩٨).

^(٣) أضواء البيان (٧/٥٤٨). ومن الأمثلة في ذلك أيضا (يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَلْقِيهِ

(٦) (الانشقاق: ٦).

دليل بخلاف ذلك^(١).

ومن الأمثلة على قاعدة عود الضمير إلى أقرب مذكور:

قوله تعالى (وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) (البقرة: ١٧٧)، قال الشوكاني: "والضمير في قوله: "على حبه" راجع إلى المال، وقيل: راجع إلى الإيتاء المدلول عليه بقوله: "وَأَتَى الْمَالَ"، وقيل: إنه راجع إلى الله سبحانه، أي على حب الله"^(٢).

قال أبو حيان: "والظاهر أن الضمير في "حبه" عائد على المال، لأنه أقرب مذكور، ومن قواعد النحويين أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل"^(٣). وكذا رجح ابن جزري الكلبي عوده إلى المال، لأنه الأقرب^(٤). والشنقيطي أيضاً رجح هذا القول^(٥).

وفي قوله تعالى: (فَمَّا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ ۗ) (يونس: ٨٣).

فقد اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله: "قومه" هل يعود على فرعون، أو على موسى.

فابن عطية^(٦) وابن كثير^(٧) على أن الضمير يعود على فرعون، ورجح الطبري أن الضمير يعود على موسى وقال: "هذا القول أولى بالصواب في ذلك، لأنه لم يجر في هذه الآية ذكر لغير موسى فلأن تكون "الهاء" في قوله: "من قومه" من ذكر موسى لقربها من ذكره، أولى من أن تكون من ذكر فرعون لبعده ذكره منها، إذ لم يكن بخلاف ذلك دليل من خبر ولا

^(١) ومن الأمثلة التي لم يرجع فيها الضمير إلى أقرب مذكور، قوله تعالى (هُوَ سَمَنَكُمُ) (الحج: ٧٨)، ينظر تفسير

الطبري (٦٤٦/١٦)، وتفسير الشنقيطي (٣٠٢/٥)، وقوله تعالى (وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ) (العاديات: ٧)، ينظر: البحر

الحيط (٥٠٥/٨)، وفتح القدير (٤٨٣/٥)، وتفسير الشنقيطي (٦٦/٩).

^(٢) فتح القدير (١٧٢/١).

^(٣) البحر المحيط (٥/٢).

^(٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل (١٢٢/١).

^(٥) ينظر: أضواء البيان (٧٣/١).

^(٦) ينظر: المحرر الوجيز (١٣٧/٣).

^(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٠٩/٢).

نظر" (١).

وكذا رجح أبو حيان أن الضمير يعود على موسى، ولا يعود على فرعون، لأن موسى هو المحدث عنه في هذه الآية، وهو أقرب مذكور (٢).

والذي يظهر والله أعلم أن ما رجحه الطبري وأبو حيان هو الراجح للأسباب التي ذكروها.

٣- اعتبار بعض المفسرين أن رجوع الضمير إلى المتحدث عنه في الآية أولى من غيره:

من أسباب اختلاف المفسرين في مرجع الضمير والذي ينتج عنه اختلافهم في التفسير أن بعضهم يعيد الضمير إلى مذكور متحدث عنه، وبعضهم يعيده إلى مقدر.

ومن الأمثلة في ذلك:

قوله تعالى: (وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ۗ ۝٣٧

بِآيَاتِي ثَمَّنَا ك ك ك ك (البقرة: ٤١).

اختلف المفسرون في مرجع الضمير في قوله "به" ، فبعض العلماء يعيد الضمير إلى القرآن، لأن الحديث عن القرآن المتزل المصدق لما معهم، ومنهم من يعيده إلى محمد ﷺ.

فابن كثير ذكر القولين، وقال إهما متلازمان، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد ﷺ، ومن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالقرآن (٣).

وأما الطبري فقد رجح أن الضمير يعود على القرآن، وعلل ذلك بأنه المذكور في أول الآية، ولم يجز لمحمد ﷺ ذكر ظاهر في الآية (٤).

٤- إعادة بعض المفسرين الضمير إلى غير مذكور:

(١) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٥/١٦٥).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥/١٨٤). ومن الأمثلة في ذلك قوله تعالى: (فَنَادَيْنَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا نَحْزَنَ) (مريم: ٢٤).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/٨٠).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١/٥٦٤) من الأمثلة في ذلك أيضا: (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا

بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (سورة النساء: ١٥٩)، (أَلَّا إِنَّهُمْ يَأْتُونَ صُدُورَهُمْ

لِيَسْتَحْفُوا مِنْهُ ۗ أَلَا حِينَ يَسْتَحْفُونَ شَابَهُمْ ۚ يَئِسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (هود: ٥) وغيرها.

ومن أسباب الاختلاف في مرجع الضمير، إرجاع بعض المفسرين الضمير إلى مذكور، وبعضهم يرجعه إلى غير مذكور دل عليه المقام.

ففي قوله تعالى: (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ) (النحل: ٦١)، قال الشنقيطي: "والضمير في "عليها" راجع إلى غير مذكور وهو الأرض، لأن قوله: (من دَابَّةٍ) يدل عليه، لأن من المعلوم أن الدواب إنما تدبُّ على الأرض، ونظيره قوله تعالى (پ) ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ) (فاطر: ٤٥)، وقوله (ك) تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) (ص: ٣٢) أي الشمس، ولم يجر لها ذكر" (١).

وقد ذكر ابن عطية (٢) والقرطبي (٣) وابن عاشور (٤) أن الضمير في "عليها" عائد على الأرض، وإن لم يجر لها ذكر.

٥- مراعاة بعض المفسرين للسياق في تحديد مرجع الضمير:

أحياناً يكون الخلاف بسبب مراعاة بعض المفسرين لدلالة السياق وتوحيد مرجع الضمائر وتناسقها، وعدم مراعاة البعض الآخر منهم لذلك.

ففي قوله تعالى (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) (الكهف: ٥٢). ذكر ابن الجوزي قولين في مرجع الضمير في (بَيْنَهُمْ):

أحدهما: إنهم المشركون والشركاء.

والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة (٥).

ورجح أبو حيان عود الضمير على المشركين والشركاء (١)، وأيضاً رجح هذا القول

(١) أضواء البيان (٣٩٢/٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٤٠٢/٣).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١١٩/٥).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (١٨٨/١٤). ومن الأمثلة في ذلك أيضاً: قوله تعالى (فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا) (طه: ١٠٦).

(٥) ينظر: زاد المسير (١٥٥/٥).

الشوكاني^(٢)، وكذلك الشنقيطي حيث قال: "إن الضمير في قوله « بينهم » قيل: راجع إلى أهل النار ، وقيل: راجع إلى أهل الجنة وأهل النار معاً ، وقيل: راجع للمشركين وما كانوا يعبدونه من دون الله ، وهذا هو أظهرها ، لدلالة ظاهر السياق عليه ، لأن الله يقول : (وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) ثم قال مخبراً عن العابدين والمعبودين : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا) أي مهلكاً يفصل بينهم ويحيط بهم"^(٣) .

وإذا أمعنت النظر في الأمثلة السابقة تجد أن الآية تحمل كل المعاني الواردة فيها، وعليه فالاختلاف الحاصل بين المفسرين في مرجع الضمير إنما هو من باب اختلاف التنوع.

السبب الثالث:

الأوصاف التي حذف موصوفها.

ثانياً: ومن أنواع المتواطئ: الأوصاف التي حذف موصوفها. من الأسباب التي يعود إليها اختلاف التنوع- كما بينت سابقاً- الوصف المحتمل لأكثر من موصوف، ولا يحدد موصوفه في الآية، فيحمل كل مفسر هذا الوصف على ما يحتمله من الموصوفات؛ فتختلف أقوالهم.

ومن أمثلته:

١- قوله تعالى : (فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَعِنَّهُمْ مُّقْتَصِدًا) (لقمان: ٣٢).

^(١) ينظر: البحر المحيط (٦/١٣٧).

^(٢) ينظر: فتح القدير (٣/٢٩٣).

^(٣) أضواء البيان (٣/٢٩٨). الأمثلة في ذلك كثيرة ينظر مثلاً: (يُجَدِّدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّا كَأَنَّمَا يُسَافُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ) (٦)، (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهِيَ جِجْجٌ تَعُودُوا نَعْدَ وَلَنْ نُنْفِيَ عَنْكُمْ فِئْتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ) (سورة الأنفال: ٦، ١٩)، (وَيَوْمَ يُنَادِي السُّعُودُ لِأَصْحَابِ الْغَدَاةِ خُذُوا يَوْمَئِذٍ أَكْرَبًا لِكَيْ لَا تَكُونَ مِنْ السَّاعِينَ) (سورة مريم: ٨٢).

(فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ) فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : مؤمن ، قاله الحسن .

والثاني : مقتصد في قوله ، وهو كافر ، قاله مجاهد . يعني أنه يعترف بأن الله وحده القادر على إنجائه وإن كان مُضْمِراً للشرك .

والثالث : إنه العادل في الوفاء بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد ، قاله مقاتل^(١) . فالمتقصد يشمل: المؤمن، والمقتصد في قوله، والعادل في الوفاء بالعهد، لأن كل هذه الموصوفات تصدق عليها صفة "المقتصد".

٢- ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى : (أَصْفًا) (١) (الصفات: ١).

(أَصْفًا) (١) فيها قولان :

أحدهما : إنها الملائكة ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، . قال ابن عباس : هم الملائكة صفوف في السماء ، لا يعرف ملك منهم من إلى جانبه ، لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل . وقيل : هي الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة إلى أن يأمرها الله عز وجل بما يشاء .

والثاني : إنها الطير ، كقوله : (وَالطَّيْرُ صَفَّتْ) (النور : ٤١)^(٢) .

فالآية تحمل على المعنيين لأن لفظ "الصفات" من قبيل الأوصاف التي حذف موصوفها ؛ فيدخل فيها كل موصوف مناسب لها .

٣- وقوله تعالى : (پ پ پ) (الصفات: ٣).

وفي التاليات ذكراً ثلاثة أقوال :

أحدها : إنها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى ، قاله ابن مسعود ، والحسن .

والثاني : إنهم الرسل ، رواه الضحاك عن ابن عباس .

والثالث : ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم ، قاله قتادة^(١) .

^(١) ينظر: زاد المسير (٣/٤٣٥)

^(٢) تفسير الثعلبي (٨/١٣٨).

وإذ نظرت إلى هذه الموصوفات تجد أنها تشترك في صفة التلاوة، و من هنا جاز أن يقال بتعميم الوصف "التاليات" على هذه الأقوال المختلفة.

٤- ومثله قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّلُوكَ الَّتِي كَفَرُوا بِهَا لَعَنَ اللَّهُ أُولَئِكَ الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ) (النازعات: ٢٥) فقد ورد عن السلف في المراد من (الْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ) أقوال:

الأول: كَلِمَاتِهِ: الأولى قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّلُوكَ الَّتِي كَفَرُوا بِهَا لَعَنَ اللَّهُ أُولَئِكَ الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ) (القصص: ٣٨)، والآخرة قوله (فَقَالَ أَنَا جِجْ) (النازعات: ٢٤) عن ابن عباس.
الثاني: الدنيا والآخرة. عن قتادة.
الثالث: أول عمله وآخره. عن مجاهد.^(٢)

فكل هذه الأقوال محتملة، ووصف الآخرة والأولى صادق عليها بالتساوي. و بناء على هذا فاللفظ المتواطئ شبيه بالاسم العام، من حيث تعميمه على جميع محتملاته، لكن يتنبه أن هذا يصح بلا إشكال في المتواطئ الذي هو من قبيل الأوصاف التي حذف موصوفها، فيدخل فيها كل موصوف مناسب لها. أما المتواطئ الذي من قبيل مفسر الضمير، ففي احتمال مشابته اللفظ العام إشكال؛ لأن الضمير - في كثير من الأحيان - يراد به ذات واحدة لا غير، ففي قوله تعالى (فَنَادَيْنَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) (مريم: ٢٤) المنادي إما جبريل، وإما عيسى فلا يتصور جواز إرادتهما معاً حتى يقال بمشابهته للعموم^(٣).

^(١) ينظر تفسير الطبري (١٩/٤٩٤-٤٩٥)، وزاد المسير (٤/٥٣٥).

^(٢) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٢٤/٨٥-٨٨).

^(٣) ينظر: شرح مقدمة التفسير، د. مساعد الطيار (ص ١١٣-١١٤).

الفصل الرابع: منهج العلماء في تأصيل اختلاف التنوع ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : منهج ابن تيمية في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الثاني : منهج ابن كثير في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الثالث : منهج الشاطبي في تأصيل اختلاف التنوع.

المبحث الرابع : منهج ابن عثيمين في تأصيل اختلاف التنوع.

الفصل الرابع:

منهج العلماء في تأصيل اختلاف التنوع

إن المتتبع لاختلاف التنوع ليجد أن أصل هذا الموضوع موجود عند العلماء السابقين^(١)، أما من ناحية التفصيل فيه فأول من تناول ذلك ابن تيمية، ثم تتابع العلماء من بعده يذكرون أنواعه وأسبابه.

وسأذكر هنا جملة من العلماء الذين تناولوا الحديث عن اختلاف التنوع بشيء من التفصيل، وسأشرح منهج كل عالم وأذكر ما يوضحه من الأمثلة. فأقول وبالله بالتوفيق.

المبحث الأول:

منهج ابن تيمية

تناول ابن تيمية رحمه الله الحديث عن الاختلاف في التفسير في رسالته المسماة بـ "مقدمة في أصول التفسير"، ويُعتبر كلامه من أفضل ما كُتِبَ في مسألة الاختلاف وأقسامه، وعليه اعتمد جُلُّ من جاء بعده^(٢)، بل صارت مقدمته أصلاً من الأصول المهمة في موضوع الاختلاف، فقد تكلم عن اختلاف السلف في التفسير، وأن اختلافهم في الأحكام أكثر، ثم قسم الخلاف إلى تنوع وتضاد، ثم ذكر أصناف اختلاف التنوع، وبسط الكلام حولها، وذكر طريقة السلف في التفسير، إلى غير ذلك مما حفلت به المقدمة من فوائد، وقد تكلم في مؤلفات أخرى له حول بعض هذه القضايا^(٣)، لكن المقدمة جمعت شتاها^(٤).

(١) مثل: أبو الدرداء وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم وقد أشرت إلى ذلك عند الحديث عن نشأة اختلاف التنوع في الفصل الثاني.

(٢) كالسيوطي فإنه نقل كلامه بنصه، ينظر: الإتيقان (٢/٤٦٩-٤٧٠).

(٣) ينظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى (٥/١٦٠-١٦٢، ١٣/٣٨١-٣٨٤).

(٤) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص ٣٨-٥١).

فقد ذكر ابن تيمية أن غالب ما يصح عن السلف من الاختلاف يرجع إلى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، وقد تناول اختلاف التنوع من جوانب عدة وفي أماكن متفرقة، ويمكن أن يتبين كلام ابن تيمية من خلال المسائل التالية:

المسألة الأولى: أنواع الاختلاف:

جعل الاختلاف في التفسير على نوعين:

اختلاف تنوع واختلاف تضاد.

وهذان النوعان موجودان في عدة أبواب من العلم، فمنه ما هو بعض الأقوال والأفعال الشرعية، والاختلاف الواقع في ذلك من باب التنوع؛ كالاختلاف في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وصلاة الخوف وتكبيرات العيد إلى غير ذلك مما شرع جميعه، وإن كان قد يقال: إن بعض أنواعه أفضل.

ومنه ما هو واقع في قراءات القرآن، وهذا من باب اختلاف التنوع أيضا^(١).

وقال في موضع آخر: "وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد"^(٢).

"و أما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقص، فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يختلفوا فيه"^(٣).

— الفرق بين اختلاف التنوع والتضاد:

في اختلاف التضاد كلا القولين يتنافيان، فالصواب واحد منهما، أما في اختلاف التنوع فكل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد، لأن القولين لا يتنافيان^(٤).

المسألة الثانية: في تعريف اختلاف التنوع:

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية (ص: ٣٧).

(٢) مقدمة التفسير (ص: ٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/١٦٣).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٨).

فاختلاف التنوع عنده: أن تُحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معاني صحيحة غير متعارضة.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، ولكنَّ العبارتين مختلفتان. ومنه ما يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر^(١).

وعليه فاختلاف التنوع عند ابن تيمية نوعان:

الأول: أن يكون المعنى واحداً لكن العبارتين مختلفتان.

الثاني: أن يكون المعنيان متغايرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وذلك قول صحيح، وإن لم يكن معنى أحدهما هو المعنى الآخر.

المسألة الثالثة: أنواع اختلاف التنوع:

من خلال كلام ابن تيمية يظهر أن اختلاف التنوع عنده على أربعة أنواع:

النوع الأول: "أن يعبر كل واحد من السلف عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر، مع اتحاد المسمى"^(٢).

"فإذا كان مقصود السائل تعيين المسمى عبرنا عنه بأي اسم كان إذا عُرف مسمى هذا

الاسم، وقد يكون الاسم علماً، وقد يكون صفة كمن يسأل عن قوله (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي) (طه: ١٢٤) ما ذكره؟ فيقال له: هو القرآن مثلاً، أو هو ما أنزله من الكتب.

^(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٧-٣٨)

وذلك مثل اختلاف الصحابة في تأويل قوله ﷺ: « لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة » (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي)، باب (مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم. ح(٣٨٩١)، (٤/١٥١٠). من حديث ابن عمر. رضي الله عنه.

فإن بعض الصحابة فهم منها أنه لا بد أن تكون صلاة العصر في بني قريظة ولو خرج منها أنها لا بد أن تكون صلاة العصر في بني قريظة ولو خرج وقتها، فلم يصلها إلا وقت العشاء، وآخرون فهموا من الأمر وجوب التوجه إلى بني قريظة، وصلوها في وقتها قبل وصولهم بني قريظة؛ لأنهم لم يستطيعوا الوصول قبل فوات الوقت، وكلا الفريقين أصاب في اجتهاده وعمله.

^(٢) مقدمة في أصول التفسير: ص٣٨. ومجموع الفتاوى (١٦٠/٥).

فإن الذكر مصدر، والمصدر تارة يضاف إلى الفاعل، وتارة إلى المفعول فإذا قيل:
ذكر الله بالمعنى الثاني كان ما يذكر به، مثل قول العبد: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا
الله والله أكبر .

وإذا قيل بالمعنى الأول كان ما يذكره هو، وهو كلامه، وهذا هو المراد في قوله (وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي) لأنه قال قبل ذلك (فَأَمَّا يَا نِينَكَم مِّنِّي هُدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ) (طه: ١٢٣)، وهدهاه هو ما أنزله من الذكر، وقال بعد ذلك (قَالَ
رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) (طه: ١٢٣)، وكذلك أنتك ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا پ پ پ (١٦٦)
(طه: ١٢٥-١٢٦).

والمقصود أن يُعرف أن الذكر هو كلامه المتزل، أو هو ذكر العبد له، فسواء قيل: ذكري:
كتابي، أو كلامي، أو هداي، أو نحو ذلك = كان المسمى واحداً.

وإن كان مقصود السائل معرفة ما في الاسم من الصفة المختصة به، فلا بد من قدر زائد على
تعيين المسمى، مثل أن يسأل عن القدوس السلام المؤمن، وقد علم أنه الله؛ لكن مراده: ما
معنى كونه قدوساً سلاماً مؤمناً ونحو ذلك؟.

إذا عرف هذا فالسلف كثيراً ما يعبرون عن المسمى بعبارة تدل على عينه، وإن كان فيها
من الصفة ما ليس في الاسم الآخر؛ كمن يقول: أحمد هو الحاشر والماحي والعاقب،
والقدوس هو الغفور والرحيم؛ أي أن المسمى واحد، لا أن هذه الصفة هي هذه الصفة،
ومعلوم أن هذا ليس اختلاف تضاد كما يظنه بعض الناس^(١).

وقد ضرب أمثلة لتقريب هذا النوع، فذكر من ذلك جملة من أسماء السيف، فهو يسمى
بالصارم والمهند. وكذلك أسماء الله الحسنى، وأسماء الرسول ﷺ، وأسماء القرآن.

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٣٩-٤١)

فمثلاً في السيف الذي يسمى بالصارم والمهند. فإذا قيل: ما المهند؟

فالجواب: السيف. وإذا قيل: ما الصارم؟

فالجواب: السيف.

لكن في المهند معنى غير المعنى الذي في الصارم، فهما دلا على ذاتٍ واحدةٍ وهي السيف، وانفرد كل منهما بمعنى مستقل عن صاحبه.

ومن الأمثلة التي ذكرها:

المثال الأول: تفسير السلف للصراف المستقيم، فقال بعضهم: هو القرآن؛ أي: اتباعه.. وقال بعضهم: هو الإسلام... فهذان القولان متفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما أن لفظ صراف يشعر بوصف ثالث، وكذلك قول من قال: هو السنة والجماعة، وقول من قال: هو طريق العبودية، وقول من قال: هو طاعة الله ورسوله ﷺ، وأمثال ذلك فهؤلاء كلهم أشاروا إلى ذات واحدة، لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها^(١).

المثال الثاني:

في قوله تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَٰ

أَعْمَى) (طه: ١٢٤)

ذكر ابن تيمية ثلاثة معانٍ لتفسير لفظ "ذكرى"، فقال: "... فسواءً قال: ذكرى: كتابي، أو كلامي، أو هداي، أو نحو ذلك = كان المسمى واحداً"^(٢).

"فإن عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى، بل قد يكونان متلازمين، ولا دخول لبقية الأنواع فيه، وهذا قد قررناه غير مرة في القواعد المتقدمة، ومن تدبره علم أن أكثر أقوال السلف في التفسير متفقة غير مختلفة"^(٣).

^(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٢-٤٣).

^(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٠).

^(٣) تفسير سورة النور، لابن تيمية (ص ١٩٢).

النوع الثاني:

أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل، وتنبية المستمع على النوع، لا على سبيل الحد المطابق.... وهذا كثير في تفسير السلف، يذكرون من النوع مثلاً له؛ لينبهوا به على غيره.

ومن الأمثلة لهذا النوع قوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فِى الْكَبِيرِ) (فاطر: ٣٢)

فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات، والمنتهك للمحرمات.

والمقتصد يتناول فاعل الواجبات، وتارك المحرمات.

والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات... ثم إن كلاً منهم يذكر هذا في نوع من أنواع الطاعات، كقول القائل: السابق: الذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد: الذي يصلي في أثنائه، والظالم لنفسه: الذي يؤخر العصر إلى الاصرار.

ويقول الآخر: السابق والمقتصد والظالم قد ذكروهم في آخر سورة البقرة، فإنه ذكر المحسن بالصدقة، والظالم يأكل الربا، والعادل بالبيع .

والناس في الأموال إما محسن، وإما عادل، وإما ظالم، فالسابق المحسن بأداء المستحبات مع الوجبات، والظالم أكل الربا أو مانع الزكاة، والمقتصد الذي يؤدي الزكاة المفروضة، ولا يأكل الربا وأمثال هذه الأقاويل.

فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له، وتنبية على نظيره، فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطابق^(١).

فإذا تأملت هذا التفسير، وجدته مثلاً لما يشمل لفظ الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات.

^(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (٤٣-٤٤).

ومما يندرج تحت هذا النوع أسباب التزول كما ذكر ذلك ابن تيمية فقال: "وقد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم: هذه الآية نزلت في كذا، لاسيما إن كان المذكور شخصاً؛ كأسباب التزول المذكورة في التفسير"^(١).

فأسباب التزول التي تفسر بها الآية من باب المثال؛ لأن الآية لا تختص بالشخص المعين دون غيره، وإنما تختص بنوع ذلك الشخص، فتعم ما يشبهه، وإذا اعتبرت مثل هذا فلن يُشكل عليك تعدد الأسباب في الآية الواحدة.

وهذا النوع والذي قبله يرجع إليهما أكثر تفسير السلف. قال شيخ الإسلام: "وهذان النوعان اللذان ذكرناهما في تنوع التفسير: تارة لتنوع الأسماء والصفات، وتارة لذكر بعض أنواع المسمى وأقسامه كالتمثيلات، هما الغالب في تفسير سلف الأمة الذي يظن أنه مختلف"^(٢).

النوع الثالث:

ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين:

وبيّن ابن تيمية هذا النوع بقوله: "ومن التنازع الموجود عنهم -يعني السلف- ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين:

إما لكونه مشتركاً في اللغة، كلفظ قسورة الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد، ولفظ عسعس الذي يراد به إقبال الليل وإدباره.

وإما لكونه متواطئاً في الأصل، لكن المراد به أحد النوعين، أو أحد الشئيين، كالضمائر في

قوله (ثُمَّ دَنَا فَدَدَلَى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَوْجَحٍ) (النجم: ٨-٩) وكلفظ الفجر في

قوله تعالى (أ) ﴿١﴾ وَلِيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ پ پ پ (الفجر: ١-٣)، وما أشبه ذلك"^(٣).

^(١) مقدمة في أصول التفسير (٤٤). وقد توسع شيخ الإسلام في الحديث عن أسباب التزول ولمعرفة ذلك راجع شرح

مقدمة التفسير، د. مساعد الطيار (ص ٨٤-١٠٦).

^(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٩).

^(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٥٠).

أولاً: المشترك اللغوي:

وقد ذكر ابن تيمية عند قوله تعالى (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ (الأعراف: ٥٥-٥٦) أن الآيتين مشتملتان على آداب نوعي الدعاء: دعاء العبادة، ودعاء المسألة، وبكل منهما فسرت الآية، ثم قال: "وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته و مجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً، فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع، وقل ما يفتن له، وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعداً فهي من هذا القبيل" (١).

فابن تيمية يرى أنه يجوز استعمال اللفظ المشترك في معنييه (٢)، فقال: "فلا نسلم أن منع ذلك- استعمال اللفظ المشترك في معنييه- هو الحق بل ليس ذلك مذهب أحد من الأئمة المعتبرين وإنما هو قول طائفة من المتكلمين، والذي يدل عليه كلام عامة الصحابة والتابعين وعامة الفقهاء وعامة أهل اللغة وأكثر المتكلمين جواز ذلك" (٣)..

فإن اللفظ إذا احتمل معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها، وهذه قاعدة نافعة جداً، من عرفها انفتح عليه باب واسع من معاني القرآن الكريم، كما ينحل عنه كثير مما يذكر في كتب التفسير على أنه من الخلاف.

وقد مثل للمشارك في اللغة بلفظ قسورة من قوله تعالى: (فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ) ﴿٥١﴾

(المدثر: ٥١)، ولفظ عسعس من قوله تعالى (كك كك كك) (التكوير: ١٧).

فلفظ قسورة قد فُسرَّ بأنه الأسد، ورد ذلك عن أبي هريرة، وابن عباس، وزيد بن أسلم، وابنه عبد الرحمن رضي الله عنه.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٠/١١-١١)، وينظر (١٥/١٢، ١٥/١٧)، (١٧٧-١٧٥/٣١). وبدائع الفوائد لابن القيم (٣/٥١٣).

(٢) وقد أشرت آنفاً في الفصل الثالث صفحة (١٥٨) لهذه المسألة وهي الأقوال في المشترك هل تقبل أو لا؟.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٧٧/٣١).

وفسّر بأنهم رجال القنص، وعبر عنه شيخ الإسلام بالرامي، وقد ورد هذا التفسير عن ابن عباس، وسعيد بن جبيرة رضي الله عنه، وورد غير ذلك في التفسير^(١).
وهذان القولان متغايران فالقسورة بمعنى الأسد، مخالف للقسورة بمعنى رجال القنص؛ أي: الرماة.

وأما تفسير لفظ عسعس من قوله تعالى (ك ك ك ك) (التكوير: ١٧).
فقد قيل فيه: عسعس: أدبر، ورد ذلك عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، والضحاك، وقتادة، وابن زيد.

وقيل: عسعس: أقبل، ورد ذلك عن مجاهد، والحسن، وعطية العوفي^(٢).
"فأقبل" و"أدبر" معنيان متضادان، لكن لما كان محل الإقبال - وهو أول الليل - والإدبار - وهو آخر الليل - مختلفاً، جاز حمل الآية على المعنيين معاً؛ ليكون الإقسام بأول الليل وآخره.
ثانياً: المتواطئ:

ومثل للمتواطئ بمثالين^(٣):

الأول: الضمير الذي يحتمل رجوعه إلى أكثر من ذات، وذلك في مثل قوله تعالى: (ثُمَّ دَنَا

فَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَوْجَحٍ) (النجم: ٨-٩).

ورد في تفسير الضمير قولان:

الأول: أنه يرجع إلى الرب سبحانه، قال ابن عباس: "دنا ربه فتدلى".

الثاني: أنه يرجع إلى جبريل عليه السلام، وهو قول الجمهور، منهم: الحسن، وقتادة، والربيع، والمعنى: دنا جبريل وتدلى^(٤).

الثاني: أسماء الأجناس، كقوله تعالى: (أ ﴿١﴾ وَلِيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ پ پ پ) (الفجر: ١-٣).

^(١) ينظر في تخريج هذه الروايات، والتفسيرات الأخرى: تفسير الطبري، (١٥٩/٢٤-١٦١).

^(٢) ينظر في تخريج هذه الأقوال: تفسير الطبري، (١٥٩/٢٤-١٦١). ومن الأمثلة التي ذكرها قوله تعالى: (فَاَصْلَوْا

لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) (الإسراء: ٧٨).

^(٣) ينظر مقدمة التفسير (ص ٥٠).

^(٤) ينظر في تخريج هذه الأقوال، تفسير الطبري (١٤/٢٢-١٥).

فقد ورد عن السلف أقوال في الفجر منها:

١- الفجر: أول الغداة؛ أي: الصبح، وقد ورد عن ابن عباس، وعكرمة.

٢- الفجر: فجر يوم مزدلفة، وقد ورد عن عكرمة.

٣- الفجر: فجر يوم النحر، وقد ورد عن مجاهد.

٤- الفجر: فجر أول المحرم من السنة، وقد ورد عن ابن عباس^(١).

وهذه الأقوال وإن اختلفت في تحديد الفجر، إلا أن نسبتها إلى مسمى الفجر واحدة لا تختلف، ففجر أول يوم من السنة، أو فجر يوم مزدلفة، أو فجر يوم النحر، أو كل فجر لا تختلف في فجريتها عن بعضها البعض.

ومن الأمثلة التي ذكرها قوله تعالى (وَلِيَالٍ عَشْرٍ) (الفجر: ٢).

ورد فيها أقوال:

أحدها: إنه عشر ذي الحجة، عن ابن عباس من طريق العوفي، وبه قال مجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي ومقاتل.

والثاني: إنها العشر الأواخر من رمضان، عن ابن عباس من طريق أبي ظبيان^(٢).

والثالث: العشر الأول من رمضان، قاله الضحاك^(٣).

وكذا ما ورد من الأقوال في تفسير (الشفع والوتر)، فكل الأقوال التي ذكروها لا تختلف في نسبتها إلى الشفعية أو الوترية، فالصلوات مثلاً: منها شفع ومنها وتر، والخلق شفع، والرب وتر، ويوم عرفة وتر ويوم النحر شفع وهكذا بقية الأقوال، فنسبتها لا تختلف، وهذا هو معنى المتواطئ.

ويدخل في هذا كثير من الأوصاف التي لم يُذكر لها موصوف، فوقع الاختلاف في تحديده بسبب عدم ذكره، واحتمال الوصف لأكثر من واحد.

^(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٢٣/١٠)، وتفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٤٩٧/٨).

^(٢) حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث أبو ظبيان الكوفي. روى عن ابن عباس، وأسامة بن زيد، ووثقه الأئمة، توفي سنة (٩٠هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٥١٤/٦)، تقريب التهذيب (١٦٩/١).

^(٣) ينظر تفسير ابن أبي حاتم (٣٤٢٣/١٠)، كما في الدر المنثور (٥٠٠/٨) وتفسير ابن الجوزي (١٠٤/٩).

وقد نبّه شيخ الإسلام على نتيجة هذا الاحتمال في التفسيرات الواردة عن السلف، وجعل هذه الاحتمالات لا تخرج عن أمرين^(١):

الأول: أن مثل هذه الاحتمالات قد لا يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، بل يكون المراد أحدها.

"وهذا يعني أن تحديد أحد هذه المحتملات يحتاج إل ترجيح، والترجيح يحتاج إلى علمٍ بطرق الترجيح وقواعده^(٢)، وهو علم مستقل من علم أصول التفسير"^(٣).

الثاني: أن مثل هذه الاحتمالات قد يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف، وذكر لذلك عللاً:

الأولى: إما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة.

الثانية: وإما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معناه؛ إذ قد جَوَّز ذلك أكثر الفقهاء المالكية والشافعية والحنبلية وكثير من أهل الكلام.

الثالثة: وإما لكون اللفظ متواطئاً، فيكون عاماً إذا لم يكن لتخصيصه موجب.

فإذا قلنا بتعميم الوصف في المشترك والمتواطئ، دون النظر إلى ما ترجح منها؛ كان من النوع الثاني من اختلاف التنوع، وهو اختلاف التمثيل للمعنى العام، وبين ذلك ابن تيمية بقوله: "فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثاني"^(٤).

ووجه إرجاعه إلى الصنف الثاني لمشابهته له من وجهين:

أحدهما: أن اللفظ غير منحصر في معنى واحد وإنما هو محتمل لكل المعاني الواردة فيه، فهو بمنزلة الاسم العام الذي لا ينحصر في مثال أو مثالين.

ثانيهما: أن هذه المعاني المتعددة ليس بينها تضاد واللفظة تحتملها جميعها، فهي بمثابة المثال للمعنى العام الذي لا ينافي دخول غيره من الأمثلة التي يشملها المعنى.

^(١) ينظر: مقدمة التفسير (ص ٥٠).

^(٢) ينظر: (قواعد الترجيح عند المفسرين) للدكتور: حسين الحري.

^(٣) شرح مقدمة التفسير، د. مساعد الطيار (ص ١١١).

^(٤) مقدمة التفسير (ص ٥١).

- فمثال المشترك الذي يمكن حمله على معنييه لفظ "الهميم" من قوله تعالى:

(فَشْرَبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ) (الواقعة: ٥٥) على قولين :

الأول: الإبل العطاش.

ورد ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك، وقتادة.

الثاني: الرَّمْلُ، ورد ذلك عن سفيان الثوري^(١).

فلفظ "الهميم" لما كان مشتركاً بين معنيين ليس بينهما تناف، كان شبيهاً بالعام الذي يُمثّل له بأمثلة ليس بينها تناف، فهذا لفظ مشترك صادق على أكثر من معنى، وذاك لفظ عام صادق على أكثر من مثال^(٢).

ومثال المتواطئ الذي يمكن حمله على أكثر من معنى لا تعارض بينها، قوله تعالى (هَلْ أَتَاكَ

حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) (الغاشية: ١). فقد اختلف السلف في المراد بالغاشية، على قولين:

الأول: الغاشية: من أسماء يوم القيامة، ورد عن ابن عباس، وقتادة.

الثاني: الغاشية: النار تغشى وجوه الكفرة، عن سعيد بن جبير^(٣).

فكل هذه الأقوال محتملة، ووصف الغاشية صادق عليها بالتساوي.

فشابه لفظ (الْغَاشِيَةِ) هنا المعنى العام في النوع الثاني، وشابهت الأقوال المذكورة في المراد

بـ (الْغَاشِيَةِ) الأمثلة التي يمثل بها للمعنى العام^(٤).

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا أن تعميم اللفظ المتواطئ على احتمالاته، يصحُّ ذلك بلا إشكال في المتواطئ الذي هو من قبيل الأوصاف التي حذف موصوفها؛ كالفجر والشفع والوتر

^(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٤٣/٢٢-٣٤٤).

^(٢) لا يعني هذا التشابه أن معنى المشترك هو معنى العام ولكن المراد التشابه في قبول معاني المشترك التي تحتملها الآية كما تقبل أفراد العام، وهذا القبول لا يعني أنها كلها على درجة واحدة من القوة والرححان بل فيها ما هو أرجح وأقوى من غيره، ولكن لا يلزم من رححانه وقوته رد ما سواه من المعاني الصحيحة المحتملة، فهذا وجه التشابه بين المشترك والعام وليس المراد مطلق التشابه بينهما. ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير، (ص ١٢٧).

^(٣) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٣٢٦/٢٤-٣٢٧).

^(٤) ومن الأمثلة في ذلك أيضاً: (سورة النبأ: ٢، النازعات: ١-٥، عبس: ٢٠، التكويز: ١٥-١٦، وغيرها).

وغيرها، فكل الخلاف الوارد على هذه الشاكلة من الألفاظ يجوز أن يقال فيها بتعميم الوصف، فيدخل فيها كل موصوفٍ مناسبٍ لها.

أما المتواطئ الذي من قبيل مفسر الضمير، ففي احتمال مشابهته للفظ العام إشكال؛ لأن

الضمير - في كثير من الأحيان - يراد به ذاتٌ واحدة لا غير، ففي قوله: (فَنَادَيْتُهَا مِنْ تَحْتِهَا

أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) (مریم: ٢٤) المنادي إما جبريل، وإما

عيسى، ولا يُتصوّر جواز إرادتهما معاً حتى يقال بمشابهته للعموم^(١).

فظهر مما سبق أن اللفظ - المشترك أو المتواطئ - إذا كان محتملاً لأكثر من معنى، والآية محتملة لها، صح إرجاعه للنوع الثاني وهو اختلاف التمثيل للمعنى العام.

وأما إن كان اللفظ محتملاً لأكثر من معنى، لكن أحدها هو المراد دون غيره، فهذا القسم لا يمكن إرجاعه للنوع الثاني، بل هو نوع مستقل بنفسه.

النوع الرابع:

ومن أنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع:

أن يُعبر عن المعنى بألفاظ متقاربة:

يقول ابن تيمية: "ومن الأقوال الموجودة عنهم - يقصد السلف - ويجعلها بعض الناس اختلافاً أن يعبروا عن المعاني بألفاظ متقاربة لا مترادفة^(٢)، فإن الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن: فإما نادر، أو معدوم، وقُلَّ أن يُعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريبٌ لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن^(٣)"^(٤).

(١) شرح مقدمة التفسير، د. مساعد الطيار (ص ١١٢-١١٤).

(٢) الترادف: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. البحر المحيط (٢/١٠٥)، وينظر الحصول (١/٣٤٧). وقيل: هو "ما كان مسماه واحداً وأسماءه كثيرة، وهو خلاف المشترك". التعريفات (١/٦٧).

(٣) يقول ابن عطية - في فصل بعنوان (نبذة مما قال العلماء في إعجاز القرآن) -: "وكتاب الله؛ لو نُزِعَتْ منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب في أن توجد أحسن منها = لم يوجد". المحرر الوجيز (١/٦١).

(٤) مقدمة في أصول التفسير (ص ٥١).

فابن تيمية يرى أن الترادف في اللغة قليل^(١) وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر أو معدوم، ولذلك لكون كل لفظ له معنى خاص به لا يشاركه فيه غيره، وقد يستعمل اللفظان للدلالة على معنى واحد، وهذا لا يعني ترادفهما بل لا بد من فرق بينهما وإن اشتركا في معنى عام يجمعهما^(٢).

-و من الأمثلة التي أوردها تفسير لفظ "تبسل" من قوله تعالى (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ فَ ت ف ؤ فَ كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) (الأنعام: ٧٠).

فقد أورد فيها معنيين فقال: "فإذا قال أحدهم "أن تبسل" أي: تُحبس. وقال الآخر: ترقهن، ونحو ذلك = لم يكن من اختلاف التضاد، وإن كان المحبوس قد يكون مرتهناً، وقد لا يكون، إذ هذا تقريب للمعنى"^(٣).

-ومن الأمثلة التي ذكرها أيضا قوله تعالى (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (الطور: ٩) فقال: فإذا قال القائل: إن المور الحركة؛ كان تقريبا؛ إذ المور حركة خفيفة سريعة. -ومثل ذلك الوحي فإذا قال: الوحي: الإعلام، أو قيل: (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) (النساء: ١٦٣) : أنزلنا إليك ،

-أو قيل: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) (الإسراء: ٤)، أي: أعلمنا، وأمثال ذلك، فهذا كله تقريب لا تحقيق.

فإن الوحي هو: إعلام سريع خفي، والقضاء إليهم أخص من الإعلام، فإن فيه إنزالاً إليهم وإيجاءً إليهم.

^(١) وهذا عليه جمهور العلماء من إثبات الترادف في اللغة. ينظر: إرشاد الفحول (ص ٩٨).

^(٢) والخلاف بين العلماء في مسألة الترادف مشهورة، وقد نصر كل فريق منهم قوله بأدلة، ليس هذا مجال بسطها، وقد بسط الكلام في هذه الظاهرة اللغوية في كثير من كتب اللغة، والأصول، فمن ذلك كتاب "الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى" للرماني، وكتاب "الفروق في اللغة" لأبي هلال العسكري، و"الترادف في اللغة" وهي رسالة علمية من العراق للباحث حاكم بن مالك الزيايدي، و"الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن" أ.د: محمد الشايع.

^(٣) مقدمة التفسير (ص ٥٣).

-ومن ذلك أيضا من قال: "لا ريب": لا شك، فهذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة.

وكذلك إذا قيل: ذلك الكتاب: هذا القرآن، فهذا تقريب؛ لأن المشار إليه، وإن كان واحداً، فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة، ولفظ الكتاب يتضمن من كونه مكتوباً مضموماً ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءاً مُظهِراً بادياً^(١).

فتفسير لفظة بلفظة لا يعني أنها مطابقة لها بتمام معناها، بل لابد من وجود فرق بين اللفظ المفسر واللفظ المفسر، لأن عملية التفسير إنما هي من باب تقريب المعنى لا تحقيقه.

فظهر من تقسيم شيخ الإسلام لاختلاف التنوع أنه أربعة أنواع:

١- أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

٢- أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال.

٣- أن يكون اللفظ محتملاً لأمرين، إما لأنه مشترك في اللغة، أو لأنه متواطئ.

٤- أن يعبروا عن المعنى بألفاظ متقاربة.

المسألة الرابعة: أسباب اختلاف التنوع:

ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- بعض أسباب الاختلاف، فقال: "والاختلاف قد يكون لخفاء الدليل، والذهول عنه، وقد يكون لعدم سماعه، وقد يكون للغلط في فهم النص، وقد يكون لاعتقاد معارض راجح..."^(٢).

وقد فصل هذه الأسباب في رسالته المعروفة "برفع الملام عن الأئمة الأعلام"، وغالب هذه الأسباب في الأحكام الفقهية.

أما أسباب اختلاف المفسرين، فقد أشار إليها بإشارات عابرة في رسالته "مقدمة في أصول التفسير"

(١) ينظر: مقدمة التفسير (ص ٥٢-٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٢٩٥).

فقال: "فإن التابعين وتابعيهم ومن بعدهم تذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً. فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه، أو نظيره ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادي"^(١).

فبين ابن تيمية - رحمه الله - أنه قد يقع الاختلاف بين السلف في تفسير الآية الواحدة فتتعدد عباراتهم، والآية تحملها كلها، لعدم التضاد بينها وإنما كان التنوع بينها لأسباب وقد أشار إلى بعضها وهي:

١- أن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه، وقد ذكر أمثلة كثيرة على التفسير باللازم ومن ذلك:

عند قوله تعالى (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ) (البقرة: ١٨٦) قال شيخ الإسلام: "فهذا يتناول نوعي الدعاء وبكل منهما فسرت الآية قيل: أعطيه إذا سألني وقيل: أثيبه إذا عبدني والقولان متلازمان"^(٢).

وقوله تعالى (وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) (الفلق: ٣) "فقد فسر "الغاسق" بالليل، كما فُسر بالقمر. فإن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فإن القمر آية الليل ونظائره كثيرة"^(٣).

٢- و بعضهم يعبر عن الشيء بنظيره^(٤):

(١) مقدمة التفسير ص ١٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢/١٥). ومن الأمثلة في ذلك أيضاً ينظر مجموع الفتاوى (١٥/١٠-١١، ١٢، ١٥). وتفسير سورة النور (ص ١٩٢).

(٤) النظر: في اللغة: هو المثل ينظر: لسان العرب، باب: (عدل) (١١/٤٣٠)، والذي يظهر من كلام ابن تيمية - والله أعلم - أن النظر هو المثل. ينظر: مجموع الفتاوى (٣/١٤٤).

فمن المفسرين من يفسر الشيء بما يشبهه من بعض الوجوه دون بعض، وإذا كان كذلك، فهو يدخل في تفسير اللفظ بما يقارب معناه. ومن الأمثلة في ذلك :

عند تفسير قوله تعالى: (مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا^ع) (البقرة: ٧١).

"عن قتادة (مُسَلَّمَةٌ^ع) يقول: لا عيب فيها، وكذا قال أبو العالية والربيع.

وقال مجاهد (مُسَلَّمَةٌ^ع) من الشية.

وقال عطاء الخراساني: (مُسَلَّمَةٌ^ع) القوائم والخلق.

(لَّا شِيَةَ فِيهَا^ع) قال مجاهد: لا بياض ولا سواد. وقال أبو العالية والربيع، والحسن وقتادة: ليس فيها بياض. وقال عطاء الخراساني: (لا شية فيها) قال: لوئها واحد بهيم. وروي عن عطية العوفي، ووهب بن منبه، وإسماعيل بن أبي خالد، نحو ذلك.

وقال السدي: (لا شية فيها) من بياض ولا سواد ولا حمرة، وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى^(١).

-وقوله تعالى: (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ^ع) (الأعراف: ٢٦).

قال عكرمة: يقال: هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة.

الإيمان. وقال زيد بن علي، والسُّدِّي، وقتادة، وابن جُرَيْج: (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ^ع)

وقال العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) العمل الصالح.

وعن ابن عباس: هو السميت الحسن في الوجه.

^(١) تفسير ابن كثير (٣٠٠/١).

وعن عُرْوَةَ بن الزبير^(١): (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) خشية الله

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: (لِبَاسُ التَّقْوَى) يتقي الله، فيواري عورته، فذاك لباس^(٢) التقوى وكل هذه متقاربة.

وأيضاً قوله تعالى: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) (النحل: ٥)

قال ابن عباس: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) أي: ثياب، والمنافع: ما تنتفعون به من الأطعمة والأشربة.

وفي رواية عنه قال: (دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) نسل كل دابة.

وقال مجاهد: (لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ) قال: لباس ينسج، ومنافع تُرْكَبُ، ولحم ولبن.

وقال قتادة: (دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ) يقول: لكم فيها لباس، ومنفعة.

^(٣) وكذا قال غير واحد من المفسرين، بألفاظ متقاربة.

وإذا نظرت في الأمثلة السابقة تجد أن أقوال المفسرين جاءت مختلفة، والسبب في ذلك أن كل مفسر عبّر عن اللفظ بنظيره أو مثيله، وعليه فالأقوال كلها متقاربة محتملة.

^(١) عروة بن الزبير بن العوام، الأسدي أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة وأحد علماء التابعين، روى عن أبيه وأمه وخالته عائشة وعلي، وروى عنه أولاده عثمان وعبد الله وهشام يحيى، قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث فقيه عالم ثبت مأمون، ومات وهو صائم سنة (٩٢هـ). ينظر: تقريب التهذيب (ص: ٣٨٩)، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (ص: ٢٥٥).

^(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٠٠-٤٠١).

^(٣) تفسير ابن كثير (٤/٥٥٨). ومن الأمثلة في ذلك قوله تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣)، وقوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا لَهُ) (سورة المائدة: ٤٨). وقوله تعالى (وَيَبْرُئُ الْمُعْتَظِلَةَ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) (سورة الحج: ٤٥). وقوله تعالى (ك ك ك ك ك) (الواقعة: ٨٩). وقوله تعالى (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) (سورة التكويد: ٤). وغيرها.

٣- ومن أسباب الاختلاف: أن يذكر بعض صفات المفسر أو بعض أنواعه:

في كثير من الأحيان تختلف أقوال المفسرين في تفسيرهم للآية، وإذا أمعنت النظر في أقوالهم المتعددة تجد أن بعضهم أشار إلى نوع من أنواع هذا اللفظ المفسر أو صفة من صفاته، وعليه فتكون كلها محتملة.

وقد بين ذلك ابن تيمية فقال: "...ثم قول من قال من السلف: هادي السموات والأرض، لا يمنع أن يكون في نفسه نوراً، فإن عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية صفات المسمى، بل قد يكونان متلازمين، ولا دخول لبقية الأنواع فيه، وهذا قررناه غير مرة في القواعد المتقدمة، ومن تدبره علم أن أكثر أقوال السلف في التفسير متفقة غير مختلفة"^(١).

هذه جملة من أسباب اختلاف السلف في التفسير.

وقد نبه ابن تيمية على أهمية اختلاف التنوع فقال: "وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين"^(٢).

هذا ما ذكره ابن تيمية، ولا شك أن له أثراً كبيراً في إرساء أسس هذا الموضوع الهام، وتوضيح كثير من جوانبه، حتى صار عمدة لمن بعده.

^(١) تفسير سورة النور، لابن تيمية (ص: ١٩٢).

^(٢) مقدمة التفسير (ص ٥٤).

المبحث الثاني :

منهج ابن كثير في عرض اختلاف التنوع:

يعتبر ابن كثير من المكثرين في نقل أقوال السلف في معنى الآية، وله في ذلك منهج متميزٌ فهو لا يكتفي - غالباً - بسرد الأقوال وإنما يناقشها فيختار أصحابها وأرجحها وأعمها، ومثال ذلك:

اختياره وترجيحه لأعم الأقوال وأشملها عند تفسير قوله تعالى (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) (القيامة: ٣٦). "قال السدي: يعني: لا يبعث.

وقال مجاهد، والشافعي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني لا يؤمر ولا ينهى. قال ابن كثير: والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منه في الدنيا، محشور إلى الله في الدار الآخرة"^(١).

وهذا فيه جمع الأقوال بعضها مع بعض واعتبارها جميعاً. وأحياناً يذكر أقوال العلماء بدون ترجيح:

كما جاء عند تفسير قوله تعالى (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا) (الأعراف: ٢٠٣). حيث أورد الأقوال في معنى الآية فقال: "عن ابن عباس في قوله تعالى: (قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا) يقول: لولا تلقيتها. وقال مرة أخرى: لولا أحدثتها فأنشأها.

عن مجاهد في قوله تعالى (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا) قال: لولا اقتضيتها، قالوا: تخرجها عن نفسك. وكذا قال قتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير.

وقال العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنه (لَوْلَا أُجْتَبِيَّتْهَا) يقول: تلقيتها من الله عز وجل.

(١) تفسير ابن كثير (٢٨٣/٨). وينظر (٤٠٥/٥-٤٠٦) عند قوله تعالى (هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) (الحج: ١٩).

أولاً: -بين أن الأقوال وإن تعددت في معنى الآية فإنها تحمل عليها إذا لم يكن بينها تنافٍ:

ومثاله:

١- عند قوله تعالى (أَمْ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لِمَنِ يُنَادِيهِمْ (سورة الرعد: ٢٩) قال ابن كثير: " قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس: فرح وقرّة عين. وقال عكرمة: نعم ما لهم. وقال الضحاك: غبطة لهم. وقال إبراهيم النخعي: خير لهم. وقال قتادة: هي كلمة عربية يقول الرجل: " طوبى لك"، أي: أصبت خيراً. وقال في رواية: " طوبى لهم " حسنى لهم... وهذه الأقوال شيء واحد لا منافاة بينها" (١).

٢- وقوله تعالى (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) (الواقعة: ١٠).

قال: " محمد بن كعب: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) : هم الأنبياء، عليهم السلام. وقال السدي: هم أهل عليين.

وعن ابن عباس: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) قال: يوشع بن نون، سبق إلى موسى، ومؤمن آل "يس"، سبق إلى عيسى، وعلي بن أبي طالب، سبق إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن سيرين: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) الذين صلوا للقبليتين.

وقال الحسن وقاتادة: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) أي: من كل أمة.

وقال الأوزاعي، عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ

﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾) ثم قال: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله.

وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما

أمروا، كما قال تعالى: (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن يَّسَّرَ بِهَا الْأَرْضَ وَأَعَدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران: ١٣٣)، وقال: (كَمْ مِّن رَّيْكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٥٥).

وَأَلَّا تُرِضَ (الحديد: ٢١)، فمن سابق إلى هذه في الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة"^(١).

٣- وقوله تعالى (وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ) (المدثر: ٤).

قال ابن كثير: "عن ابن عباس: قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدرّة.

عن ابن عباس في هذه الآية: (وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ) قال: من الإثم. وكذا قال إبراهيم النخعي. وقال

مجاهد: (وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ) قال: نفسك، ليس ثيابه. وفي رواية عنه: (وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ) عملك فأصلح، وكذا قال أبو رزين.

وقال عكرمة، والضحاك: لا تلبسها على معصية.

ثم قال بعد عرضه لأقوال السلف المختلفة: "وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب"^(٢).

ثانياً: التفسير باللازم: ومن أمثلته:

١- قوله تعالى (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) (الأعراف: ٨٣)

(مِنَ الْغَابِرِينَ) أي: الباقيين. ومنهم من فسر ذلك (مِنَ الْغَابِرِينَ) من الهالكين، وهو تفسير باللازم^(٣).

فيقال: هي من الغابرين أي الباقيين في العذاب، وهي من الغابرين: الذاهبين الهالكين.

٢- قوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكُرَنَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف: ٢٤)

قال ابن كثير: " قيل: معناه: وإذا نسيت الاستثناء، فاستثن عند ذكرك له. قاله أبو العالية، والحسن البصري.

^(١) تفسير ابن كثير (٥١٦/٧).

^(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٦٣/٨). ومن ذلك أيضا قوله تعالى (فَدَرُّهَا نُفْدِيرًا) (الإنسان: ١٦) وقوله تعالى (فَقَدِرْتِي

بِالْعُرْوَةِ ثَم) (البقرة: ٢٦٥) وغيرها.

^(٣) تفسير ابن كثير (٤٤٦/٣).

- وعن زرّ، قال: الغَيْبُ القرآن .

- وقال عطاء بن أبي رباح: من آمن بالله فقد آمن بالغيب.

وقال إسماعيل بن أبي خالد^(١): (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) قال: بغيب الإسلام.

وقال زيد بن أسلم: (يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) قال: بالقدر.

فكل هذه متقاربة في معنى واحد؛ لأن جميع هذه المذكورات من الغيب الذي يجب الإيمان به^(٢).

٢- وقوله تعالى (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا) (المائدة: ٤٨). فقد ذكر أنه روي عن ابن عباس أن معناه: مؤتمناً عليه، ورؤي عنه أيضاً: أن المهيمن: الأمين، وكذا روي عن عكرمة، وسعيد بن جبّير، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسدي، وابن زيد، نحو ذلك. وعن ابن عباس أيضاً: أنه بمعنى الشهيد، وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي.

وروي العوفي عن ابن عباس أيضاً أن معنى (وَمُهَيِّمًا) أي: حاكماً على ما قبله من الكتب. فبعد أن ساق ابن كثير هذه الأقوال قال: "وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجر: ٩)"^(٣).

^(١) إسماعيل بن أبي خالد واسمه هرمز، ويقال سعد البجلي الأحمسي مولاهم أبو عبد الله الكوفي. أحد الأعلام الحفاظ، رأى أنس بن مالك، وسلمة بن الأكوع، وكان حجة متقناً مكثرًا عالماً، قال أبو إسحاق السبيعي: إسماعيل شرب العلم شرباً، توفي سنة (١٤٥ هـ). ينظر: تهذيب الكمال (١/٢٢٧)، تذكرة الحفاظ (١/١١٥).

^(٢) تفسير ابن كثير (١/١٦٥-١٦٦).

^(٣) تفسير ابن كثير (٣/١٢٨).

فقد وفق ابن كثير بين هذه الأقوال بل إنه اعتبرها قولاً واحداً، لأنها كلها صحيحة، ولا تنافي بينها.

٣- قوله تعالى (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) (سورة الحج: ٤٥)

"(وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) قال عكرمة: يعني المبيّض بالحصص.

وروي عن علي بن أبي طالب، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، وأبي المليح، والضحاك، نحو ذلك.

وقال آخرون: هو المنيف المرتفع.

وقال آخرون: الشديد المنيع الحصين.

وكل هذه الأقوال متقاربة، ولا منافاة بينها، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه، ولا إحكامه ولا حصانته، عن حلول بأس الله بهم^(١).

٤- وقوله تعالى (ك ك ك ك) (الواقعة: ٨٩).

"أي: فلهم روح وريحان، وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت، كما تقدم في حديث البراء: أن ملائكة الرحمة تقول: "أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان"^(٢).

وعن ابن عباس: (ك) يقول: راحة وريحان، يقول: مستراحة.

وكذا قال مجاهد: إن الروح: الاستراحة.

وقال أبو حزر^(٣): الراحة من الدنيا. وقال سعيد بن جبير، والسدي: الروح: الفرح. وعن

مجاهد: (ك ك) : جنة ورحاء. وقال قتادة: فروح ورحمة . وقال ابن عباس، ومجاهد،

وسعيد بن جبير: (ك) : ورزق.

^(١) تفسير ابن كثير (٤٣٨/٥).

^(٢) وهو حديث طويل. أخرجه أبو داود في كتاب (السنة) باب (في المسألة في القبر وعذاب القبر) ح (٤٧٥٥) (٣٨٣/٤) (٤٧٥٥) (٣٨٣/٤) والإمام أحمد (٢٨٧/٤). و الحاكم في المستدرک (٩٣/١) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٥/١) رقم (٣٩٥) وصححه إسناده.

^(٣) يعقوب بن مجاهد القرشي أبو حزره المدني القاص مولى بني مخزوم، يقال كنيته أبو يوسف وأبو حزره لقب،

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقرباً حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، وجنة نعيم^(١).

٥- وقوله تعالى (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ) (سورة التكوير: ٤).

"قال مجاهد: (عُطِّلَتْ): تركت وسُيِّت. وقال أبي بن كعب، والضحاك: أهملها أهلها. وقال الربيع بن خثيم: لم تحلب ولم تُصَرَّ، تخلى منها أربابها. وقال الضحاك: تركت لا راعي لها.

والمعنى في هذا كله متقارب. والمقصود أن العشار من الإبل وهي: خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر واصلتها عُشراء. قد اشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها، بعد ما كانوا أرغب شيء فيها، بما دهمهم من الأمر العظيم المفضع الهائل، وهو أمر القيامة وانعقاد أسبابها، ووقوع مقدماتها.."^(٢).

روى عن سلمة بن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، وروى عنه يحيى بن سعيد الانصاري وغيره. قال أبو زرعة: لا بأس به وقال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. مات بالاسكندرية سنة خمسين ومائة أو سنة تسع وأربعين ومائة وكان يقص. ينظر: تهذيب الكمال (٣٢/٣٦١-٣٦٢)، وتهذيب التهذيب (١١/٣٤٦).

^(١) تفسير ابن كثير (٥٤٨/٧-٥٤٩).

^(٢) تفسير ابن كثير (٣٣٠/٨). وانظر أيضا من الأمثلة له: وقوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ...) البقرة: ٥٧، وقوله تعالى (مُسْلَمَةً لَّا شِيَةَ فِيهَا...) البقرة: ٧١، وقوله تعالى (وَأَحْطَطْ بِهِ خَطِيئَتَهُ...) البقرة: ٨١، وقوله تعالى (كَذَابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ...) آل عمران: ١١، قوله تعالى (... وَمُهَيْمِنًا ز). سورة المائدة: ٤٨، وقوله تعالى (فَ ثَفْ ثَفْ كَسَبَتْ) الأنعام: ٧٠، وقوله تعالى (بِ يَمِينِ الْمَيْتِ وَمُخْرِجِ الْمَيْتِ مِنَ الْحَيِّ) الأنعام: ٩٥، وقوله تعالى (... وَبِئْسَ الْتَقْوَى...) الأعراف: ٢٦، وقوله تعالى (... دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ...) النحل: ٥، وقوله تعالى (بِكِ كِ كِ الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...) الإسراء: ٦٢، وقوله تعالى (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) الإسراء: ٨٤، وقوله تعالى (... وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ) الأنبياء: ٩٠، وقوله (فَدَرُوهَا نَقِيرًا) سورة الإنسان: ١٦، وقوله (بِكِ كِ كِ) سورة التكوير: ١٧. وغيرها.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي حفل بها تفسيره، والتي وفقّ فيها بين أقوال السلف، تحاشياً من اطراح بعضها وربما يكون هو الحق، وابتعاداً عن تضيق معاني آيات القرآن الكريم، التي من الصعب الإحاطة بالمراد بها، فمعاني القرآن أشمل من أن يحدد المقصود بها ما لم يرد بذلك نص من كتاب أو سنة فيجب الوقوف عنده.

المبحث الثالث:

منهج الشاطبي في اختلاف التنوع.

لقد كان للشاطبي عناية بكتاب الله تفسيراً واستنباطاً، وإيضاحاً لما أشكل فهمه؛ ، مع توجيه لأقوال المفسرين تارة ونقد لها تارة أخرى.

وإن لم يكن له مؤلف مستقل في ذلك، لكنه ظاهر من خلال مؤلفاته التي حوت جملة من أقواله في التفسير و علوم القرآن^(١).

ومن أهم المسائل التي تطرق لها مسألة أسباب الاختلاف، فقد ذكر الشاطبي في كتابه "الموافقات" مبحثاً كاملاً في اختلاف التنوع، وجعله من قسم الخلاف الذي لا يعتد به، فقال: "من الخلاف ما لا يعتد به وهو ضربان:

أحدهما: ما كان من الأقوال خطأ مخالفاً لمقطع به في الشريعة.

والثاني: ما كان ظاهره الخلاف وليس في الحقيقة كذلك، وأكثر ما يقع ذلك في تفسير الكتاب والسنة؛ فتجد المفسرين ينقلون عن السلف في معاني ألفاظ الكتاب أقوالاً مختلفة في الظاهر، فإذا اعتبرتها وجدتها تتلاقى على العبارة كالمعنى الواحد، والأقوال إذا أمكن اجتماعها والقول بجميعها من غير إخلال. بمقصد القائل فلا يصح نقل الخلاف فيها عنه... " (٢).

أنواع اختلاف التنوع:

ذكر الشاطبي أنواعاً للخلاف الذي لا يعتد به ومنه ما يمكن أن يعبر عنه (باختلاف التنوع) ومن الأنواع التي ذكرها:

النوع الأول:

(١) استقرت الكتب والرسائل التي عنيت بالتفسير وعلوم القرآن عند الشاطبي، مثل: رسالة أقوال الشاطبي في التفسير جمع ودراسة، لمحمد بن عبد الله الضالع، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة في قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٧ هـ، ورسالة علوم القرآن عند الشاطبي جمع ودراسة، لعبد الله الرفاعي، وهي رسالة ماجستير بقسم القرآن وعلومه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٨ هـ، وكتاب علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات، لمحمد سالم أبو عاصي دار البصائر، مصر، وبجهد الدكتور: شايح بن عبده الأسمري، بعنوان: مع أبي اسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم وتفسيره.

(٢) "الموافقات" للشاطبي ٢١٠/٥.

"أن يذكر في النقل أشياء تتفق في المعنى، بحيث ترجع إلى معنى واحد؛ فيكون التفسير فيها على قول واحد، ويوهم نقلها على اختلاف اللفظ أنه خلاف محقق"^(١).
وقال في موضع آخر: "وقد يسمى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة"^(٢).
وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية حكاية لهذه الصورة، وإشارة إلى أنها من: اختلاف التنوع: أن يعبر كل واحد - من المفسرين - عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى. وذلك كما قيل في اسم السيف: الصارم والمهند. ومثاله أسماء الله الحسنى وأسماء رسوله - ﷺ - وأسماء القرآن^(٣).
ومثل له الشاطبي بتفسيرهم للسلوى فقال: "كما قالوا في السلوى: إنه طير يشبه السَّمَانِيَّ، وقيل: طير أحمر صفته كذا، وقيل: طير بالهند أكبر من العصفور"^(٤).
فهذه الأقوال كلها راجعة إلى مسمى واحد وهو الطير.
فتختلف عبارات المفسرين في التعبير عن المعنى المراد تفسيره، ولكنها تعود إلى معنى واحد، فهي متفقة من حيث دلالتها على المعنى، مختلفة من حيث أن كل وصف مغاير لمعنى الوصف الآخر.

النوع الثاني:

"أن يُذكر في التفسير عن النبي ﷺ في ذلك شيء، أو عن أحد من أصحابه أو غيرهم، ويكون ذلك المنقول بعض ما يشمله اللفظ، ثم يذكر غير ذلك القائل أشياء آخر مما يشمله اللفظ أيضاً، فينصّهما المفسرون على نصّهما، فيظن أنه خلاف"^(٥).

(١) الموافقات (٥/٢١١).

(٢) الاعتصام (٢/٢٩٤).

(٣) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (٣٨).

(٤) الموافقات (٥/٢١١).

(٥) الموافقات (٥/٢١١).

وهذه الصورة هي التي عبر عنها ابن تيمية بقوله:

الصنف الثاني - أي من اختلاف التنوع - أن يذكر كل منهم - أي السلف - من الاسم العام بعض أفراده أو أنواعه على سبيل التمثيل^(١).

ومثل له الشاطبي بالمنّ فقال: " كما نقلوا في المنّ أنه خبز رفاق، وقيل: زنجبيل، وقيل:

التّرنجبين، وقيل: شراب مزجوه بالماء؛ فهذا كله يشمل اللفظ؛ لأن الله منّ به عليهم،

ولذلك جاء في الحديث: " الكمأة من المنّ الذي أنزل الله على بني إسرائيل"^(٢)؛ فيكون المنّ

جُملة نَعَم، ذكر النَّاس منها آحاداً"^(٣).

فلاسم العام إذا كان له أكثر من صورة أو مثال وذكر أحد المفسرين مثلاً مما يشمل اللفظ

العام، فلا يعني هذا حصر معناه فيما مثل به، وإنما هو على سبيل التقريب والتمثيل لا على

سبيل التخصيص.

هذه هي مجمل الأنواع التي ذكرها الشاطبي.

أما أسباب الاختلاف:

فذكر الشاطبي جملة من أسباب الاختلاف فقال: فلنقل الخلاف هنا^(٤) أسباب^(٥):

أحدها: أن يُذكر أحد الأقوال على تفسير اللغة، ويُذكر الآخر على التفسير المعنوي، وفرقٌ

بين تقرير الإعراب وتفسير المعنى، وهما يرجعان إلى حكمٍ واحد؛ لأنّ النظر اللغوي راجع إلى

تقرير أصل الوضع، والآخر راجع إلى تقرير المعنى في الاستعمال؛ كما قال تعالى: (□ □)

(الواقعة: ٧٣)؛ أي: المسافرين^(٦)، وقيل: النازلين بالأرض القواء، وهي القفْرُ.

(١) مقدمة في أصول التفسير (٤٣).

(٢) سبق تخريجه صفحة (٧٨).

(٣) الموافقات للشاطبي (٢١١/٥).

(٤) أي: نقل الخلاف في مسألة لا خلاف فيها في الحقيقة يرجع إلى أسباب. [ينظر: الموافقات ٢١٠/٥].

(٥) ينظر الموافقات للشاطبي (٢١٠/٥-٢١٨).

(٦) قال به ابن عباس وقتادة والضحاك، ينظر: تفسير الطبري (٢٢/٣٥٦-٣٥٧).

وكذلك قوله: (كُتِبَ لِي) (الرعد: ٣١)؛ أي: داهية تفجؤهم، وقيل؛ سرية من سرايا رسول الله ﷺ^(١)، وأشبهه ذلك^(٢).

فهذه الأقوال غير متعارضة فمن فسر القواء بالقفر فهذا بناء على أصل معنى اللفظة في لغة العرب، ومن فسره بالمسافرين لأن اللفظ صار يستعمل بهذا المعنى، ومثل هذا لا يعد خلافاً فالذين يتزلون الأرض القواء هم المسافرون. وكذا في لفظ "القارعة" فالأولون فسروا اللفظ حسب أصل وضعه، والآخرين فسروه بمعنى مستعمل فيه.

فإذا ورد في تفسير لفظ، تفسيرٌ على اللفظ وتفسيرٌ على المعنى، فإن هذا لا يعني وجود التعارض بينهما، وأن وجود الاختلاف بينهما إنما هو بسبب نظر المفسر، فالأول نظر إلى أصل الوضع، والثاني نظر إلى المعنى المراد دون التقيّد بتفسير الألفاظ على وضعها في الأصل. والثاني: "يختص بالآحاد في خاصة أنفسهم؛ كاختلاف الأقوال بالنسبة إلى الإمام الواحد، بناء على تغير الاجتهاد والرجوع عما أفتى به إلى خلافه؛ فمثل هذا لا يصح أن يعتد به خلافاً في المسألة، لأن رجوع الإمام عن القول الأول إلى القول الثاني أطراحٌ منه للأول ونسخٌ له بالثاني، وفي هذا من بعض المتأخرين تنازعٌ، والحق فيه ما ذكر أولاً..... فلا ينبغي أن يحكى مثل هذا في مسائل الخلاف"^(٣).

فاختلاف المفسر مع نفسه، بأن يكون قد ذكر رأياً ثم عدل عنه بعد البحث والنظر إلى رأى آخر، فينقل على أنه خلاف وهو الحقيقة ليس كذلك؛ لأن المستقر من رأيه هو الأخير فقط تماماً كالنسخ في الأحكام.

والثالث: "أن يقع تفسير الآية أو الحديث من المفسر الواحد على أوجه من الاحتمالات، ويبني على كل احتمال ما يليق به من غير أن يذكر خلافاً في الترجيح، بل على توسيع

(١) ومن قال بهذا القول من السلف: ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ينظر: تفسير

الطبري، تحقيق: شاکر (١٦/٤٥٦-٤٥٩).

(٢) الموافقات (٥/٢١٢).

(٣) الموافقات (٥/٢١٤).

المعاني خاصة؛ فهذا ليس بمستقر خلافاً؛ إذ الخلاف مبني على التزام كل قائل احتمالاً يعضده دليل يرجحه على غيره من الاحتمالات حتى يبني عليه وليس الكلام في مثل هذا"^(١).

لأنه إذا تعددت الأقوال في تفسير الآية عن المفسر الواحد فلا يعني هذا أنها متضادة، والسبب في تعددها هو سعة معنى اللفظ؛ وعليه ذكر المفسر كل المعاني المحتملة لها.

والرابع: "أن يقع الخلاف في تنزيل المعنى الواحد؛ فيحمله قومٌ على المجاز مثلاً وقوم على الحقيقة، والمطلوب أمر واحد؛ كما يقع لأرباب التفسير كثيراً في نحو قوله (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَمِيعًا كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ) (يونس: ٣١)؛ فمنهم من يحمل الحياة والموت على حقائقهما، ومنهم من يحملهما على المجاز، ولا فرق في تحصيل المعنى بينهما.. ومثل ذلك قوله: (فَقِيلَ) (القلم: ٢٠)؛ فقيل: كالنهار بيضاء لا شيء فيها، وقيل: كالليل سوداء لا شيء فيها؛ فالمقصود شيء واحد وإن شُبّه بالمتضادين الذين لا يتلاقيان"^(٢).

وقال في موضع آخر: "وقد يقع اللفظ الواحد للمعاني الكثيرة"^(٣). وهو ما يسمى بالمشترك. ومثل هذا لا يعد خلافاً يعتد به لاتفاقهم على المقصود. فيتفق المفسرون على أصل معنى واحد، ثم يختلفون في كيفية دلالة الآية على هذا المعنى فيحمله بعضهم دلالة الآية على هذا المعنى بطريق المجاز، بينما يحمل غيرهم ذلك على الحقيقة. فقد ذكر المفسرون في معنى قوله تعالى (هُم مَعَهُ) (آل عمران: ٢٧) أقوالاً^(٤) كلها تعود إلى أصل المعنى وهو قدرة الله عز وجل على إخراج الحي من الميت والميت من الحي.

وكذا في اللفظ المشترك فيحمله بعض المفسرين على أحد معنييه ويحمله البعض على المعنى الآخر. فيظن أن ذلك خلافٌ وهو في الحقيقة ليس كذلك لأنها تعود إلى معنى واحد، وقد مثل الشاطبي له بلفظ "الصريم" الذي هو مشترك بين بياض النهار وسواد الليل.

(١) الموافقات (٥/٢١٥).

(٢) الموافقات (٥/٢١٥).

(٣) الاعتصام (٢/٢٩٤).

(٤) ينظر: المحرر الوجيز (٢/١٨٩).

والخامس: "الخلافاً في مجرد التعبير عن المعنى المقصود وهو متحد؛ كما اختلفوا في الخبر: هل هو منقسم إلى صدق وكذب خاصة، أم ثمَّ قسم ثالث ليس بصدق ولا كذب؟ فهذا خلافاً في عبارة، والمعنى متفق عليه"^(١).
ومثل هذا ما ذكره ابن تيمية في التعبير عن المعنى بالألفاظ متقاربة. فتختلف أقوال المفسرين لكن المعنى واحد والألفاظ متقاربة.

هذه مجمل الأسباب التي ذكرها الشاطبي مما له تعلق بالتفسير. ومما يدل على استعمال الشاطبي لهذه القاعدة - وهي اختلاف التنوع -، بيانه: بأن الأقوال الواردة في تفسير بعض الآيات ليست من الخلاف في شيء؛ إما لكون لفظ الآية يشملها، أو لكونها ترجع إلى معنى واحد، أو لاختلاف جهة التفسير ونحو ذلك. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

١- قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي - في قوله تعالى: (ق ق ق ج ج) (الفاتحة: ٧):
"فالمغضوب عليهم هم اليهود؛ لأنهم كفروا بعد معرفتهم نبوة محمد ﷺ.... والضالون هم النصارى؛ لأنهم ضلوا في الحجّة في عيسى الكليلي، وعلى هذا التفسير أكثر المفسرين"^(٢)، وهو مروى عن النبي ﷺ^(٣).

و يلحق بهم في الضلال المشركون الذين أشركوا مع الله إلهاً غيره؛ لأنّه قد جاء في أثناء القرآن ما يدل على ذلك؛ ولأنّ لفظ القرآن في قوله: (ج ج) يعمهم وغيرهم، فكل من ضل عن سواء السبيل داخل فيه.

(١) الموافقات (٥/٢١٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١/١٨٥) وما بعدها.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، ح (٢٩٥٤)، (٥/٢٠٢)، (٢٠٣) والإمام أحمد في المسند (٤/٣٧٨، ٣٧٩)، وابن حبان (٦/٧٢٠٦) من حديث عدي بن حاتم مطولاً ومختصراً. والحديث صححه الألباني ينظر: سنن الترمذي (٥/٢٠٣).

ولا يبعد أن يقال: إن (ج ج) يدخل فيه كل من ضل عن الصراط المستقيم، كان من هذه الأمة أو لا^(١).

فقد جعل لفظ الضالين لفظاً عاماً يدخل فيه كل من اتصف بتلك الصفة.

٢- وفي قوله تعالى: (ج ج ي د ت ت ث) (الأنعام: ١٥٣). عام في كل ضال؛ كان ضلاله كضلال أهل الشرك والنفاق، أو كضلال الفرق المعدودة في الملة الإسلامية، وهو أبلغ وأعلى في قصد حصر أهل الضلال، وهو اللائق بكلية فاتحة الكتاب^(٢) والسبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته محمد ﷺ^(٣) " (٤).

٣- وقال - رحمه الله تعالى، في قوله تعالى: (ك ك گ گ ن ن ط) (البقرة: ٢٧٣) "فوصفهم الله تعالى بأوصاف، منها: أنهم أحصروا في سبيل الله، أي: منعوا وحبسوا حين قصدوا الجهاد مع نبيه ﷺ، كأن العذر أحصرهم، فلا يستطيعون ضرباً في الأرض؛ لاتخاذ المسكن، ولا للمعاش؛ لأن العدو قد كان أحاط بالمدينة، فلا هم يقدرون على الجهاد حتى يكسبوا من غنائمه، ولا هم يتفرغون للتجارة أو غيرها لخوفهم من الكفار؛ ولضعفهم في أول الأمر، فلم يجدوا سبيلاً للكسب أصلاً.

وقد قيل: إن قوله تعالى: (ن ن ط ط ه ه) (البقرة: ٢٧٣) أنهم قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ فصاروا زَمَنِي^(٥).

(١) الاعتصام (١/١٣٩-١٤٠).

(٢) فاتحة الكتاب: اسم من أسماء سورة الفاتحة؛ لقوله ﷺ: « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ». [الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر، (١/٢٦٣)، ح (٧٢٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، (١/٢٩٥)، ح (٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت ﷺ].

(٣) السبع المثاني والقرآن العظيم: اسم من أسماء سورة الفاتحة؛ لقوله ﷺ: « الحمد لله رب العالمين: هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ». .

[الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، (٤/١٦٢٣)، ح (٤٢٠٤) من حديث أبي سعيد بن المَعْلَى ﷺ].

(٤) الاعتصام (١/١٤٠).

(٥) الاعتصام (١/٢٠٣).

فقال جماعة : إنه كان تحريماً لأم ولده مارية القبطية ؛ بناءً على أن الآية نزلت في شأنها ، وممن قال به : الحسن^(١)، وقتادة^(٢)، والشعبي^(٣)، ونافع مولى ابن عمر^(٤).

أو كان تحريماً لعسل زينب، وهو قول عطاء^(٥)، وعبد الله بن عتبة^(٦)....

ويمكن أن يكون السبب شرب العسل، وهو الذي وقع في البخاري^(٧)، من طريق هشام^(٨)، عن ابن جريج^(٩)؛ قال فيه: «شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود

(١) ذكره عن الحسن: الماوردي في تفسيره ٣٨/٦، ٣٩، وابن الجوزي في تفسيره ٣٠٣/٨

(٢) أخرجه عن قتادة: ابن جرير في تفسيره ٨٤/٢٣، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٨/٦، ٣٩، وابن الجوزي في تفسيره ٣٠٣/٨.

(٣) أخرجه عن الشعبي: ابن جرير في تفسيره ٨٤/٢٣، وذكره الماوردي في تفسيره ٣٨/٦، ٣٩، وابن الجوزي في تفسيره ٣٠٣/٨.

والشعبي: هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الكوفي، كان حافظاً عالماً فقيهاً، مات بعد المائة [ينظر: تهذيب التهذيب ٥/٥٧-٦٠، تقريب التهذيب ص ٢٨٧].

(٤) الذي يظهر: أن القائل هو ابن عمر، وأما نافع فقد روى عنه هذا القول، كما ذكره ابن كثير في تفسيره ١٥٩/٨ مسنداً إلى ابن عمر، نقلاً عن الهيثم بن كليب في مسنده، وانظر: الدر المنثور ٨/٢١٦.

ونافع: هو أبو عبد الله نافع المدني، مولى ابن عمر، كان من أئمة التابعين، عالماً فقيهاً محدثاً، توفي سنة ١١٧هـ، وقيل غير ذلك. [ينظر: تهذيب التهذيب ١٠/٣٦٨-٣٧٠، تقريب التهذيب ص ٥٥٩].

(٥) قول عطاء: لم أجد من نسبه إليه، سوى أن عطاء هو أحد رواة حديث عائشة في قصة عسل زينب بنت جحش - رضي الله عنها- [ينظر: صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب: لم تحرم ما أحل الله لك، ح(٤٩٦٦)، (٢٠١٦/٥)]. والمراد بعطاء - أحد رواة الحديث - هو عطاء بن أبي رباح [انظر: فتح الباري ٩/٣٧٧].

(٦) قول عبد الله بن عتبة: عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢١٤/٨) إلى ابن سعد وعبد بن حميد. وعبد الله بن عتبة: إما أنه عبد الله بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وإما أنه عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، توفي سنة ٧٣هـ، وقيل غير ذلك، وكلاهما من أهل العلم [انظر: تهذيب التهذيب ٥/٢٧١، ٢٧٢].

(٧) في البخاري: أي في صحيح البخاري.

(٨) هشام: هو أبو عبد الرحمن هشام بن يوسف الصنعائي، قاضي صنعاء، توفي سنة ١٩٧هـ [ينظر: تهذيب التهذيب ١١/٥١، ٥٢، تقريب التهذيب ص ٥٧٣].

(٩) ابن جريج: هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم، المكي، توفي سنة ١٥٠هـ، وقيل غير ذلك. [ينظر: تهذيب التهذيب ٦/٣٥٧-٣٦٠، تقريب التهذيب ص ٣٦٣].

حيث تأولوا عليه أنه إله ، أو أنه ابن الله ، أو أنه ثالث ثلاثة بأوجه متشابهة ، وتركوا ما هو الواضح في عبوديته، حسبما نقله أهل السير^(١).

ثم تأوله العلماء من السلف الصالح على قضايا دخل أصحابها تحت حكم اللفظ؛ كالخوارج ؛ فهي ظاهرة في العموم ... " ^(٢).

وقال في موضع آخر: " قال القاضي إسماعيل^(٣) في قوله تعالى (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِهِمْ فَبِمَا ظَنَّنَا عَنِ آلِ عِمْرَانَ إِذْ ذَكَرُوا آلَ مَرْيَمَ إِذِ انبَاؤُنَّ أَنَّهُنَّ كَانُوا مِنكُم مِّن قَوْمٍ عَادُوا الظُّلُمَٰتِ) (الانعام: ١٥٩) بعدما حكى أنها نزلت في الخوارج وكأن القائل بالتخصيص — والله أعلم — لم يقل به بالقصد الأول بل أتى بمثال مما تتضمنه الآية ، كالمثال المذكور فإنه موافق لما كان مشتهرا في ذلك الزمان فهو أولى ما يمثل به ويبقى ما عداه مسكوتا عن ذكره عند القائل به، ولو سئل عن العموم لقال به، وهكذا كل ما تقدم من الأقوال الخاصة ببعض أهل البدع إنما تحصل على التفسير بحسب الحاجة، ألا ترى أن الآية الأولى من سورة آل عمران إنما نزلت في قصة نصارى نجران ؟ ثم نزلت على الخوارج حسبما تقدم إلى غير ذلك مما يذكر في التفسير، — إنما يحملون على ما يشمله الموضع بحسب الحاجة الحاضرة لا بحسب ما يقتضيه اللفظ لغة، وهكذا ينبغي أن تفهم أقوال المفسرين المتقدمين وهو الأولى لمناصبهم في العلم ومراتبهم في فهم الكتاب والسنة. ولهذا المعنى تقرير في غير هذا الموضع" ^(٤).

فبين الشاطبي أن من قال: إن الآية نزلت في الخوارج فهو من باب التفسير بالمثال ولا ينبغي هذا أنها نزلت في غيرهم.

(١) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام(٣/٨٣-٨٤).

(٢) الاعتصام(١/٥٦).

(٣) هو الإمام أبو اسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي القاضي شيخ المالكية صاحب التصانيف له كتاب أحكام القرآن، وكتاب الصلاة على النبي ﷺ وغيرهما توفي سنة(٢٨٢هـ) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي(٦/٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء(٣/٣٣٩).

(٤) الاعتصام(١/١٠٣).

وهكذا إذا تعددت أسباب النزول في الآية الواحدة فلا يعني هذا التضاد بينها، وإنما يكون كل سبب بمثابة المثال للاسم العام، ومثله لو تعددت أقوال المفسرين في تفسيرهم للفظ عام فلا يحكم على أقوالهم وإن اختلفت بالتضاد، لأن القرآن معصوم من ذلك، وقد نفى الشاطبي عن القرآن الاختلاف الذي هو بمعنى التضاد والتناقض فقال: " الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر الخلاف ، كما أنها في أصولها كذلك ، ولا يصلح فيها غير ذلك ، والدليل عليه أمور :

أحدها : أدلة القرآن ، من ذلك قوله تعالى : (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَمِيعًا مَّاءً مَّاءً مَّاءً) (النساء: ٨٢)؛ فنفى أن يقع فيه الاختلاف البتة ، ولو كان فيه ما يقتضي قولين مختلفين لم يصدق عليه هذا الكلام على حال " (١).

وقال - في موضع آخر - : " الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن مبرءاً عن الاختلاف والتضاد ؛ ليحصل فيه كمال التدبر والاعتبار ، فقال سبحانه وتعالى : (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَمِيعًا مَّاءً مَّاءً مَّاءً) (النساء: ٨٢)؛ فدل معنى الآية على أنه بريء عن الاختلاف ؛ فهو يُصدَّق بعضه بعضاً ، من جهة اللفظ ومن جهة المعنى .

فأما من جهة اللفظ ؛ فإن الفصاحة فيه مُتواترة مطردة ، بخلاف كلام المخلوق ؛ فإنك تراه إلى الاختلاف ما هو ، فيأتي بالفصل من الكلام الجزل الفصيح ، فلا يكاد يجتمه إلا وقد عرض له في أثناءه ما يغض عليه من منصب فصاحته ، وهكذا تجد القصيدة الواحدة ، منها ما يكون على نسق الفصاحة اللاتقة ، ومنها ما لا يكون كذلك .

وأما جهة المعنى ؛ فإن معاني القرآن على كثرتها أو على تكرارها بحسب مقتضيات الأحوال على حفظ وبلوغ غاية في إيصالها إلى غايتها ، من غير إحلال بشيء منها ، ولا تضاد ، ولا تعارض ، على وجه لا سبيل إلى البشر أن يدانوه ، ولذلك لما سمعه أهل البلاغة الأولى والفصاحة الأصيلة - وهم العرب - ؛ لم يعارضوه ، ولم يغيروا في وجه إعجازه بشيء مما نفى الله تعالى عنه ، وهم أحرص ما كانوا على الاعتراض فيه والغض من جانبه ؛ ثم لما أسلموا

(١) الموافقات (٥/٥٩، ٦٠).

وعاينوا معانيه وتفكروا في غرائبه ؛ لم يزداهم البحث إلا بصيرة في أنه لا اختلاف فيه ولا تعارض ، والذي نقل من ذلك يسير ، توقّفوا فيه توقف المسترشد ، حتى يرشدوا إلى وجه الصواب ، أو توقف المثبت في الطريق " (١).

هذا مجمل ما ذكر الشاطبي عن الاختلاف في التفسير.

(١) الاعتصام (٢/٣٠٧).

المبحث الرابع:

منهج ابن عثيمين في اختلاف التنوع.

تختلف مناهج العلماء عند تفسير القرآن من جهة إيراد الأقوال الواردة في الآية، فبعضهم يقتصر على قول واحد ويترك ما سواه، ومنهم من يذكر أكثر من قول، وهؤلاء أيضاً مختلفون؛ فمنهم من يوردها بدون مناقشة وإنما غايته جمع ما قيل في الآية، ومنهم من يعرضها مع المناقشة والاستدلال.

والناظر في تفسير ابن عثيمين رحمه الله - خاصة تفسيره لأول القرآن، وتعليقه على تفسير الجلالين - يرى شخصيته البارزة في عرض الأقوال، وذكر أدلتها، واختيار الراجح منها، مع بيان وجه رجحانه في الأعم الأغلب فيما يعرضه من أقوال، وهذه الميزة هي التي جعلت للشيخ تلك المكانة العلمية التي حظي بها، ومن أهم ملامح منهجه في إيراد الأقوال ما يلي:

- ١- يذكر الأقوال غير منسوبة إلى قائلها في الأعم الأغلب^(١).
- ٢- أنه من المقلين من نقل أقوال السلف، مع أهمية تفسيرهم وتقرير الشيخ له^(٢)، ومع هذا فقد نقل الشيخ عن جملة من الصحابة والتابعين.
- ٣- عند ذكره للأقوال التفسيرية التي قيلت في الآية يحرص على بيان نوع الاختلاف الوارد فيها، فإن كان من قبيل اختلاف التنوع أشار إلى ذلك وبيّن احتمال الآية لكل ما قيل فيها بلا تضاد إعمالاً للقاعدة التفسيرية وهي: حمل الآية على كل معانيها التي تحملها بلا تضاد^(٣).

(١) ينظر: تفسير سورة البقرة آية (١١٣) (١/٣٧٣).

(٢) ينظر: أصول في التفسير (ص ٣١) ما بعدها، وتفسير سورة البقرة (٣/٣٥)، والقول المفيد (١/٣٧٤).

(٣) ينظر: جهود ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، لـ د. أحمد البريدي، ص (٥٦٣).

فقرر ابن عثيمين رحمه الله "أن النَّصَّ من الكتاب، والسنة إذا كان يَحْتَمَلُ معنيين لا منافاة بينهما، ولا يترجحُ أحدهما على الآخر فإنه يُحْمَلُ على المعنيين جميعاً^(١)؛ لأنه أعم في المعنى؛ وهذا من سعة كلام الله عز وجل، وكلام رسوله ﷺ وشمول معناهما؛ وهذه قاعدة مهمة ينبغي أن يحتفظَ بها الإنسان"^(٢).

وقد استعمل هذه القاعدة في تفسيره، ومن أمثلة ذلك:

– عند تفسيره لقوله تعالى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) (النساء: ٥)

قال: "قوله تعالى "أموالكم" أضاف الأموال إلينا، فاختلف العلماء: هل المعنى لا تؤتوا السفهاء أموالكم الخاصة بكم؛ لأنهم سوف يُضيعونها بغير فائدة، فتفوت عليكم، وتفوت عليهم. وقال بعض العلماء: بل المرادُ بذلك أموالهم هم، لكن أضافه إلينا من أجل الولاية، فكأننا بولايتنا على هذا المال نملك هذا المال.

والآية صالحة للوجهين، ومن قواعد التفسير: أن الآية إذا كانت صالحة للوجهين لا يتنافيان فإنها تُحْمَلُ عليهما"^(٣).

– ومثله قوله تعالى (كُفَّ عَن يَدَيْهِ وَهُمَّ صَغْرُونَ) (التوبة: ٢٩).

قال: "وهل المعنى عن قوة؟ أو يداً بيداً؟ أو الجميع؟

^(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية (٣١٩/١)، أصول في التفسير، لابن عثيمين (ص ٣٤)، تفسير سورة النساء (ص ٣٢)، تفسير جزء عم (٢٢٠، ٩٠)، القول المفيد (١١٧/٢)، الشرح الممتع (١٤٩/٢) و (٧٣/٨)، شرح مقدمة التفسير (ص ٥٨).

^(٢) تفسير سورة البقرة (٣٧٣/١).

^(٣) تفسير سورة النساء (ص ٣٢).

الجواب: الجميع؛ لأن لدينا قاعدة في التفسير وهي: أنه متى احتملت الآية معنيين لا يتنافيان وجب حملها عليهما جميعاً؛ لأن ذلك أعم، وكلما عمت دلالة الآية كان أولى، فنقول عن يد: أي يعطونها بأيديهم.

الثاني: عن يد أي: عن قوة أي أننا نظهر لهم القوة، وأنا أعلى منهم^(١).

- وأيضاً قوله تعالى (وَالْقَمَرَ إِذَا پ پ) (الشمس: ٢).

قال ابن عثيمين: "قيل: إذا تلاها في السَّيْرِ، وقيل: إذا تلاها في الإضاءة، ومادامت الآية تَحْتَمَلُ هذا وهذا فإن القاعدة في علم التفسير أن الآية إذا احتملت مَعْنَيْنِ لا تعارضَ بينهما وجب الأخذ بهما جميعاً، لأن الأخذ بالمعنيين جميعاً أوسع للمعنى"^(٢).

وهذه القاعدة من القواعد التي يحتاجها المفسر كثيراً لأهميتها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن أشار إلى هذه القاعدة: "فتأمل، فإنه موضوعٌ عظيم النفع، وقل ما يُفْطِنُ له، وأكثر آيات القرآن دالةٌ على معنيين فصاعداً فهي من هذا القبيل"^(٣).

والناظر في كتب التفسير يجد كثرة الأقوال فيها، وإعمال هذه القاعدة يُقربُ لك الخلاف، فإن أكثر الخلاف المذكور بين المفسرين راجعٌ إلى اختلاف التنوع، وللشيخ ابن عثيمين تقسيم لاختلاف التنوع والتضاد، اعتمد فيه على اللفظ والمعنى، وهو ثلاثة أقسام:

(١) الشرح الممتع (٧٣/٨).

(٢) تفسير جزء عم (ص ٢٢٠). ونظائر هذه الأمثلة كثيرة انظر: تفسير سورة البقرة (٨٢/١) ٣٧٣، و(٢٦/٢)، ٢٢٣، ٣٦٥، ٤٤٣، و(٢٨/٣)، ٣١٣، ٣٤٠، تفسير سورة الكهف ص (٩، ١٤٠، ١٤١)، وتفسير جزء عم (ص ٩٠)، و الشرح الممتع (١٤٩/٢)، وشرح ابن عثيمين لمقدمة التفسير (ص ٥٥)، والقول المفيد شرح كتاب التوحيد (١٦١، ٣٠٦/٢).

(٣) مقدمة في أصول التفسير (ص ٧١).

القسم الأول : اختلاف في اللفظ دون المعنى ، فهذا لا تأثير له في معنى الآية ،
مثاله قوله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) (الإسراء: ٢٣) قال ابن عباس :
قضي : أمر ، وقال مجاهد : وصي ، وقال الربيع بن أنس : أوجب ^(١) ، وهذه التفسيرات
معناها واحد ، أو متقارب فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية .

القسم الثاني : اختلاف في اللفظ والمعنى ، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما ،
فتحمل الآية عليهما ، وتفسر بهما ، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أن كل واحد من
القولين ذكر على وجه التمثيل ، لما تعنيه الآية أو التنويع ، مثاله قوله تعالى : (وَأَتْلُ

عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ
الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)
(الأعراف: ١٧٥-١٧٦) قال ابن مسعود : هو رجل من بني إسرائيل ، وعن ابن عباس أنه :
رجل من أهل اليمن ، وقيل : رجل من أهل البلقاء ^(٢) .

والجمع بين هذه الأقوال: أن تُحمل الآية عليها كلها، لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون
كل قول ذكر على وجه التمثيل .

ومثال آخر قوله تعالى (وَكَأْسًا دِهَاقًا) (النبا: ٣٤) قال ابن عباس : دهاقاً مملوءة ، وقال مجاهد :
متتابعة ، وقال عكرمة : صافية ^(٣) .

ولا منافاة بين هذه الأقوال، والآية تحتملها فتحمل عليها جميعاً ويكون كل قولٍ لنوعٍ من
المعنى .

^(١) ينظر: تفسير الطبري (١٤/٥٤٢-٥٤٣-٥٤٤).

^(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٥٠٧).

^(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/٣٠٨).

القسم الثالث : اختلاف في اللفظ والمعنى ، والآية لا تحمل المعنيين معا للتضاد بينهما ، فتحمل الآية على الأرجح منهما بدلالة السياق أو غيره .

مثال ذلك : قوله تعالى : (إِنَّمَا حَرَّمَ كَ كَ كَ كَ كَ كَ كَ لِيُغَيِّرَ اللَّهُ ۖ فَمَنْ أُضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾) (البقرة: ١٧٣) قال ابن عباس : "غير باغ في الميتة ولا عاد من أكله" ، وقيل : غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره^(١) ، والأرجح الأول ، لأنه لا دليل في الآية على الثاني ، ولأن المقصود بحل ما ذكر دفع الضرورة ، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام ، وفي حال السفر المحرم وغير ذلك .

ومثال آخر قوله تعالى : (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ ۗ) (البقرة: ٢٣٧) قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذي بيده عقدة النكاح : هو الزوج ، وقال ابن عباس: هو الولي ، والراجح الأول لدلالة المعنى عليه ، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي ﷺ .^(٢)

والذي يندرج تحت اختلاف التنوع القسم الأول والثاني ، فعبارات المفسرين قد تختلف بسبب أن بعضهم نظر إلى معنى الكلمة لا المعنى المراد بالآية، وهو الذي اهتمت به كتب معاني القرآن وغيره، وبعضهم نظر إلى المراد بالآية. وهذا النوع من الاختلاف إذا تأملت الأقوال فيه تجد أنها متفقة.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٨٢/١).

(٢) أصول في التفسير (ص ٣٤)

وقد بيّن ابن عثيمين رحمه الله ذلك معلقاً على تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - لقوله تعالى (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٢٢). بأن الأنداد هي الشرك^(١): "قوله: هو الشرك، هذا تفسيرٌ بالمراد؛ لأن التفسير تفسيران: ١- تفسيرٌ بالمراد.

٢- تفسيرٌ بالمعنى، وهو الذي يُسمى تفسير الكلمات. فعندنا الآن وجهان للتفسير، أحدهما: التفسير اللفظي، وهو تفسير الكلمات، وهذا يُقال فيه: معناه كذا وكذا، والثاني: التفسير بالمراد، فيقال: المراد بكذا كذا، والأخير هو المراد. فإذا قلنا: الأنداد: الأشباه والنظراء، فهو تفسير بالمعنى، وإذا قلنا: الأنداد: الشركاء أو الشرك، فهو تفسيرٌ بالمراد، والمعنى، يقول ﷺ: "الأنداد: هو الشرك"، فإذا ندّد الشرك المشرك لله سبحانه وتعالى فيما يختصُّ به؛ أو فيما يجبُ له"^(٢).

وعند تفسيره لقوله تعالى: (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ) (النساء: ١٤٠)

قال: "قوله تعالى: (فِي الْكُتُبِ) أي في القرآن؛ وإذا فسّرنا الكتاب بالقرآن فهذا تفسيرٌ بالمراد، وإذا فسّرنا الكتاب بالمشكوب فهذا تفسيرٌ باللفظ؛ فالتفسير باللفظ هو تفسير اللفظ بما يوافق اشتقاقه، والتفسير بالمراد هو الذي يفسّر اللفظ بما أُريدَ به بقطع النظر عن الاشتقاق"^(٣).

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٥).

(٢) القول المفيد (٢/٣٢١).

(٣) تفسير سورة النساء (٧٦٣). وانظر: شرح مقدمة التفسير، لابن عثيمين ص (٢٠) وما بعدها.

وقد اضطربت عبارة الشيخ رحمه الله في ذكر هذين النوعين؛ وإن كان مقصوده واضحاً، فتجده أطلق على التفسير اللفظي: تفسيراً بالمعنى، مع أن التفسير اللفظي يختلف عن التفسير بالمعنى، ومرة أطلق على التفسير بالمراد: تفسيراً بالمعنى؛ فقال: "ثم قد يقال إن التفسير غير المعنى، التفسيرُ تفسيرُ اللفظ، والمعنى هو ما يُرادُ بالكلام... إلى أن قال: "التفسيرُ هو تفسيرُ اللفظ فقط، كأن يُفسّر الكلمة كما ذكرها صاحبُ القاموس = يقصد الفيروزبادي -

مثل: (بِ يَوْمٍ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا) (الأنعام: ١٥٨)، تفسيرها اللفظي أن تقول: يوم يأتي شيء من آيات الله الدالة على القدرة مثلاً؛ والمراد به طلوع الشمس من مغربها، فهنا صار فرقٌ بين المعنى اللفظي، أي التفسير اللفظي أو التفسير، والمعنى الذي يُراد، ولهذا

أنواع اختلاف التنوع:

ذكر ابن عثيمين - رحمه الله - بعضاً من أنواع اختلاف التنوع ومن الأنواع التي ذكرها:

١- التفسير بألفاظ متقاربة:

حرص الشيخ ابن عثيمين رحمه الله على بيان الفرق بين الكلمات المختلفة اللفظ المتقاربة المعنى، وذلك إظهاراً لهذا الإعجاز، وبياناً لبلاغة القرآن، فهو يرى أن الترادف قليل بالنسبة للمعاني أما الأعيان فالترادف فيها كثير^(١)، ومن الأمثلة التي ذكرها في التفسير بالألفاظ المتقاربة:

عند تفسيره لقوله تعالى: (ذَلِكَ الَّذِي كَتَبَ لِأَبِ إِسْحَاقَ) (البقرة: ٢)

قال: "و" الريب" هو الشك؛ ولكن ليس مطلق الشك؛ بل الشك المصحوب بقلق لقوة الداعي الموجب للشك، أو لأن النفس لا تطمئن لهذا الشك؛ فهي قلقة منه - بخلاف مطلق الشك - ولهذا من فسّر الريب بالشك فهذا تفسير تقريبي؛ لأن بينهما فرقاً^(٢).

وقد أشار ابن عثيمين رحمه الله إلى ذلك أيضاً عند تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ) (البقرة: ٩٩)

فقال: "آيات جمع آية؛ والآية في اللغة: العلامة، لكنها في الحقيقة أدق من مجرد العلامة؛ لأنها تتضمن العلامة، والدليل؛ فكل آية علامة. ولا عكس؛ لكن العلماء . رحمهم الله . قد يفسرون الشيء بما يقاربه، أو يلازمه . وإن كان بينهما فرق، كتفسيرهم "الريب" بالشك

فإن القرآن فُسِّرَ على الناحيتين؛ تفسيراً لفظياً مُطابِقاً للفظ فقط، وتفسيراً معنوياً وهو ما يُرادُ به، ثم قد يتوافقان وقد يختلفان". شرح مقدمة التفسير ص(٢٠).

وعليه فالنفس نوعان:

النوع الأول: التفسير اللفظي، وإطلاقه عليه أنه تفسيرٌ بالمعنى أراد به معنى الكلمة لا المعنى المراد بالآية، وهو الذي اهتمت به كتب معاني القرآن الكريم وغيره.

النوع الثاني: التفسير بالمعنى، ويسميه أحياناً: التفسير بالمراد؛ أي مراد الآية، وهو الذي لا يعتمدُ المفسرُ إلى تفسير اللفظ مباشرةً بل ينتقلُ إلى ما وراء اللفظ. ينظر: جهود ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، ص(٧٢٥).

^(١) ينظر: شرح مقدمة التفسير ص(٥٨).

^(٢) تفسير سورة البقرة (٢٦/١)، وينظر: (٨١/١).

في قوله تعالى: (لَا يَأْتِيَنَّكَ السَّيِّئَاتُ) (البقرة: ٢) مع أن "الريب" أخص من مطلق الشك؛ لأنه شك مع قلق؛ وقد أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة "مقدمة في أصول التفسير"^(١).

٢- التفسير بالمثل:

السلف رحمهم الله قد يفسرون الآية بمثلٍ يُحتذى عليه، على وجه التمثيل والتنويع، لا على سبيل الحصر والتخصيص. وقد بين هذا النوع ابن عثيمين واعتبره من الاختلاف الذي يجمع فيه بين الأقوال؛ لأن الآية تُحمل عليها كلها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل. ومن الأمثلة في ذلك:

ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ) (البقرة: ١٦٦).

قال: "وفسر ابن عباس رضي الله عنهما (أَلْأَسْبَابُ) هنا بالمودة؛ أي تقطعت بهم المودة؛ وهذا التفسير على سبيل التمثيل؛ والآية أعم من ذلك؛ ووجه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما أن الآية في سياق محبة هؤلاء المشركين لأصنامهم"^(٢). ولذا فسرت الأسباب بالمودة وإن كان لفظها عاماً.

-وعند قوله تعالى: (ي بِالْجِبِّ وَالطَّغُوتِ) (النساء: ٥١).

"قال عمر رضي الله عنه: "الجبت السحر، والطاغوت الشيطان"^(٣)؛ قال ابن عثيمين: "وأما تفسير الطاغوت بالشيطان فإنه من باب التفسير بالمثل. والسلف رحمهم الله يفسرون الآية بمثلٍ

^(١) تفسير سورة البقرة (١/٣١٩). ومن الأمثلة أيضاً في هذا الباب ينظر: تفسير سورة البقرة (١/٢٠٢، ٢١٤، ٢٢٢، ٣٢٨، ٢٩١، ٣٤٧) وغيرها.

^(٢) تفسير سورة البقرة (٢/٢٢٩). ويراجع مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/٦٤٤).

^(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم في كتاب: التفسير/باب: "وإن كنتم مرضى أو على سفر" (٤/١٦٧٣) ووصله ابن جرير في تفسيره (٥/١٣١).

أن المعنيين متلازمان؛ لأنَّ الله تعالى إذا أحب عبداً، ألقى في قلوب عباده مَحَبَّتَهُ" (١) فجمع بين المعنيين باعتبار التلازم بينهما.

٤- و من الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع:

أن يكون اللفظ من قبيل المشترك

وقد عرف ابن عثيمين المشترك: بأنه "ما اتحد لفظه وتعدد معناه" (٢).

وهو يرى أنه لا مانع من استعمال المشترك في معنييه، إذ لم يكن بينهما تعارض. ومن ذلك ما ورد عند تفسير قوله تعالى: (سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (التوبة: ٣١).

قال: "قوله: (عما يشركون). هذا من البلاغة في القرآن، لأنها جاءت محتملة أن تكون (ما) مصدرية، فيكون المعنى عن شركهم، أو موصولة، ويكون المعنى: سبحان الله عن الذين يشركون به، وهي صالحة الأمرين، فتكون شاملة لهما لأن الصحيح جواز استعمال المشترك في معنييه إذا لم يكن بينهما تعارض، فيكون التثنيه عن الشرك وعن الشرك به" (٣).

ومثله قوله تعالى: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (القصص: ٨٨).

"فالمعنى: كل شيء فان وزائل، إلا وجه الله عز وجل، فإنه باق، ولهذا قال (لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص: ٨٨)... وقيل في معنى الآية: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)، أي: إلا ما أريد به وجهه. قالوا: لأن سياق الآية يدل على ذلك: (ثُمَّ مَعَ اللَّهِ كِك كِك كِك كِك كِك كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٨) (القصص: ٨٨)

(١) شرح العقيدة الواسطية (٣١٩/١). ومن الأمثلة في ذلك، ينظر: تفسير سورة البقرة (٣١٩/١)

(٢) شرح مقدمة التفسير (ص ٥٥-٥٦).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/١١١).

(٨٨)، كأنه يقول: لا تدع مع الله إلهاً آخر فتشرك به، لأن عملك وإشراكك هالك، أي: ضائع سدى، إلا ما أخلصته لوجه الله، فإنه يبقى، لأن العمل الصالح له ثواب باق لا يفنى في جنات النعيم.

ولكن المعنى الأول أسد وأقوى.

وعلى طريقة من يقول بجواز استعمال المشترك في معنييه، نقول:

يمكن أن نحمل الآية على المعنيين، إذ لا منافاة بينهما، فتحمل على هذا وهذا، فيقال: كل شيء يفنى إلا وجه الله عز وجل، وكل شيء من الأعمال يذهب هباءً، إلا ما أريد به وجه الله^(١).

فظهر مما سبق أن اختلاف التنوع عند ابن عثيمين يعود إلى أربعة أنواع:

الأول: التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

الثاني: التفسير بالمثل.

الثالث: التفسير باللازم.

الرابع: أن يكون اللفظ من قبيل المشترك.

وهذه الأنواع كلها تعود إلى الأقسام التي ذكرها، فالنوع الأول وهو التعبير عن المعنى بالألفاظ المتقاربة مما يعود للقسم الأول - اختلاف اللفظ دون المعنى - أما الأنواع الثلاثة المتبقية فهي مما يعود إلى القسم الثاني وهو اختلاف اللفظ والمعنى والآية تحتل المعنيين لعدم التضاد بينهما.

وإذا تأملت كلام العلماء السابقين في اختلاف التنوع تجد أن ابن تيمية قد فصل مسألة اختلاف التنوع تفصيلاً لم يسبق إليه، من حيث بيان تعريفه، وأنواعه، وأسبابه، فجعل اختلاف التنوع على أربعة أنواع:

(١) شرح العقيدة الواسطية (٨/١٨٠) وينظر: تفسير سورة البقرة (٣/١٨٠).

- ١- أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه، تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.
 - ٢- اختلاف التمثيل للمعنى العام.
 - ٣- أن يكون اللفظ محتملاً لأمرين، إما لأنه مشترك في اللغة، أو لأنه متواطئ
 - ٤- التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.
- وقد أشار الشاطبي إلى النوع الأول والثاني وضرب لهما أمثلة، وذكر أسباب اختلاف المفسرين وجعلها خمسة أسباب وفصل الكلام حولها.
- أما ابن عثيمين فله تقسيم آخر لاختلاف التنوع والتضاد، اعتمد فيه على اللفظ والمعنى. دون ذكر لأسباب الاختلاف.

الفصل الخامس : آثار اختلاف التنوع.

الفصل الخامس:

الآثار المترتبة من اختلاف التنوع في التفسير

لما كانت الأقوال في اختلاف التنوع كلها محتملة، فإن هذا سيكون له أثرٌ كبيرٌ في التفسير، ولاشك.

وقد تأملت اختلاف التنوع، فوجدت أن من آثاره ما يلي:

أولاً: اختلاف التنوع يوسع دائرة المعنى ويزيده وضوحاً.

ثانياً: إذا قلنا بسعة المعاني، فهل يمكن تفسير الآية بما لم يذكره السلف؟

ثالثاً: اختلاف التنوع من حيث القبول الترجيح.

رابعاً: أثر اختلاف التنوع في الإجماع.

وسأين هذه الآثار وأجعل كل أثر في مبحثٍ مستقل فأقول وبالله التوفيق.

المبحث الأول:

اختلاف التنوع يوسع دائرة المعنى ويزيده وضوحاً.

إن المتأمل لتفسير كتاب الله يسترعي انتباهه قضية تعدد المعاني للنص القرآني، فالكلمة الواحدة تعطي أكثر من معنى في السياق الواحد، وهذا بلا شك من معجزات القرآن. وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم، كان حقيقاً بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ في أقل ما يُمكن من المقدار، بحسب ما تسمح به اللغة الواردُ هو بها التي هي أسمح اللغات بهذا الاعتبار، ليحصل تمام المقصود من الإرشاد الذي جاء لأجله في جميع نواحي الهدى.

ولما كان القرآن نازلاً من المحيط علمه بكل شيء؛ كان ما تسمح تراكيبه الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب، مظنوناً

بأنه مراد لمتزله ما لم يمنع من ذلك مانعٌ صريحٌ أو غالبٌ؛ من دلالةٍ شرعيةٍ أو لغويةٍ أو توقيفية.

وإنك لتمر بالآية الواحدة فتأملها وتدبرها، فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك^(١).

"فالعبارات المختلفة التي تتوارد على اللفظ الواحد، فيها من رسوخ المسألة في النفس ووضوح أمرها ما لا يكون في العبارة الواحدة، على أن بعض العبارات ربما كان فيها شيء من الإبهام، أو الإيهام فيزول ذلك بغيرها، وقد يكون بعضها أقرب إلى فهم بعض الناظرين، فكثيراً ما تعرض عبارتان متحدتا المعنى لاثنتين تكون إحداهما أقرب إلى فهم أحدهما، والأخرى أقرب إلى فهم الآخر وهذا مشاهد بالعيان"^(٢).

فتعدد الأقوال حتى ولو كانت بمعنى واحد، مما يزيد المعنى قوة ووضوحاً، وهذا ظاهرٌ بجلاء في اختلاف التنوع من جوانب عدة، منها:
أولاً- في التفسير بالمثل، من حيث:

١- إن التفسير بالمثل لا يفيد الحصر وإنما يزيد المعنى وضوحاً وظهوراً، إذا المثل إنما هو تصوير للمعنى العام و توضيحٌ له، فليس بينه وبين العموم منافاة، وبناء عليه فلو فُسر لفظٌ من الألفاظ بمعناه العام، ثم جاء تفسيرُ اللفظ نفسه عن بعض السلف أو من بعدهم بالمثل لهذا العام، فلا يحكم على من فسر بالمثل أنه مُخطيءٌ أو مخالفٌ لغيره.

ومثال هذا تفسير النبي ﷺ للقوة في قوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

قُوَّةٍ) (الأنفال: ٦٠) فعن عقبه بن عامر^(٣) قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١/٩٣-٩٨).

(٢) توجيه النظر إلى أصول الأثر، لطاهر الجزائري (١ / ٤٤).

(٣) عقبه بن عامر بن عيس الجهنني، يكنى أبا عامر، وقيل: غير ذلك، صاحب النبي ﷺ، سكن مصر، وكان والياً عليها، وتوفي سنة (٥٨هـ) في آخر خلافة معاوية ﷺ. ينظر: الاستيعاب (١/١٠٧٣)، والإصابة (٤/٥٢٠).

يقول (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (١).

ففسر النبي القوة بالرمي، على سبيل التمثيل، لا على التخصيص والتحديد لمعنى القوة. قال الطبري: "فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بين أن ذلك مرادٌ به الخصوص بقوله: "ألا إن القوة الرمي؟"

قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك، فليس في الخبر ما يدل على أنه مرادٌ بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة؛ لأنه إنما قيل في الخبر: "ألا إن القوة الرمي"، ولم يقل: دون غيرها، ومن القوة أيضاً السيفُ والرمحُ والحربةُ، وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم" (٢).

فلو ذكر أحد المفسرين أن القوة المراد بها السيف أو غيره مما يتقوى به، فلا يعد تفسيره مخالفاً للتفسير النبوي، وكذا لو وقع العكس بأن فسّر النبي ﷺ بالمثال، وفسّر من بعده بالعموم.

لأن "البيان النبوي قد يكون بعض ما اشتمل عليه عموم النص أو بعض ما اشتملت عليه دلالاته، فيكون ما جاء في البيان أحد المعاني التي اشتملت عليها دلالاته" (٣).

- ومثله ما جاء في تفسير قوله تعالى (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) (الفلق: ٣). فقيل: الغاسق الليل، روي عن ابن عباس والحسن وقتادة (٤).

وقد ورد عن النبي ﷺ ما روته عائشة، قالت: أخذ النبي ﷺ بيدي، فنظر إلى القمر، فقال: "يا عائشة، استعيذي بالله من شر هذا. فإن هذا هو الغاسق إذا وقب" (١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسي (١٥٢٢/٣)، ح: (١٩١٧).

(٢) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٣٧/١٤).

(٣) قواعد التدبر، لعبد الرحمن حنبكة (ص ١٣٣).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (٧٤٦/٢٤).

وهذا التفسير لا ينافي تفسير جمهور السلف في أنه الليل، قال ابن القيم: "هذا التفسير حق - يعني: تفسيره في الحديث بالقمر -، ولا يناقض التفسير الأول، بل يوافق، ويشهد لصحته، فإن الله تعالى قال: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۗ فَحَوِّنَا لِذِكْرِكُمْ وَجَعَلْنَا آيَةَ ك (الإسراء: ١٢)، فالقمر آية الليل، وسلطانه فيه، فهو أيضاً غاسق إذا وقب، والنيبي ﷺ أخبر عن القمر بأنه غاسق إذا وقب، وهذا خبر صدق، وهو أصدق الخبر، ولم ينف عن الليل اسم الغاسق إذا وقب، وتخصيص النبي ﷺ لا ينفي شمول الاسم لغيره" (٢).
فالمفسر حين يفسر الآية بمثال، فلا يعني حصر معناها فيما مثل به، خصوصاً إذا كان معنى الآية يفيد العموم.

لأنه "متى أمكن حمل الآية على معنى كلي عام شامل يجمع تفسيرات جزئية جاءت في تفسيرها من قبيل التفسير بالمثال أو بالجزء أو بالثمرة أو بنحو ذلك، ولا معارض له، وتشهد الأدلة لصحته فهو أولى بتفسير الآية حملاً لها على عموم ألفاظها، ولا داعي لتخصيصها بواحد من المعاني الجزئية التي جاءت في التفاسير، إلا أن يكون السياق يقتضي تخصيصها حتماً، أو يقوم الدليل على ذلك" (٣).

٢- و التفسير بالمثال يوسع دائرة المعنى؛ إذ عن طريقه يستطيع المفسر أن يدخل في معنى الآية أشخاصاً وأحداثاً ووقائع سبقت نزول الآية أو تأخرت عنها (٤)، فربما يفسر المفسر الآية

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب (التفسير)، باب (من سورة المعوذتين) ح (٣٣٦٦)، (٤٥٢/٥). ورواه الإمام أحمد في مسنده (٢١٥/٦)، ح (٢٥٨٤٤). قال عنه الترمذي: حسن صحيح. وصححه الألباني ينظر: السلسلة الصحيحة (٧١٤/١).

(٢) بدائع التفسير (٤٠٦/٣). ومن الأمثلة في ذلك أيضاً: ما جاء في تفسير ابن عباس ؓ للكثير بأنه الخير الذي أعطاه الله إياه، مع أنه صح عن النبي ﷺ أنه نُهر في الجنة، ولما قيل لسعيد بن جبیر: فإن الناس يزعمون أنه نُهر في الجنة، قال سعيد: النهْر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه. (ينظر: صحيح البخاري كتاب (التفسير) باب (في تفسير إنا أعطيناك الكثير) (١٩٠٠/٤)، ح (٤٦٨٢).

(٣) قواعد التدبر الأمثل (ص: ٥٩).

(٤) فلا تعد سبب نزول وإنما يدخل في معنى الآية.

بمعناها العام فيظنُّ ظانٌ أن ما حدث قبل نزولها أو بعده غير داخل في معناها، فيأتي التفسير بالمثال مُزيلاً لهذا الظن وموسعاً لدائرة المعنى.

فمثال ما ذكره المفسرون من أحداث سبقت نزول الآية وأدخلوه في حكم الآية على سبيل المثال: ما ذكره ابن عطية في قوله تعالى (فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ^١) (التوبة: ١٢) قال: "قال قتادة: المراد بهذا أبو جهل بن هشام^(١) وعتبة بن ربيعة^(٢) وغيرهما. قال القاضي أبو محمد: وهذا إن لم يُتأول أنه ذكرهم على جهة المثال ضعيف؛ لأن الآية نزلت بعد بدرٍ بكثير"^(٣).

ومثال ما تأخر عن نزول الآية: ما ذكره الطبري عن قتادة أنه فسَّرَ قوله تعالى (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ^٤) (الأنفال: ٧١) بأن المراد به

عبد الله بن سعد ابن أبي سرح^(٤) فهذه الآية نزلت بشأن أسرى بدر، وفيها تنبيهٌ من الله لنبية ﷺ أن لا ينخدع بما يُظهره له الأسرى—بعد أن أمكنه الله منهم—من قولٍ مُنمقٍ إذ هو مخالف لما في نفوسهم، ومعلوم أن عبد الله ابن أبي سرح كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ ثم ارتد ولحق بمكة، فلما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بقتله وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة، وكان عبد الله قد استجار بعثمان فأجاره عثمان وأذن له بذلك رسول الله ﷺ وحسن إسلام عبد الله بعد ذلك^(٥).

(١) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أبو جهل. رأس الكفر، وأشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام وأحد سادات قريش وأبطانها ودهاتها في الجاهلية، قتل يوم بدر سنة (٢هـ). ينظر: الأعلام (٨٧/٥).

(٢) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس أبو الوليد. أحد سادات قريش في الجاهلية، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، وكان ضخماً الجثة، عظيم الهامة، قتل كافراً يوم بدر سنة (٢هـ). ينظر: الأعلام (٢٠٠/٤).

(٣) المحرر الوجيز (٢٧٠/٤).

(٤) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٧٦/١٤).

(٥) جاء ذلك عن ابن عباس فيما أخرجه أبو داود في كتاب (الحدود) باب (الحكم فيمن ارتد) ح (٤٣٦٠)، والنسائي في كتاب (تحريم الدم) باب (حكم المرتد) (٧/١٠٧) ح (٤٠٦٩) صححه الألباني ينظر: السلسلة الصحيحة (٣٠٠/٤).

وقد بين ابن عطية وجه قول قتادة بقوله: "وأما تفسير هذه الآية بقصة عبد الله بن أبي سرح فينبغي أن يُحرَّرَ ، فإن جُلِبَتْ قصة عبد الله بن أبي سرح على أنها مثالٌ كما يمكن أن تُجَلَبَ أمثلةٌ من عصرنا من ذلك فحَسَنٌ ، وإن جُلِبَتْ على أن الآية نزلت في ذلك فخطأً ، لأن ابن أبي سرح إنما تبين أمره في يوم فتح مكة ، وهذه الآية نزلت عُقِبَ بدر" (١) .

ومن الصور التي يظهر فيها سعة المعنى، أن المفسر إذا فسر الآية بمثال وكان قصده التمثيل وحصر المعنى فيما فسّر به، وحمل غيره معنى الآية على العموم ومثل بمثال يصدق على معناها ويدخل تحت حكمها، فتفسيره صحيح لا إشكال فيه؛ لأن نفي دخول المثال مُتَّجِهٌ على من ادعى التخصيص ولا يلزم مخالفه بذلك.

ومثاله: ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى (أَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ يَدْعُونَ لِيَوْمِ لَا

تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران: ١٨٧) قال: "الآية في اليهود خاصة" (٢).

فقول ابن عباس ﷺ لا يعد تفسيراً بالمثال، لأنه صرّح بتخصيص الآية في اليهود. لكن لو رأى غيره عموم لفظ الآية ومثل بمثال يصدق على معناها، فتفسيره صحيح. وقد بين ابن عطية هذا العموم بقوله: (وقال جمهور من العلماء: الآية عامة في كل من علمه الله علماً وعلماً هذه الأمة داخلون في هذا الميثاق، وقد قال رسول الله ﷺ "من سئل عن علم فكتمه أجزم يوم القيامة بلجام من نار" (٣) (٤).

—وهنا يرد سؤال إذا ورد مثل هذا التخصيص في أسباب نزول، فهل يخص من نزل فيه؟ أو يكون من باب التفسير بالمثال؟.

(١) المحرر الوجيز (٤/٢٤٥).

(٢) المحرر الوجيز (٢/٤٣٩)، وينظر أمثلة أخرى في (١/٧٥، ١١٣، ٢٠٦، ٢١١، ٢٢٣، ٣٧٨) وغيرها، وتفسير الطبري (١/١٠٢)، و(٤/٢١١)، و(٥/١٣٨).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (العلم)، باب (كتمان العلم)، (٥/٢٩). ح (٢٦٤٩)، صححه الألباني. ينظر: سنن الترمذي (٥/٢٩). من حديث أبي هريرة. رضي الله عنه.

(٤) المحرر الوجيز (٢/٤٣٩-٤٤٠).

عويمر العجلاني أو هلال بن أمية.... ونظائر هذا كثير مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة، أو في قوم من أهل الكتاب، أو في قوم من المؤمنين، فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم، فإن هذا لا يقوله مسلم عاقل على الإطلاق... والآية التي لها سبب معين إن كانت أمراً أو نهياً فهي متناولة لذلك الشخص ولغيره ممن كان بمزلقته" (١).

"والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين: إن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال: إنها تختص بنوع ذلك الشخص، فيعم ما يشبهه" (٢).

وإذا اعتبرنا أسباب النزول من باب التفسير بالمثال فينتج عن هذا:

١- أن أسباب النزول لا تخص من نزلت فيه، وإنما يدخل في معنى الآية من يشابهه في الحكم، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتخصيص المفسر لمثل هذا في سبب النزول لا ينافي كونه مثلاً؛ إذ تخصيصه واقع على الحادثة التي كانت سبباً في نزول الآية، لا على ما يدخل في معنى الآية ويندرج تحتها، ففي الحديث السابق، في الرجل الذي أصاب القبله من المرأة نزلت في خصوصه آية عامة اللفظ، فقال للنبي ﷺ: ألي هذه؟ ومعنى ذلك: هل النص خاص بي لأني سبب وروده؟ أو هو على عموم لفظه؟ وقول النبي ﷺ له: "الجميع أمي" معناه أن العبرة بعموم لفظ (إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ) لا بخصوص السبب. والعلم عند الله تعالى (٣).

ومن الأمثلة على تعميم الألفاظ وإن كان السبب خاصاً، قوله تعالى: (بِالَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

تَدَايَنُكُمْ بِبِرٍّ بِرًّا فَآكُتُبُوهُ) (البقرة: ٢٨٢).

قال ابن عباس رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في السلم خاصة.

(١) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٧).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص: ٤٧).

(٣) ينظر: أضواء البيان (٢/٣٦٠).

قال القاضي أبو محمد: "معناه أن سلم أهل المدينة كان بسبب هذه الآية ثم هي تتناول جميع المداينات إجماعاً"^(١).

ومثله قوله تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مَخُونُوا فِ قِ) (الأنفال: ٢٧).

قيل: إنها أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر^(٢). روي عن عبد الله بن أبي قتادة^(٣) والزهرري.

وقيل: نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه. روي عن المغيرة بن شعبة^(٤).^(٥)

قال ابن كثير: "والصحيح أن الآية عامة، وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء"^(٦).

وكذا قوله تعالى: (ك ك ك ك ك) (الكوثر: ٣).

قيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي. عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد وقتادة.

وقيل: نزلت في عقبة بن أبي معيط. عن ثمر بن عطيبة^(٧).

وقيل: نزلت في جماعة من قريش. عن عكرمة^(٨).

^(١) المحرر الوجيز (١١٠/٢).

^(٢) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، مختلف في اسمه: قيل: موسى بن عقبة، وقيل: اسمه بشير، وقيل: رفاعة بن المنذر كان نقيباً شهد العقبة وشهد بدرًا وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً وما بعدها من المشاهد، مات في خلافة علي رضي الله عنه. ينظر: الإستيعاب (١٧٣/١) والإصابة (٣٤٩/٧).

^(٣) عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري السلمي، أبو إبراهيم ويقال أبو يحيى المدني، وأبوه أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النسائي ثقة وقال الهيثم بن عدي توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك وذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة تسع وتسعين وقيل غيره. ينظر: تهذيب الكمال (٤٤٠/١٥-٤٤١). تهذيب التهذيب (٣١٥ / ٥).

^(٤) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أبو عيسى أو أبو محمد، أسلم قبل الحديبية وشهدها وبيعة الرضوان، من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة، شهد اليمامة وفتح الشام والعراق، ذهبت عينه يوم اليرموك، توفي سنة خمسين، وقيل غير ذلك. سير أعلام النبلاء (٢١/٣)، والإصابة (١٩٧/٦).

^(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٠/٤-٤١).

^(٦) تفسير ابن كثير (٤١/٤).

^(٧) ثمر بن عطيبة الأسدي الكاهلي الكوفي روى عن أبي وائل وشهر بن حوشب وروى عنه عاصم بن مهذلة والأعمش وثقه النسائي، مات في ولاية خالد على العراق. ينظر: تهذيب الكمال (٥٦٠/١٢)، وتهذيب التهذيب (٣٢٠-٣١٩/٤).

^(٨) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٦٩٧/٢٤-٦٩٩).

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن مبغض رسول الله ﷺ هو الأقل الأذل المنقطع عقبه، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس، وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه"^(١).

فسبب التزول لا يخص من نزل فيه بعينه دون غيره، وإنما يعم كل من شابهه في الحكم. لأن "قصر عمومات القرآن على أسباب نزولها باطل، فإن عامة الآيات نزلت بأسباب اقتضت ذلك، وقد علم أن شيئاً منها لم يقصر على سببه"^(٢).

وذلك نتيجة لعموم اللفظ، فدخول غير السبب في معنى الآية إنما هو من باب العموم. وعليه لا يمكن رد بعض الأقوال التي تحملها الآية بسبب عدم موافقتها لسبب التزول، ومن ذلك ما ذكره ابن حجر العسقلاني^(٣) في شرحه لصحيح البخاري^(٤) عند تفسير قوله

تعالى: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ) (البقرة: ١٩٥). فقد أورد عن أسلم بن عمران^(٥) قال: كنا

^(١) تفسير الطبري (٧٠٠/٢٤-٧٠١). والأمثلة في ذلك كثير ينظر: تفسير الطبري (١٢٥/١، ١٨٣، ٣١٨/٢)، (٣٢٢، ٩/٥)، (٢٠٣/٩)، (١٦٥/١٤)، (١٣٣/١٧).

والمحرر الوجيز (٣٤٣/٢)، (١٠٩/٦)، (١٨٧/٧)، (٧٠٠/٨).. وتفسير ابن كثير (٤٠١/٥). وأضواء البيان (٣٦/١)، (١١٣، ٤٨٢)، (١٠٤/٢)، (٨٦/٤)، (١٢٥، ١٩٢)، (٣١٣/٦).. وغيرها.
^(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٤/١٥).

^(٣) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني المصري الشافعي الشهير بابن حجر. عمدة المحدثين، ومحبي السنة، مؤرخ، أديب، شاعر، كان ذا معرفة واسعة بالحديث وعلمه ورجاله، ورحل إليه الناس من سائر الأقطار، صنف المصنفات منها (فتح الباري شرح صحيح البخاري) توفي سنة ٨٥٢هـ. ينظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي (ص: ٥٥٢)، وطبقات المفسرين، للأدنه وي (ص: ٣٢٩).

^(٤) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولا هم ولاء إسلام أبو عبد الله البخاري الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، من مصنفاته (التاريخ الكبير، والصحيح في أحاديث ﷺ). توفي سنة (٢٥٦هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٤٣٠/٢٤). وتقريب التهذيب (ص: ٤٦٨).

^(٥) فهو أسلم بن يزيد أبو عمران التميمي المصري، يروي عن أبي أيوب وغيره، وعنه يزيد بن أبي حبيب وغيره، ثقة، من الثالثة، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي. ينظر: تهذيب التهذيب (٢٣٢/١)، والتقريب (ص: ١٠٤).

بالقسطنطينية^(١)، فخرج صف عظيم من الروم، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ثم رجع مقبلاً، فصاح الناس: سبحان الله، ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب^(٢): أيها الناس، إنكم تؤولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعزّ الله دينه، وكثر ناصروه، قلنا بيننا سرّاً: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أننا أقمنا فيها، وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله هذه الآية، فكانت التهلكة الإقامة التي أردناها....

إلى أن قال ابن حجر: "وجاء عن البراء بن عازب في الآية تأويل آخر أخرجه ابن جرير^(٣) وابن المنذر^(٤) وغيرهما عنه بإسناد صحيح عن أبي إسحاق^(٥)، قال: قلت للبراء: أرايت قول الله

عز وجل: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) هو الرجل يحمل على الكتيبة فيها

ألف؟ قال: لا، ولكنه الرجل يذنب، فيُلقي بيده، فيقول: لا توبة لي".

ثم قال ابن حجر: "والأول أظهر؛ لتصدير الآية بذكر النفقة، فهو المعتمد في نزولها، وأما قصرها عليه ففيه نظر؛ لأن العبرة بعموم اللفظ"^(٦).

(١) قسطنطينية ويقال قسطنطينية - بإسقاط ياء النسبة - كانت مدينة من مدن الروم، يقع جانبها الغربي والجنوبي في البر، وجانبها الشرقي والشمال في البحر وهي اليوم معروفة باسطنبول من مدن تركيا. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤/٣٤٧).

(٢) اسمه خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب، مشهور بكنتيته، من كبار الصحابة، شهد بدرًا ونزل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة عليه، مات غازياً بالروم، سنة خمسين، وقيل بعدها. ينظر: الإستيعاب (٢/٤٢٤)، والإصابة (٢/٢٣٤).

(٣) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٣/٥٨٨).

(٤) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، أبو بكر الإمام الحافظ الفقيه، له كتاب الإشراف في اختلاف العلماء، وكتاب الإجماع وغيرهما. توفي (سنة ٣١٨ هـ) وقيل غير ذلك. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/٤٩٠)، طبقات المفسرين للأذنه وي (ص: ٥٤).

(٥) هو السبّعي - بفتح المهملة وكسر الموحدة -، اسمه عمرو بن عبد الله الهمداني، ثقة عابد مكثر. ما سنة تسع وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك. التقريب (ص: ٤٢٣).

(٦) ينظر: فتح الباري، ط، دار الحديث (٨/٢٢٩-٢٣٠).

"وهذه القاعدة نافعة جداً، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير، وبإعمالها وعدم ملاحظتها يفوته علم كثير، ويقع في الغلط والارتباك الخطير. وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم"^(١).

فالآية وإن كان لها سبب نزول معين^(٢)، فلا يعني هذا رد ما عداه من المعاني المحتملة.

٢- وإذا اعتبرت أسباب النزول من باب المثال سهل التعامل مع الروايات المتعددة لسبب نزول الآية الواحدة، و أمكن قبولها كلها سواءً منها ما كانت الآية نازلة بسببه أصلاً، أو ما كان داخلاً في معنى الآية.

"وهذا يعني أن ما يرد عن السلف في هذا الباب إذا اعتبرته من هذه الجهة-يعني من باب المثال- فإنه يصح عندك بلا إشكال، وإن رُحِت تحقق على غير هذا السبيل فإنك سترُدُّ بعض تفسيراتهم المرتبطة بالنزول بسبب عدم وضوح هذا السبيل من التفسير عندك، وحرصك على تعيين سبب واحد من هذه الأسباب المذكورة"^(٣).

ثانياً: التفسير بجزء المعنى:

ومن الجوانب التي فيها توضيح للمعنى وتبيين له، التفسير بجزء المعنى من حيث إن المفسر حين يفسر اللفظ بجزء معناه، لا يعني هذا أن بقية المعنى غير مراد، وإنما ذكر بعض ما يتضمنه اللفظ لكونه دالاً على بقية المعنى. مثاله ما ذكره الطبري في قوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ

(١) القواعد الحسان، للسعدي (ص ١٨).

(٢) إلا إذا ورد ما يخصه، فالعام الوارد على سبب خاص له ثلاث حالات:

الأولى: أن يقترن بما يدل على العموم فيعم إجماعاً. كقوله تعالى: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (المائدة: ٣٨). فعلى القول بأنها نزلت في امرأة سرق، يكون قوله: (وَالسَّارِقُ) قرينة على عموم الآية. وعلى القول بأنها نزلت في رجل، فإن قوله: (وَالسَّارِقَةُ) قرينة على العموم.

الثانية: أن يقترن بما يدل على التخصيص فيخص إجماعاً. كقوله تعالى: (وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) (الأحزاب: ٥٠). والتخصيص في الآية واضح.

الثالثة: ألا يقترن بدليل التعميم ولا التخصيص. والراجح في هذه الحالة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. كآية الظهار، وآية اللعان. ينظر: المذكرة في أصول الفقه، للشنقيطي (ص ٢٠٩)، وقواعد التفسير، د. خالد السبت (٢/٥٩٣).

(٣) شرح مقدمة في أصول التفسير، للطيار (١٢١).

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٦٩) قال "يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيراً كثيراً"^(١).

فقد فسر الحكمة ببعض معناها وهو الإصابة في القول والفعل، وهذا التفسير إنما هو متضمن للمعاني الأخرى الواردة عن السلف وهي:

-الفقه في القرآن.

-وقيل: العلم بالدين.

-وقيل: الفهم.

-وقيل: النبوة^(٢).

من حيث أن "الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهمٍ بما وعلمٍ ومعرفةٍ، وإذا كان ذلك كذلك كان المصيبُ في أموره فهماً خاشياً لله، فقيهاً عالماً، وكانت النبوة من أقسامه لأن الأنبياء مُسَدِّدُونَ مُفَهِّمُونَ، وموفقون لإصابة الصواب في بعض الأمور، والنبوة بعضُ معاني الحكمة"^(٣).

ثالثاً: تفسير اللفظ بما هو أعم منه:

تفسير اللفظة بمعنى أعم من معناها، هذا بلا شك فيه توسعة لدلالة الآية فهي متضمنة المعنى

المراد وغيره. كما جاء في تفسير الخلق في قوله تعالى (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

﴿٤﴾ (القلم: ٤).

ورد فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: دين الإسلام. قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد.

الثاني: أدب القرآن، قاله الحسن.

^(١) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٥/٥٧٦).

^(٢) ينظر في أقوالهم: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٥/٥٧٦-٥٧٩).

^(٣) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٥/٥٧٩).

الثالث: الطبع الكريم.^(١)

فمن فسر الخلق بالإسلام فهو من باب تفسير اللفظ بما هو أعم منه لأن الخلق جزء من الإسلام.

رابعاً: ومن الجوانب التي تدل على سعة المعاني في اختلاف التنوع التفسير باللازم: ففيه توسيع لمدلول الآية بحيث أن معناها غير قاصر على المعنى الأصلي بل يشمل غيره، فتفسير اللفظة أو الآية باللازم متضمن للمعنى الأصلي. ومثال ذلك:

قوله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا) (الأعراف: ١٧٥-١٧٦).

قال ابن القيم: "قال ابن عباس: لو شئنا لرفعناه بعلمه.

وقالت طائفة: الضمير في قوله: "لرفعناه" عائد على الكفر، والمعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بما معه من آياتنا، قال مجاهد وعطاء: لرفعناه عن الكفر بالإيمان وعصمناه. وهذا المعنى حق، والأول هو مراد الآية، وهذا من لوازم المراد. وقد تقدم أن السلف كثيراً ما يبهون على لازم معنى الآية، فيظن الظان أن ذلك هو المراد منها"^(٢).

وهذا يدل على أن معنى الآية في التفسير باللازم غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي؛ بل يشمل غيره، فيجعل تفسير اللفظة أو الآية باللازم تابعاً لمعناها الأصلي.

وكذا في قوله تعالى: (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾) (الفلق: ٣).

فقد فسر "الغاسق" بالليل، كما فسّر بالقمر، وهذان المعنيان متلازمان، فإن القمر آية الليل. فاللفظ يتناول الأمرين معاً^(٣)، وهذا فيه توسعة للمعنى، بخلاف لو قصد حصر اللفظ في إحدى المعنيين.

خامساً: وفي تفسير المعنى بالألفاظ المتقاربة يعبر عن المعنى الواحد بعبارات مختلفة، تكون من قبيل الشرح والتقريب لمعنى اللفظة القرآنية، فيتسع مدلول الآية بهذا الصنيع.

^(١) ينظر تفسير الطبري (٢٣/١٥٠-١٥٢)، وزاد المسير لابن الجوزي (٤/٣١٩).

^(٢) التفسير القيم ص ٤٤٥.

^(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/١٥).

ففي قوله تعالى: (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۗ لَوْلَا أَن تَفِنْدُونِ ﴿٩٤﴾)
(يوسف: ٩٤).

- ١- قال بعضهم: معناه: لولا أن تسفهوني. عن ابن عباس، ومجاهد، وعطاء، وقتادة.
 - ٢- وقال آخرون: معناه: لولا أن تكذبون. عن سعيد، والسدي، ومجاهد، والضحاك، وعطاء.
 - ٣- وقال آخرون: معناه تهرمون. مجاهد، والحسن^(١).
- قال الطبري: "إن الأقوال التي قالها من ذكرنا قوله في قوله: (لَوْلَا أَن تَفِنْدُونِ) على اختلاف عباراتهم عن تأويله، متقاربة المعاني، محتمل جميعها ظاهر التزيل، إذ لم يكن في الآية دليل على أنه معني به بعض ذلك دون بعض"^(٢).

فالمعنى الذي يقصده المفسرون واحد، ولكن تختلف عباراتهم في بيانه والتعبير عنه. سادساً: أن يكون اللفظ المفسر محتملاً لأمرين أو أكثر، لكونه مشتركاً أو متواطئاً. مثل تفسير "عسعس" في قوله تعالى: (كك كك كك) (التكوير: ١٧). فهو بمعنى أقبل، وبمعنى أدبر^(٣). فاللفظ يحتمل المعنيين بسبب الاشتراك اللغوي في لفظة "عسعس" و لاختلاف الزمن المحمول عليه اللفظ، وهو أول الليل وآخره. وفي هذا اللفظ الدال على الحاليين معاً ما يُظهر بلاغة القرآن وإيجازه في الألفاظ مع اتساع المعاني، دون تعارض بينهما.

وكلفظ "مناسكنا" في قوله تعالى: (ف ف) (البقرة: ١٢٨). فإنه مشترك بين أن يكون:

- اسم مكان: أي مواضع ومواقف نسكنا، كعرفة ومزدلفة. وهو قول قتادة والسدي^(٤).
- وقيل: المناسك: المذابح، أي أرنا كيف ننسك لك ذبائحنا. وهو قول عطاء ومجاهد^(٥).

(١) ينظر في أقوالهم: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٥٢/١٦) وما بعدها.

(٢) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٥٦/١٦).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٥٩/٢٤-١٦١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٧٦/٣).

(٥) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٧٧/٣).

فاللفظ المشترك يحمل على جميع معانيه، وهذا ما رجحه الشافعي وغيره، وبه قال الجمهور، بل نقل عن الشافعي وجوب حمله على جميع معانيه إذا تجرد من القرينة الصارفة إلى أحد معانيه^(١).

- ومثال المتواطئ الذي يراد به أكثر من معنى:

قوله تعالى: (زُتِرَ بِالْخُنُسِ) (التكوير: ١٥).

فقد اختلف السلف في المراد بهذا الوصف "الخنس" على قولين:

الأول: أنها النجوم أو الكواكب. وهو قول علي رضي الله عنه وغيره.

الثاني: أنها بقر الوحش. وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه وغيره^(٢).

قال سفيان بن عيينة: "وكلاهما واحد لأن النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إنسيا خنست في الغيطان، وغيرها إذا لم تر إنسيا ظهرت. قال سفيان "فكلُّ خنس"^(٣).

فوصف الخنس صالح لأكثر من موصوف، فالنجوم لما كانت تخنس بالنهار صلح وصفها بالخنس، والبقر لما كان يخنس عند رؤية الإنسان صلح وصفه بالخنس، فهذه الموصوفات تواطأت على هذا الوصف، ويمكن حمل الآية عليهما كما شار إلى ذلك ابن جرير بقوله: "فالصواب أن يُعمَّ بذلك كل ما كانت صفته الخنوس أحياناً، والجري أخرى"^(٤).

فظهر مما سبق أن اختلاف التنوع فيه توسعة للمعنى وتوضيح له.

(١) ينظر: إرشاد الفحول (ص: ٤٥-٤٦). وللاستزادة حول هذه المسألة ينظر: المحصول للرازي (١/٣٧١-٣٨٠)، وتفسير ابن حزمي (ص: ٥٠٦-٥٣٠)، نهاية السؤل، للأسنوي (١/٢١٩-٢٢٣) والبحر المحيط للزركشي (١/٤٩٠-٥٠٠)، والبرهان للزركشي (٢/١٦٧)، وشرح الكوكب المنير (٣/١٨٩-١٩٥) وغيرها.

(٢) ينظر القولين في: تفسير الطبري (٢٤/١٥٢-١٥٧).

(٣) كتاب السنة، للمرزوقي (ص: ٧-٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/١٥٨).

المبحث الثاني:

تفسير الآية بما لم يرد عن السلف

تقرر سابقاً قضية اتساع المعنى في اختلاف التنوع، وبناءً عليه، فهل يمكن تفسير الآية بما لم يذكره السلف؟

إذا اختلف السلف في تفسير آية على قولين-مثلاً- و أحدث قول ثالث، ففي المسألة تفصيل:

- إن كان القول المحدث مضافاً لقولهم فهو مردود غير مقبول، لأنه يوجب نسبة الأمة إلى تضييع الحق، فاختلافهم على قولين اقتضى حصر الصواب فيهما فلو كان القول الثالث المحدث حقاً لكانت الأمة قد ضيعته، وهذا غير جائز لأن الأمة معصومة من الاجتماع على غير الحق^(١).

يقول ابن القيم: "إن إحداه القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ!! ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف"^(٢).

- وإن كان القول غير مضاف لقولهم بل تحمله الآية فإنه يقبل؛ لأنه لا يلزم من عدم ذكرهم إياه عدم قبولهم له، غير أن الأمر هنا يحتاج إلى ضوابط لقبول هذه الأقوال وهي^(٣):

^(١) ينظر: التمهيد في أصول الفقه، للكلوداني (٣/٣٢١)، و روضة الناظر (١/٣٧٨)، شرح تنقيح الفصول، لشهاب الدين القرافي (ص: ٣٢٦-٣٢٨). و مجموع الفتاوى (١٣/٥٩)، (١٥/٩٥)، والمسودة، لشهاب الدين الحنبلي (ص: ٣٢٩)، شرح الكوكب المنير (٢/٢٦٤-٢٧٢)، وتيسير التحرير، لمحمد أمين المعروف بأمير بادشاه (٣/٢٥٠-٢٥٤)، وإرشاد الفحول (ص: ١٥٧-١٥٨). فصول في أصول التفسير (ص: ٤١).

^(٢) الصواعق المرسله (٢/١٢٨).

^(٣) هذه الضوابط هي استنباط مما ذكره ابن القيم والشاطبي في الضوابط التي يقبل بها التفسير الإشاري: قال ابن القيم: "...وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية، وهذا لا بأس به بأربعة شرائط: ألا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحاً في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعاراً به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم. فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطاً حسناً". التبيان في أقسام القرآن (ص: ٥٠). وقال الشاطبي: "وكون الباطن هو المراد من الخطاب قد ظهر أيضاً مما تقدم في المسألة قبلها، ولكن يُشترط فيه شرطان:

١- أن لا تناقض ما جاء عن السلف.

٢- أن يكون المعنى المُفسَّرُ به صحيحاً.

٣- أن تحتل الآية المعنى في السياق.

٤- أن لا يُقصرَ معنى الآية على هذا المحتمل دون غيره.

فإذا اجتمعت هذه الضوابط في مثال تفسيري، فإن المعنى المحتمل يقبل. ومثال ذلك:

قوله تعالى: (وَيَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ) (محمد:٦)، ورد في تفسير لفظ "عرفها" معيان:

الأول: ورد عن السلف، وبعض اللغويين، وهو: أن المسلم أعرفُ بداره في الجنة من داره التي في الدنيا، ويكون أصل معنى عرفها لهم من المعرفة والعلم بالشيء.

وقد ورد هذا التفسير بهذا المعنى عن: مجاهد، وقتادة، والسدي^(١). وغيرهم.

ويشهد لهذا التفسير ما رواه البخاري في صحيحه عن الرسول ﷺ قال: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ

مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مِظْلَمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا

هُذِّبُوا وَتُتَوَّأَ، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ، لِأَحَدِهِمْ بِمَسْكَنِهِ فِي

الْجَنَّةِ، أَدْلَ بِمَتْرَلِهِ كَانِ فِي الدُّنْيَا"^(٢).

الثاني: حكاه ابن قتيبة^(٣) عن أهل اللغة، والمعنى: طَيَّبَهَا لَهُمْ، من قولهم: طَعَّمُ

مُعَرَّفٌ؛ أَي: مُطَيَّبٌ"^(٤).

أحدهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

والثاني: أن يكون له شاهدٌ نصاً أو ظاهراً في محل آخر يشهد لصحته من غير معارضٍ. الموافقات، (٤/٤٩٢-٤٩٣). و.

قد استفدت هذه الضوابط مما ذكره د. مساعد الطيار في كتابه التفسير اللغوي ينظر: (ص٦١٢-٦٣٢).

^(١) تنظر أقوالهم في: تفسير الطبري (٢١/١٩٢-١٩٣).

^(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (المظالم)، باب (قصص المظالم)، ح(٢٣٠٨)، (٢/٨٦١). من حديث أبي سعيد

الخدري. رضي الله عنه.

^(٣) ابن قتيبة العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي الكاتب صاحب

التصانيف؛ ومنها: (تفسير غريب القرآن)، (وتأويل مشكل القرآن) توفي سنة (٢٧٦هـ). ينظر: سير أعلام

النبلاء (١٣/٢٩٦)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروزآبادي (ص: ١٢٧).

^(٤) غريب القرآن، لابن قتيبة (ص ٤١٠)، وينظر: معاني القرآن، للنحاس (٦/٤٦٦)، وجمهرة اللغة لابن دريد (٢/٧٦٦).

وهذا المعنى لا يناقض الوارد عن السلف، وهو معنى صحيح من جهة اللغة، والآية تحتمله من غير أن يُقصرَ عليها هذا المعنى، وإذا كان ذلك كذلك، فإنه يصحُّ التفسيرُ به ويكون الاختلاف في المثال من اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى، وسبب الاختلاف: الاشتراك اللغوي في لفظ "عرَّفَهَا".

ومن ثم فالتفسيرُ على هذين المعنيين: ويدخل الله المؤمنين الجنة التي أعلمهم منازلهم فيها، فعرفوها كما يعرفون بيوتهم التي في الدنيا، وطيبها لهم، فجعلها ذات ریح طيبة. والله أعلم.

فإذا انتقض شيء من الضوابط السابقة حُكِمَ على التفسير بالرد وعدم القبول، وسأذكر في كلِّ ضابطٍ مثلاً يوضح انتقاضه.

الضابط الأول: أن لا تناقض ما جاء عن السلف:

إذا ورد قولٌ عن السلف في معنى آية، فإنه لا يجوزُ القولُ بضده، ولا الاعتراضُ على ما جاء عنهم، بل يكون القولُ المناقضُ لقولهم قولاً مُطَرِّحاً لاعتباره به. وقد يقع ذلك بسبب الجهل بقولهم، أو بسبب عدم الاعتداد بهم وبما ورد عنهم من تفسير، وهذا شأن أهل البدع.

ومن الأمثلة في ذلك، قوله تعالى: (كَمْ كَفَرَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) (الدخان: ٢٩)، فقد ورد عن السلف أن البكاء من الأرضِ والسماءِ بكاءً حقيقيًّا، ومن ذلك ما رواه سعيد بن جبیر قال: "أتى ابن عباس رجل، فقال: يا أبا عباس، أرايت قولَ الله تبارك وتعالى: (كَمْ كَفَرَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ)، فهل تبكي السماء والأرضُ على أحد؟".

قال: نعم. إنه ليس أحدٌ من الخلائق إلا له بابٌ في السماءِ منه يتزلُّ رزقُهُ، وفيه يصعدُ عمله، فإذا مات المؤمنُ، فأغلقَ بابُه من السماء الذي كان يصعدُ فيه عمله، وينزل منه رزقُهُ، بكى عليه.

وإذا فقدهُ مُصَلَّاهُ من الأرض التي كان يُصلِّي فيها، ويذكرُ الله فيها، بكت عليه.

وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثارٌ صالحةٌ، ولم يكن يصعدُ إلى السماء منهم خيراً، قال: فلم تَبْكِ عليهم السماء والأرضُ^(١).

وقد ورد هذا التفسير عن علي بن أبي طالب^(٢)، وسعيد بن جبير^(٣)، وإبراهيم النخعي^(٤)، ومجاهد^(٥)، والضحاك^(٦)، وقتادة^(٧)، وعطاء الخراساني^(٨).

وروي في ذلك حديثٌ ضعيفٌ عن رسول الله ﷺ قال: "ما من مؤمن إلا وله بابان: بابٌ يصعدُ منه عمله، وبابٌ يتزلُّ منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله عز وجل: (كَمْ كَفَرَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ) (الدخان: ٢٩)"^(٩).

ومن ثم، فالبكاء من السماء والأرض حقيقة، وإن لم يعلم البشر كيفية ذلك^(١٠)، ولا يصح إنكاره لعدم رؤية ذلك منهما؛ لأن عدم المعرفة بكُنْه ذلك لا يلزم منه عدم الوقوع، وهو من غيب الله المستور، والله أعلم.

وقد وردت أقوالٌ فيها مناقضةٌ لما ورد عن السلف؛ لأن فيها صرفاً للفظ عن ظاهره، ومنها:

^(١) تفسير الطبري، (٤٢/٢١).

^(٢) تفسير ابن كثير (٢٥٤/٧).

^(٣) تفسير الطبري (٤٢/٢١).

^(٤) تفسير ابن كثير (٢٥٤/٧).

^(٥) تفسير ابن كثير (٢٥٤/٧)، والذي ورد في الطبري عنه أنه حكى التفسير، ومنها قوله: "كان يقال: تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً". تفسير الطبري (٤٢/٢١).

^(٦) تفسير الطبري (٤٤/٢١).

^(٧) تفسير عبد الرزاق (٢٠٨/٣)، وتفسير الطبري (٤٤/٢١).

^(٨) حلية الأولياء (١٩٧/٥).

^(٩) رواه الترمذي في سننه كتاب (التفسير) باب (سورة الدخان) (٣٨٠/٥) ح (٣٢٥٥)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة، ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث". وقال عنه الألباني: ضعيف. ينظر: سنن الترمذي (٣٨٠/٥). وقد رواه أبو يعلى، وابن أبي حاتم، ينظر: تفسير ابن كثير (٢٥٣/٧).

^(١٠) ذكر بعض السلف صورة بكاء السماء، وأنه بحمرتها التي تصير بها، ينظر مثلاً: تفسير ابن كثير (٢٥٤/٧-٢٥٥)، والله أعلم هل هو ذاك البكاء المراد أم لا؟.

١- ذهب به قومٌ مذهبَ العربِ في قولهم: بَكَتَهُ الرِّيحُ والبرقُ؛ كأنه يريدُ أن الله عزوجل حينَ أهلكَ فرعونَ وقومهُ وغرَّقهم وأورثَ منازلهم وجنَّاتهم غيرهم، لم يَبْكِ عليهم بآكٍ، ولم يجزعَ جازعٌ، ولم يُوجدَ لهم فقدٌ^(١).

٢- وقال آخرون: أراد: فما بكى عليهم أهلُ السماءِ ولا أهلُ الأرضِ، فأقام السماء والأرض مقامَ أهلها^(٢).

وهناك تأويلات أخرى تخرج باللفظ عن حقيقته^(٣)، اكتفيت بما ذكرته هنا.

هذا ما قالوه في تفسير الآية، فسلطوا عليها تأويلاتهم المنحرفة، كما سلطوه على مذهب

السلف فلم يسلم من تحريفاتهم، فقد جعلوا تفسيرهم ليس من باب الحقيقة.

قال الزمخشري^(٤): "وكذلك ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في

الأرض، ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء- تمثيل"^(٥).

والمقصود أن هذه التفاسير المتدعة تناقض ما جاء عن السلف؛ لأن قول السلف يجعل البكاء

من السماء والأرض حقيقةً، كما هو ظاهر الترتيل، وهذه الأقوال بأجمعها لا تجعل لهما

بكاء.

ومن ثم، فإن ما ذهبوا إليه- من إنكار كون السماء والأرض تبكيان- قولٌ مردودٌ، ولا يؤخذ

به؛ لعدم إمكانية اجتماعه مع ما قاله السلف في معنى الآية، إذ هو مناقضٌ لقولهم، والله أعلم.

الضابط الثاني: أن يكون المعنى المفسر به صحيحاً:

^(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص: ١٦٩-١٧٠)، ومعاني

القرآن، للنحاس (٤٠٥/٦)، والكشاف، للزمخشري (٢٨٠/٤)، والمحزر الوجيز (٥٧٩/٧).

^(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة (ص: ١٧٠)، ومعاني القرآن، للنحاس (٤٠٥/٦)، تفسير السمرقندي ،

(٢٥٨/٣).

^(٣) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي (ص: ٣٥٥)، وأمالى الشريف المرتضى (٥٣/١-٥٥)، وجمع

البيان، للطبرسي (١١٢/٢٥).

^(٤) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي. النحوي اللغوي المفسر كبير المعتزلة، كان رأساً

في البلاغة والعربية والبيان، ووصف التصانيف المختلفة، توفي سنة (٥٣٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠)، طبقات

المفسرين للأدنه وي (ص: ١٧٢).

^(٥) الكشاف (٥٠٤/٣). وينظر تخريج الشريف المرتضى لقول ابن عباس، في أماليه (٥٣/١)، فقد حمله على المجاز.

المرادُ بذلك أن يكون اللفظُ المُفسَّرُ لألفاظ القرآن وارداً عن العرب، وهذا الضابطُ يفيدُ في رد التفاسير التي يظهر عليها الصبغةُ اللغويةُ، وعند التحقيق يظهر أنها لا تمتُّ للغة العرب بصلة، وغالباً ما تظهرُ هذه المعاني عند المبتدعة، وهي قسمان: القسم الأول: أن يكون المعنى اللغوي مُستحدثاً، ومثاله، تفسير الاستواء عند جمهور المبتدعة من أهل التأويل، بالاستيلاء.

القسم الثاني: أن يكون المعنى المُفسَّرُ به مُصطلحاً حادثاً، ومن ثم فإنه لا يمت للغة العرب بصلة، وتفسير النصوص بالاصطلاح الحادث من أخطر التأويل وأشنعهُ؛ لأنه يُبعدُ القرآن عن مدلوله العربي إلى مدلولاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان، يقول ابن القيم في معرض ذكره لأنواع التأويل الباطل-: "الرابع: ما لم يُؤلف استعمالُهُ في ذلك المعنى في لغة المخاطب، وإن أُلْفَ في الاصطلاح الحادث، وهذا موضعٌ زلت فيه أقدامُ كثير من الناس، وضلت فيه أفهامهم، حيثُ تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يُؤلف استعمالُ اللفظ له في لغة العرب البتة، وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، وهذا مما ينبغي التنبيه له، فإنه حصل بسببه من الكذب على الله ورسوله ما حصل؛ كما تأولت طائفةٌ قوله تعالى (فَلَمَّا أَفَلَّ) (لأنعام: ٧٦) بالحركة، وقالوا: استدل بحركته على بطلان ربوبيته. ولا يُعرفُ في اللغة التي نزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة البتة في موضع واحد.

وكذلك تأويل "الأحد" بأنه الذي لا يتميزُ منه شيءٌ عن شيءٍ البتة. ثم قالوا: لو كان فوق العرش لم يكن أحداً. فإن تأويل الأحد بهذا المعنى لا يعرفُهُ أحدٌ من العرب ولا أهل اللغة، ولا يُعرفُ استعمالُهُ في لغة القوم في هذا المعنى في موضع واحد أصلاً، وإنما هو اصطلاحُ الجهمية^(١)، والفلاسفة^(٢)، والمعتزلة^(١)، ومن وافقهم...^(٢).

(١) هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار، وأنكر الاستطاعات كلها، ونفى الصفات، وزعم أن الجنة = والنار تبيدان وتفتيان، وزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، ومخازيه كثيرة. ينظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (ص: ١٩٩)، والملل والنحل لشهرستاني (١/٨٦).

(٢) الفلسفة اليونانية محبة الحكمة، وأكثر الفلاسفة ينكرون علم الله تعالى، وينكرون حشر الأجساد، ومن أشهرهم أرسطاطاليس ونقل كتبه عن الفلسفة ابن سينا وغيره، وجميع الفلاسفة يعتقدون في تلك الكتب اعتقادات عظيمة. ينظر: الملل والنحل (٢/٥٨)، واعتقادات فرق المسلمين والمشرّكين لفخر الدين الرازي (ص: ٩١).

ومن ثم، فكل تفسير ليس له أصلٌ في لغة العرب فهو مردودٌ، والتفسير به غير صحيح البتة، وإلا لقال كلُّ من هب ودب في القرآن، ولا ضابط لذلك ولا مرجع سوى قول القائل ورأيه واجتهاده، وهذا يخالف الأصول العلمية الثابتة التي قعدها العلماء في دراسة كتاب الله سبحانه.

الضابط الثالث: أن تحمل الآية المعاني في السياق:

يظهرُ عند التأمل أن هذا الضابط إنما هو نتيجةٌ لصحة سير الضابطين السابقين؛ أي: إذا كان التفسير لا يناقض المنقول عن السلف، وهو معنىٌ صحيحٌ، فإن حكمه في الغالب أن تحمله الآية.

الضابط الرابع: أن لا يُقصرَ معنى الآية عليها:

إذا تعددت المعاني المحتملة للآية، وكان هناك ما يدعو إلى تقديم قولٍ على غيره من باب تقديم الأولى، فلا إشكال في ذلك، لأن ذلك التقديم ليس فيه إلغاءٌ للأقوال الأخرى المحتملة. والمقصود هنا أن يقتصرَ على معنىٍ ويُلغى غيره من الأقوال المحتملة إغناءً تاماً، وهذا المنهج مما يتميز به أهل البدع، بل إنهم - أحياناً - لا يذكرون قول السلف، وإن ذكروه لم يُحسنوا عرضه؛ لجهلهم بأقوال السلف ومعرفة معانيها.

ومن الأمثلة التي وقع فيها قصرُ اللفظِ على أحدٍ محتملاته، وإبطالُ غيره، ما وقع في تفسير

العلم في قوله تعالى: (^ط وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)

(البقرة: ٢٥٥)، فقوله: (^ط مِّنْ عِلْمِهِ) يحتل معنيين:

الأول: لا يحيطون بشيءٍ من معلوماته.

(^١) هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وسبب تسميتهم: أن واصل بن عطاء لما قال في الفاسق: لا مؤمن ولا كافر، طرده الحسن البصري من مجلسه، فلحق بعمرو بن عبيد واعتزلا مجلس الحسن. من أشهر بدعهم نفي الصفات والقول بخلق القرآن، ونفي القدر، والقول بأن مرتكب الكبيرة بين المتزلتين، ومخازيهم كثيرة. ينظر: الفرق بين الفرق (ص: ١٥، ٩٣)، والملل والنحل (١/٤٣).

(^٢) الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعتلة، (١/١٨٩-١٩١). وينظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (١/١٩ - ٢٠)، ففيه كلام عن هذا الموضوع.

الثاني: لا يحيطون بشيءٍ من علمِ ذاتهِ وصفاته^(١).

وقد قصر المبتدعةُ معنى هذا اللفظ على الأول دون الثاني، إمّا إنكاراً لصفة العلم الإلهي، وإمّا إنكاراً لتبعضِ علمِ الله تعالى.

قال ابن عطية: "قوله تعالى: (وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ)، معناه: معلوماته. وهذا كقول الخضر لموسى عليهما السلام حين نقر العصفور من حرف السفينة: ما نقص علمي وعلمك من علم الله، إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر^(٢)، فهذا وما شاكله راجعٌ إلى المعلومات؛ لأن علم الله تعالى الذي هو صفة ذاته لا تتبعض، ومعنى الآية: لا معلوم لأحد، إلا ما شاء الله أن يُعلمه"^(٣).

وليس قصرُ معنى "بعلمه" على معنى واحدٍ ذلك بصواب، بل الآية تحتل الأمرين معاً، ولا تعارض بينهما، والأول يستلزم الثاني. قال الشيخ ابن عثيمين: "وعلمٌ في قوله: (مِّنْ عِلْمِهِ) مصدرٌ يحتلُّ أنه على بابه، ويحتلُّ أنه بمعنى: معلوم؛ أي: لا يحيطون بشيءٍ مما يعلمه الله، إلا بما شاء أن يُعلمهم إياه، هذا احتمال.

واحتمالٌ ثانٍ: ولا يحيطون بشيءٍ من علمه؛ أي: من علمهم نفسه وصفاته؛ يعني أنهم لا

يحيطون بشيءٍ يعلمونه في نفسِ الله، أو صفاته إلا بما شاء؛ كما قال تعالى (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) (البقرة: ٢٥٥)، (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (طه: ١١٠)، فالآية محتملةٌ للمعنيين جميعاً، كلاهما صحيحٌ باعتبار الآية، فنحن لا نعلم شيئاً من ذات الله أو صفاته إلا بما شاء علمنا به، فهو الذي أعلمنا أنه استوى على العرش، وهو الذي أعلمنا على لسان رسوله أنه يتزلُّ إلى السماء الدنيا، وهكذا بقية صفاته لا نعلمها إلا بما شاء.

(١) ينظر: الصواعق المرسله (٤/١٣٧٢)، وتفسير ابن كثير (١/٦٧٩-٦٨٠)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص: ١١٠)، وتفسير آية الكرسي، لحمد ابن عثيمين (ص: ١٧).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً، في كتاب (العلم) باب (ما يستحب للعالم ذكره إذا سئل أي الناس أعلم فليكل العلم إلى الله) ح (١٢٢) (١/٥٧).

(٣) المحرر الوجيز (٢/٢٦).

وقال الحسن: من قَبِلَ دنياهم؛ أزينها لهم وأشهبها لهم .
 وعن ابن عباس رواية أخرى: من قَبِلَ الآخرة .
 وقال أبو صالح: أشككهم في الآخرة، وأباعدها عليهم.
 وقال مجاهد أيضاً: من حيث لا يبصرون .
 وعن أيماهم قال ابن عباس: أشبه عليهم أمر دينهم.
 وقال أبو صالح: الحق أشككهم فيه.
 وعن ابن عباس أيضاً: من قَبِلَ حسناهم.
 قال الحسن: من قبل الحسنات؛ أثبطهم عنها.
 وقال أبو صالح أيضاً: من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم: أنفق عليهم وأرغبهم فيه .
 وقال الحسن: وعن شمائلهم: السيئات؛ يأمرهم بها، ويحثهم عليها، ويزينها في أعينهم.
 وصح عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ولم يقل: من فوقهم؛ لأنه علم أن الله من فوقهم.
 قال الشعبي: فالله عز وجل أنزل الرحمة عليهم من فوقهم.
 وقال قتادة: أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.... وقال آخرون- منهم أبو إسحاق^(١) والزمخشري، واللفظ لأبي إسحاق-: ذكر هذه الوجوه للمبالغة في التوكيد؛ أي: لآتينهم من جميع الجهات، والحقيقة- والله أعلم-: أتصرف لهم في الإضلال من جميع جهاتهم.
 وقال الزمخشري: ثم لآتينهم من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا مثلاً لو سوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه؛ كقوله (وَأَسْتَفْرِزُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) (الإسراء: ٦٤)^(٢). وهذا يوافق ما حكيناه عن قتادة: أتاك من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك.

(١) الظاهر أنه أبو إسحاق الزجاج.

(٢) الكشاف (٨٩/٢).

وهذا القول أعم فائدة، ولا يناقض ما قال السلف، فإن ذلك على جهة التمثيل لا التعيين^(١).

٣- أنه لا يلزم من تقريره نسبة الخطأ إلى السابقين، فهذا لا مانع منه إذ هو من الفهم الذي يؤتاه الله رجلاً في كتابه. ومعلوم أن القرآن لا تنقضي عجائبه، ولا يزال العلماء يستنبطون منه معاني جديدة لم يتلقوها عن قبلهم. ومثال ذلك ما ذكره الشنقيطي عند تفسير قوله

تعالى: (جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ) (سورة ص: ١١).

قال: "يفهم منه أنه لو تستطيع جند من الأحزاب للارتقاء في أسباب السماء أنه يرجع مهزوماً صاغراً داخراً ذليلاً، ومما يدل على أن الآية الكريمة يُشار فيها إلى شيء ما كان يظنه الناس وقت نزولها إبهامه جل وعلا لذلك الجند بلفظة (مَّا) في قوله: (جُنْدٌ مَّا) وإشارته

إلى مكان ذلك الجند أو مكان انهزامه إشارة البعيد في قوله: (هُنَالِكَ)، ولم يتقدم في الآية ما يظهر رجوع الإشارة إليه، إلا الارتقاء في أسباب السموات. فالآية الكريمة يُفهم منها ما ذكرنا، ومعلوم أنها لم يفسرها بذلك أحد من العلماء، بل عبارات المفسرين تدور على أن الجند المذكور الكفار الذين كذبوه ﷺ، وأنه ﷺ سوف يهزمهم، وأن ذلك تحقق يوم بدر أو يوم فتح مكة، ولكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه، وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام... ولا مانع من حمل الآية على ما حملها عليه المفسرون.

وما ذكرنا أيضاً أنه يفهم منها، لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتل معاني كلها صحيحة تعين حملها على الجميع^(٢).

(١) إغاثة اللهفان، لابن القيم (١/١٠٢-١٠٤). ومن الأمثلة في ذلك أيضاً ينظر: المحرر الوجيز (١/٣١٢)، وبدائع

التفسير (٤/١٦٤)، (٥/١٦٩).

(٢) أضواء البيان (٢/٢٥٨-٢٥٩).

المبحث الثالث:

اختلاف التنوع بين القبول والترجيح.

التفسير إما أن يكون مختلفاً فيه، أو مجمعاً عليه.

— وإن كان مختلفاً فيه فإنه يعمل بقواعد الترجيح، لأن من المعلوم أن الترجيح لا يكون إلا إذا وجد الخلاف، فهناك ارتباط وثيق بين الخلاف وبين قواعد الترجيح؛ إذ حصول الخلاف وتحققه شرط لازم لإعمال قواعد الترجيح^(١)، وينبغي التنبيه هنا أن الترجيح في اختلاف التنوع يكون لبيان المعنى الأولى، ولا يلزم رد ما عداه.

لذا "فإن احتمل اللفظ جميع الأقوال وأمكن أن تكون مرادةً منه، ووجب حملة عليها جميعاً ما أمكن، سواء أكان احتمالها متساوياً، أم كان بعضها أرجح من بعض، وإلا فحملة على بعضها دون بعض إلغاء للفظ بالنسبة إلى بعض محتملاته من غير موجب، وهو غير جائز... نعم إن كان احتمالها لها متفاوتاً في الرجحان، جاز في مقام الترجيح تقديم الأرجح فالأرجح، بحسب دلالة اللفظ عليه، أو جلالته قائلة، أو عاضده الخارجي، وغير ذلك من وجوه الترجيحات".^(٢)

فالمفسر في اختياره لمعنى من المعاني حال تفسيره للآية، إنما هو لمقصد وعلّة، جعلت المفسر يرجح هذا المعنى دون غيره، وقد نص الزركشي على تلك العلل التي يراعيها المفسر في اختيار معنى ما فقال: "يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم ويحيكه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أن في ذلك اختلافاً، فيحكيه أقوالاً وليس كذلك؛ بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه: لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه

^(١) القواعد التي يترجح بها الأقوال كثيرة منها: ما يعود لدلالة ألفاظ القرآن، أو السنة أو لغة العرب، أو قرائن في السياق، وغيرها. ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لـ د. حسين الحربي.

^(٢) الإكسير في علم التفسير، للطوفي ص (١٣).

ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول إلى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع، فليتفطن لذلك، ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات^(١).

فالآية تحمل على جميع المعاني الواردة فيها إلا إذا ورد دليل على رجحان أحد الأقوال. وقد تأملت الأقوال الواردة في اختلاف التنوع فوجدت أنها:

١- إما أن تكون كلها مقبولة لأنها مستوية في أداء المعنى، أو أنه بمجموعها يكتمل المعنى، ولا يتم المراد إلا بجمع جميع الأقوال وعليه فلا تحتاج إلى الترجيح.

٢- وقد تكون هذه الأقوال بعضها أولى من بعض، فيدخلها الترجيح ولا يعني هذا رد بقية الأقوال، لأن الأقوال في اختلاف التنوع كلها حق، والترجيح بينها من باب اختيار الأوضح والأقرب للفهم في أداء المعنى، وهذا هو غالب ما يدخله الترجيح في التنوع.

قال العز بن عبد السلام^(٢): "وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حملة على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى"^(٣).

وقال الماوردي: "الضرب الثاني: أن يترجح أحدهما على الآخر بدليل وهو على ضربين:....."

الضرب الثاني: أن يكون دليلاً على صحة أحد المعنيين فيثبت حكمه ويكون مراداً، ولا يقتضي سقوط المعنى الآخر..."^(٤)

ويقول ابن عاشور: "وإنك لتمر بالآية الواحدة فتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي . وقد تتكاثر

(١) البرهان (١٥٩/٢-١٦٠).

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي، عز الدين، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، له مؤلفات كثيرة منها: قواعد الشريعة. توفي سنة (٦٦٠هـ). ينظر: فوات الوفيات للكتبي (١/٦٨٢)، والبداية والنهاية (١٣/٢٧٤).

(٣) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز (ص: ٢٢٠).

(٤) النكت والعيون (١/٤٠).

عليك فلا تك من كثرتها في حصر ولا تجعل الحمل على بعضها منافياً للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحاً بذلك"^(١).

٣- وقد يرد الترجيح بين الأقوال من باب تصحيح قول دون قول، وهذا نادر في اختلاف التنوع.

قال الماوردي: "الضرب الثاني: أن يترجح أحدهما - أي أحد القولين - على الآخر بدليل وهو على ضربين:

أحدهما: أن يكون دليلاً على بطلان أحد المعنيين، فيسقط حكمه، ويصير المعنى الآخر هو المراد، وحكمه هو الثابت"^(٢).

وغالب ذلك في المشترك، والمتواطئ المراد به أحد النوعين. فلا يجوز أن يحمل على معنيه أو معانيه، بحيث تكون مرادة معاً في الآية.

أما المشترك الذي لا يمتنع الجمع بين مدلوليه، ولا يظهر تعارض بين الأقوال إذا قيل بجميع معانيه في الآية. فهذا مما يندرج تحت القسم الأول.

فمثال الأول: وهو ما تكون الأقوال فيه مقبولة ولا يدخلها الترجيح.

قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) (البقرة: ٣). فقد ورد في معنى الغيب أقوال أشار إليها ابن عطية بقوله: "واختلفت عبارة المفسرين في تمثيل ذلك، فقالت فرقة: الغيب في هذه الآية هو الله عز وجل، وقال آخرون: القضاء والقدر، وقال آخرون: القرآن وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الحشر والصراط والميزان والجنة والنار.

قال القاضي أبو محمد: وهذه الأقوال لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها"^(٣).

قال ابن كثير: "وأما الغيب المراد هنا فقد اختلفت عبارات السلف فيه، وكلها صحيحة ترجع إلى أن الجميع مراد"^(٤).

(١) التحرير والتنوير (١/٩٧).

(٢) النكت والعيون (١/٤٠).

(٣) المحرر الوجيز (١/١٠٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/٤١). وانظر فيه مثلاً آخر عند قوله تعالى: (وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ) (الواقعة: ١٠).

ومثله قوله تعالى (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) (يونس: ٦٤).

ورد عن المفسرين في المراد بالبشرى في هذه الحياة الدنيا قولان هما:

- ١- الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له.
 - ٢- هي بشارة تكون للمؤمن في الدنيا عند الموت. روي عن قتادة والضحاك.
- قال ابن جرير معقباً على هذه الأقوال: "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن لأوليائه المتقين البشرى في الحياة الدنيا، ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له = ومنها: بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله، كما روي عن النبي ﷺ: "أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجني إلى رحمة الله ورضوانه" (١).

ومنها: بشرى الله إياه ما وعده في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من الثواب الجزيل، كما

قال جل ثناؤه: (بِالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَبِ بَبٍ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (سورة البقرة: ٢٥).

وكل هذه المعاني من بشرى الله إياه في الحياة الدنيا، بشره بها، ولم يخص الله من ذلك معنىً دون معنى، فذلك مما عمه جل ثناؤه: أن لهم البشرى في الحياة الدنيا، "أ.هـ. (٢). فمثل هذا الخلاف محتمل، وكل الأقوال فيه حق، ولا يدخله ترجيح لكون الأقوال كلها صحيحة، وجميعها مراد من الآية. وهذا هو الغالب في اختلاف التنوع.

ومثال الثاني: وهو ما تكون الأقوال كلها مقبولة وبعضها أرجح من بعض.

(١) حديث بغير إسناد، لم أستطع أن أجده بلفظه في مكان قريب. قاله أحمد شاكر. ينظر: تفسير الطبري (١٥ / ١٤٠). ووجدت بمعناه حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه... ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان... وهو حديث طويل. أخرجه أبو داود في كتاب (السنة) باب (في المسألة في القبر وعذاب القبر) ح (٤٧٥٥) (٤/٣٨٣) والإمام أحمد (٤/٢٨٧). والحاكم في المستدرک (٩٣/١) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي في شعب الإيمان (١/٣٥٥) رقم (٣٩٥) وصححه إسناده.

(٢) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٥/١٤٠-١٤١). وينظر أيضاً (٤/٥٢٣-٥٢٤).

قوله تعالى (أَوْلَمَ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) (الرعد: ٤١).

فقد اختلف المفسرون في معناها :

فقال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد الأرض بعد الأرض؟

وقال في رواية: أو لم يروا إلى القرية تخرب، حتى يكون العمران في ناحية؟

وقال مجاهد وعكرمة: (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) قال: خرابها.

وقال الحسن والضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين.

وقال العوفي عن ابن عباس: نقصان أهلها وبركتها.

وقال مجاهد: نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض.

وقال ابن عباس في رواية: خرابها بموت فقهاءها وعلمائها وأهل الخير منها. وكذا قال مجاهد

أيضا: هو موت العلماء^(١).

قال ابن كثير معقباً على هذه الأقوال: "والقول الأول أولى، وهو ظهور الإسلام على الشرك

قرية بعد قرية، ، كما قال تعالى: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى) (الأحقاف: ٢٧)

"^(٢)والقول الذي تشهد له آية قرآنية مقدم على ما عداه ولكن ترجيحه لا يعني بطلان

الأقوال الأخرى.

ومثله: قوله تعالى: (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) (البقرة: ٢٧).

ورد عن السلف في معنى القطع قولان:

-قطع الأرحام. عن قتادة والسدي^(٣).

-يقطعون ما أمر الله به أن يوصل في محمد ﷺ والنبيين والمرسلين من قبله، أن يؤمنوا جميعاً،

ولا يفرقوا بين أحد منهم. عن مقاتل بن حيان^(٤).

^(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٧٢).

^(٢) تفسير ابن كثير (٤/٤٧٣). وانظر أيضاً (١/٢٣٢)، (٤/٥٢٧)، (٦/٥٨)، (٧/٤١٢)، (٨/١٦٦)، (٢٥٧، ٢٥٨، ٤١٥).

^(٣) تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١/٤١٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/٧٢).

^(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١/٧٣).

يقول الطبري: "وقد تأول بعضهم ذلك: أن الله ذمهم بقطعهم رسول الله ﷺ والمؤمنين به وأرحامهم، واستشهد على ذلك بعموم ظاهر الآية، وأن لا دلالة على أنه معنيُّ بها بعضُ ما أمر الله وصله دون بعض.

ثم قال: وهذا مذهبٌ من تأويل الآية غير بعيد من الصواب، ولكن الله جل ثناؤه قد ذكر المنافقين في غير آية من كتابه، فوصفهم بقطع الأرحام. فهذه نظيرة تلك، غير أنها وإن كانت كذلك فهي دالةٌ على ذم الله كل قاطعٍ قطع ما أمر الله بوصله، رحماً كانت أو غيرها"^(١).

وترجيح القول الأول لا يعني بطلان الثاني، فالقولان صحيحان، لكن القول الأول أولى

وأرجح، لأن الله وصف المنافقين بقطع الأرحام في موضع آخر في قوله تعالى: (فَهَلْ

عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ) (محمد: ٢٢).

ومثال الثالث: وهو أن يكون الترجيح بين الأقوال من باب تصحيح قول دون قول، ليس

لخطأ في هذا القول، بل لأمر خارج عنه كالسياق مثلاً. ومثاله: قوله تعالى: (يَخْرُجُ مِنْ

بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) (النحل: ٦٩).

فقد اختلف في مرجع الضمير في (فيه)

-فقيل: يعود على القرآن. عن مجاهد.

وقيل: يعود على العسل. عن ابن عباس وقتادة. وهذا هو المراد بالآية

قال ابن القيم: "الصحيح رجوعه إلى الشراب (العسل)، وهو قول ابن مسعود وابن عباس

والحسن وقتادة والأكثرين، فإنه هو المذكور والكلام سيق لأجله، ولا ذكر للقرآن في الآية،

وهذا الحديث الصحيح "صدق الله"^(٢) كالصريح فيه"^(١)

^(١) تفسير الطبري (١/٤١٦).

^(٢) يشير لحديث أبي سعيد "أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال أخي يشتكي بطنه فقال "اسقه عسلاً". ثم أتاه الثانية فقال "اسقه

عسلاً". ثم أتاه الثالثة فقال "اسقه عسلاً". ثم أتاه فقال "فعلت؟ فقال: "صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه

عسلاً". فسقاه فبرأ. رواه البخاري، ك: الطب، باب الدواء بالعسل (ح: ٥٣٦٠) (٥/٢١٥٢)، ومسلم، كتاب: السلام، باب

التداوي بسقي العسل (ح: ٢٢١٧)، (٤/١٧٣٦).

وقال ابن كثير معقبا على قول مجاهد "وهذا قول صحيح في نفسه، لكن ليس هو الظاهر هاهنا من سياق الآية، فإن الآية إنما ذكر فيها العسل"^(٢).

فظهر بهذا أن الأقوال في اختلاف التنوع من حيث قبولها والترجيح بينها على قسمين: قسم لا يدخله الترجيح لكون الأقوال كلها مقبولة محتملة. وقسم يدخله الترجيح وهو على ضربين:

الأول: أن يكون الترجيح لبيان الأولى والأرجح، لا لقبول قول ورد غيره. الثاني: أن يكون الترجيح لقبول قول ورد ما عداه. ليس لخطأ في هذا القول، بل لأمر خارج عنه كالسياق مثلا.

ولما كان الترجيح لا يأتي إلا في حال الاختلاف، فإن المفسرين لهم طرق في حكاية هذا الاختلاف وهي^(٣):

الأولى: حكاية الاختلاف دون بيان الراجح من الأقوال؛ كتفسير الماوردي وابن الجوزي. الثانية: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح دون ذكر مستند الترجيح؛ كتفسير ابن عطية. الثالثة: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح والقاعدة الترجيحية التي هي سبب الترجيح، كتفسير الطبري والشنقيطي. ولعل هذا اتضح من خلال الأمثلة.

^(١) بدائع التفسير (١١٣/٢).

^(٢) تفسير ابن كثير (٥٧٥/٢). ومثال آخر في قوله تعالى (أَلَمْ نَخْلُقْكَ أَلَدِينَ خُلُقًا) (التوبة: ١١٨). ينظر: المحرر الوجيز (٣٨١/٥).

^(٣) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص ٩٩).

المبحث الرابع:

أثر اختلاف التنوع في الإجماع.

إذا حكي الإجماع في آية هي من قبيل اختلاف التنوع، فعلى أي شيء يقع الإجماع في هذه الحال؟

الإجماع في التفسير قد يكون إجماعاً على لفظ، أو إجماعاً على معنى.

فأما الإجماع على اللفظ: فهو أن تتفق عبارات المفسرين على لفظ بعينه.

وهذا النوع هو الذي يحكيه المفسرون في الإجماع، فهو خارج عن الخلاف أصلاً.

مثاله: قوله تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) (البقرة: ٢٦٨).

قال ابن القيم: "الفحشاء: هو البخل إجماعاً"^(١).

ومثله: الإجماع على أن المراد بقوله تعالى: (لَا تَدْرِي لَعَلَّ جَـجٍ جَـجٍ

أُمْرًا) (الطلاق: ١) "الرجعة في قول الجميع"^(٢).

وأما الإجماع على المعنى فهو الذي يُراد عند ذكر اختلاف التنوع والإجماع.

فإن كان المعنى واحداً، لكن عبارات المفسرين اختلفت في بيان هذا المعنى، فلا يؤثر مثل هذا

الاختلاف على حكاية الإجماع و يرد صحته، مادام الإجماع على قول يجمع بين الأقوال.

وحتى يتجلى الأمر ويُعرف المقصود لابد من ذكر بعض أنواع اختلاف التنوع، وهي

كالتالي:

^(١) التفسير القيم (ص ١٦٨).

^(٢) النكت والعيون (٣٠/٦). ومن الأمثلة في ذلك أيضاً قوله تعالى: (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ

أَهْلِهَا) (النساء: ٧٥) ينظر: النكت والعيون (١/٥٠٦)، والمحرر الوجيز (٢/٦٠٣). تفسير القرطبي (٥/٢٧٩)، وقوله

تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ) (الأعراف: ٢٠٦)، تفسير القرطبي (٧/٣٥٦)، وفتح

القدير (٢/٢٨١). وغيرها.

١- إن كانت الأقوال المذكورة من باب التمثيل للمعنى العام، فإن الإجماع يكون على المعنى العام الذي يشمل كل هذه التمثيلات.

ومن أمثلة ذلك: تفسير المحروم في قوله تعالى (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٩) قال ابن عطية: "واختلف الناس في معنى "المحروم" اختلافاً، هو عندي تخليط من المتأخرين، إذ المعنى واحد، وإنما عبر علماء السلف في ذلك بعبارات على جهة المثالات فجعلها المتأخرون أقوالاً..... والمعنى الجامع لهذه الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه" (١).

٢- وإن كان هناك قول يستلزم ما عداه من الأقوال، فإن الإجماع يكون على هذا القول لاستلزامه بقية الأقوال.

ومن أمثلته: قوله تعالى (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) (البقرة: ٢٠١). قال ابن عطية: "حسنة الآخرة: الجنة، بإجماع" (٢).

وقد ذكر المفسرون أقوالاً أخرى في حسنة الآخرة فقليل هي: العافية، وقيل الحور العين (٣). ولا منافاة بين هذين القولين وبين القول بأنها الجنة، بل القول بأنها الجنة مستلزم لهما، فمن دخل الجنة أعطي الحور العين، وبلغ غاية العافية.

وقد بين هذا ابن كثير فقال: "وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفرع الأكبر، وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة" (٤).

٣- وفي تفسير المعنى بالألفاظ المتقاربة، يكون المعنى مجمعاً عليه، ولكن يختلف التعبير عنه، فاختلاف الألفاظ في التعبير عن المراد أمر لا بد منه، ومن أمثلته: قوله تعالى (وَلَقَدْ أَخَذَ

اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) (المائدة: ١٢). قال ابن عطية: "واختلف

(١) المحرر الوجيز (٦٨/٨).

(٢) المحرر الوجيز (٤٩٣/١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٢٠٣/٤)، والنكت والعيون (٢٦٢/١)، زاد المسير (٢١٦/١).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٤٤/١).

المفسرون في كيفية بعث هؤلاء النقباء بعد الإجماع على أن النقيب كبير القوم، القائم بأمرهم التي ينقب عنها وعن مصالحهم فيها" (١).

وقد ذكر الطبري أقوالاً أخرى في معنى النقيب، منها:

١- الضمين. عن الحسن.

٢- الشاهد. عن قتادة.

٣- الأمين. عن الربيع (٢). (٣)

وهذه الأقوال لا تُعارض ما ذكره ابن عطية من الإجماع، ولذا قال ابن الجوزي "وهذه الأقوال تتقارب" (٤)، وكلها تدخل تحت المعنى الجامع الذي أشار إليه ابن عطية.

٤- أما النوع المحتمل لأكثر من معنى مع صحة احتمال الآية له، فقد يذكرون كل ما تحتمله الآية، وقد يذكرون أحد ما تحتمله الآية، وفي كل إجماعهم على ذلك المذكور.

فتبين مما سبق أن اختلاف التنوع لا يؤثر على حكاية الإجماع "إذا حكى الإجماع على

قول يجمع بين الأقوال، أما إذا حكى الإجماع على أحد تلك الأقوال، فإن حكايته على هذا النحو قد تكون إلغاءً للأقوال الأخرى؛ لذا فإنه يستفصل عند حكاية الإجماع، هل المراد به أن يكون القول الذي حكى الإجماع عليه هو أحد ما يراد بالآية وتفسر به؟ أو هو المراد وحده مع نفي ما عداه؟

فإن كان الثاني فإن حكاية الإجماع لا تصلح لوجود الخلاف، وإن كان الأول فلا يقال إنه صحيح بإطلاق لوجود الاحتمال وإن كان الغالب الصحة" (٥).

فاختلاف التنوع لا يؤثر على حكاية الإجماع إذا حكى الإجماع على نحو تجتمع فيه الأقوال، وليس فيه إلغاءً لأحدها، وقد يؤثر فيما عدا ذلك.

وهنا ترد مسألة :

(١) المحرر الوجيز (٣/١٢٦).

(٢) الربيع بن أنس.

(٣) تنظر الأقوال في: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١٠/١١٠-١١١)، زاد المسير (٢/٣١٠-٣١١).

(٤) زاد المسير (٢/٣١١).

(٥) الإجماع في التفسير، د. محمد الخضير (ص ١٠٩).

إذا كانت الآية تحتل أكثر من معنى، وأجمع السلف على بعض هذه المعاني المحتملة، فهل يجوز تفسير الآية بما فيها من الاحتمال الصحيح الذي لم يذكره السلف؟ في المسألة تفصيل:

إن كان المعنى مضاداً لقولهم فلا يجوز التفسير به، بل هو مردود غير مقبول. وإن كان غير مضاد بل تحمله الآية، جاز التفسير به؛ لأنه لا يكون مناقضاً لإجماعهم، ولا يلزم من عدم ذكرهم إياه عدم قبولهم له^(١).

وقد سبق الجواب على هذه المسألة في الكلام عن تفسير الآية بما لم يرد عن السلف^(٢).

تبيهات حول الإجماع والاختلاف:

١- قد يجتمع الإجماع والخلاف في موضع واحد، فينص بعض المفسرين على الإجماع، ويحكي غيره خلافاً في نفس الآية، ويكون كل منهما مصيباً، لاختلاف الاعتبار المتعلق به كل منهما. مثال ذلك:

قوله تعالى (فَإِنْ يَئِسْ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) (البقرة: ٢٣٠). قال القرطبي: "المراد بقوله تعالى (فَإِنْ يَئِسْ) الطلقة الثالثة (يَئِسْ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ) وهذا مجمع عليه لا خلاف فيه"^(٣).

وقد ذكر بعض المفسرين خلافاً عن السلف في هذه الآية، مردُّه إلى الخلاف في قوله

تعالى (الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ ۖ فَأَمَّا كُ ۖ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ) (البقرة: ٢٢٩) فقد اختلف في التسريح بإحسان، فقال بعضهم: إنه الطلقة الثالثة، وقال آخرون: بل هو ترك الرجعة بعد الطلقة الثانية حتى تنقضي العدة^(٤).

(١) فصول في أصول التفسير (ص ٧٦).

(٢) ينظر: ص (٢٤٢) وما بعدها.

(٣) تفسير القرطبي (٣/٤٧١).

(٤) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٤/٤٥٨-٤٥٩)، الإجماع في التفسير (ص ٢٢٧).

فمن قال بالأول: جعل قوله تعالى هنا (فَإِنْ ي) بيانا للتسريح بإحسان، ومن قال بالثاني: جعل هذه الآية إنشاءً لذكر الطلقة الثالثة التي لم تُذكر قبل^(١).

فتحصل أن الفريقين جميعاً يقولان بأن قوله تعالى (فَإِنْ ي) أريد به الطلقة الثالثة، غاية الأمر أن بعضهم جعله بيانا لما ذُكر قبل، وبعضهم جعله إنشاءً لحكم جديد لم يُذكر، لكن كلا الفريقين لم يختلفا في كون هذه الآية مراداً بها الطلاق الثالث.

فمن ذكر الخلاف في هذه الآية أراد اختلافهم: هل هي بيان أو إنشاء وليس مراده نقض الإجماع، فالإجماع انعقد على جهة غير التي قام عليها الخلاف^(٢).

٢- "قد يدعى الخلاف في موضع الإجماع ولا ينتقض الإجماع، وذلك بأن يذكر المفسرون خلافاً في موضع قيل فيه بالإجماع، ولا ينتقض الإجماع بما ذكره من خلاف؛ إما لأن المخالف رجع عن قوله، أو لكون الخلاف غير ثابت عنه"^(٣).

مثال ذلك: ما ذكره الشاطبي عن ابن عباس من رجوعه عن القول بجواز المنعة^(٤).

ومثاله أيضاً: ما ذكره ابن عطية في قوله تعالى (فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثَلَاثَا مَا

تَرَكَ) (النساء: ١١). قال: "معناه: اثنتين فما فوقهما، تقتضي ذلك قوة الكلام، وأما الوقوف

مع اللفظ فيسقط معه النص على اثنتين، ويثبت الثلثان لهما بالإجماع الذي مرت عليه

الأمصار والأعصار، ولم يحفظ فيه خلاف إلا ما روي عن عبد الله بن عباس أنه يرى لهما النصف"^(٥).

(١) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (٤/٤٧٤-٤٧٥)، الإجماع في التفسير (ص ٢٢٨).

(٢) ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير (ص: ١٥١-١٥٢).

(٣) الاختلاف بين السلف في التفسير (ص: ١٥٢).

(٤) الموافقات (٥/٢١٤).

(٥) المحرر الوجيز (٢/٤٨٠).

فأنت تراه ذكر الإجماع على كون نصيب البنتين هو الثلثان، وذكر أن ابن عباس خالف في ذلك، فرأى أن فرض البنتين هو النصف، لكن نقل الآلوسي أنه رجع عن قوله فقال: "صح رجوع ابن عباس عن ذلك فصار إجماعاً"^(١).
 فإن كان ما ذكره الآلوسي صحيحاً ارتفع الخلاف، وصير إلى الإجماع.
 ٣- قد يحكي مفسر الإجماع في موضع وقع فيه الخلاف، فلا تعد حكايته للإجماع دفعاً للخلاف، وذلك راجع لكونه متساهلاً في حكاية الإجماع، كأن يعد القول المشهور أو قول الجمهور إجماعاً.

ومن أمثلة ذلك: ادعاء الواحدي^(٢) والقرطبي الإجماع: على أن المراد بالخليفة في قوله تعالى (إِنِّي پ پ پ پ پ) (البقرة: ٣٠) هو آدم، مع أن الخلاف فيها معروف^(٣)، وقد رد ابن كثير دعوى الإجماع^(٤).
 وعوداً على بدء فإن اختلاف التنوع كان له أثرٌ في قضية الترجيح والإجماع بين المفسرين، وكذا فهو يدل على سعة المعنى وتوضيحه، من خلال تعدد الاحتمالات التفسيرية.

^(١) روح المعاني (٤/٢٢٣).

^(٢) علي بن أحمد بن محمد بن علي أبو الحسن الواحدي النيسابوري. كان أوحد عصره في التفسير، لازم التعليق، وحصل كثيراً من العلوم، وصنف التفاسير الثلاثة البسيط، والوسيط، والوجيز. توفي سنة ٤٦٨ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٣٣٩)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ٧٨).

^(٣) تنظر أقوال السلف في معنى خليفة في تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر (١/٤٤٩-٤٥٤).

^(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (١/٦٩)، والإجماع في التفسير (ص: ١٥٨-١٥٩)، وينظر فيه أمثلة أخرى (ص: ١٣٠-١٣١-٢٧٩).

القسم الثاني: الدراسة التطبيقية

من أول سورة الملك إلى آخر سورة المدثر

قال تعالى (فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ جَ جَ) (الملك: ٣).

١- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (جَ جَ)

(١) الوهي، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(١).

(٢) خلل، عن قتادة^(٢).

(٣) شقوق، عن ابن عباس^(٣)، وسفيان الثوري^(٤).

التعليق:

قال ابن فارس^(٥): "(فطر) الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتَحَ شيءٍ وإِبرازِهِ"^(٦).

"وأصل الفطر الشقُّ، ومنه قول الله جل وعز: (بِأَسْمَاءٍ أَنْفَطَرْتُمْ) (الانفطار: ١) أي: انشقت. وتفطرت قدماه أي انشقتا، ومنه أخذ فِطْرُ الصائم لأنه يفتح فاه"^(٧).

يقال: فطر فلان كذا فطرا، وأفطر هو فطورا، وانفطر انفطارا. قال تعالى: (هَلْ تَرَىٰ جَ جَ) (الملك: ٣)، أي: اختلال ووهي فيه^(٨).

والفطور جمع فطر، وهو الشق والصدع، وفطر الشيءَ يَفْطُرُهُ فِطْرًا فأنفطر، وفطره شقه، وتَفَطَّرَ الشيءُ تَشَقَّقَ. قال تعالى: (هَلْ تَرَىٰ جَ جَ)، أي: اختلال ووهي فيه، ومنه قوله تعالى إذا السماء انفطرت أي انشقت، ويقال: سيف فطار أي: فيه صدوع وشقوق. وفطر نابُ

(١) تفسير الطبري (١٢٠/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٢٠/٢٣).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٥/٨).

(٤) تفسير الطبري (١٢١/٢٣).

(٥) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي أبو الحسين اللغوي الأديب، أصله من قزوين وأقام مدة في همدان ثم انتقل

إلى الري فتوفي بها. من تصانيفه: مقاييس اللغة، وصنف في التفسير "جامع التأويل في تفسير القرآن"

ولد سنة ٣٢٩هـ. وتوفي سنة ٣٩٥هـ. ينظر: الأعلام (١٩٣/١)، معجم المؤلفين (٤٠/٢).

(٦) مقاييس اللغة (٤٠٧/٤) مادة فطر.

(٧) تهذيب اللغة (٢٢٢/١٣) مادة (فطر).

(٨) مفردات ألفاظ القرآن (١٩٨/٢).

البعير يَفْطُرُ فَطْرًا شَقًّا وطلع فهو بعير فاطرٍ، وقيل: للكفاءة: فطر، من حيث إنها تفطر الأرض فتخرج منها^(١).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

الفطور في لغة العرب: التشقق والتصدع، وجاءت عبارات السلف متقاربة في التعبير عن هذا المعنى. فالأقوال الواردة عن السلف-الوهي والخلل والشقوق- كلها تقريب لمعنى فطور. فتفسير فطور بالشقوق تفسيرٌ للفظ بمطابقه في اللغة، كما يظهر من أقوال أئمة اللغة سالفة الذكر.

وأما تفسير فطور بالخلل فهو تفسير على المعنى؛ إذ الخلل مظهر من مظاهر الشقوق.

وأما القول بأن معنى "فطور" هو الوهي؛ فهو تفسير للفظ بلازمه، إذ من لوازم التفطر والتشقق

الوهي، وجاء هذا ظاهراً في قوله تعالى (وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فِيهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةً) (الحاقة: ١٦). فهي إنما وهت وضعفت بسبب تشققها، وهذا إنما يكون في يوم القيامة، أما في الدنيا فلا يمكن أن يعترى السماء لذا أمر سبحانه بإرجاع البصر وترديده بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقوقاً ولا خللاً.

وهكذا نجد أن جميع عبارات السلف هنا تعطي صورة متكاملة للمعنى، فمنهم من فسر على اللفظ، ومنهم من فسر على المعنى، ومنهم من فسر باللازم، وكلها صحيحة لا تعارض بينها.

^(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (١٩٨/٢)، ولسان العرب (٥٥/٥) مادة فطر.

قال تعالى (يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) (الملك: ٤).

٢/الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (خَاسِئًا)

(١) ذليلاً، عن ابن عباس^(١).

(٢) حاسراً، عن قتادة من طريق سعيد^(٢).

(٣) صاغراً، عن قتادة من طريق معمر^(٣).

(٤) الخاسئ والخاسر واحد، حسر طرفه أن يرى فيها فطراً فرجع وهو حسير قبل أن يرى فطراً عن ابن زيد^(٤).

التعليق:

"(خَسَأً) الخاء والسين والهمزة يدلُّ على الإبعاد. يقال خَسَأْتُ الْكَلْبَ"^(٥).

وَحَسَأَ الْكَلْبُ بِنَفْسِهِ يَخْسَأُ خُسُوءًا أَي: زجرته مستهيناً به فانزجر.

وَالْخَاسِئُ الْمُبْعَدُ وَيَكُونُ الْخَاسِئُ بِمَعْنَى الصَّاعِرِ. وَخَسَأَ بَصْرُهُ يَخْسَأُ خَسَأً وَخُسُوءًا إِذَا سَدِرَ

وَكَلَّ وَأَعْيَا، وَفِي التَّرْتِيلِ (يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) (الملك: ٤) وَيُقَالُ: خَسَأْتُهُ " فَخَسَأَ " - أَي: أَبْعَدْتُهُ فَبَعْدَ"^(٦).

"وقال الزجاج: خاسئاً أي صاغراً . وقال في قوله عز وجل (فَ فُثَّةٌ وَلَا تُكَلِّمُونَ) (سورة

المؤمنون: ١٠٨) معناه تَبَاعَدُ سَخَطٍ، يُقَالُ: خَسَأْتُ الْكَلْبَ أَحْسُوهُ إِذَا زَجَرْتَهُ لِيَتْبَاعَدَ"^(٧).

نوع الاختلاف:

(١) تفسير الطبري (١٢١/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٥/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢٢/٢٣). وسعيد هو: سعيد بن أبي عروبة مهران اليشكري مولاهم أبو النضر البصري ثقة حافظ

له تصانيف كثير التدليس واختلط وكان من أثبت الناس في قتادة من السادسة مات سنة ست وقيل سبع

وخمسين. ينظر: تهذيب الكمال (٥/١١) وتقريب التهذيب (ص: ٢٣٩).

(٣) تفسير الطبري (١٢٢/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (١٢٢/٢٣).

(٥) مقاييس اللغة (١٤٥/٢).

(٦) ينظر: تهذيب اللغة (٢٠٢/٧) مادة (خَسَأَ)، لسان العرب (٦٥/١) مادة (خَسَأَ)، وتاج العروس (٢١٠/١). مادة (خَسَأَ).

(٧) - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١٩٨/٥)، و (٢٤/٤).

التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ متقاربة .

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

أمر الله سبحانه وتعالى الخلق بالتأمل والنظر في بديع صنعه في خلق السموات و تكرار النظر فيها لطلب فطور أو خلل أو عيب ، فإنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقوقاً أو خللاً، رجع بصرك خاسئاً صاغراً؛ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقوق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل.

"وإنما أمر بالنظر مرتين؛ لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة لا يرى عيبه ما لم ينظر إليه مرة أخرى.

فأخبر تعالى أنه وإن نظر في السماء مرتين لا يرى فيها عيباً بل يتحير بالنظر إليها"^(١).

وإذا تأملت الأقوال الواردة عن السلف تجد أنها متقاربة في بيان هذا المعنى، فالقول الأول وهو أنه ذليل تفسير على المعنى، لأن الذل مظهر من مظاهر الخاسئ، ويدل على الصغار والهوان. حينما لم يتحقق له مطلبه.

وأما القول الثاني وهو تفسير قتادة أن معنى خاسئ هو الحاسر، فإنما هو تفسير باللازم؛ لأنه إنما كان البصر خاسئاً حين حسر عن طرفه أن يرى فيها فطوراً فرجع وهو خاسئ.

وأما القول الثالث وهو تفسير قتادة في الرواية الأخرى الخاسئ بالصاغر تفسير للفظ بمطابقه في اللغة، فهو من التفسيرات اللفظية التي يراعي المفسر فيها الدلالة اللغوية للفظ المفسر.

وأما تفسير ابن زيد الخاسئ بالحسير فهو تفسير باللازم، لأن الخاسئ لا بد أن تصيبه الحسرة والكلل من كثرة النظر ، ولانكشاف حاله في قلة بصره وضعفه فهو حسر طرفه أن يرى فيها فطوراً فرجع وهو حسير قبل أن يرى فيها فطوراً؛ لذا فكل خاسئ حسير وكل حسير خاسئ.

(١) تفسير القرطبي (٢٠٩/١٨).

وبالنظر في الأقوال المذكورة هنا: يُلاحظ أن جمعها قد صور الصورة الكاملة لهيئة البصر في نظره إلى السماء، ومثلُ هذا لا يعطيه قول واحد من هذه الأقوال، فجمعُ أقوالهم يُفيدُ ما لا يُفيدُه القولُ الواحدُ منها.

قال تعالى (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ) (الملك: ٤).

٣- الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (حَسِيرٌ)

(١) مرجف، عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة^(١).

(٢) كليل، عن ابن عباس^(٢).

(٣) مُعِيٍّ، عن قتادة^(٣).

التعليق:

"الحسير مأخوذ من الحسر، وهو الكشْف عن الشيء. يقال حَسَرْت عن الذراع، أي كَشَفْتَه.

والحاسر: الذي لا دَرع عليه ولا مَغْفَر. وفلان كريم المَحْسَر، أي كريم المخبر، أي: إذا كَشَفْت عن أخلاقه وجدتَ ثَمَّ كريماً، ويقال: حَسَرَ البصر إذا كَلَّ وهو حَسِير، وذلك لانكشاف حاله في قلة بصره وضعفه"^(٤).

وحَسَرَ بصره يَحْسِرُ حُسُوراً، أي كَلَّ وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك فهو حَسِير ومَحْسُور"^(٥).

وقال الفراء: "حسير أي: كليل كما تَحْسِرُ الإبِلُ إذا قُوِّمَتْ عن هُزالٍ وكَلالٍ.. قال والعرب تقول: حَسَرْتُ الدابة إذا سَيَّرْتَهَا حتى ينقطع سَيْرُهَا، وأما البصر فإنه يَحْسِرُ عند أقصى بلوغ النظر"^(٦).

"والحاسر: المعيا لانكشاف قواه، ويقال للمعيا حاسر ومحسور، أما الحاسر فتصورا أنه قد

حسر بنفسه قواه، وأما المحسور فتصورا أن التعب قد حسره، وقوله عز وجل: (يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ

(١) تفسير الطبري (١٢١/٢٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٥/٨).

(٣) تفسير الطبري (١٢٢/٢٣).

(٤) مقاييس اللغة (٤٨/٢-٤٩). مادة (حسر).

(٥) لسان العرب (١٨٧/٤) مادة: حسر.

(٦) معاني القرآن (١٧٠/٣).

أَلْبَصْرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (الملك: ٤) ، يصح أن يكون بمعنى حاسر، وأن يكون بمعنى محسور^(١).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال السلف في معنى حسير يجد أنها تدور حول بيان حال البصر في نظره إلى السماء هل فيها فطور؟ وقد ذكرت أنفاً جزءاً من ذلك عند قوله "خاسئاً".

فقول ابن عباس رضي الله عنهما -مرجف- تفسير على المعنى، إذ البصر إذا تأمل في السماء ولم يجد خللاً رجع مرجفاً من تعظيم الله سبحانه.

وأما قول ابن عباس في الرواية الأخرى -أنه كليل- فهو تفسير للفظ بمطابقه في اللغة، وهذا التفسير يقرب منه قول قتادة -مُعِيٌّ- إذ الكليل والإعياء يصيبان البصر من كثرة النظر والتأمل. فهذه الأقوال مختلفة العبارة متحدة المعنى فلا تعارض بينها.

(١) -مفردات ألفاظ القرآن (١/٢٣٤).

قال تعالى (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) (الملك: ١١).

٤- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (فَسُحِّقًا).

(١) بُعْدًا، عن ابن عباس^(١).

(٢) وادٍ في جهنم، عن سعيد بن جبير^(٢).

التعليق:

قال ابن فارس: "السين والحاء والقاف أصلان: أحدهما: البعد، والآخر: إتهاك الشيء حتى يبلغ إلى حال البلى، يقال: سحقت الشيء أسحقه سحقا"^(٣).

وتقول العرب للرجل: بُعْدًا له وسُحْقًا، أي أبعد الله وأسحقه. وانسحق الرجل انسحاقًا، إذا بَعُدَ عنك. ومكان سحيق: بعيد^(٤).

والسُّحُقُ الثوب الخلق الذي أنسحق وبلى كأنه بُعِدَ من الانتفاع به... والسُّحُقُ البُعْدُ ويقال: النخلة السُّحُوقُ أي: الطويلة التي بُعِدَ ثمرها على المُجْتَنِي.^(٥)

نوع الاختلاف:

من باب التفسير باللازم، (لأن من أبعد الله فقد أبعد في النار).

سبب الاختلاف:

أن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها، من أجل التنبيه على أن معنى الآية غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره.

الجمع بين الأقوال:

(١) تفسير الطبري (١٢٦/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٦/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢٦/٢٣).

(٣) مقاييس اللغة (١٠٧/٣) مادة سحق.

(٤) جمهرة اللغة (٥٣٢/١).

(٥) ينظر: لسان العرب (١٥٢/١٠). مادة (سحق).

الناظر في القولين السابقين لا يجد بينهما تفاوتاً ولا تناقضاً، فهو دعاء على الكافرين، إما بالإبعاد من رحمة الله، أو دعاء عليهم بوادٍ في جهنم. وإذا تأملت هذا لا تجد بينهما تناقضاً لأن من أبعد الله من رحمته فمصيره جهنم والعياذ بالله.

فتفسير ابن عباس "سحقاً" -بعداً- تفسير للفظ بمطابقه في اللغة، وأما قول ابن جبير فهو تفسير باللائم، إذ من أبعد من رحمة الله فمصيره جهنم.

وبهذا يجتمع القولان فلا تناقض بينهما وكلاهما بمعنى واحد فهو دعاء عليهم بالإبعاد في جهنم.

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَ ث ف ث) (الملك: ١٥).

٥- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (ث)

١- جبالها. عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وقتادة^(١).

٢- أطرافها ونواحيها. عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد^(٢).

التعليق:

قال ابن فارس: " (نكب) النون والكاف والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على ميلٍ في الشَّيء. ونكَبَ

عن الشَّيء يَنكُبُ. قال الله تعالى: (وَإِنَّ الَّذِينَ يَمْ بِي بِي عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ) (المؤمنون ٧٤).

"وَالْمَنكِبُ: مُجْتَمَعٌ مَا بَيْنَ الْعِضْدِ وَالكَتِفِ، وَهُمَا مَنكِبَانِ، لِأَنَّهُمَا فِي الْجَانِبَيْنِ... " (٣)

"وأصل المنكب الجانب ومنه منكب الرجل. " (٤)

"واستعير للأرض. قال تعالى: (ث ف ث) (الملك: ١٥) " (٥)

"وَالْمَنكِبُ مِنَ الْأَرْضِ: الْمَوْضِعُ الْمُرْتَفِعُ" (٦)

فالمنكب ناحية كل شيء وجمعه مناكب.

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن لفظ (مناكب) مشترك بين أكثر من معنى، وذكر كل مفسر معنى منها.

الجمع بين الأقوال:

(١) تفسير الطبري (١٢٧/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٦/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢٨/٢٣-١٢٩).

(٣) مقاييس اللغة (٤٧٤/٥). مادة نكب.

(٤) الكشف والبيان، للشعلي (٣٥٩/٩).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٤٥٢/٢)

(٦) الصحاح، للجوهري (٢٤٩/٢) مادة نكب

الناظر في أقوال السلف، يجد أنه لا تعارض بينها ويجوز أن تكون كلها مرادة، فتكون الآية أمراً بالمشي في جبال الأرض، وسهولها ومنابت زرعها وأشجارها، كما تكون أمراً بالمشي في أطرافها ونواحيها وطرقها. وفي كل قد مشى الإنسان.

وقد رجح الطبري القول الثاني فقال: "وأولى القولين عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه"^(١).

والصحيح أن كلا القولين محتمل؛ لأن الآية فيها إظهار نعمة الله في التذليل كما قال الحسن: "سهلها حيث أردتم فقد جعلها لكم ذلولاً لا تمتنع"^(٢). ومن باب التذليل أنهم يستطيعون السير على كل شيء في الأرض.

وكما قال ابن جزري: "والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيهاً بالدواب"^(٣).

"وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنبأها عن أن يطأه الراكب بقدمه، فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها، لم يبق منها شيء لم يتذلل"^(٤).

(١) تفسير الطبري (١٢٩/٢٣).

(٢) الكشف والبيان (٣٥٩/٩).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (١٣٥/٤).

(٤) تفسير أبي السعود (٧/٩).

قال تعالى (بَل لَّجُوا فِي عُتُوِّ وَنُفُورٍ) (الملك: ٢١)

٦- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (عُتُوِّ)

(١) ضلال، عن ابن عباس^(١).

(٢) كفور، عن مجاهد^(٢).

التعليق:

العتو في اللغة يدل على الاستكبار، ومجازة الحد.

قال ابن فارس: " العين والتاء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على الاستكبار. قال الخليل^(٣)

وغيره: عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا: استكَبَر. قال الله تعالى: (وَعَتَوُا كِبِيرًا) (الفرقان ٢١)"^(٤).

قال ابن منظور: " عَتَا يَعْتُو عُتُوًّا وَعَتِيًّا اسْتَكْبَرَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَتَعَتَّى فَلَانٌ لَمْ يُطِيعِ وَالْعَتَا الْعَصِيَانُ وَعَتَا الشَّيْخُ عُتِيًّا وَعَتِيًّا بَفَتْحِ الْعَيْنِ أَسَنَّ وَكَبَرَ وَوَلَّى"^(٥).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

^(١) تفسير الطبري (١٣٢/٢٣)، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٨/٨)؟

^(٢) تفسير الطبري (١٣٢/٢٣).

^(٣) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن البصري الفراهيدي الأزدي النحوي اللغوي الزاهد، كان يهج سنة ويغزو سنة إلى أن مات له المصنفات المشهورة منها (كتاب العين)، مات سنة (١٧٠) هـ ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٢٩/٧)، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص ٩٩).

^(٤) مقاييس اللغة (٤/١٨٣). مادة (عتا).

^(٥) لسان العرب (٢٧/١٥) مادة (عتا).

العتو في اللغة الاستكبار ومجاوزة الحد، والناظر في أقوال السلف في معنى "عتو" يجد أن هذا المعنى ظاهراً فيها، فالضلال والكفر كلاهما مجاوزة للحد واستكبار عن طاعة الله. فالقولان متلازمان؛ إذ الكفر ضلال ولاشك، والضلال طريق للكفر.

قال تعالى (أَرَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ پ پ) (الملك: ٢٧)

٧- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (زُلْفَةً).

(١) معاينة، عن الحسن، وقتادة^(١).

(٢) قد اقترب، عن مجاهد^(٢).

(٣) حاضر، عن ابن زيد^(٣).

التعليق:

"الزُّلْفَى فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْقُرْبَى، وَزُلْفَإِ إِلَيْهِ وَازْدَلْفَ وَتَزَلْفَ دَنَا مِنْهُ.. وَأَزْلَفَ الشَّيْءَ قَرَّبَهُ

وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ (وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةُ ج) (سورة الشعراء: ٩٠) أَي: قُرِّبَتْ"^(٤).

قال الزجاج: وتأويله أَي قَرَّبَ دَخُولَهُمْ فِيهَا وَنَظَرَهُمْ إِلَيْهَا.^(٥)

قال ابن فارس: " (زلف) الزاء واللام والفاء يدلُّ على اندفاعٍ وتقدمٍ في قرب إلى شيء. يقال من ذلك ازدلف الرجل: تقدم. وسميت مُزْدَلْفَةً بِمَكَّةَ، لِاقْتِرَابِ النَّاسِ إِلَى مَنْى بَعْدَ الْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَافَاتٍ. وَيُقَالُ لِفُلَانٍ عِنْدَ فُلَانٍ زُلْفَى، أَي قُرْبَى. وَأَمَّا الزُّلْفُ مِنَ اللَّيْلِ، فَهِيَ طَوَائِفُ مَنْهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْهَا تَقْرُبُ مِنَ الْآخَرَى."^(٦)

نوع الاختلاف:

من قبيل التفسير باللازم.

سبب الاختلاف:

لأن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها من أجل التنبيه على أن معنى الآية غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره .

(١) تفسير الطبري (١٣٥/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٣٦/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (١٣٦/٢٣).

(٤) لسان العرب (١٣٨/٩) مادة (زلف).

(٥) معاني القرآن (٩٤/٤).

(٦) مقاييس اللغة (١٥/٣) مادة (زلف).

الجمع بين الأقوال:

مما هو ظاهر أن الأقوال الواردة في بيان المقصود بـ "زلفة" مرتبطة ببعضها ارتباطاً تاماً، بل تجدد التلازم الواضح بين هذه الأقوال كلها؛ إذ الكافرون لما كان العذاب قريباً منهم، فلا بد أنهم عاينوه وذلك لأن ما قرب من الإنسان رآه معاينة، وكونهم رأوا العذاب فلا بد أن يكون حاضراً .

فتفسير زلفة - بقريب - تفسيرٌ لفظي روعي فيه المعنى اللغوي لكلمة زلفة ، وأما قول الحسن وقتادة - معاينة - وكذا ابن زيد - حاضراً - فهو تفسير بالمعنى .

وهذه الأقوال ليس بينها تعارض، بل الجمع بينها يزيد المعنى وضوحاً ويدل على تحقق ما وعدهم الله من العذاب الذي عاينوه حاضراً قريباً منهم .

قال تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ) (الملك: ٣٠).

٨- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (مَعِينٍ)

(١) عذب، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(١).

(٢) ظاهر، عن ابن عباس^(٢)، و سعيد بن جبير^(٣).

(٣) جاري، عن قتادة، والضحاك^(٤).

التعليق:

قال ابن قتيبة: "المعين: الماء الظاهر، وهو مفعول من العين"^(٥).

وقال ابن فارس: "الميم والعين والنون أصلٌ يدلُّ على سهولةٍ في جريان أو جري أو غير ذلك.

ومجاري الماء في الوادي مُعْنَانٌ يقال: معن الماء: جرى، وهو معين"^(٦).

"والمعين: فاعيل من معن الماء إذا كثر أو مفعول من العين أي جار كالعين، أصله معيون،

وقيل هو من العين، لكن من حيث يرى بعين الإنسان، لا من حيث يشبه بالعين الجارية"^(٧).

والمعْنُ والمَعِينُ الماء السائل وقيل الجاري على وجه الأرض، وقيل الماء العذب الغزير، وكل

ذلك من السُّهولة^(٨).

وماءٌ مَعِينٌ: ظاهر تراه العينُ جارياً على وجه الأرض.. و عَانَتِ البئرُ عَيْنًا: كثر ماؤها. و

عَانَ الماءُ والدَّمَعُ يَعِينُ عَيْنًا و عَيْنَانًا بالتحريك: جَرَى وسال. وسِقَاءُ عَيْنٍ و عَيْنٌ إِذَا سَالَ

ماؤه^(٩).

(١) تفسير الطبري (١٣٩/٢٣).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٣/١٠). كما في الدر المنثور (٢٣٩/٨).

(٣) تفسير الطبري (١٣٩/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (١٣٩/٢٣).

(٥) تفسير غريب القرآن ص ٢٩٧.

(٦) مقاييس اللغة (٢٦٨/٥) مادة (معن).

(٧) المحرر الوجيز (٣٦٣/٨).

(٨) ينظر: لسان العرب (٤٠٩/١٣) مادة (معن).

(٩) ينظر: لسان العرب (٢٩٨/١٣) مادة (عين).

نوع الاختلاف:

تعدد أوصاف المسمى الواحد.

سبب الاختلاف:

لأن معين لفظ تعددت أوصافه فذكر كل مفسر وصفاً منها؛ لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

الأقوال الواردة عن السلف في تفسير معين، كلها في التعبير عن ذات واحدة قد تعددت أوصافها، فعبر كل مفسر بما يراه أظهر في الدلالة عليها، وكل هذه الأوصاف يجمعها مسمى واحد.

وهذه الأقوال بعضها تفسير لفظي روعي فيه المعنى اللغوي للفظة، وبعضها جاء على المعنى كما هو حال معظم تفسيرات السلف، فقول قتادة والضحاك معين بمعنى "جاري" تفسير للفظة المعين بمدلولها اللغوي، وكذا قول ابن عباس و سعيد بن جبير المعين بمعنى "الظاهر". و السياق القرآني أيضا يدل على هذا المعنى؛ لأن الغائر الذي لا تناله الدلاء، وكونه ليس غائراً فهذا يدل على ظهوره وبروزه.

وأما تفسير ابن عباس من طريق عطية العوفي المعين بالعذب، فهو تفسير له بصفة من صفاته. فالمعاني السابقة كلها في بيان صفة هذا الماء، الذي فيه إظهار نعمة الله عليهم في كونه عذباً ظاهراً جارياً، وهذا كله مما يصدق على الماء الذي من الله به عليهم، وبهذا تجتمع الأقوال.

٩- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى: (ت) (القلم: ١)

- ١) هو الحوت الذي عليه الأرضون. عن ابن عباس من طريق أبي ظبيان^(١)، ومجاهد^(٢).
- ٢) حرف من حروف الرحمن مقطعة، عن ابن عباس من طريق عكرمة^(٣).
- ٣) هي الدواة، عن ابن عباس من طريق ثابت البناني^(٤)، وعن الحسن وقتادة^(٥).
- ٤) لوح من نور. قاله معاوية بن قرة عن أبيه^(٦).
- ٥) قَسَمَ أقسم الله به. عن قتادة، وابن زيد^(٧).
- ٦) اسم من أسماء السورة. عن قتادة، ومجاهد، وابن جريج^(٨).

نوع الاختلاف:

التمثيل لمقصد الحروف المقطعة.

سبب الاختلاف:

أن كل مفسر ذكر مثلاً لمقصد الحروف المقطعة ومغزاها فاختلفت أقوالهم.

الترجيح:

مما هو ظاهر من الأقوال السابقة في الحروف المقطعة أن المفسرين اختلفوا فيها، وإذا تأملت ما قال العلماء فيها وجدت أن لهم في ذلك اتجاهات، وسأبين هذه الاتجاهات مع مناقشة كل اتجاه، ثم اتبع ذلك ببيان القول الراجح منها، فأقول مستعينة بالله:

الاتجاه الأول: يرى أصحابه أن هذه الحروف مما استأثر الله بعلمه، ولا يجوز لأحد الخوض في معانيها. وحثهم في ذلك ما يلي:

(١) تفسير الطبري (١٤٠/٢٣) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره^(١٠/٣٣٦٤)، كما في الدر المنثور (٨/٢٤٦).

(٢) تفسير الطبري (١٤٢/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (١٤٢/٢٣).

(٤) ثابت البناني بن أسلم أبو محمد البصري، من كبار التابعين روى عن أنس وعبد الله بن الزبير وأبي برزة الأسلمي وغيرهم. قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري ثم ثابت البناني

توفي سنة ١٢٧هـ وقيل غير ذلك. ينظر: النقات لابن حبان (٤/٨٩). طبقات الحفاظ (١/٥٦).

(٥) تفسير الطبري (١٤٣/٢٣).

(٦) تفسير الطبري (١٤٤/٢٣).

(٧) تفسير الطبري (١٤٤/٢٣).

(٨) تفسير الطبري (٢٠٥/١) تحقيق: محمود شاكر.

أولاً: أن هذه الحروف لم يرد فيها بيان عن الرسول ﷺ فلا يُقطع فيها بشيء، فضلاً عن كون هذه الحروف مخالفة لبقية كلمات القرآن من ناحية نطقها، ومن ناحية عدم وضوح معني محدد لها^(١).

ثانياً: ما ورد عن بعض الصحابة والتابعين من الآثار التي تؤيد كونها مما خفي علمه عن العباد واستأثر الله بعلمه. فمن ذلك:

- قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه "في كل كتاب سرٌّ، وسر الله تعالى في القرآن أوائل السور".

- وقول علي رضي الله عنه "لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التّهجي".

- وقول ابن عباس "عجزت العلماء عن إدراكها".

- وروى عن عمر وعثمان وابن مسعود رضي الله عنهم أنهم قالوا: "الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يُفسر".

وقال داود بن أبي هند^(٢): كنت أسأل الشعبي عن فواتح السور فقال: يا داود إن لكل كتاب سرّاً، وإن سرّ القرآن فواتح السور، فدعها وسل عما سوى ذلك^(٣).

ثالثاً: الاختلاف الواقع بين الأقوال الواردة في تحديد معناها وصل إلى حد الاضطراب والتناقض، وهذا يؤدي إلى إسقاط هذه الأقوال جميعها، ويكون الأسلم عدم الخوض في بيان معانيها؛ لأنها والحالة هذه تكون مما استأثر الله بعلمه^(٤).

مناقشة هذا القول:

أولاً: كون الحروف المقطعة لم يرد فيها بيان عن رسول ﷺ وكونها مخالفة لبقية الحروف من ناحية نطقها وعدم وضوح المراد بها، ليس دليلاً قاطعاً على كونها مما استأثر الله بعلمه، وإنما

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٢٩/١).

(٢) داود بن أبي هند دينار القشيري مولاهم أبو بكر أو أبو محمد البصري. رأى أنس بن مالك، وروى عن سعيد بن المسيب، كان ثقة متقناً، توفي سنة ١٤٠ هـ. ينظر: تهذيب

الكمال (٤٦٢/٨)، تقريب التهذيب (٢٠٠).

(٣) تنظر هذه الأقوال في: تفسير السمرقندي (٤٧/١)، والوسيط، للواحدي (٧٥/١)، وزاد المسير (٢٠/١)، تفسير البغوي (٤٤/١)، وتفسير أبي السعود (٢٠/١)، روح المعاني

للأوسى (١٠٠/١)، وغيرها.

(٤) ينظر: فتح القدير (٣٠/١).

هذه الأقوال التي لا أصل لها عنهم، يُعارضها ما ورد عن بعضهم من تفسير للحروف المقطعة، كابن عباس وابن مسعود والشعبي، فقد تكلموا في الحروف المقطعة، وعلى ذلك فروايتهم عن ابن عباس أنه قال "عجزت العلماء عن علم تفسيرها" مُعارضٌ بما رُوِيَ عنه من تفسير لها.

وكذا قولُ الشعبي في الفواتح: إنها من الأسرار، وإدخاله بناء على هذا ضمن القائِلين بأن الحروف المقطعة مما استأثر الله بعلمه، مُعارضٌ بما ثبتَ بالسند الصحيح من تفسير الشعبي نفسه للحروف المقطعة بأنها اسم من أسماء الله^(١).

ولو حاولنا الجمع بين أقوالهم هذه، لوجدنا التناقض قد حدث من حملِ أقوالهم الواردة على القول بأن الحروف المقطعة مما استأثر الله بعلمه، على حين أنه ليس فيها ما يفيد التصريح بذلك، فيكون الخطأ ناتجاً من حمل هذه الأقوال -على فرض ثبوتها- على هذا المعنى.

لكن لو فهم قولُ ابن عباس "عجزت العلماء عن علم تفسيرها" وقولُ الشعبي "إن سر القرآن فواتح السور" على معنى أن عجزَ العلماء عن تفسيرها وكونها سرّاً من أسرار القرآن، غير مانع من الاجتهاد في معرفتها، ومحاولة الوصول إلى معانيها، إذ من الممكن أن يوفق الله بعض عباده لمعرفة تفسيرها، لأمكن الجمع وزال التعارض بين الأقوال.

وقد وَقَفْتُ على ما يؤيد هذا الفهم في كلام بعض العلماء، فمن ذلك: ما قاله ابن فارس في معرض كلامه عن الحروف المقطعة "وقال آخرون: لكل كتاب سرٌّ، وسرُّ القرآن فواتح السور، وأظنُّ قائلَ هذا أراد أن ذلك من السرِّ لا يعلمه إلا الخاص من أهل العلم والراسخون فيه"^(٢).

وقد أشار الخطيب الإسكافي^(١) إلى نحو من هذا بتفريقه بين القول بأنها من المتشابهة المُستأثِر بعلمه، وبين القول بأنها سرٌّ من الأسرار، فقال في معرض سرده للأقوال الواردة في تفسير هذه الحروف:

(١) قال ابن أبي حاتم "حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا أَبُو بَكْرِ، وَعُثْمَانُ، ابْنَا أَبِي شَيْبَةَ، قَالَا: ثنا سُؤَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي عَوَّانَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَامِرٍ -بِعَنِ الشَّعْبِيِّ-، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ "الم" ، "الر" ، "حم" ، "ص" ، قَالَ: هِيَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مُقَطَّعَةٌ بِالْهَيْجَاءِ، فَإِذَا وَصَلَتْهَا كَانَتْ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ". (تفسير ابن أبي حاتم (٣٢/١) برقم (٤٧)).

(٢) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس (ص: ١٦٣).

"...والجواب الثالث: ماروي عن طائفة منهم أبو الفاختة^(٢) ^(٣)، أن هذه الفواتح من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله.

والجواب الرابع: ما روي عن الشعبي أنه قال: إن لله في كل كتاب سرّاً، وسرّه في القرآن (الم) وما أشبهها. وهذا القول غير الذي قبله - يقصد القول بأنها مما استأثر الله بعلمه - لأن من جعله من المتشابه صار إلى وجهين:

أحدهما: أن يكون مما يعلمه الله والراسخون في العلم. والقول الآخر: هو ما يذهب إليه طائفة لا يعرج على قولها من أن ذلك لا يعلمه غير الله تعالى.

ومن قال: إنه من أسرار الله تعالى في كتابه فإنه يجوز أن يطلع الله عليها وعلى أمثالها أنبياءه عليهم السلام لأنه يقول تعالى: (عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا يَ سِ مَنِ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ) (الجن: ٢٦-٢٧)^(٤).

وقول ابن عباس "عجزت العلماء عن تفسيرها" إنما يفهم منه أن العلماء حاولوا تفسيرها فعجزوا، ولا يفهم منه كونها مما استأثر الله بعلمه.

رابعاً: من أقوى الأدلة الدالة على كون هذه الحروف ليست من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه: تفسير الصحابة والتابعين لها، إذ لو كانت كذلك لَمَا تكلموا فيها.

(١) - محمد بن عبد الله أبو عبد الله الخطيب المعروف بالخطيب الإسكافي، عالم بالأدب واللغة والتفسير، من أهل أصبهان، كان إسكافاً ثم خطيباً بالري، له تصانيف حسنة، منها "درة

التزئيل وغرة التأويل"، توفي سنة: ٤٢٠ هـ. ينظر: معجم الأدباء، للحموي (٣٥٢/٥)، الأعلام (٢٢٧/٦).

(٢) سعيد بن علقمة أبو فاختة الهاشمي الكوفي مولد أم هانيء بنت أبي طالب. روى عن علي بن أبي طالب، وابن عباس، وشهد مشاهد علي عليه السلام. ينظر: الجرح والتعديل (٥١/٤)، تهذيب

الكامل (٢٨/١١).

(٣) ويلاحظ أن القول بأن أبا فاختة قال بأنها من المتشابه الكلي، مُعارض بما أورده ابن الجوزي عن أبي فاختة أنها أسماء للسور. ينظر: زاد المسير (٢١/١).

(٤) كتاب المجالس للخطيب الإسكافي، (ص: ٥٤-٥٥) ت: د/غانم قدوري الحمد.

ولا يُقال: لعلمهم لم يعلموا بكونها من المتشابه، لأن مثل هذا لا يخفى عليهم علمه، ولو خفي على بعضهم فلن يخفى على مجموعهم، وتكلم كثير منهم في تفسير هذه الحروف يُضعف كونها من المتشابه المطلق.

قال ابن قدامة المقدسي^(١) في معرض كلامه عن تفسير قوله تعالى (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) (آل عمران: ٧) "فإن الوقف الصحيح عند أكثر أهل العلم على قوله (إِلَّا اللَّهُ)"^(٢) ثم قال: "فثبت بما ذكرناه من الوجوه أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى، وأن مُتَّبِعَهُ من أهل الزيغ، وأنه مُحَرَّمٌ على كل أحد، ويلزم من هذا أن يكون المتشابه هو ما يتعلق بصفات الله تعالى وما أشبهه، دون ما قيل فيه أنه المُجْمَل، أو الذي يَعْْمُضُ عِلْمُهُ على غير العلماء المحققين، أو الحروف المقطعة لأن بعض ذلك معلوم لبعض العلماء، وبعضه قد تكلم ابن العباس وغيره في تأويله، فلم يَجُزْ أن يُحْمَلْ عليه"^(٣).

وقد استبعد الغزالي^(٤) كون الحروف المقطعة من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فقال في حديثه عن المُحَكَّمِ وَالْمُتَشَابِهِ "واختلفوا في معناه-يعني المُحَكَّمِ وَالْمُتَشَابِهِ- وإذا لم يَرِدْ توقيفٌ في بيانه فينبغي أن يُفسَّرَ بما يعرفه أهل اللغة ويناسب اللفظ من حيث الوضع، ولا يناسبه قولهم: المتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل السور، والمُحَكَّمِ ما وراء ذلك"^(٥).

وبناء على ما سبق يتبين ضعف هذا القول.

وأما الاتجاه الثاني:

(١) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي موفق الدين أبو محمد الحنبلي. الشيخ الإمام الفقيه المفسر شيخ الإسلام، لزم الاشتغال بالعلم من صغره، وكان من بحور العلم، وأذكياء

العالم، ووصف المصنفات الكثيرة، ومن أشهرها "المغني" توفي سنة: ٦٢٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، البداية والنهاية (٩٩/١٣).

(٢) ذم التأويل لابن قدامة المقدسي (٣٧/١)، ت: بدر بن عبد الله البدر.

(٣) المرجع السابق (٣٩/١).

(٤) أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي. حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، صاحب التصانيف، برع في الفقه والأصول والمنطق، وكان صوفياً غلبت عليه في آخر عمره الخلوة

والإقبال على العبادة. توفي سنة ٥٠٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩)، البداية والنهاية (١٧٣/١٢).

(٥) -المستصفى في علم الأصول (ص: ٨٥)، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي.

وهو أن هذه الحروف ليست مما استأثر الله بعلمه، بل لها معنى معلوم، ولكن أصحاب هذا الاتجاه اختلفوا في بيان هذا المعنى وتحديدده على أقوال كثيرة، كالقول بأنها أسماء السور، أو أسماء القرآن، ونحو ذلك.

أما حججهم فتمثل فيما يلي:

(١) أنه لو لم يكن لها معنى لوقع في القرآن ما لا يكون مفهوماً للمخاطبين، وهذا مُنافٍ للمقصود من إنزال القرآن، إذ المقصود من إنزاله تدبر معانيه، كما أنه كتاب هداية وإرشاد وهدى وشفاء ورحمة، وكل هذا غير حاصل مع كون هذه الحروف ليس لها معنى.

(٢) أنه لو لم يكن لها معنى لأنكر العرب ذلك على الرسول ﷺ خصوصاً مع تحدي الله عزوجل لهم بالإتيان بمثل القرآن أو سورة منه، فلما لم يقع إنكارٌ من العرب عُلِمَ أن لهذه الحروف معنى.

مناقشة هذا القول:

أما قولهم: إن كون هذه الحروف لا معنى لها ينافي مقصود القرآن من كونه كتاب هداية وإرشاد الخ، فغير مُسلّم لأمر:

أولها: أن القول بأنها كذلك تكون منافية لكون القرآن كتاب هداية، إنما يُسلّم به لو قال قائل: إن هذه الحروف لا معنى لها ولا مقصد من ورائها، أما والجميع متفق على أن لها حكماً ومقاصد فلا يُسلّم هذا، إذ الهداية حاصلة بمقاصدها وحكمتها، بل كونها هكذا أدل على إعجاز القرآن، من حيث إنه ليس في استطاعة البشر التكلم بحروف مقطعة ليس لها معنى، ولها مقصد ومغزى.

قال الآلوسي^(١): "وما ذكره المُستدلُّ من أنه لو لم تكن مفهومةً كان الخطابُ بها كالخطاب بالمُهمل الخ، فمُهملٌ من القول وإن جُلَّ قائله؛ لأنه إن أراد إفهام جميع الناس فلا يُسلّم أنه موجود... وإن أراد إفهام المخاطب بها -وهو هنا الرسول ﷺ- فهو مما لا يشك فيه مؤمن وإن أراد جملة من الناس فيها حيهاً؛ إذ أرباب الذوق يعرفونها... وجهل أمثالنا بالمراد منها

(١) أبو النناء شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي، وألوس جزيرة في بحر الفرات، الإمام المفسر المحدث، ولد ببغداد وتقلد الإفتاء فيها ثم انتقل للعلم، وصنف

التصانيف، توفي سنة: ١٢٧٠ هـ. ينظر: الأعلام (١٦٧/٧)، معجم المؤلفين (١٢/١٧٥).

لا يضر، فإن من الأفعال التي كُلفنا بها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه: كرمي الجمرات، والسعي بين الصفا والمروة، والطاعة في مثله أدلُّ على كمال الانقياد ونهاية التسليم، فلم لا يجوز أن يأمرنا من لا يُسأل عما يفعل -جل شأنه- بما لم نقف على معناه من الأقوال، ويكون المقصود من ذلك ظهور كمال الانقياد من المأمور للأمر، ونهاية التسليم والامتثال للحكيم القادر"^(١).

ثانيها: "أن اشتمال القرآن على كلمات غير ظاهرة المعنى، لا ينافي وصف القرآن بأنه بيان للناس وهدى ورحمة، فإن هذه الأوصاف يكفي في تحققها ثبوتها للقرآن باعتبار حملته ومجموعه لا باعتبار تفصيله وعمومه الشامل لكل لفظ فيه، ولا ريب أن الكثرة الغامرة في القرآن كلها بيان للتعاليم الإلهية وهداية الخلق إلى الحق"^(٢).

وأما قولهم: إنه لو لم يكن لها معنى لأنكر العرب ذلك على رسول الله ﷺ، فحاصل جوابه متصور من أن الإنكار من العرب إنما يسلم به لو كانت غير مفيدة لمعنى ولا محققة لمقصد ولا مغزى، أما وهي محققة لمغازٍ وحكمٍ ومقاصد، فماذا ينكر العرب إذن؟

على أن مما يضعف به هذا القول عموماً عدة أمور، منها:

أهم حاولوا التماس معانٍ لحروف مفردة مقطعة، هي من حيث الوضع لا تُفيد معنى، ولا تؤدي باستقلالها دلالة، كما أن "المعنى فيها لا يُمكن استخراجُه عقلاً من حيث يزول به العذر"^(٣).

"فهذه الألفاظ غير موضوعة في لغة العرب لهذه المعاني التي ذكرها المفسرون فيمتنع حملها عليها؛ لأن القرآن نزل بلغة العرب فلا يجوز حملها على ما لا يكون حاصلًا في لغة العرب، ولأن المفسرين ذكروا وجوهاً مختلفة، وليست دلالة هذه الألفاظ على بعض ما ذكروه أولى

(١) روح المعاني (١/١٠١).

(٢) مناهل العرفان (١/١٥٨)، ينظر في هذا المعنى: ترجيح أساليب القرآن لابن الوزير المرتضى اليماني (ص: ١٢٦).

(٣) الصاحي في فقه اللغة (ص: ١٦٥)، وإن كان ابن فارس قد ذكر هذه العبارة في معرض قبوله لكل الأقوال التي أوردتها.

من دلالتها على الباقي؛ فيما أن يُحْمَل على الكل وهو متعذر بالإجماع... أو لا يُحْمَل على شيء منها"^(١).

ومما يدل على هذا: أنك لا تظفر في كلام من ادعى أن لها معنى بأي معنى مفهوم، فكل ما ذكره على أنه معنى خارج عن حد المعاني، فقولهم مثلا إنها: أسماء سور، أو أسماء القرآن، بعيد عن تحديد المعنى، إذ "المراد بالمعنى الشيء الذي يفيد اللفظ"^(٢) ف"المعنى هو المقصد الذي يبرز ويظهر في الشيء إذا بُحِثَ عنه، يقال: هذا معنى الكلام ومعنى الشعر، أي الذي يبرز من مكنون ما تضمنه اللفظ"^(٣).

فهل يا ترى يبرز ويظهر من ألفاظ هذه الحروف معنى من المعاني التي ذكروها؟ بالطبع لا، فهذه المعاني التي ادعوها لا تخرج عن كونها صفات أو علامات أو مناسبات التمسّت لهذه الحروف، أو نحو ذلك، ولذا فأقولهم فيها لا تخرج عن كونها اجتهادات لا دليل عليها من ألفاظ هذه الحروف ولا من خارجها. إن هذه الأقوال الواردة في معنى هذه الحروف لا يعضدها دليل يُقطع بصحته ويوجب التسليم به.

قال الصنعاني^(٤): "الحروف المقطعة في أوائل السور لم يأت فيها دليل قاطع على تعيين معنى من المعاني التي قالوها، وقد بلغت قريب عشرة أقوال كلها تظنين وتخمين، وكل من قال بقول قائل بأنه يجوز أن يريد الله معنى لا يعرفه المكلف، فكونها لا يعرف لها معنى معين قطعاً اتفاق بين الأمة"^(٥).

(١) مفاتيح الغيب (٨/٢). وقال أيضاً الم غير موضوع في لغة العرب لإفادة تلك المعاني، فلا يجوز استعمالها فيه لأن القرآن إنما نزل بلغة العرب، ولأنها متعارضة فليس حمل اللفظ على

بعضها أولى من البعض، ولأننا لو فتحنا الباب لانفتحت أبواب تأويلات الباطنية وسائر الهذيان، وذلك مما لا سبيل إليه مفاتيح الغيب (١٠/٢).

(٢) الصاحي في فقه اللغة (ص: ٣١٤).

(٣) مقاييس اللغة (٤/١٢١). مادة (عني).

(٤) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني الصنعاني أبو إبراهيم. محدث فقيه أصولي مجتهد، من أئمة اليمن، نشأ بصنعاء، ورحل في طلب العلم، وصنف المصنفات، توفي

سنة: ١١٨٢ هـ. ينظر: الأعلام (٦/٣٨)، معجم المؤلفين (٩/٥٦).

(٥) إجابة السائل شرح بغية الأمل للصنعاني (ص ٧٦). وينبغي أن لا يُشكَلُ كلام الصنعاني من حيث كحايته أن الحروف المقطعة لا معنى لها يُقطع به أمر متفق عليه بين الأمة، فإن مراده

أن كل من تكلم في الحروف المقطعة وحدد لها معنى لا يستطيع القطع بأن هذا المعنى هو المراد من هذه الحروف، فكل المعاني المذكورة اجتهادات لا يستطيع أحد الجزم بمعنى منها، وهذا

هو الذي يعنيه الصنعاني باتفاق الأمة: أي أن الأمة متفقة على عدم الجزم بمعنى من هذه المعاني. والله أعلم.

هذه بعض الأمور التي يُضَعَّفُ بها هذا الاتجاه عموماً.

الاتجاه الثالث:

وهو أن هذه الحروف ليس لها معنى وضعي في لغة العرب؛ إلا أن لها حِكْماً ومقاصد فهمها المخاطبون بالقرآن، وهذا هو ما أراده السلف، وكانت أقوالهم كلها مراداً بها التمثيل لهذا المقصد، والقول بهذا يُؤدِّي إلى قبول كل الأقوال الواردة عن السلف في الحروف المقطعة، خصوصاً أن ردها كلها مع ثبوت صحة بعضها عن قائلها من السلف يُوقع في حرج كبير، وقد سلك هذا الاتجاه كبار المفسرين كابن قتيبة، والراغب الأصفهاني، والبيضاوي، وهو ظاهر صنيع الطبري، وابن فارس.

وهذا الاتجاه يتمثل في: أن أصحابه لم ينظروا إلى الأقوال الواردة في تفسير الحروف المقطعة عن السلف على أنها تبين معنى هذه الحروف، ولم يجعلوا قولاً منها مُخَصَّصاً للحروف المقطعة نافية ما عداه، فهم لم يجعلوها معاني، وإنما فهموا أن هذه الأقوال تمثيلات لهذه الحروف باعتبار أن تركيب كل كلامٍ وقوامه لا يكون إلا من هذه الحروف، ويدخل في هذا أسماء الله وأسماء السور وأسماء القرآن، ونحوهما من الأسماء والكلمات التي تتركب من هذه الحروف وتتألف منها، ولا يتم تصور معانيها ولا إفهام المخاطبين المقصود بها إلا بعد تركيبها من هذه الحروف، ويكون المقصود بمجيء الحروف المقطعة على هذا النحو، التنبيه على إعجاز القرآن، وأن العرب عاجزون عن معارضته، مع كون كل كلام، وكل اسم، وكل تخاطب لا يكون إلا على مقتضى هذه الحروف، ومما يقوي هذا أن غالب السور التي افتتحت بهذه الحروف، جاء فيها التنبيه على إعجاز القرآن وعظمته.

قال ابن قتيبة بعد ذكر بعض الأقوال الواردة في معنى هذه الحروف "و لم نزل نسمع على ألسنة الناس: الألف آلاء الله، والباء بهاء الله، والجيم: جمال الله، والميم: مجد الله. فكأننا إذا قلنا (حم) دللنا بالحاء على حلیم، ودللنا بالميم على مجید.

وهذا تمثيلٌ أردتُ أن أُريكَ به مكانَ الإمكان، وعلى هذا سائر الحروف، ومن ذهب إلى هذا المذهب فلا أراه أراد أيضا إلا القسم بصفات الله، فجمع بالحروف المقطعة معاني كثيرة من صفاته لا إله إلا هو^(١).

وقال البيضاوي^(٢): "وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما فتنبيةً على أن هذه الحروف منبعُ الأسماء ومبادئ الخطاب، وتمثيل بأمثلة حسنة - ألا ترى أنه عدَّ كل حرف من كلمات متباينة - لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها؛ إذ لا مُخصَّصَ لفظاً ومعنى"^(٣).

وقد أوضح هذا المسلك الراغب الأصفهاني فقال: "اختلف الناس في الحروف التي هي في أوائل السورة، فقالوا فيها أقوالاً جُلُّها مرادٌ باللفظ، وغير مُتَنافٍ على السير، لكن بعضها مفهوم بلا واسطة، وبعضها مفهوم بواسطة. فنقول، وبالله التوفيق: إن المفهوم من هذه الحروف الأظهر بلا واسطة: ما ذهب إليه المحققون من أهل اللغة، كالقراء^(٤) و قطرب^(٥)، وهو قول ابن عباس وكثير من التابعين - على ما نبينه من بعد - وهو أن هذه الحروف لما كانت هي عنصر الكلام ومادته التي تتركب منها، بين تعالى أن هذا الكتاب من هذه الحروف التي أصلها عندكم، تنبيهاً على إعجازهم، وأنه لو كان من عند البشر لما عجزتم - مع تظاهركم - عن معارضته:

(١) تأويل مشكل القرآن (ص ٣٠٩).

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير الشيرازي البيضاوي. كان علامة عارفاً بالفقه والتفسير والأصول والعربية والمنطق، ولي قضاء القضاة بشيراز، وصنف تصانيف مفيدة، منها تفسيره المعروف بتفسير البيضاوي. ينظر: البداية والنهاية (٣٠٩/١٣)، طبقات المفسرين للدوادري (ص ١٧٣).

(٣) تفسير البيضاوي (٩١/١). يقصد بذلك مجموع الأقوال الواردة عنه وهي:

- أنه اسم الله الأعظم. فقد ورد عن ابن عباس من طريق السدي.

- أن الله أعلم. عن ابن عباس من طريق أبي الضحى.

- حروف مقطعة إذا وصلت كانت اسماً من أسماء الله. عن ابن عباس من طريق أبي صالح.

- قسم أقسم الله به وهي من أسمائه. عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة. ينظر: تفسير الطبري (٢٠٤/١ - ٢١٠).

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولاهم الكوفي أبو زكريا القراء. العلامة النحوي، صاحب التصانيف، كان من أئمة العربية، قال ثعلب: لولا القراء لما كانت عربية، أشهر كتبه: "معاني القرآن"، توفي سنة ٢٠٧ هـ. ينظر: تاريخ بغداد (١٩٤/١٤)، سير أعلام النبلاء (١٠/١١٨).

(٥) محمد بن المستنير أبو علي البصري المعروف بقطرب. أحد العلماء بالنحو واللغة، وكان معتزلياً، سمى قطرباً لأنه كان يكر إلى سبويه للأخذ عنه، توفي سنة ٢٠٦ هـ. ينظر: تاريخ

بغداد (٢٩٨/٣)، معجم الأدباء (٥/٤٤٥).

وما رُوِيَ عن ابن عباس أن هذه الحروف اختصار من كلمات فمعنى (الم) أنا الله أعلم ومعنى (الم) أنا الله أعلم وأرى.

وبيان ذلك: ما ذكره بعض المفسرين أن قصده بهذا التفسير ليس أن هذه الحروف مختصة بهذه المعاني دون غيرها، وإنما إشارة بذلك إلى ما فيه الألف واللام والميم من الكلمات، تنبيهاً أن هذه الحروف منبع هذه الأسماء، ولو قال: إن اللام يدل على "اللعم" والميم على "المكر" لكان يُحْمَل، ولكن تحرى في المثال اللفظ الأحسن، كأنه قال: هذه الحروف هي أجزاء ذلك الكتاب.

ومثل هذا في ذكر نُبِدٍ تنبيهاً على نوعه قول ابن عباس في قوله تعالى (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ

عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر: ٨) أنه الماء الحار في الشتاء، ولم يرد به إن النعيم ليس إلا هذا، بل أشار إلى بعض ما هو نعيم تنبيهاً على سائرته، فكذلك أشار بهذه الحروف إلى ما يتركب منها، وعلى ذلك ما رواه السُّدِّي عنه: أن ذلك حروف إذا رُكِبَتْ يحصل منها اسم الله.

وكذا ما روي عنه أنه قال: هي أقسام غير مخالف لهذا القول، وذاك أن الأقسام الواردة في فواتح السور إنما هي بِنَعْمٍ وأجوبتها تنبيهاً عليها، فيكون قوله: (بِأَنَّ ذَلِكَ أَلَكْتُبُ)

(البقرة: ١-٢) جملة في تقدير مقسم بها وقوله: (لَا يَبْطِئُ بِهَا) (البقرة: ٢) جوابه ويكون إقسامه بها تنبيهاً على عظم موقعها، وعلى عجزنا عن معارضة كتابه المؤلف منها... وما قاله زيد بن أسلم والحسن ومجاهد وابن جريج إنها أسماء للسور، فليس بمناف للأول فكل سورة سميت بلفظ متلو منها فله في السورة معنى معلوم، وعلى هذا القصاصد والخطب المُسَمَّاة بلفظ منها ما يفيد معنى فيها... فكأنه قال: من هذه الحروف حصول الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بمثله" (١).

ولو تأملنا صنيع الطبري لوجدناه يرجح هذا، فقد ذكر الأقوال الواردة عن السلف في هذه الحروف، ثم ارتضاها كلها وجمع بينها، ولا يُمكن أن يتم الجمع بينها إلا إذا اعتبرت أمثلة للمقصد من هذه الحروف دون تخصيص لها بقول دون قول، وصنيع الطبري يدل على

(١) مقدمة جامع التفاسير (ص ١٤٢-١٤٨).

ذلك فقد قال: "والصواب من القول عندي في تأويل مفاتيح السور، التي هي حروف المعجم: أن الله جل ثناؤه جعلها حروفاً مقطّعة، ولم يصل بعضها ببعض فيجعلها كسائر الكلام المتّصل الحروف؛ لأنه عز ذكره أراد بلفظه الدلالة بكل حرف منه على معان كثيرة، لا على معنى واحد، كما قال الربيع بن أنس^(١)، وإن كان الربيع قد اقتصر به على معان ثلاثة، دون ما زاد عليها.

والصواب في تأويل ذلك عندي: أن كل حرف منه يحوي ما قاله الربيع، وما قاله سائر المفسرين غيره^(٢).

ونقل ابن فارس كلام الطبري، ورجحه ومال إليه^(٣).

وهذا الاتجاه الذي رجح أصحابه أن هذه الحروف ليس لها معنى وضعي، ولكن لها مقصدٌ إعجازي، وجعلوا كل الأقوال الواردة عن السلف يمكن أن تحمل على هذا المقصد هو الراجح وذلك لأمر منها:

١) أن فيه بُعداً عن اتهام الصحابة ومن بعدهم بالخوض في تفسير القرآن بما لا يدل عليه شرع ولا عقل ولا لغة، وإجلال لهم عن التكلم بما لا يفهم معناه.

٢- أن فيه جمعاً بين الأقوال ودفعاً للتعارض المدعى بينها، ورداً لمن حكم على أقوال السلف في هذه المسألة بالتناقض ومن ثم بالتساقط، ولاشك أن الجمع أولى، فهذا الاتجاه جامع لثبات الأقوال، وهو وسط بين قول من جعلها من المتشابه المطلق وقول من جعل لها معاني لا دليل عليها.

٣- أن فيه دفعاً لكل الاعتراضات التي أوردها المعترضون الذين عدوا الأقوال الواردة معاني لهذه الحروف على حين أنها ليست بمعان.

(١) قال: "هذه الأحرف، من التسعة والعشرين حرفاً، دارت فيها الألسن كلها، ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرف إلا وهو في آياته وبلائه، وليس منها

حرف إلا وهو في مدّة قوم وآجالهم". تفسير الطبري (١ / ص ٢٠٩)

(٢) تفسير الطبري (١/٢١٧).

(٣) ينظر: الصاحي في فقه اللغة ص: ١٦٤. لم ينص ابن فارس على اسم الطبري، بل قال: قال بعض علمائنا، ومطابقة ما نقله ابن فارس بكلام الطبري تبين أنه نقل عنه، فلعله أراد

بقوله: بعض علمائنا.

٤- أن فيه إعمالاً لأقوال السلف من الصحابة ومن بعدهم، ولا شك أن إعمال أقوالهم أولى من ردها وإهمالها^(١).

(١) - ينظر: الاختلاف بين السلف في التفسير، (ص ٢٧٤-٢٨٩).

١٠- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ) (القلم: ٩).

(١) وُدُّوا لو تكفر فيكفرون. عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، والضحاك، وسفيان الثوري^(١).

(٢) وُدُّوا لو ترخص لهم فيرخصون، عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة^(٢).

(٣) لو تَرَكْنَ إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحقِّ فيمالتونك، عن مجاهد^(٣).

التعليق:

تدهن مأخوذ من الفعل: "دهن) والبدال والهاء والنون أصلٌ واحد يدلُّ على لِينٍ وسُهولةٍ وقِلَّةٍ. من ذلك الدُّهْن. ويقال دَهَنَتْهُ أَدْهَنَتْهُ دَهْنًا.

والإدهان، من المداهنة، وهي المصانعة. داهنتُ الرجلُ، إذا واربتَه وأظهرت له خلاف ما تُضْمِرُ له، كأنه إذا فعل ذلك فهو يدُهْنُه ويسكُن منه. وأدْهَنْتُ إدهاناً: غَشَشْتُ^(٤).

والإدهان في الأصل مثل التدهين، لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة، وترك الجد^(٥).

فالمدهن: الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبّه بالدهن في سهولة ظاهره، فشبه التليين في القول بتليين الدُّهْن.

وقال الزجاج: "المُدْهِنُ والمُدَاهِنُ: الكذَّابُ المنافِقُ. وقال في قوله: (وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ

فَيَدَّهِنُونَ) أي: وُدُّوا لو تُصانِعهم في الدِّينِ فيُصانِعونك"^(٦).

وقال الفراء: "وقوله: (وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيَدَّهِنُونَ) يقال: ودوا لو تلينُ في دينك، فيلينون في دينهم."^(٧)

(١) تفسير الطبري (١٥٦/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٥٦/٢٣).

(٣) -تفسير الطبري (١٥٧/٢٣).

(٤) -مقاييس اللغة (٢٥٢/٢) مادة (دهن).

(٥) -مفردات ألفاظ القرآن (٣٥٤/١).

(٦) -معاني القرآن وإعرابه (٢٠٥/٥).

(٧) -معاني القرآن (١٧٣/٣).

نوع الاختلاف:

من باب التفسير باللازم.

سبب الاختلاف:

أن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها، من أجل التنبيه على أن المعنى غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره.

الجمع بين الأقوال:

الأقوال الواردة هنا في تفسير المداهنة ليس في قول منها بيان المدلول اللغوي لكلمة المداهنة، بل هي كلها تفسيرات على المعنى كما هو غالب تفسير السلف.

وهذه الأقوال بعضها فسر المداهنة بالكفر، وبعضها فسرها بالترخص مع الكفار، وكلا التفسيرين قد وردا عن ابن عباس.

وبعضها فسّر المداهنة بالركون إلى آلهة الكفار كما يظهر ذلك من قول مجاهد، وإذا تأملت هذا التفسير المعنوي تجد أنه متضمناً للتفسير اللغوي، لأن التفسير المعنوي حتى يكون صحيحاً لا بد أن يكون متضمناً للأصل اللغوي - كما تقرر سابقاً^(١) -، فإذا ذكر المفسر التفسير بالمعنى فقد جمع بين الأمرين المعنى والأصل اللغوي.

فالكفر بالله والركون إلى آلهة الكفار والترخص معهم، إنما يكون بالدين في الدين والتساهل فيه، ومدارة الكفار والمصانعة لهم.

وقد أشار الطبري إلى هذا بقوله: "وَدَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَا مُحَمَّدُ لَوْ تَلَيْنَ لَهُمْ فِي دِينِكَ بِإِجَابَتِكَ إِيَاهُمْ إِلَى الرُّكُونِ إِلَى آلِهَتِهِمْ، فَيَلِينُونَ لَكَ فِي عِبَادَتِكَ إِلَهَكَ، كَمَا قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: (وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) (الإسراء: ٧٤-٧٥) وإنما هو مأخوذ من الدُّهْنِ شبه التلّيين في القول بتلّيين الدُّهْنِ"^(٢).

فقد جمع بين التفسيرين التفسير على اللفظ والتفسير على المعنى.

(١) يراجع صفحة (٨١)

(٢) تفسير الطبري (١٥٧/٢٣).

ولما كان لفظ المداهنة يشمل كل المعاني السابقة، فيدخل فيه الكفر، والركون إلى آهة الكفار، والترخص معهم، إذ كل قول من هذه الأقوال متحقق فيه معنى المداهنة؛ جاءت ألفاظ المفسرين متقاربة في التعبير عن المعنى.

يقول ابن عاشور: "وروي بألفاظ متقاربة تحوم حول أن المشركين ودوا أن يمسه النبي ﷺ عن مجاهرهم بالتضليل والتحقير فيمسكوا عن أذاه ويصانع بعضهم بعضاً، فنهاه الله عن إجابتهما لما ودوا"^(١).

فلا تنافي بين الأقوال فكل مداهنة في الدين مع المشركين تدخل في هذا المعنى.

(١) التحرير والتنوير (٦٨/٢٩).

قال تعالى (وَلَا تُطَعَّ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ) (القلم: ١٠).

١١- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (مَهِينٍ).

١- ضعيف. عن مجاهد، والحسن^(١).

٢- كذّاب، عن ابن عباس^(٢).

٣- المكثّر من الشر، عن الحسن وقتادة^(٣).

التعليق:

وأصل مهين في اللغة من مهن إذا حقر وذل، قال ابن فارس: "الميم والهاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على احتقارٍ وحقارةٍ في الشيء. منه قولهم مَهِينٌ، أي حقير. والمهانة: الحقارة، وهو مَهِينٌ بَيْنَ المَهَانَةِ"^(٤).

ورجل مهين أي: ضعيف^(٥).

قال ابن عطية: "ومهين من مهن إذا ضعف ."^(٦)

نوع الاختلاف:

من باب تعدد أوصاف المسمى الواحد.

سبب الاختلاف:

أن كل واحد من المفسرين ذكر صفة من صفات هذا المهين.

الجمع بين الأقوال:

فُسر المهين بالضعيف، وفسر بالكذّاب، وعلل ذلك لأنه إذا وصف بالمهانة فإنما وصف بها مهانة نفسه عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه عليه.

(١) تفسير الطبري (١٥٨/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٥٨/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٥/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٩/٨).

(٣) تفسير الطبري (١٥٨-١٥٩).

(٤) مقاييس اللغة (٢٢٧/٥). مادة مهن.

(٥) ينظر: لسان العرب (٤٢٤/١٣). مادة مهن.

(٦) المحرر الوجيز (٣٦٨/٨).

فوصفه بأنه الكذوب لأنه لما ذكر بأنه حلاف وحلاف على صيغة المبالغة، كأنه دل على كذبه، لأن الذي يكتر الحلف في الغالب هو الكذاب، فكأن فيه نوعاً من التلازم بين كثرة الحلف و الكذب.

"وذلك أن الكاذب لضعفه ومهاتته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها"^(١).

وتفسير ابن عباس المهين بالكذاب من باب تفسير المعنى وليس من باب تفسير اللفظ في اللغة. فهو من التفسير بالتلازم كما أشرت سابقاً، لأن التفسير باللازم نوع من أنواع التفسير بالمعنى.

أما من فسر مهين بأنه ضعيف فهو على أصل اللغة.

وكذا لما فسر الحسن وقتادة المهين بأنه المكثار من الشر، هو من باب التفسير على المعنى وليس من باب تفسير اللفظ.

وتفسيره بالمكثار من الشر كأنه إشارة إلى أمر يتعلق بالحلاف المهين، لأن المكثار من الشر هو الذي يحتاج إلى كثرة الحلف. فكأنه أشار إلى التلازم بين هذا وذاك. وليس مراده التفسير اللفظي.

وقد نبه الحسن إلى التلازم بين الأقوال بقوله: "كلّ مكثار في الحلف مهين ضعيف"^(٢).

وبهذا يظهر عدم التعارض، ويبين تمام الارتباط بين الأقوال.

(١) تفسير ابن كثير (١٩٠/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٥٨/٢٣).

قال تعالى (هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَعِيمٍ) (القلم: ١١)

١٢- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (هَمَّازٍ)

(١) المغتاب، عن ابن عباس^(١).

(٢) الذي يأكل لحوم المسلمين، عن قتادة^(٢).

(٣) الذي يهزم الناس بيده ويضربهم وليس باللسان، عن ابن زيد^(٣).

التعليق:

مادة همز في اللغة تدل على ضغط وعصر.

قال ابن فارس: "الهاء والميم والزاء كلمة تدل على ضَعَطٍ وَعَصْرٍ. وَهَمَزَتِ الشَّيْءَ فِي كَفْيٍّ. وَمِنْهُ الْهَمْزُ فِي الْكَلَامِ، كَأَنَّهُ يَضَعُطُ الْحَرْفَ"^(٤).

يقول الراغب: "الهمز كالعصر. يقال: همزت الشيء في كفي، ومنه: الهمز في الحرف، وهمز

الإنسان: اغتيا به. قال تعالى: (هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَعِيمٍ) (القلم/ ١١) يقال: رجل هامز، وهماز، وهمزة"^(٥).

فالراغب أشار إلى الدفع. ولو تأملت لم تجد أن هناك فرقاً بين معنى الدفع ومعنى الضغط، لأن الضغط فيه شيء من الدفع.

نوع الاختلاف:

أنه من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن همزاً وصف لم يحدد موصوفه فهو من قبيل المتواطئ.

(١) تفسير الطبري (١٥٩/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٥/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٩/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٥٩/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (١٥٩/٢٣).

(٤) مقاييس اللغة (٤٩/٦). مادة (همز)

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٤٨٢/٢).

الترجيح بين الأقوال:

لو نظرنا إلى قول قتادة قال: الذي يأكل لحوم المسلمين. فالذي يأكل لحوم المسلمين هو المغتاب. إذاً لا فرق بين تفسير ابن عباس و قتادة ، فالمعنى واحد وإن اختلفت العبارة.

أما ابن زيد فجعل الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم وليس باللسان.

فهل تفسير ابن زيد يوافق تفسير ابن عباس و قتادة أو لا؟ بالطبع غير موافق

فلو رجعنا إلى مادة همز في القرآن فنجد أنها وردت في قوله تعالى (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ

هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) (المؤمنون: ٩٧).

فهل همزات الشياطين اغتياب الشياطين؟ فهذا لا يتصور، وإنما يكون المعنى دفعهم المسلم إلى المعصية.

فأصل الهمز يدل على الضغط والدفع، ثم نقل هذا المعنى إلى الاغتياب، ولهذا اتفقت كلمة

كثير من المفسرين في هذه الآية وفي آية (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) (الهمزة: ١) على أن الهمزة هو المغتاب، فدل على أن الهمزة والهماز يطلق على المغتاب.

وأما ابن زيد فقط ذهب إلى الأصل اللغوي. فإذا أصبح عندنا خلاف في الاستعمال وفي الأصل اللغوي فابن زيد ذهب في تفسيره إلى الأصل اللغوي وهو معنى صحيح، وابن عباس و قتادة وكذلك من فسر على أن المراد بالهمزة بمعنى المغتاب، ذهبوا إلى الاستعمال، وهذا وارد في اللغة كثير ولو رجعنا إلى كتاب "الصاحي في فقه اللغة" لابن فارس لوجدنا أنه يشير إلى كيف تنتقل الأسماء من الأصل اللغوي لها إلى معنى آخر وتشتهر به .

وقد أشار ابن عاشور إلى هذا فقال: " والهمز حقيقته : الضغط باليد والطعن بالإصبع ونحوه، وأطلق على الأذى بالقول في الغيبة على وجه الاستعارة وشاع ذلك حتى صار كالحقيقة ومنه قوله تعالى (هماز مشاء بنميم) وقوله (ويل لكل همزة لمزة)^(١).

(١) ينظر: التحرير والتنوير (١٨٩/١٢١).

فابن زيد ذهب إلى أصل الاستعمال ولكن الأشهر هو المعنى الأول وهو أن المراد بالهماز
المغتاب، بسبب أنه صحيح من جهة اللغة وأن جمهور المفسرين^(١) على هذا في هذه الآية وفي
آية (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ).

أما قول ابن زيد لما قال يهمز الناس ويضربهم فأراد أن ينبه على جفاء هذا الموصوف
وجلافته وغلظته.

فاختلفت الأقوال وصار عندنا في معنى هماز قولان:

-الأول: من يغتاب الناس.

الثاني: من يعامل الناس بسوء.

فالأول هو الراجح لسببين اللغة وأنه قول الجمهور.

وتجدر الإشارة إلى أن ترجيح المعنى الأول لا يعني بطلان أو خطأ المعنى الثاني، فالترجيح بين
قولين لا يلزم منه أطراح أحدهما، وإنما يكون القول الراجح هو الأولي.

(١) ينظر على سبيل المثال: تفسير ابن أبي حاتم (٣٢٦/١٢)، تفسير النعماني (١٢/١٠)، تفسير الماوردي (٦٣/٦)، تفسير البغوي (٣٧٨/٤)، تفسير ابن كثير (١٩١/٨) وغيرها.

قال تعالى (عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) (القلم: ١٣).

١٣- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (عُتِّلَ)

١- إنه العاتي الشديد المنافق^(١)، عن ابن عباس^(٢).

٢- القوي في كفره، عن عكرمة^(٣).

٣- الوفير الجسم الصحيح، عن أبي رزين^(٤) و الحسن^(٥).

٤- إنه الشديد الأثر، عن مجاهد، والضحاك^(٦).

٥- الأكل الشروب القوي الشديد، عن عبيد بن عمير^(٧) (٨).

٦- هو الفاحش اللئيم الضريبة، عن الحسن و قتادة^(٩).

٧- رجل أتم الله خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقضما من الدنيا، ثم يكون ظلوما للناس،

فذلك العتلّ الزنيم، عن وهب الذمّاري^(١٠).

التعليق:

(١) وهنا يرد سؤال: كيف فسر ابن عباس العتل بالشديد المنافق، مع العلم أن الآية مكية، والأصل في النفاق أنه ظهر في المدينة؟ الجواب على ذلك أن تعبير ابن عباس هذا إنما هو من باب النظر إلى الأوصاف من يتصف بهذا المعنى بغض النظر عن وقت نزول الآية. والله أعلم.

(٢) تفسير الطبري (١٦١/٢٣) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٥/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٩/٨).

(٣) تفسير الطبري (١٦٣/٢٣).

(٤) مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي الكوفي مولى أبي وائل الأسدي. روى عن معاذ بن جبل، وابن مسعود، وروى عنه الأعمش وعطاء بن السائب، شهد صفين مع علي، وكان عالما فهما، ثقة فاضلا، توفي سنة: (٨٥هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٤٧٧/٢٧)، تقريب التهذيب (ص: ٥٢٨).

(٥) تفسير الطبري (١٦٣/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٤/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٨/٨).

(٦) تفسير الطبري (١٦٣/٢٣-١٦٤).

(٧) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أبو عاصم المكي القاص مخضرم روى عن أبي وعمر وعلي وعائشة وأبي موسى توفي سنة (٦٤هـ). ينظر: تهذيب الكمال (٢٢٣/١٩)، تقريب التهذيب (ص: ٣٧٧).

(٨) تفسير الطبري (١٦١/٢٣).

(٩) تفسير الطبري (١٦٣/٢٣) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٥/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٨/٨).

(١٠) تفسير الطبري (١٦١/٢٣). وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار وهو الأسوار البجلي الصنعاني الذماري أبو عبد الله الأنباري أحو همام بن منبه ومعل بن منبه وغيلان بن منبه روى عن أنس بن مالك وجابر بن عبد الله وطاووس بن كيسان وعبد الله بن عباس قال أبو زرعة والنسائي ثقة وذكره بن حبان في كتاب الثقات، اختلف في وفاته فقيل: توفي سنة (١١٤هـ) وقيل: غيرها. ينظر: والثقات لابن حبان (٤٨٨/٥). تهذيب الكمال (١٤٠/٣١)،

"(عتل) أصلٌ صحيح يدلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ في الشَّيْءِ. من ذلك الرَّجُلُ العُتْلُ، وهو الشَّدِيدُ القويُّ المصحَّحُ الجِسْم؛ ومنه العُتْلُ أي الجرُّ بقوَّةٍ وشِدَّةٍ. قال الله تعالى: (يَجْ چ چ سَوَاءِ الجَحِيمِ) (الدخان: ٤٧). ولا يكون عُتْلًا إِلَّا بِجَفَاءٍ وشِدَّةٍ"^(١).

" فاعتل الفظ الكافر في هذا الموضع وهو الشديد في كل شيء"^(٢).

وقيل: " العتل: الجافي الشديد في كفره، وكلُّ شديد قويٍّ فالعرب تسميه عُتْلًا..."^(٣)

قال الراغب: " العتل: الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر، كعتل البعير. قال تعالى: (چ چ سَوَاءِ الجَحِيمِ) (الدخان: ٤٧)، والعتل: الأكل المنوع الذي يعتل الشيء عتلا. قال تعالى:

(عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) (القلم: ١٣) "^(٤).

وقد جمع ابن منظور بين هذه المعاني فقال: "العُتْلُ وهو الشديد الجافي والفظُّ العَلِيظُ من الناس، والعُتْلُ الشديد وقيل الأَكُولُ المنوع، وقيل هو الجافي الغليظ، وقيل هو الجافي الخُلُق اللئيم الضَّرِيبة، وقيل هو الشديد من الرجال والدواب، وفي التثريب "عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ" قيل: هو الشديد الخُصومة"^(٥).

نوع الاختلاف:

من باب تعدد أوصاف المسمى الواحد.

سبب الاختلاف:

أن كل واحد من المفسرين ذكر صفة من صفات هذا العتل.

الجمع بين الأقوال:

(١) مقاييس اللغة (٤/١٨٢)، مادة عتل

(٢) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢/٢٦٤).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/١٦١).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٦٣).

(٥) لسان العرب (١١/٤٢٣)، مادة (عتل).

إذا تأملت الأقوال الواردة عن السلف تجد أنها أوصاف للعتل، بعضها وُجِهَ إلى خُلُق، وبعضها وجه إلى خُلُق.

فلاحظ أن أقوال السلف أوسع من المدلول اللغوي، فكيف نتعامل مع هذه المرويات؟ هل نقول بما أن المعنى اللغوي متفق عليه فإننا نقف مع المتفق ونترك ما عدا ذلك، أو نقبل ما ورد عن السلف؟

إذا كان معنى اللفظ أوسع مما فسروه به في لغة العرب، فعلينا أن نضم إلى ما ذكره الصحابي ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها.

يقول السمين الحلبي: "وإن ذكر أهل التفسير اللفظة وفسروها بغير موضوعها اللغوي تعرّضتُ إليه أيضاً؛ لأنه والحالة هذه محطُّ الفائدة"^(١).

فكل تلك الأوصاف واردة في معنى العتل، ولا يلزم من وصف الإنسان بالعتل أن تجتمع فيه كل الأوصاف، وإنما إذا اتصف ببعضها وصف بالعتل.

ولهذا قال ابن عطية: "والعتل: القوي البنية الغليظ الأعضاء المصحح القاسي القلب، البعيد الفهم، الأكل الشروب، الذي هو بالليل جيفة وبالنهار حمار، فكل ما عبر به المفسرون عنه من خلال النقص فعن هذه التي ذكرت بصدر، ... وهذه الصفات كثيرة التلازم"^(٢). ولعلك تلحظ أن ابن عطية قد جمع بين عبارات السلف، وصاغ منها صفات العتل وبيّن أن كل قول إنما هو صفة من صفاته، وهذا ما ينبغي التنبيه له أثناء النظر في أقوال السلف.

قال تعالى (عُتِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) (القلم: ١٣).

١٤ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله (زَنِيمٍ)

(١) عمدة الحفاظ (١/٣٩).

(٢) المحرر الوجيز (٨/٣٦٩).

- ١- الملقق بالقوم وليس منهم، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وعكرمة، وسعيد بن المسيب^(١).
- ٢- أنه الذي له زئمة مثل زئمة الشاة، عن ابن عباس من طريق عكرمة^(٢)، والضحاك^(٣).
- ٣- هو المريب الذي يعرف بالشر، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير^(٤).
- ٤- أنه الظلوم، عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة^(٥).
- ٥- هو الذي يُعرف بأبنة^(٦)، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير^(٧).
- ٦- هو الجلف الجافي، عن شهر بن حوشب^(٨).
- ٧- هو علامة الكفر، عن أبي رزين^(٩).
- ٨- هو الذي يعرف باللؤم، عن عكرمة^(١٠).
- ٩- هو الفاجر، عن أبي رزين^(١١).

التعليق:

الزئيم مأخوذ من زئمة الشاة وهما زئمتان متدلّيتان، من الأذن أو من الحلق^(١٢).

(١) تفسير الطبري (١٦٥-١٦٤/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٦٥/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره^(٣٣٦٥/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٩/٨).

(٣) تفسير الطبري (١٦٦/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (١٦٦/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره^(٣٣٦٥/١٠). كما في الدر المنثور (٢٤٩/٨).

(٥) تفسير الطبري (١٦٧/٢٣).

(٦) أي العيب (الوسيط أ ب ن). (٣/١).

(٧) تفسير الطبري (١٦٧/٢٣).

(٨) تفسير الطبري (١٦٨/٢٣). وشهر بن حوشب الأشعري الشامي أبو سعيد ويقال: أبو عبد الله مولى أسماء بنت يزيد ابن السكن، وكان فقيهاً قارناً عالماً، صدوق كثير الإرسال

والوهم، توفي سنة ١١٢هـ). ينظر:

ميزان الاعتدال (٣٨٩/٣)، تهذيب التهذيب (٣٢٤/٤).

(٩) تفسير الطبري (١٦٨/٢٣).

(١٠) تفسير الطبري (١٦٨/٢٣).

(١١) تفسير الطبري (١٦٩/٢٣).

(١٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص ٢١٥).

فمادة زئم تدل على الزيادة على الشيء.

يقول ابن فارس: " (زئم) الزاء والنون والميم أصلٌ يدلُّ على تعليق شيء بشيء. من ذلك الزَّئيم، وهو الدَّعِيٌّ. وشبَّه بزئمَتِي العنز، وهما اللتان تتعلَّقان من أذنها. والزَّئمة: اللَّحمة المتدلِّية في الخلق" (١).

ومنه سمي الملقب بالقوم زئيم. ومنه قول حسان بن ثابت :

وَأنت زَئِيم نِيطٍ في آل هاشمٍ ... كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدْحُ الفَرْدُ (٢).

و هذا مرتبط بعادة من عادات العرب، وذلك أن الراكب يعلق قدحه في آخر رحله عند فراغه من ترحاله، ويجعله خلفه، فأخر شيءٍ يحمله المسافر هذا القدح ويضعه خلفه. فأصبح كأنه زائد. فشبه حسان بن ثابت ﷺ أبا سفيان بهذا القدح الفرد.

فأصل الزئيم في لغة العرب يدلُّ على الزيادة على الشيء.

نوع الاختلاف:

تعدد أوصاف المسمى الواحد.

سبب الاختلاف:

لأن زئيم مسمى تعددت أوصافه فذكر كل مفسر صفة من صفاته.

الجمع بين الأقوال:

وقع اختلاف بين السلف في التعبير عن الزئيم وهو الزيادة على الشيء، فما ذكر من أوصاف إما أنها راجعة إلى خلق كما روي الذي يعرف بزئمة كزئمة الشاة وهي زيادة في الجلد أيا كان مكانها، أو إلى خُلُق كالظلم أو الفجور.

فقول السلف المريب، أو الظلوم، أو الذي يعرف بأبنة أي تهمة، فكل هذه الأقوال راجعة إلى معنى التهمة أي متهم في لصوقه بمؤلاء القوم، وكل هذا راجع إلى الخلق. فجماع عباراتهم ترجع إلى معنى الدعِيِّ الملقب بالقوم.

(١) مقاييس اللغة (٢٩/٣) مادة زئم.

(٢) ديوان حسان بن ثابت (ص: ٧٩).

ثم تأتي بعض الأخلاق التي قد تكون من أوصاف من يكونون بهذا الشكل، ولكن ليس دائماً، وإلى هذا أشار ابن كثير فقال: "والأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى ما قلناه، وهو أن الزنيم هو: المشهور بالشر، الذي يعرف به من بين الناس، وغالبًا يكون دعيًا وله زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره" (١).

خلاصة الأمر: أن الزنيم إما أن يكون المراد: رجل به زنمه، وعُرف بها، وإما أن يكون الزنيم: هو الدعيّ الذي أُصق بمن ليس منهم، وإما أن يكون الزنيم علامات على أخلاقيات عنده مرتبطة بكونه دعيًا، مثل الفجور، والظلم، واللؤم، والكفر، فهذه ملحقة به لأنه دعيّ. فلا يابسه بما يفعل. فالزنيم: الدعيّ الملصق بقوم الذي قد أتى بمثل هذه الأمور من الأوصاف.

وهذه الأقوال لا تعارض بينها وكلها صحيحة مقبولة ومما يؤكد هذا: ورود أكثر من تفسير عن مفسر واحد وهو ابن عباس كما هو ظاهر في الأقوال التي سبق ذكرها عنه.

وفي هذا فائدة وهي: أن المفسر الواحد من السلف قد يُفسر الآية بمعنيين مختلفين من حيث الظاهر لوجود التلازم بينهما، فلا ينبغي لمن ينظر في تفاسيرهم - والحالة هذه - أن يسارع بالحكم على أحد القولين بالخطأ، أو يحكم على القولين بالتعارض والتناقض، ومن ثمّ بالتساقط؛ بل الواجب عليه أن ينظر فيما بين المعنيين من ترابط وتلازم يقضي بقبول كلا المعنيين.

وطريقة السلف هذه تعطي كلا المعنيين قوةً ووضوحاً، بحيث لا يصير أحدهما منطوقاً والآخر مفهوماً؛ بل يصير كل منهما عند جمع عبارات السلف منطوقاً ومفهوماً، وجمع العبارتين يظهر المعنى وتكتمل صورته. والله أعلم.

تنبيه: ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) قال: نزل على النبي ﷺ (وَلَا تُطَعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾) (القلم: ١٠-١١) قال: فلم نعرفه حتى نزل على النبي ﷺ (بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ) (قال: فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة) (٢).

(١) تفسير ابن كثير (١٩٤/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٦٦/٢٣). هذا الحديث في إسناده علي بن عاصم بن صهيب الواسطي كان صدوقاً إلا أنه يخطئ كثيراً في الحديث، وإذا بُين له غلطه لا يرجع؛ فالإسناد ضعيف

لضعف علي بن عاصم. ولكن لو صحَّ الحديث فلا إشكال فيه. ينظر: تهذيب التهذيب (٣٠٢/٧)، وتقریب التهذيب (ص: ٤٠٣).

فقول ابن عباس - رضي الله عنهما - "لم نعرفه" و"فعرفناه" يعني بهم الصحابة الذين نزلت الآية في وقتهم، يكون من باب مرسل الصحابي.

قال تعالى (أَعْلَى الْخُرُطُومِ) (القلم: ١٦).

١٥ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله (أ)

(١) سنخطمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وسمة ثابتة فيه ما عاش، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(١).

(٢) سنشينه شيئاً باقياً عن قتادة^(٢).

(٣) سنسم على أنفه، من رواية معمر عن قتادة^(٣).

التعليق:

(وسم) الواو والسين والميم: أصل واحد يدلُّ على أثر ومعلم. ووسمت الشيءَ وسماً: أثرتُ فيه بسمة. وسميَ موسم الحجِّ موسماً لأنه معلمٌ يجتمع إليه الناس. وفلانٌ موسومٌ بالخير، وفلانة ذاتٌ ميسمٌ، إذا كان عليها أثر الجمال^(٤).

وقوله: (أَعْلَى الْخُرُطُومِ) (القلم: ١٦). أي: نعلمه بعلامة يعرف بها^(٥).

"والوسم: أثر كية، تقول: بعير موسوم: أي قد وُسم بسمة يُعرف بها، إما كية أو قطع في أذنه، أو قرمة تكون علامة له. والميسم: المكواة أو الشيء الذي يُوسم به الدواب، والجميع المواسم، وإنما سُمي الوسمي من المطر وسمياً لأنه يسِم الأرض بالنبات، فيصير فيها أثراً في أول السنة"^(٦).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

(١) تفسير الطبري (١٧٠/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (١٧٠/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧٠/٢٣).

(٤) مقاييس اللغة (٨٣/٦). مادة (وسم).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (٥٢٤/١).

(٦) تهذيب اللغة (٧٧/١٣). مادة (وسم).

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

بناءً على الأقوال السابقة فإن هذا الوسم إما أن يكون حسياً أو يكون معنوياً، وإما أن يكون في الدنيا وإما أن يكون في الآخرة. فجميع الأقوال لا تخرج عن هذا.

فيكون حسياً كما ورد عن قتادة سيما على أنفه، أو ما ذكره عن ابن عباس: سنخطمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية، وهما متقاربان.

وأما قول قتادة: شين لا يفارقه آخر ما عليه. هذه معنوية والظاهر من كلام قتادة أن المراد بها في الدنيا.

وقال الفراء: "سنسمه سمة أهل النار: أي سنسود وجهه"^(١). هذا إنما يكون في الآخرة.

فإذا عندنا هذه الاحتمالات، هل بينها تعارض؟

ليس بينها تعارض، فإذا كانت الآيات نازلة في شخص معين فليس بعيد أن يكون قد خطم أنفه كما ذكر ابن عباس^(٢)، وكونه خطم أنفه لا ينفي هذا عنه المعاني الأخرى الشين الذي لا يفارقه، وكذلك تسويد الوجه في الآخرة.

فهذه المعاني كلها غير متناقضة ولا متعارضة.

وقد بين ذلك الطبري بقوله: "معنى ذلك: سنين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفي السمة على الخرطوم.

وقول قتادة: معنى ذلك: شين لا يفارقه آخر ما عليه، وقد يحتمل أيضاً أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف"^(٣).

(١) معاني القرآن (١٧٤/٣).

(٢) وهنا فائدة: في الرواية التي ذكرها الطبري في تفسيره (١٧٠/ ٢٣).

عن ابن عباس (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) فقاتل يوم بدر، فخطم بالسيف في القتال. هذا هو قول العالمين بمعاني ما أتزل، وإلا من الذي يستطيع أن يعطينا مثل الكلام؟ فهذه قضية تاريخية فلا بد أن تصدر عن صحابي، وما دام الصحابي حكم بهذا ففيه استدلال على أن المقصود به شخص معين وحصل له هذا.

(٣) تفسير الطبري (١٧١/٢٣).

وما ذهب إليه الطبري يشير إلى هذا لأنه جعل هذه المعاني صحيحة قال: سنيين أمره بياناً واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفي السمة على الخرطوم.
ثم قال: وقد يحتمل أيضاً أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف. صار الحسي والمعنوي معاً.

وتبعه في ذلك ابن كثير فقد ساق المعاني الواردة ثم قال: "حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة، وهو مُتَّجِهٌ"^(١).

وهنا فائدة وهي:

أن التعبير عن الأنف بالخرطوم فيه إشارة إلى معنى التقبيح والتشويه، كونه يسمى الأنف في هذا الموطن بالخرطوم إنما المراد به التقبيح.

والطاهر بن عاشور أشار إلى بلاغة استخدام لفظ الخرطوم فقال: "وذكر الخرطوم فيه جمع بين التشويه والإهانة، فإن الوسم يقتضي التمكّن وكونه في الوجه إذلال وإهانة وكونه على الأنف أشد إذلالاً . والتعبير عن الأنف بالخرطوم تشويه، والضرب والوسم ونحوهما على الأنف كناية عن قوة التمكّن وتمام الغلبة وعجز صاحب الأنف عن المقاومة، لأن الأنف أبرز ما في الوجه وهو مجرى النفس ولذلك غلب ذكر الأنف في التعبير عن إظهار العزة في قولهم : شمخ بأنفه وهو أشم الأنف وهم شم العرائن^(٢) . وعبر عن ظهور الذلة والاستكانة بكسر الأنف وجدعه ووقوعه في التراب في قولهم : رغم أنفه وعلى رغم أنفه قال جرير^(٣) :

لما وضعت على الفرزدق ميسمي ... وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل^(٤).

ومعظم المفسرين على أن المعني بهذا الوعيد هو الوليد بن المغيرة وقال أبو مسلم الأصفهاني^(١) في تفسيره قوله (أَعْلَى الْخُرْطُومِ) (هو ما ابتلاه الله به في نفسه وماله وأهله من سوء وذل

(١) تفسير ابن كثير(٨/١٩٥).

(٢) والعَرَيْنُ الأنف كله وقيل هو ما صَلَّبَ من عَظْمِهِ. ينظر:لسان العرب (١٣ / ٢٨١).مادة(عرن).

(٣) جرير بن عطية بن الخطفى التميمي أبو حررة البصري. شاعر زمانه، مدح يزيد بن معاوية، وخلفاء بني أمية، وشعره مدون، توفي سنة (١١٠هـ). ينظر:سير أعلام

النبلاء(٤/٥٩٠)،الأعلام(٢/١١٩).

(٤) ديوان جرير(ص:٤٧٣).

وصغار . يريد : ما نالهم يوم بدر وما بعده إلى فتح مكة . وعن ابن عباس معنى (أَ عَلَى الْخُرْطُومِ) سنخطمه بالسيف قال : وقد خطم الذي نزلت فيه بالسيف يوم بدر فلم يزل مخطوماً إلى أن مات ولم يعين ابن عباس من هو^(٢) .

تنبيه:

١- هل المراد بقوله " سنسمه على الخرطوم " الوجه كله أو الأنف هو بذاته مقصود؟ قال الفراء: " سنسود وجهه إن الخرطوم وإن كان خصاً بالسمة، فإنه في مذهب الوجه؛ لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض، " (٣) .

هل يلزم من كلام الفراء نفي الضرب على الأنف أو لا يلزم؟ يلزم من كلامه نفي الضرب على الأنف. وذهب إلى معنى سنسود وجهه، ثم ذهب يعتل لماذا عبر عن الوجه بالخرطوم ثم ذكر كلام العرب في ذلك. هذا على مذهب الفراء. وإن كنت قد رجحت أنه لا يلزم من تسويد الوجه نفي الدلالات الأخرى.

٢- هل المذهب الذي ذكره الفراء صحيح عن العرب، بمعنى هل العرب تطلق الجزء على الكل؟

في القرآن في قوله تعالى "قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة" فالمراد أبصار أصحاب القلوب. فهذا من التعبير عن الجزء وإرادة الكل.

وكذلك في قوله "ناصية كاذبة خاطئة" هو من باب التعبير عن الجزء والمراد الكل. والأمثلة في ذلك كثيرة. فالمقصود أن ما ذهب إليه الفراء من جهة العربية صحيح فلا نخالفه في ذلك، وإنما نخالفه أن هذا هو المراد بالسياق دون غيره.

(١) هو محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، كان نحويًا، بليغًا، حدلاً، متكلمًا معزليًا، عالمًا بالنفسير وغيره من صنوف العلم، له "جامع التأويل لحكم التنزيل" وهو تفسير على مذهب

المعتزلة، والناسخ والمنسوخ، وغيرها. توفي سنة (٣٢٢هـ). ينظر: الفهرست لابن النديم (ص: ١٩٦)، لسان الميزان، لابن حجر (٨٩/٥).

(٢) التحرير والتنوير (٧٨/٢٩).

(٣) معاني القرآن (١٧٤/٣).

وهنا ملحظ مهم جداً: وهو أن بعض الذين يفسرون بغير تفسير السلف يقع عندهم الإشكال في قصر معنى الآية على ما يذهبون إليه، وقصر معنى الآية على ما يذهبون إليه يلزم منه نفي ما قاله السلف.

فالأصل أن فهم التفسير قد استقر عند السلف ولا يوجد آية لا يفهم معناها عند السلف، لأن إذا قلنا بأن هناك آية لا يفهمها السلف فهذا لا يجوز لأن فيه أن الرسالة ناقصة وأن الرسول ﷺ لم يبين. والله تعالى يقول (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ فِىهِ) (النحل: ٤٤)

فلما يأتي بعض من يفسر القرآن على غير منهجهم سواءً اعتمد اللغة أم العقل أم غيره، يقع عنده مخالفة لهم من هذه الجهة أنه يقصر معنى الآية على ما يفهمه ويذهب إليه هو، وقصره المعنى على ما يذهب إليه هو يلزم منه إبطال قول السلف.

وهذا كما تلاحظ عند الفراء فيه إشكال من هذه الجهة. ولكن لو جعله أحد المعاني المحتملة لقلنا صحيح، ولهذا لما أتينا إلى قضية الترجيح قلنا حتى المعنى الذي ذكره الفراء محتمل أن يكون يوم القيامة ويكون سمة لكنها ليست سمة خاصة بفلان وإنما تشمل جميع الكفار.

قال تعالى (ق ف) (القلم: ٢٠).

١٦ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله (ق ف).

(١) الليل الأسود، عن ابن عباس^(١).

(٢) أرض تدعى الصريم^(٢)، عن سعيد بن جبير^(٣).

التعليق:

أصل كلمة الصريم مأخوذ من مادة صرم. وصرمتُ الشيء صرماً، إذا قطعته. وصرمتُ الرجلَ صرماً، إذا قطعت كلامه، وأصرمَ النخلُ، أي حان له أن يُصرمَ^(٤). قال ابن فارس: "الصاد والراء والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ مطرد، وهو القطع. والصريم اسمُ الصُّبحِ واسمُ الليل. ويقال: الأصرمان؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يصرمُ صاحبه ويصرم عنه. قال الله تعالى: (ق ف) (القلم: ٢٠). يقول: احترقت فاسودت كالليل، ويقال: كالشيء المصروم، الذي ذهب ما فيه، والصريم: الرَّمْل ينقطع عن الجدد والأرض الصُّلبة"^(٥).

"ويقال: سيف صارمٌ: أي قاطع، وقال قتادة في قوله: (ق ف) قال: كأنها صرمتُ.

وقيل: الصريم أرض سوداء لا تُثبت شيئاً.

وقيل: الصريم: الليل، والصريم: النهار؛ ينصرم النهار من الليل، والليل من النهار"^(٦).

نوع الاختلاف:

الاشتراك اللفظي في كلمة الصريم.

سبب الاختلاف:

(١) تفسير الطبري (١٧٤/٢٣) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٦/١٠). كما في الدر المنثور (٢٥١/٨)

(٢) هي أرض باليمن يقال لها ضرّوان من صنعاء على ستة أميال. ينظر: تفسير الطبري (١٧٥/٢٣) ومعجم البلدان (٤٠٥/٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧٥/٢٣).

(٤) الصحاح في اللغة، للجوهري (٢٤٣/٦).

(٥) مقاييس اللغة (٢٧٠/٣-٢٧١) مادة: صرم.

(٦) تهذيب اللغة (١٣١/١٢) مادة: صرم.

لأن لفظ "الصريم" من قبيل المشترك فذكر كل مفسر معنى يصدق عليه لفظ الصريم.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال اللغويين في معنى الصريم يجد أنه يطلق على الليل والنهار، وكذلك على الأرض التي لا ينبت فيها شيء، فهو من المشترك اللفظي^(١)، ولما كان الصريم مشتركاً بين المعاني السابقة جاء القولان الواردان هنا دالين على أحد هذه المعاني، فالمقصود على كلا المعنيين شيء واحد؛ أي أنه لم يبق فيها شيء.

فإذا كان المعنى المراد منها واحداً فيحمل لفظ الصريم على كل المعاني الواردة فيه، وقد جعل الشاطبي الخلاف هنا من الخلاف الذي لا يعتد به، قال: "قوله: (ق ف) فقييل: كالنهار بيضاء لا شيء فيها، وقيل: كالليل سوداء لا شيء فيها؛ فالمقصود شيء واحد، وإن شُبّه بالمتضادين اللذين لا يتلاقيان"^(٢). وما ذهب إليه الشاطبي، لم أجد من خالفه من حيث النتيجة؛ إذ أقوال المفسرين تدور حول هذه النتيجة^(٣).

يقول ابن عاشور: "وإيثار كلمة الصريم هنا لكثرة معانيها وصلاحيه جميع تلك المعاني لأن تراد في الآية"^(٤).

فيحتمل أن يكون المراد بالصريم في الآية الليل المظلم؛ لأن الجنة لما احترقت واسودت صارت كالليل، ويحتمل أن يراد به النهار؛ لأنها لما يبست وذهبت خضرتها لم يبق فيها شيء.

وهنا ضابط مهم ينبغي التنبيه له وهو: أن الأقوال المختلفة لا بد من تأملها، ومعرفة مقاصد قائلها، والاعتبارات التي بنوا عليها، قبل الحكم بكونها متضادة، فقد يقع الخلاف على صورة

(١) فائدة مهمة: قال الكفوي: "لا يشترط في ثبوت الاشتراك في لفظ نقل أهل اللغة أنه مشترك، بل يشترط نقلهم أنه مستعمل في معنيين أو أكثر، وإذا ثبت ذلك بنقلهم فنحن نسماه

مشتركا باصطلاحنا". الكليات (ص ١١٩). وقد نقل أهل اللغة استعمال الصريم في المعاني السابقة، كما نجد ذلك في قول ابن فارس إذ قال: "والصريم اسم الصبح واسم الليل والصريم:

الرمل ينقطع عن الجدد والأرض الصلبة".

وفي قول الأزهري: "والصريم الليل والصريم النهار يتصريم الليل من النهار والنهار من الليل.. وقيل الصريم أرض سوداء لا تنبت شيئاً". وكلها قد سبق نقلها.

(٢) الموافقات ٥/٢١٥، ٢١٦.

(٣) ذهب إلى هذا القول: جماعة من المفسرين؛ ينظر: المحرر الوجيز ٨/٣٧٣، البحر المحيط ٨/٣٠٦، والسعدي في تفسيره (ص: ٨٨٠) وغيرهم.

(٤) التحرير والتنوير (٨٢/٢٩).

التضاد، ولا يكون تضادا، لاختلاف الاعتبار أو المحل الذي يتزل عليه كل قول من الأقوال، وهذا يمكن تقسيمه إلى قسمين:

الأول: أن تكون الأقوال على صورة التضاد، لكن المعنى المراد منها واحد. مثل "الصريم"

الثاني: أن تكون الأقوال صورتها صورة التضاد، وتكون راجعة إلى أكثر من معنى.

قال تعالى (وَعَدَّوْا عَلَيَّ حَرِّرٍ قَدِيرِينَ) (القلم: ٢٥).

١٧- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (حَرِّرٍ)

(١) على قُدْرَة في أنفسهم وجدّ. عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن زيد^(١).
(٢) وعدوا على أمر قد أجمعوا عليه بينهم، واستسروه، وأسرّوه في أنفسهم. عن مجاهد، وعكرمة^(٢).

(٣) على فاقّة، عن الحسن^(٣).

(٤) على حنق. عن سفيان الثوري^(٤).

التعليق:

"(حرد) الحاء والراء والذال أصولٌ ثلاثة: القصد، والغضب، والتنحي"^(٥).

قال الراغب: "الحرد المنع عن حدة وغضب قال عز وجل (وَعَدَّوْا عَلَيَّ حَرِّرٍ قَدِيرِينَ) أي: على امتناع من أن يتناولوه قادرين على ذلك، ونزل فلان حريداً أي متمنعا عن مخالطة القوم"^(٦).

"وقال ابن الأعرابي^(٧): الحَرْدُ: القَصْدُ، والحَرْدُ: المنعُ، والحَرْدُ: الغيظُ، والغضب، قال: ويجوز أن هذا كله معنى قوله: (وَعَدَّوْا عَلَيَّ حَرِّرٍ قَدِيرِينَ)"^(٨).

وقال الفراء في قوله: (وَعَدَّوْا عَلَيَّ حَرِّرٍ قَدِيرِينَ) على جدّ وقدره في أنفسهم والحرد أيضاً: القصد، كما يقول الرجل للرجل: قد أقبلت قبلك، وقصدت قصدك، وحردتُ حردك."^(٩)

(١) تفسير الطبري (٢٣/١٧٦-١٧٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/١٧٧-١٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/١٧٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/١٧٨).

(٥) مقاييس اللغة (٢/٤٠)، مادة (حرد).

(٦) مفردات القرآن (١/١١٣)، مادة (حرد).

(٧) محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي الأحول أبو عبد الله. كان إماماً في اللغة، كثير السماع، نساباً نحويًا، راوية لأشعار القبائل، كثير الحفظ، توفي سنة (٢٣١هـ). ينظر: طبقات النحويين

واللغويين للزبيدي (ص: ١٩٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/٦٨٧).

(٨) تهذيب اللغة (٤/٢٣٩)، مادة (حرد).

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

الاشتراك في لفظة "الجرد" فكل مفسر ذكر معنى من معاني الجرد.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في الأقوال السابقة يجد أن بينها اختلافاً فكيف نتعامل مع هذا الاختلاف؟ عندنا هنا جانبان: الجانب الأول مرتبط بالمعنى اللغوي، والجانب الثاني مرتبط بالمعنى السياقي.

فإذا نظرنا في القول الأول من فسر الجرد بأنه على قدرة في أنفسهم وجد، فالأقرب أن يكون الجرد هنا بمعنى العزم.

وأما قول الحسن على جهد أو جد فهي قريبة من كلام مجاهد.

وسعيد قال: غدا القوم وهم محردون إلى جنتهم، فمعنى محردون هنا قاصدون، فكلام قتادة الأقرب فيه أن يكون بمعنى القصد لدلالة حرف الجر -إلى- قال: محردون إلى جنتهم.

وقتادة من طريق معمر عنه قال: على جد من أمرهم، وهذا الذي بمعنى العزم التام، وكذلك ابن زيد قال: على جد قادرين في أنفسهم. فهذا يدل على أن المراد بالجرد هنا بمعنى الجرد والعزم.

القول الثاني: وغدوا على أمر قد أجمعوا عليه بينهم، واستسروه، وأسروه في أنفسهم. عن مجاهد.

هل يختلف معنى الكلام هذا عن السابق من جهة المعنى؟ وهل هناك فرق بين المعنيين؟ قول مجاهد الأول: وغدوا على جد قادرين، والقول الثاني: وغدوا على أمر قد أسسوه بينهم، فالاختلاف بينهما إنما هو اختلاف تعبير، فلا يصلح أن يكون قولاً مستقلاً وإنما هو اختلاف تعبير من المفسر، مرة يقول بقول ومرة يقول بقول آخر فليس بينهما تعارض. فهذا المعنى هو نفس هذا المعنى.

أيضا أورد عن مجاهد مرة أخرى قال: على أمر مجمع، هل قوله هذا يختلف عن قوله على جد؟ مادام أنهم عزموا كأنهم أجمعوا على هذا الأمر.

فإذا نلاحظ أن قول مجاهد وإن اختلفت العبارات فهو يؤول إلى معنى واحد.

عكرمة أيضاً قال: على أمر مجمع وهذا في الحقيقة يعود إلى ما قاله مجاهد.

فكأن هذا القول الذي أفرد الطبري هو في حقيقته داخل ضمن القول الأول.

القول الثالث الذي ذكره - وغدوا على فاقة وحاجة - وهذا عن الحسن.

كيف وغدوا على فاقة قادرين؟ هل هم يطلبون الفاقة لأنفسهم أو يريدونها لغيرهم؟ بالطبع

لغيرهم. إذا الحسن وجه الخطاب على حرد أنه على فاقة لكن بمعنى على منع.

فبينهما تلازم لأنهم إذا منعوهم أصابوهم بالفاقة، ولا يمكن أن يصيبوهم بالفاقة إلا إذا

منعوهم.

إذا قول الحسن "وغدوا على حرد" أي على فاقة قادرين، أي غدوا على منع هؤلاء المساكين

حاجتهم قادرين.

والرواية الأخيرة رواية سفيان قال: على حنق. أي غضب.

هل يفهم من سياق الآيات أن أصحاب الجنة كانوا بالفعل غاضبين؟

لو تأملنا حقيقة فعلهم هم بالحقيقة مجتمع عندهم مجموعة من الأخلاقيات ومنها

الغضب. فتفسير سفيان صحيح من جهة اللغة ومن جهة المعنى.

إذا تكون عندنا ثلاثة معانٍ:

وغدوا على جد وعزم قادرين.

وغدوا على فاقة على منع للفقراء قادرين.

وغدوا على غضب وحنق قادرين.

هذه المعاني الثلاثة هل اتصفوا بها؟ نعم اتصفوا بها .

وهل أحد هذه المعاني لا يتوافق مع السياق؟، وهل بينها تضاد؟ بالطبع لا

إذاً جميع هذه الأقوال صحيحة ومعتبرة من الناحية التفسيرية، لاحتمال النص لها وهذا نوع

من إعجاز القرآن يحسن التنبيه له، وهو اختيار اللفظة الواحدة الدالة على أكثر من معنى

في الحدث الواحد، فهي لفظة واحدة دلت على أكثر من معنى في حدث واحد.

قد يقول قائل: لماذا تعتبر هذه الأقوال كلها محتملة وليس عندنا دليل على أنها كلها كذلك؟
الجواب على ذلك: أن النص الكريم يحتملها جميعاً ولا نملك دليلاً على تعيين أحدها فكان
اللجوء إلى التعميم أولى.

قال تعالى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) (القلم: ٤٢).

١٨- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)

(١) ييدو عن أمر شديد. عن ابن عباس^(١)، ومجاهد، سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وعكرمة^(٢).

(٢) يكشف الله عز وجل عن ساقه، عن عبد الله بن مسعود^(٣)، وأبي سعيد الخدري^(٤)، وإبراهيم النخعي^(٥).

التعليق:

الساق في اللغة على وجهين:

أحدهما: العضو المعروف "فالأصل في الساق: العضو المعروف وكل نبات له غصن فغصنه ساقه"^(٦).

الثاني: الشدة. يقال: "رأيته يسوق سيقاً أي يترعُ نزعاً يعني الموت"^(٧).

قال ابن عباس في قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال: يكشف عن أمر عظيم. كقول الشاعر^(٨):

قد قامت الحرب بنا على ساق^(٩).

" قال الفراء : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) . عن ساق: عن شدة.

قال: وأنشدني بعض العرب:

(١) تفسير الطبري (١٨٧/٢٣) ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٦٦/١٠). كما في الدر المنثور (٢٥٤/٨).

(٢) تفسير الطبري (١٨٨/٢٣-١٨٩).

(٣) تفسير الطبري (١٨٩/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (١٩٤/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (١٨٧/٢٣).

(٦) نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي (ص ٣٤٠).

(٧) العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٩٠/٥).

(٨) لم أعثر على اسمه.

(٩) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٧/٢٣).

كشفت لهم عن ساقها ... وبدا من الشَّرِّ البرَّاحُ." (١)

"وقال الزجاج في قوله: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ). عن الأمر الشديد" (٢).

"وقال أهل اللغة: قيل للأمر الشديد ساق لأن الإنسان إذا دهسته شدة ثمر لها عن ساقه ثم قيل لكل أمر شديد يشتمر له ساق" (٣).

نوع الاختلاف:

التفسير على اللفظ والتفسير على المعنى.

سبب الاختلاف:

أن بعض المفسرين نظر إلى المعنى اللغوي للفظة، وبعضهم نظر إلى المعنى المفهوم من الآية.

الترجيح بين الأقوال:

هذه الآية من الآيات التي وقع فيها نزاع بين طوائف المتكلمين وبين أهل الأثر.

وتعدد القول في هذه الآية كان معروفاً في جيل السلف فعن إبراهيم النخعي قال: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ).

ولا يبقى مؤمن إلا سجد، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا.

قال: وكان ابن عباس يقول: يكشف عن أمر عظيم، ألا تسمع العرب تقول:

وقامت الحربُ بنا على ساق" (٤).

فإبراهيم النخعي يفسر معنى يوم يكشف عن ساق على أن المراد بها ساق الرب

عز وجل، ثم ذكر تفسير ابن عباس.

(١) معاني القرآن (١٧٧/٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٢١٠/٥).

(٣) تهذيب اللغة (١٨٤/٩) مادة: ساق.

(٤) تفسير الطبري (١٨٧/٢٣).

وهذا يدل على أن تعدد القول في هذه الآية كان معروفاً في جيل السلف.

والسبب في ذلك أن لفظ الساق جاء نكرة في الإثبات، ولم تضاف إلى الله تعالى؛ لذا وقع الخلاف بين السلف في تفسيرها، فالآية فيها مذهبان:

منهم من يذهب بها إلى أنها آية من آيات الصفات، وأن المقصود بالساق في هذه الآية هو ساق الرب سبحانه وتعالى.

ومنهم من يذهب بها إلى معنى لغوي لا علاقة له بالساق، وأن معنى الآية يوم يكشف عن شدة وكرب، وذلك يوم القيامة، وهو مذهب ابن عباس رضي الله عنه ومن وافقه من الصحابة، وهو أنه لم يحملها على الصفة وإنما حملها على المعنى اللغوي، واستدل لذلك بشعر العرب لأنها تعبر عن الساق بالأمر الشديد، ويشهد لمعناه أنه كان يقرأها "يوم تكشف عن ساق" ^(١) وهذا يدل على أن مراده تكشف القيامة، وكل تفسيره على هذا المعنى مما يدل على أنه يفسر قراءته وهي "تكشف عن ساق" ويفسرها تكشف القيامة عن هول وكرب.

وبناءً على هذا إذا كان يفسر يوم تكشف عن ساق فإنه من حيث السياق والمعنى متوجه على قوله، ولا يلزم أن يكون لها علاقة بالصفة على هذه القراءة، فلا يكون ابن عباس مفسراً للصفة في هذا المعنى كما يذهب إليه بعضهم، فنقول إن ابن عباس لم يجعل هذه الآية من باب الصفات وإنما جعلها على المعنى اللغوي بدلالة أنه قرأ "يوم تكشف عن ساق" أي تكشف القيامة عن هول وكرب.

وعند التأمل تبين أن كل ما روي عن ابن عباس في ذلك لا يصح ^(٢). وعلى فرض صحته فيحتمل أحد أمرين كما ذكر ذلك أبو يعلى ^(١) حيث قال: "والذي

(١) أخرجه الفراء في معاني القرآن (١٧٧/٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٨٥/٢) من طريق عمرو بن دينار عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٥٥/٨) إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن منده.

(٢) وذلك أن جميع الطرق المروية عنه في ذلك كما جاءت عند ابن جرير في تفسيره (١٨٧/٢٣)، والحاكم في المستدرک (٥٤٢/٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٨٥/٢) لم تسلم

من مقال، فبعضها ضعيف جداً، وبعضها ضعيف، وقد تتبع طرقها ودرس أسانيدنا سليم الهلالي في كتابه "المنهل الرقاق" (ص ١٧-٣٤).

روي عن ابن عباس ، فالكلام عليه من وجهين: أحدهما أن يحتمل أن يكون هذا التفسير منهما على مقتضى اللغة، وأن الساق في اللغة هو الشدة ولم يقصد بذلك تفسيره في صفات الله تعالى في موجب الشرع.

الثاني: أنه يعارض ما قاله ابن مسعود – وذكر قول ابن مسعود في الآية وأن معناها: يكشف عن ساقه جلّ ذكره." (٢)

قال شيخ الإسلام مؤيداً الوجه الأول: "ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات، فإنه قال (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ). (القلم: ٤٢) نكرة في الإثبات لم يضيفها إلى الله، ولم يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر." (٣)

وقال في موضع آخر: "وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله لأنه قال (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ). (القلم: ٤٢) ولم يقل: عن ساق الله، ولا قال: يكشف الرب عن ساقه وإنما ذكر ساقاً نكرة غير معرفة ولا مضافة، وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق لله والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن، وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه: "فيكشف الرب عن ساقه" (٤)، وقد يقال: إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود والسجود لا يصلح إلا لله، فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه" (٥).

(١) هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي، صاحب التصانيف، شيخ الخنابلة في وقته، توفي: سنة (٤٥٨هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (٨٩/١٨)، وشذرات الذهب (٣٠٦/٣).

(٢) إبطال التأويلات (ص ١٦٠).

(٣) الفتاوى (٣٩٥-٣٩٤/٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب (قوله تعالى: يوم يكشف عن ساق) (١٨٧١/٤) ح (٤٦٣٥)، ومسلم في كتاب (التوحيد) باب (معرفة طريق

الرؤية) (١٦٧/١) ح (١٨٣)..

(٥) نقض التأسيس - مخطوط - (ق ٢٦١)، وانظر: مختصر الصواعق (٣٣/١-٣٤).

فشيخ الإسلام أراد هنا أن يرد على من زعم أن الصحابة - كما يروى عن ابن عباس على فرض صحته - أولوا الصفات، فذكر أن هذا اللفظ بمجرد لا يدل على الصفة، فمن فسر اللفظ بمجرد (الشدة) فلا يعد متأولاً، لأن دلالة على الصفة مستلزم لتفسيره بالحديث، أو بالنظر إلى سياق الآية على وجه العموم.

ولم يحدث بين السلف رحمهم الله خلاف في الصفات إلا ما روي في صفة الساق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "إِنَّ جَمِيعَ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، فَلَيْسَ عَنِ الصَّحَابَةِ اخْتِلَافٌ فِي تَأْوِيلِهَا ."

وَقَدْ طَالَعْتُ التَّفَاسِيرَ الْمُنْقُولَةَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَمَا رَوَوْهُ مِنَ الْحَدِيثِ، وَوَقَفْتُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْكُتُبِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَفْسِيرٍ، فَلَمْ أَجِدْ - إِلَى سَاعَتِي هَذِهِ - عَنِ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ تَأَوَّلَ شَيْئاً مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَوْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ بِخِلَافِ مُقْتَضَاهَا الْمَفْهُومِ الْمَعْرُوفِ؛ بَلْ عَنْهُمْ مِنْ تَقْرِيرِ ذَلِكَ وَتَثْبِيهِ وَبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ مَا يُخَالَفُ كَلَامَ الْمُتَأَوِّلِينَ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ . وَكَذَلِكَ فِيمَا يَذْكُرُونَهُ أَثَرِينَ وَذَاكِرِينَ عَنْهُمْ شَيْئاً كَثِيراً .

وَتَمَامُ هَذَا أَنِّي لَمْ أَجِدْهُمْ تَنَازَعُوا إِلَّا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى (يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقِي) ^(١). و ليس مقصود ابن تيمية أن الصحابة اختلفوا في إثبات صفة الساق لله عز وجل مع ورودها صراحة في حديث أبي سعيد المتقدم، بل مقصوده أنهم اختلفوا في تفسير الآية؛ هل المراد بها الكشف عن الشدة، أو المراد الكشف عن ساق الله؟

فحمل الآية على الصفة الإلهية حمل صحيح اعتماداً على الآثار الواردة عن الصحابة كابن مسعود وغيره، ولا يمكن أن نكون أعلم منهم في مثل هذه الأمور.

(١) مجموع الفتاوى (٦/٣٩٤-٣٩٥).

وإذا تقرر هذا، فإن أولى القولين هو ما قاله ابن مسعود، وأبو سعيد رضي الله عنهما وذلك لحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً"^(١). وهذا القول عليه أكثر المفسرين^(٢).

وترجيح هذا القول لا يعني بطلان القول الآخر لأن من ذهب إلى المعنى اللغوي ذهب للعموم، ومن ذكر حديث الساق ذهب إلى التمثيل بأشد ما يقع من الهول و الكرب يوم القيامة، ولهذا جعلها ابن عباس أشد ساعة يراها أهل الموقف. فمن نظر إلى سياق الآية مع حديث أبي سعيد، قال: إن المراد بالساق هنا ساق الله. ومن نظر إلى الآية بمفردها، قال: المراد بالساق الشدة.

و معلوم أن قوله تعالى "يوم يكشف عن ساق" ليس نصاً في أن الساق صفة لله تعالى؛ لأنه جاء منكرًا غير معرف فيحتمل كونه صفة و كونه غير صفة و تعيينه لواحد من ذلك يتوقف على الدليل و قد دل الدليل الصحيح على ذلك فلا يجوز تأوله بعد ذلك، أما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما و غيره أن ذلك الشدة و الكرب يوم القيامة فهذا بالنظر إلى لفظ الآية لأنها كما قلنا لم تدل على الصفة بلفظها و إنما الدليل هو الحديث المذكور.

وهنا يجدر التنبيه إلى أمرين:

الأول: أنه ليس في الآية حجة للمتأولين الذين يذهبون إلى أن المراد بقوله "يوم يكشف عن ساق" أن المراد بها تكشف القيامة عن هول و كرب ولا يثبتون الساق.

(١) - سبق تخريجه صفحة (٣٢٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٩٥/٢٣)، و تفسير ابن كثير (٢٢٤/٨)، و تفسير الشوكاني (٢٧٨/٥)، و تفسير السعدي (ص: ٨٨١)، و روجه ابن باز ينظر: مجموع فتاوى و تنبيهات - ابن باز

فاتفاقهم مع ابن عباس في التفسير لا يعني اتفاقهم في الأصل، فابن عباس لا ينكر ساق الرب، لأنه ثابت في الحديث النبوي والحديث صريح جداً لا يحتمل التأويل "يكشف ربنا عن ساقه" والذين يتأولون الحديث ويتأولون الآية ويجعلون الآية من باب التأويل عندهم، لأن المنصوص عليه عندهم أنها من باب التأويل بمعنى صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح مع القرينة، فابن عباس لا يؤول وإنما يثبت الساق، لأن الأصل فيه وفي أمثاله الإثبات، وهذه الآية لا يدخلها في باب الصفات، فليس هناك حجة لمن يزعم أن من منهج السلف التأويل ويستدل بمثل هذا الأثر عن ابن عباس.

الثاني: وما يجب أن يعلم أن الذين فسروا الآية بالتفسير الثاني لم ينفوا عن الله تعالى صفة الساق التي ثبتت بها السنة، لكنهم لم يروا أن الآية دالة عليها ولم يعدوها من آيات الصفات، إنما أثبتوا الصفة - صفة الساق - بالسنة ولا منافاة بين القولين، فالله يكشف عن ساقه يوم شدة الهول، وذلك بخلاف المعطلة الذين ينفون صفة الساق، ولا يثبتونها لا بالقرآن ولا بالسنة، بل حملوا الآية والحديث على شدة الأمر.

وهذا التفسير وإن كان محتملاً في الآية لكنه لا يحتمل في تفسير الحديث، لورود الساق مضافة إلى الضمير العائد على الله تعالى. والله أعلم.

قال تعالى (ث أَنْ تَدْرِكُهُ ك ك ك ك ك ك ك ك) (القلم: ٤٩)

١٩- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (ك).

(١) مليم، عن ابن عباس^(١).

(٢) مذنب، عن بكر بن عبد الله^(٢).^(٣)

التعليق:

مذموم مأخوذ من الفعل ذم

يقول ابن فارس: " (ذم) الذال والميم أصل واحد يدلُّ كُله على خلافِ الحمد. يقال ذَمَمْتُ فلاناً أذُمته، فهو ذَمِيمٌ ومذموم، إذا كان غير حميد"^(٤).

يقال: ذمه ذما ومذمة فهو مذموم وذميم ومعناه اللوم في الإساءة^(٥).

والذمُّ نقيض المدح ذَمُّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وَمَذَمَّةٌ فهو مَذْمُومٌ والعرب تقول ذَمَّ يَذُمُّ ذَمًّا وهو اللوم في الإساءة والذمُّ والمذموم واحد.. وأذَمَّ الرجلُ أتى بما يُذَمُّ عليه.. وشيءٌ مُذَمٌّ أي: مَعِيْبٌ^(٦).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠١).

(٢) هو بكر بن عبد الله المزني أبو عبد الله البصري، ثقة ثبت جليل. مات سنة (١٠٦هـ) بنظر: تهذيب الكمال (٤/٢١٦-٢١٨) وتقريب التهذيب (ص١٢٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٠١).

(٤) مقاييس اللغة (٢/٢٨٥). مادة (ذم).

(٥) تاج العروس (٣٢/٢٠٣). مادة (ذم).

(٦) لسان العرب (١٢/٢٢٠). مادة (ذم).

٢٠- الأَقوال الواردة في المقصود بقوله (لِيُرْلَقُونَكَ).

(١) يُنْفَذُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ شِدَّةِ النَّظَرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ، وَمَجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ، وَالضَّحَّاكَ^(١).

(٢) لِيُزْهَقُونَكَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، وَقَتَادَةَ مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ^(٢).

(٣) لِيَصْرَعُونَكَ. عَنْ الْكَلْبِيِّ^(٣).

التعليق:

يزلقونك من الزلق. وهو تزحزح الإنسان عن مكانه.

يقول ابن فارس: "و الزاء واللام والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تزلُّج الشيء عن مقامه. من ذلك الزلُّق... والمزلقة والمزلق: الموضع لا يُثبَّت عليه. فأما قوله جلَّ ثناؤه: (وَإِنَّ يَكَادُ الَّذِينَ

كَفَرُوا لِيُرْلَقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ) (القلم: ٥١). فحقيقة معناه أَنَّهُ مِنْ حِدَّةِ نَظَرِهِمْ حَسَدًا، يَكَادُونَ يُنْحَوْنَكَ عَنْ مَكَانِكَ"^(٤).

قال الفراء: والعرب تقول للذي يحلق الرأس: قد زلقه وأزلقه. ويقال: (وإن كادوا ليزلقونك) أي: ليرمون بك عن موضعك، ويزيلونك عنه بأبصارهم، كما تقول: كاد يصرعني بشدة نظره، وهو بين من كلام العرب كثير، كما تقول: أزهدت السهم فزهق^(٥).

وقال الزجاج: "مذهب أهل اللغة في مثل هذا أن الكفار من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم نظرة البغضاء أن يضروك، يقال: نظر فلانٌ إليَّ نظراً كاد يأكلني وكاد يصرعني"^(٦).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٣).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة (٣/١٥-١٦). مادة (زلق).

(٥) ينظر: معاني القرآن (٣/١٧٩).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٥/٢١٢).

قال الطبري: "تقول العرب: كاد فلان يصرعني بشدة نظره إليّ، قالوا: وإنما كانت قريش عانوا رسول الله ﷺ ليصيبوه بالعين، فنظروا إليه ليعينوه، وقالوا: ما رأينا رجلاً مثله، أو إنه لمجنون، فقال الله لنبيه عند ذلك: (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) يقول ابن عباس: يقال للسهم: زهق السهم أو زلق"^(١).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة

سبب الاختلاف:

لأنه يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

ورد في قوله "يزلقونك" معنيان:

- إما أن يكون المراد شدة النظر. أي التحديق الشديد فيه من جهة العداوة وليس من جهة الإعجاب.

- أو أن يكون المراد أنهم أرادوا أن يعينوه يعني بمعنى أنهم أرادوا أن يصيبوه بالعين. عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْهِقُونَكَ)^(٢). فهذه قراءة شاذة وهي مفسرة للقراءة المتواترة، فكأن معنى يزلقونك ويزهقونك واحد. وقد ذهب جمهور المفسرين من السلف إلى المعنى الأول، وإن كانت المعاني الأخرى محتملة.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٢).

(٢) وهذه قراءة شاذة ينظر: تفسير الطبري (٢٣/٢٠٣).

٢١- الأَقْوَالُ الْوَارِدَةُ فِي الْمَقْصُودِ بِقَوْلِهِ (الْحَاقَّةُ ١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) (الحاقة: ١-٢).

(١) القيامة. عن ابن عباس^(١) وعكرمة، و الضحاك^(٢).

(٢) الساعة أحقت لكل عامل عمله، عن قتادة^(٣).

(٣) الْقَارِعَةُ وَالْوَارِعَةُ، وَالطَّامَّةُ، وَالصَّاحَّةُ، عن ابن زيد^(٤).

التعليق:

أصل لفظ الحاقة مأخوذ من مادة (حق) ، فسميت حاقة أي فاعلة ، كأن المعنى أنها تفعل الحق، أو يُفعل فيها الحق، والحق الذي يُفعل فيها أنها تحق في الأمور، ولهذا سمي يوم القيامة يوم الحق.

" فَالْحَاقَّةُ الَّتِي تَحَقُّ فِيهَا الْأُمُورُ، وَيَجِبُ فِيهَا الْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ " ^(٥).

قال الفراء: " والحاقة :القيامة، سميت بذلك لأن فيها الثواب والجزاء " ^(٦).

وقال البغوي: " فالقيامة سميت حاقة لأنها حقت فلا كاذبة لها. وقيل: لأن فيها حواق الأمور

وحقائقها ولأن فيها يحق الجزاء على الأعمال، أي يجب يقال: حق عليه الشيء إذا

وجب يحق حقوقاً " ^(٧).

" وسميت القيامة الحاقة لأنها تُحَقُّ كلُّ مُحَاقٍّ فِي دِينِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ، أَي كُلِّ مُجَادِلٍ وَمُخَاصِمٍ

فَتَحَقَّهُ أَي تَغْلِبُهُ وَتَخْصُمُهُ، مِنْ قَوْلِكَ: حَاقِقْتَهُ أَحَاقَهُ حَقَاقًا وَحِاقَةً فَحَقَّقْتَهُ أَحَقَّهُ أَي: غَلِبْتَهُ

وَفَلَجَّتْ عَلَيْهِ " ^(٨).

^(١) تفسير الطبري (٢٠٦/٢٣) ورواه ابن أبي حاتم (٣٣٦٩/١٠). كما في الدر المنثور (٢٦٤/٨).

^(٢) تفسير الطبري (٢٠٦/٢٣).

^(٣) تفسير الطبري (٢٠٦/٢٣).

^(٤) تفسير الطبري (٢٠٦/٢٣).

^(٥) تفسير الطبري (٢٠٥/٢٣).

^(٦) معاني القرآن (١٧٩/٣).

^(٧) تفسير البغوي (٣٨٥/٤).

^(٨) تهذيب اللغة (٢٤٣/٣). مادة (حق).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

المتأمل في هذه الأقوال يجد أنها كلها من باب التفسير على المعنى إذ ليس في قول منها بيان للمعنى اللغوي للفظ الحاقة، فالحاقة في لغة العرب - كما سلف - مأخوذة من حق أي: أنها تفعل الحق، أو يفعل فيها الحق.

والحاقة: الساعة والقيامة: سميت حاقّة لأنها تحقّ كل إنسان بعمله من خير وشرّ. وقد فهم السلف هذا المعنى ثم عبّروا عنه بألفاظ يصدق في كل قول منها معنى الحاقة. فتفسير الحاقة بمعنى القيامة والساعة - كما ورد عن ابن عباس وغيره - لأن في يوم القيامة حواقّ الأمور والثواب.

قال الفراء: "وقيل سميت القيامة حاقّةً لأنها تحقّ كلّ مُحاقّ في دين الله بالباطل أي كلّ مُجادلٍ ومُخاصم فتحقّه أي تغلبه وتخصّمه" (١). وتفسير قتادة بأن الحاقة الساعة التي تحقّ فيها الأمور، فهذا يختلط فيه تفسير المعنى وتفسير اللفظ.

وأما تفسير ابن زيد للحاقة بأنها القارعة والواقعة، والطامة، والصاخّة، فهو من باب التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة. ولهذا قال سبحانه بعدها (كذّبت ثمود وعاد بالقارعة) (الحاقة: ٤). فيدل على أن الحاقة هي القارعة وهو يوم القيامة. فهذه الأقوال كلها تفسير على المعنى. فهم لم يتكلموا عن مادة الحاقة، لكن هذا التفسير المعنوي متضمنٌ للتفسير اللغوي.

(١) معاني القرآن (٣/١٨٠).

ويحسن التنبيه هنا إلى أن السلف أحياناً قد يتوجهون في الدلالة على اللفظ فيبينون شيئاً منه أو يبينونه كله، أي يبينون جزء من المعنى أو المعنى بكليته، وقد يتوجهون إلى التفسير على المعنى، بمعنى أنهم لا ينظرون إلى تفسير اللفظ من جهة المعنى اللغوي، وإنما ينظرون إلى المراد به من جهة السياق، فلهذا لو عبّر أحد بأن الحاقة القيامة فهذا صحيح مثل تعبير ابن عباس وكذلك عكرمة، ولو عبّر آخر بأنها الساعة، مثل ما عبّر قتادة فهذا أيضاً صحيح، وأيضاً لما نظر ابن زيد الحاقة بالقارعة وبالصاححة وبالواقعة، فهذا كله صحيح وهو تفسير على المعنى.

٢٢- الأفعال الواردة في المقصود بقوله (بِالطَّائِعِيَّةِ) (الحاقة: ٥).

(١) الذنوب، عن مجاهد^(١).

(٢) طغيانهم وكفرهم بآيات الله. عن ابن زيد^(٢).

(٣) الصيحة التي جاوزت مقادير الصباح وطغت عليها، عن قتادة^(٣).

التعليق:

الطاغية مأخوذة من الطغيان وهو: مجاوزة الحد في العصيان، ومنه قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَا

الْمَاءُ) (الحاقة: ١١) فاستعير الطغيان فيه لتجاوز الماء الحد^(٤).

قال ابن فارس: "(طغي) الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحد في العصيان. يقال هو طاغٍ. وطَغَى السَّيْلُ، إذا جاء بماءٍ كثيرٍ"^(٥).

وقيل: "طَغَى يَطْغَى طَغْيًا وَيَطْغُو طُغْيَانًا: جاوزَ القَدْرَ وارتفع وغلا في الكُفْرِ"^(٦).

وقيل: "إن الطاغية هاهنا الطغيان، فهي مصدر كالكاذبة والباقية والعاقبة والعافية، أي: أهلكوا بطغيانهم على الله إذ كذبوا رسله وكفروا به"^(٧).

نوع الاختلاف:

أن لفظ "الطاغية" من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن الطاغية وصف لم يحدد موصوفه فذكر كل مفسر معنى مما يصدق عليه هذا الوصف.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٩).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٢٨)، مادة (طغى).

(٥) مقاييس اللغة (٣/٣٢٢)، مادة (طغى).

(٦) لسان العرب (١٥/٧)، مادة (طغى).

(٧) تفسير الرازي (٣٠/٩١).

الترجيح بين الأقوال:

الخلاف بين هذه الأقوال في المقصود بالطاغية، ومرد هذا كله إلى قولين: منهم من يجعل لفظ الطاغية بمعنى الذنوب والكفر بالله، ومنهم من جعله بمعنى الصيحة. فعلى القول الأول فالباء تكون سببية، وعلى القول الثاني: فالباء بواسطة الطاغية. وقد رجح الطبري القول الثاني فقال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية.

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر

عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: (وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)

(الحاقة: ٦) ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله، كان الخبر أيضا عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت^(١).

فالطبري رجح بناءً على السياق.

وقال الرازي^(٢): "وقيل: إن الطاغية هاهنا الطغيان، فهي مصدر كالكاذبة والباقية والعاقبة والعافية، أي أهلكوا بطغيانهم على الله إذ كذبوا رسله وكفروا به، وهو منقول عن ابن عباس، والمتأخرون طعنوا فيه من وجهين الأول: وهو الذي قاله الزجاج: إنه لما ذكر في الجملة الثانية نوع الشيء الذي وقع به العذاب، وهو قوله تعالى: (بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) (الحاقة: ٦) وجب أن يكون الحال في الجملة الأولى كذلك حتى تكون المناسبة حاصلة. والثاني: وهو الذي قاله القاضي^(٣): وهو أنه لو كان المراد ما قالوه، لكان من حق الكلام أن يقال: أهلكوا لها ولأجلها"^(١).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٩).

(٢) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي فخر الدين الرازي أبو عبد الله القرشي. الإمام المفسر الفقيه المتكلم، كان إماما في العلوم الشرعية والعقلية، وصنف المصنفات المشهورة، ومنها "التفسير الكبير" توفي سنة: ٦٠٦ هـ. ينظر: طبقات الشافعية، للسبكي (٨/٨٠)، طبقات المفسرين للسيوطي (ص: ١١٥).

(٣) محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلائي، القاضي الأشعري المتكلم، وكان سريع البديهة، له قصص في ذلك مشهورة، منها ما كان من إرساله إلى ملك الروم، وقد صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج

فقد رجح الرازي القول الثاني.

ومن اختار هذا القول أيضا الشنقيطي:

فقال: "واعلم أن التحقيق، أن المراد بالطاغية في قوله تعالى: (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا

بِالطَّائِغَةِ) (الحاقة: ٥)، أنها الصيحة التي أهلكهم الله بها، كما يوضحه قوله بعده: (وَأَمَّا

عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) .

خلافًا لمن زعم أن الطاغية، مصدر كالعاقبة، والعافية، وأن المعنى أنهم أهلكوا بطغيانهم، أي بكفرهم، وتكذيبهم نبيهم، كقوله: (ج ج چ) (الشمس: ١١).

وخلافًا لمن زعم أن الطاغية هي أشقاهم، الذي انبعث فعقر الناقة، وأنهم أهلكوا بسبب فعله وهو عقره الناقة، وكل هذا خلاف التحقيق.

والصواب إن شاء الله هو ما ذكرنا، والسياق يدل عليه واختاره غير واحد^(٢).

وترجيح هذا القول لا يعني رد غيره وإنما هو من باب بيان الأولى.

فالطاغية وصف، يمكن أن يوصف بها الذنوب، ويمكن أن توصف بها الصيحة.

ففي كلٍ منهما مجاوزة للحد فالكفر بالله ذنب فيه مجاوزة للحد، والصيحة كذلك جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها.

فيقال الذنوب الطاغية، أو الصيحة الطاغية، فإذا الطاغية وصف وهي صالحة لأن توصف بها

الذنوب أو توصف بها الصيحة، وإذا قلنا بهذا صار من باب حذف الموصوف. ولما لم

يذكر الموصوف احتمال هذا واحتمل هذا.

وغيرهم، ومن كتبه: إعجاز القرآن، توفي سنة (٤٠٣)، ينظر: تاريخ بغداد (٣٧٩/٥-٣٨٣)، شذرات الذهب (١٦٨/٣-١٧٠).

^(١) تفسير الرازي (٩١/٣٠).

^(٢) أضواء البيان (٢٣/٧). ومن اختار هذا القول أيضاً الثعالبي في تفسيره جواهر الحسان ينظر (٣٣٢/٤). و المحرر الوجيز (٣٨٥/٨). وغيرهم.

فسواء أكان الموصوف الصيحة أم الذنوب أو غير ذلك فهو محمول على أن "الطاغية" وصف لموصوف محذوف.

فما دام عندنا قاعدة في الترجيح وعندنا اختلاف وهو من باب التنوع؛ فيصح أن يقال إن ثمود أهلکوا بسبب كفرهم بالطاغية التي هي الصيحة التي طغت عليهم، و أن إهلاكهم كان بالطاغية أي بكفرهم وبالصيحة التي طغت عليهم. والله أعلم.

قال تعالى (بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة: ٦).

٢٣- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (بَرِيحٍ صَرْصَرٍ) (الحاقة: ٦).

١) باردة، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك^(١).

٢) الشديدة، عن ابن زيد، ومجاهد^(٢).

التعليق:

"أصل مادة صرصر من "صر"، والصرّ شدة الصياح، أو شدة البرد. يقال أصاب التبتّ صرّاً، إذا أصابه بردٌ يُضربُ به"^(٣).

وصرّ النباتُ أصابه الصرُّ، وصرَّ يصرُّ صرّاً وصريراً وصرصرَ صوتٌ وصاحٌ أشدُّ الصياح، وريحٌ صرٌّ بالكسر وصرصرٌ إذا كانت شديدة الصوت أو شديدة البرد^(٤). وقال الأزهرى: "بريح صرصرٍ" أي شديدة البرد جداً. وقال ابن السكيت^(٥): صرصر يجوز أن يكون من الصر وهو البرد، ويجوز أن يكون من صرير الباب، ومن الصرة وهي الضجة"^(٦).

وقد قال أبو عبيدة: "صرصر شديدة الصوت عاصف"^(٧).

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٢١٠-٢١١).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢١١).

^(٣) مقاييس اللغة (٣/٢٢١) مادة (صر).

^(٤) لسان العرب (٤/٤٥٠) مادة (صرر).

^(٥) وابن السكيت: يعقوب بن إسحاق أبو يوسف المعروف بابن السكيت، والسكيت لقب أبيه إسحاق، إمام اللغة، والنحو، والأدب ومن أهل الدين، والخير لقي فصحاء الأعراب وأخذ عنهم، ومن مصنفاته (إصلاح المنطق) مات سنة (٢٤٣هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/١٦)، (البلغة ص: ٢٤٣).

^(٦) تهذيب اللغة (٤/١٨٠) مادة (صر).

^(٧) مجاز القرآن (٢/١٩٦).

سبب الاختلاف:

لأن صرر لفظ يطلق على شدة الصوت وشدة البرد، فذكر كل مفسر معنى من هذه المعاني فاختلفت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

"العلماء التفسير في معنى الصرصر وجهان معروفان.

أحدهما: أن الريح الصرصر هي الريح العاصفة الشديدة الهبوب، التي يسمع لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا فالصرصر من الصرة، التي هي الصيحة المزعجة.

ومنه قوله تعالى: (فَأَقْبَلَتِ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْقٍ) (الذريات: ٢٩). أي: في صيحة، ومن هذا المعنى صرير الباب والقلم، أي صوتهما.

الوجه الثاني: أن الصرصر من الصر الذي هو البرد الشديد المحرق، ومنه على أصح التفسيرين قوله تعالى: (ثُمَّ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) (آل عمران: ١١٧)، أي فيها برد شديد محرق، فقوله: ريح صر، أي باردة شديدة البرد.

والأظهر أن كلا القولين صحيح وأن الريح المذكورة جامعة بين الأمرين، فهي عاصفة شديدة الهبوب، باردة شديدة البرد^(١).

وقد جمع الطبري بين القولين فقال: "بريح صرصر وهي الشديدة العصف، مع شدة بردها"^(٢).

قال ابن كثير: "قال بعضهم: هي الشديدة الهبوب. وقيل: الباردة. وقيل: هي التي لها صوت. والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحا شديدة قوية؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما

اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرد جدا، كقوله تعالى: (بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ

عَاتِيَةٍ) (الحاقة: ٦)، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج"^(٣).

^(١) تفسير الشنقيطي (١٦/٧-١٧).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٠٩).

^(٣) تفسير ابن كثير (٧/١٦٩).

والتكرار في صرصر يفيد التتابع مرة بعد مرة، ولهذا لما قال "أهلكوا بريح صرصر عاتية" فيه معنى التتابع وهذا التتابع فيه المعنيان السابقان وهما شدة الصوت وشدة البرد. وقد ورد في

القرآن ما يدل على أن الصر بمعنى شدة البرد في قوله تعالى: (ثَرِيحٌ فِيهَا صِرٌّ) (آل عمران: ١١٧). فنفهم من هذا أنه لا يلزم أن تكون كل ريح فيها الصر، لكن لما قال "ريح صرصر" دل على أنها نوع من الرياح يكون فيها هذا الصوت مع شدة البرودة. فالأصل في مادة صرصر المعنى الأول الذي هو شدة الصوت وأما شدة البرودة فهذه من لوازم الرياح الشديدة أنه يأتي معها شدة وبرودة. فهذه الرياح التي عُذِبَ بها هؤلاء القوم اجتمع فيها هذا الوصف وهذا الوصف.

قال تعالى (بَرِيحٍ صَرَّصِرٍ عَاتِيَةٍ) (الحاقة: ٦).

٢٤ - الأقوال الواردة في سبب وصف الريح بقوله (عَاتِيَةٍ) .

١) عنت على الخزان، عن علي بن أبي طالب، و ابن عباس^(١) .

٢) عنت على أهلها الذين أرسلت إليهم، عن قتادة، وابن زيد، والضحاك^(٢) .

التعليق:

العاتية: مأخوذة من العتو: "والعتو النبو عن الطاعة، يقال: عتا يعتو عتوا وعتيا"^(٣) .

قال ابن عاشور: "والعاتية : الشديدة العصف، وأصل العتو والعتي : شدة التكبر، فاستعير

للشيء المتجاوز الحد المعتاد تشبيهاً بالتكبر الشديد في عدم الطاعة والجري على

المعتاد"^(٤) .

نوع الاختلاف:

تفسير اللفظ بلازمه .

سبب الاختلاف:

أن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها من أجل التنبيه على أن معنى الآية غير قاصر على

مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره.

الجمع بين الأقوال:

- اختلفت أقوال المفسرين في سبب وصف هذه الريح بعاتية.

هل هي عاتية على القوم أو على الموكل أي الملائكة؟

بعض الأقوال إنها عنت على القوم وبعض أقوال السلف إنها عنت على الملائكة.

فإذا قلنا بأنها عاتية على الموكل بما كان المعنى بأنها نبت عن طاعة الخزان.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٢١٠).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢١٠-٢١١).

^(٣) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٦٣). مادة (عتا).

^(٤) التحرير والتنوير (٢٩/١١٦).

كما ذكر ابن عباس قال: "ما أرسل الله من ريح قطّ إلا بمكيال ولا أنزل قطرة قطّ إلا بمثقال، إلا يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغى على خزانة، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ: (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ) ، وإن الريح عنت على خزائنا فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: (بِرِيحٍ صَوَّصِرٍ عَاتِيَةٍ) " (١) .

والذي يمكن أن نستفيدة من جمع ابن عباس بين قوله تعالى "إنا لما طغى الماء" وبين قوله "بريح صرصر عاتية" أو الرابط بين طغيان الماء والريح الصرصر العاتية، أن العلاقة بينهما هي الطغيان ليس مجرد طغيان وإنما طغيان من أجل العذاب فذكر ابن عباس طغيان الماء عذاباً وطغيان الريح عذاباً.

والقول الثاني: وهو أنها عنت على القوم، فيكون المعنى أي شديدة كبيرة عليهم لا يستطيعون الاحتماء منها.

"فهي عنت على خزائنا فلم تطعمهم، ولم يطيقوها من شدة هبونها غضبت لغضب الله. وعنت على عاد فقهرتهم، فلم يقدرُوا على ردها بحيلة من استناد إلى جبل، بل كانت تزعمهم من مكائهم وتهلكهم" (٢) .

فمادام أنها عنت على الخزان فمن باب أولى أنها عنت على القوم الذين أرسلت إليهم. وعليه فالقولان بينهما تلازم، ولذا جمع ابن عطية بين المعنيين فقال: "و « العاتية » معناه: الشديدة المخالفة ، فكانت الريح عنت على الخزان بخلافها وعنت على قوم عاد بشدتها" (٣) .

فإذاً هي عنت على الخزان وعنت على القوم الذين أرسلت إليهم في آن واحد. فالقولان يرجعان إلى معنى واحد: وهو مجاوزة الحد في الشدة وعدم الطاعة.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢١٠) .

(٢) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل (١٩/٣١٥) . وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/٩١) .

(٣) المحرر الوجيز (٨/٣٨٥) .

٢٥- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (وَتَمْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا) (الحاقة:٧).

(١)متابعة، عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة من طريق سعيد^(١).

(٢)دائمت، عن قتادة من طريق معمر^(٢).

(٢) حسمتهم ولم تبق منهم أحداً، عن ابن زيد^(٣).

التعليق:

قال ابن فارس: " (حسم) الحاء والسين والميم أصلٌ واحد، وهو قَطَع الشيء عن آخره.

فالحَسْمُ: القطع. وبه سُمِّي السيفُ حُسَامًا، فأما قوله تعالى: (وَتَمْنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا)

(الحاقة:٧). ، فيقال هي المتابعة. ويقال الحسوم الشؤم. ويقال سُمِّت حُسُومًا لأنها

حسمت الخيرَ عن أهلها."^(٤).

"وقيل: الحسوم: التَّبَاع، إذا تتابع الشيء فلم ينقطع أوله عن آخره قيل فيه حسوم، قال: وإنما

أخذوا والله أعلم من حسم الداء: إذا كوى صاحبه، لأنه لحم يكوى بالمكواة، ثم يتابع

عليه"^(٥).

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن حسوما مشترك بين أكثر من معنى فذكر كل مفسر معنى من معانيه.

الجمع بين الأقوال:

اختلف السلف في معنى الحسوم على قولين:

—إنها متابعة. وهو قول جمهور السلف.

^(١) تفسير الطبري(٢٣/٢١٢-٢١٣)

^(٢) تفسير الطبري(٢٣/٢١٣).

^(٣) تفسير الطبري(٢٣/٥٢١٤).

^(٤) مقاييس اللغة(٢/٤٥). مادة(حسم).

^(٥) معاني القرآن للفراء(٣/١٨٠).

-إنها تحسم كل شيء. وهو مروى عن ابن زيد.

وإذا رجعنا إلى قول الجمهور نجد أنهم جعلوا حسوماً من صفة سبع ليالٍ وثمانية أيام. فهي الموصوفة بأنها حسوم. وفسروا ذلك بقولهم تبعاً أو متتابعة، وورد عن قتادة لفظ دائمات وهذا اللفظ من رواية معمر هو بمعنى متتابعات، فإذا أخذنا أن دائمات ومتتابعات معناهما متقارب، فكان هذا يدخل في التعبير عن اللفظ بمعاني متقاربة، لأنه إذا كانت دائمة بمعنى أنها غير منقطعة، أي مستمر فيها العذاب، وكذلك بما أنها متتابعة فإنها دائمة.

أما قول ابن زيد فهو جعل الحسوم من صفة الريح.

وقد رجح الطبري القول الأول فقال: "وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال:

عُنِي بقوله: (حُسُومًا): متتابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"^(١).

وهنا سؤال كيف يحكي الطبري الإجماع وقد خالف ابن زيد؟

أن الإجماع عند الطبري هو قول الأكثر، ولذا لا يعتد بمخالفة الواحد والاثنين.

فإذا نظرنا إلى الاختلاف الوارد بين السلف هل يمكن قبول قول ابن زيد؟

الجمهور ذهبوا إلى أن حسوماً متتابعات، وذهب ابن زيد إلى أن حسوماً بمعنى تحسمهم

وتنهي أمرهم، فالخلاف بينهم من باب التنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى.

وهنا يرد سؤال هل ينطبق الوصف الذي ذكره ابن زيد مع الوصف الذي ذكره الجمهور أو

لا ينطبق؟

نعم ينطبق. فالوصف الذي ذكره ابن زيد مادام ينطبق مع الوصف الذي ذكره الجمهور

، فلا مانع من القول بالمعنيين أنها متتابعة، وأنها منهيّة لهم وحاسمة لأمرهم، فيكون تتابع

مع حسم.

وإذا لاحظنا هنا أن الحسم في الغالب يلزم منه التتابع، من جهة أنه ما ينهي آخر الأمر إلا

وقد قضى على أوله. مثل قضية حسم الداء لا يتأتى مرة واحدة وإنما يتتابع حتى يتمثل

المكوي للشفاء وإن كان بداية الحسم هو الكي لكن حتى يتكامل و يتتابع إلى الشفاء

يأخذ فترة.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٢١٤).

إذا فالمقصد من هذا أن ما ذهب إليه ابن زيد من لوازمه ما ذكره الجمهور؛ من أنه لما حسم أمرهم بهذه الليالي والأيام دل على أنها تتابعت حتى وصل إلى نهاية حسم أمرهم، وبهذا يمكن القول بالقولين معاً من هذه الجهة.

وما ذهب إليه الطبري فهو اعتماد قاعدة قول الجمهور أو القول المجمع عليه أولى بتأويل القرآن^(١).

لكن بما أن الاختلاف هنا اختلاف تنوع، ويمكن الأخذ بالقول بالآخر فليس هناك مانع من القول به.

^(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين الحري.

٢٦- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (وَأَلْمُوتِفَكْتُ) (الحاقة: ٩).

(١) قرى قوم لوط، عن قتادة، وابن زيد^(١).

(٢) المكذبين، عن ابن عباس^(٢).

(٣) قوم لوط ائتفتك بهم أرضهم، عن قتادة^(٣).

التعليق:

أصل المؤتفكات من الفعل الثلاثي أفك، والإفك القلب ومنه وسمي الكذب إفكاً لأنه قلب للحقيقة.

"فالإفك يدل على قلب الشيء وصرّفه عن جهته. يقال أفك الشيء. وأفك الرجل، إذا كذب. وأفكت الرجل عن الشيء، إذا صرفته عنه"^(٤).

"قال شمر: والإئتفك عند أهل العربية: الانقلاب كقرى قوم لوط التي ائتفتك بأهلها أي انقلبت"^(٥).

قال الزجاج: "المؤتفكات أي: ائتفتك بهم الأرض أي انقلبت"^(٦).

وقال الواحدي: " (وَأَلْمُوتِفَكْتُ) جمع مؤتفكة، ومعنى الائتفك في اللغة الانقلاب، وتلك القرى ائتفتك بأهلها، أي انقلبت فصار أعلاها أسفلها، يقال أفكه فائتفك أي قلبه فانقلب، وعلى هذا التفسير فالمؤتفكات صفة القرى، وقيل ائتفاكهن انقلاب أحوالهن من الخير إلى الشر".

نوع الاختلاف:

التفسير على اللفظ والتفسير على المعنى.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢١٦-٢١٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢١٧).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢١٧).

(٤) مقاييس اللغة (١/١٢٥) مادة (أفك).

(٥) تهذيب اللغة (١٠/٢١٥) مادة (أفك).

(٦) معاني القرآن وإعراجه (٥/٢١٥).

سبب الاختلاف:

أن بعض السلف عبّر عن الآية بلفظها، وبعضهم بمعناها فاختلفت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال السلف يجد أنهم اختلفوا في المراد بالمؤتفكات:

ففسر قتادة وابن زيد المؤتفكات بأنها قرى قوم لوط التي انقلبت على أهلها.

وأما القول الثاني: وهو قول ابن عباس أن المراد بها هم قوم لوط وذلك لأفكهم وتكذيبهم.

"لأن الإفك: هو القلب والصرف عن الشيء. ومنه قيل لقرى قوم لوط: المؤتفكات. لأن الله

أفكها أي قلبها. كما قال تعالى: (فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا) (سورة الحجر: ٧٤).

وأكثر استعمال هذه المادة في الكذب. لأنه صرف وقلب للأمر عن حقيقته بالكذب

والافتراء. والعرب تقول: أفكه بمعنى قلبه، ومنه قوله تعالى في قوم لوط:

(وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۗ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۗ) (سورة التوبة: ٧٠)، وقوله:

(وَالْمُؤْنِفِكَةَ أَهْوَىٰ) (سورة النجم: ٥٣)، وإنما قيل لها مؤتفكات؛ لأن الملك أفكها، أي:

قلبها؛ كما أوضحه تعالى بقوله: (جَعَلْنَا عَلَيْهَا ۗ) (سورة هود: ٨٢)"^(١).

فالإفك بمعنى الكذب وبمعنى الانقلاب وكلاهما يصدق على معنى الآية وإنما بعض السلف

عبّر عن الآية بلفظها، وبعضهم بمعناها.

^(١) ينظر: تفسير الشنقيطي (٣٨/٤)، و(١٥/٦).

٢٧- قوله تعالى (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ) (الحاقة: ١١).

الأقوال الواردة في المقصود بقوله (طغَا).

(١) كثر، عن ابن عباس^(١).

(٢) طما^(٢)، عن مجاهد من طريق عيسى عن ابن أبي نجيح عنه.^(٣)

(٣) ظهر، عن مجاهد من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.^(٤)

(٤) كثر وارتفع، عن الضحاك^(٥).

التعليق:

طغى: غالباً تأتي فيما تجاوز الحد من جهة الشر.

ويقال في اللغة: طغى الشيء، إذا ارتفع جداً.

قال ابن فارس: "طغى) الطاء والغين والحرف المعتل أصلٌ صحيح، وهو مجاوزة الحد في

العصيان. يقال هو طاغ. وطغى السيل، إذا جاء بماءٍ كثير. قال الله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَا

الْمَاءُ) (الحاقة: ١١).، يريد والله أعلم خروجه عن المقدار. وطغى البحر: هاجت

أمواجه"^(٦).

وطغى الماء والبحر ارتفع وعلا على كل شيءٍ فاخترقه، وطغى السيل إذا جاء بماءٍ كثيرٍ وكلُّ

شيءٍ جاوز القدرَ فقد طغى^(٧).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر. بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما

يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

(١) تفسير الطبري (٢١٩/٢٣).

(٢) طما الماء: ارتفع، وعلا، ومأ النهر، ينظر: لسان العرب (١٥/١٥) مادة (طما).

(٣) تفسير الطبري (٢٢٠/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٢٠/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٢٠/٢٣).

(٦) مقابيس اللغة (٣٢٢/٣) مادة (طغا).

(٧) لسان العرب (٧/١٥) مادة (طغى).

الجمع بين الأقوال:

الأقوال السابقة في معنى "طغى" اختلفت ألفاظها وتقاربت معانيها، وكلها تدل على معنى طغى. فطغى - كما سلف - يدل على مجاوزة الحد، فتفسير طغى بكثرة وارتفاع تفسير للفظ بمطابقه في اللغة، كما يظهر من أقوال أئمة اللغة سالفة الذكر.

وأما تفسير طغى - بطما - فهو تفسير على المعنى؛ إذ طما يدل على علو وارتفاع في شيء خاص^(١)، وهو مظهر من مظاهر طغيان الماء وكثرته، كما أن التعبير بطما عن طغى إشارة إلى أن امتلاء الماء وعلوه أدى إلى مجاوزة قدره.

وأما القول بأن معنى "طغى" ظهر؛ فهو تفسير للفظ بلازمه؛ إذ من لوازم طغيان الماء ظهوره، فالماء إذا جاوزه قدره المعروف ظهر.

وإذا تأملت أقوال السلف تجد أنهم أرادوا أن يبينوا أن الماء كثر حتى جاوز قدره المعروف. فجمع عباراتهم يفيد معنى متكاملًا ما كان يفيد لو اقتصرنا على عبارة واحدة من هذه العبارات. والله أعلم.

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٣/٣٣٠) مادة (طمي).

٢٨- قوله تعالى (وَالْمَلِكُ عَلَيَّ أَرْجَائِيهَا) (الحاقة: ١٧).

الأقوال الواردة في المقصود بقوله (أَرْجَائِيهَا)

- ١) حافات السماء، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والضحاك، وقتادة^(١).
- ٢) أطرافها، عن مجاهد^(٢).
- ٣) أقطارها، عن معمر^(٣).^(٤)
- ٤) نواحيها، عن قتادة، وسفيان الثوري^(٥).
- ٥) ما لم يه منها، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير^(٦).

التعليق:

قال ابن فارس: " (رجي) الراء والجيم والحرف المعتل أصلان متباينان، يدلُّ أحدهما على الأمل، والآخَر يدل على ناحية الشيء. فالرَّجَاءُ، مقصور: النَّاحِيَةُ مِنَ البئر؛ وكل ناحية رَجَا. قال الله جلَّ جلاله: (وَالْمَلِكُ عَلَيَّ أَرْجَائِيهَا) (الحاقة ١٧)"^(٧).

" رجا البئر والسماء وغيرهما: جانبها، والجمع أرجاء، قال تعالى: (وَالْمَلِكُ عَلَيَّ أَرْجَائِيهَا) (الحاقة ١٧)"^(٨).

"والرَّجَا مقصور ناحية كلِّ شيءٍ وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها وحافتيها وكلُّ شيءٍ وكلُّ ناحية رَجَا"^(٩).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

(١) تفسير الطبري (٢٢٦/٢٣-٢٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٢٦/٢٣).

(٣) معمر بن راشد أبو عروة بن عمرو الأزدي البصري نزيل اليمن. روى عن قتادة، وثابت البناني، رحل إلى اليمن، وكان من أوعية العلم، مع الصدق والتحرر، والورع والجلالة، وحسن التصنيف، توفي سنة: (١٥٤ هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/٧)، تهذيب التهذيب (٢١٨/١٠).

(٤) تفسير الطبري (٢٢٧/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٢٧/٢٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٢٧/٢٣).

(٧) مقابيس اللغة (٤١١/٢) مادة (رجي).

(٨) مفردات ألفاظ القرآن (٣٨٩/١) مادة (رجا).

(٩) لسان العرب (٣٠٩/١٤) مادة (رجا).

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

الأرجاء في لغة العرب: النواحي، وجاءت عبارات السلف متقاربة في التعبير عن هذا المعنى. فالأقوال الواردة -الأطراف والحافات والأقطار والنواحي- كلها تقريب لمعنى أرجائها، وعلى هذا يمكن اعتبار هذه الأقوال من باب تفسير اللفظ بمطابقه أو بمقاربه في اللغة، وأما قول ابن عباس ما لم يه منها، فهو تفسير على المعنى؛ فإنه إذا صارت السماء قطعاً، تقف الملائكة على تلك القطع التي ليست مُتشققة في أنفسها^(١). وهكذا نجد أن منهم من فسر على اللفظ، ومنهم من فسر على المعنى وكلها صحيحة لا تعارض بينها، والاختلاف فيها لا يعدو أن يكون اختلاف عبارة.

(١) تفسير اللباب لابن عادل (٣٢٦/١٩).

قال تعالى (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) (الحاقة: ٢٩).

٢٩- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (سُلْطَانِيَّةٌ)

(١) ذهب عني حجتي، عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك^(١).

(٢) المُلْك، عن ابن زيد^(٢).

التعليق:

قال ابن فارس: "سلط) السين واللام والطاء أصلٌ واحدٌ، وهو القوَّة والقهر. من ذلك

السُّلْطَاة، فهو من التسلط وهو القَهْر، ولذلك سُمِّي السُّلْطَان سلطاناً"^(٣).

والسُّلْطَان إنما سمي سُلْطَاناً لأنه حجةُ الله في أرضه واشتق السلطان من السَّليط.

"وقوله تعالى: (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) معناه: ذهب عني حجتي. والسُّلْطَان: الحجة، ولذلك قيل

للأمراء: سلاطين لأهم الذين تُقام بهم الحجج والحقوق"^(٤).

ففي السلطان قولان أحدهما: أن يكون سمي سلطاناً لتسليطه. والآخر: أن يكون سمي

سلطاناً لأنه حجة من حُجج الله^(٥).

نوع الاختلاف:

الاشتراك اللفظي في "سلطانيه".

سبب الاختلاف:

لأن لفظ "سلطانية" مشترك بين أكثر من معنى وأشار كل مفسر إلى معنى من هذه المعاني،

فاختلفت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال السلف في معنى سلطانيه يجد أنه يطلق على معنيين: وهما الحجة والمُلْك فهو

من المشترك اللفظي.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٣٧).

(٣) مقاييس اللغة (٣/٧٢) مادة: سلط.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٥/٢١٧).

(٥) ينظر: لسان العرب (٧/٣٢٠) مادة: سلط.

ولما كان لفظ السلطان مشتركاً بين المعنيين جاء القولان الواردان هنا كلٌّ منهما دالٌّ على أحد هذه المعاني، وإن كان أكثر السلف قد اختاروا معنى الحجّة. ولعل هذا الاختيار يدل على أن الأشهر في معنى سلطانيه هو الحجّة. قال الالوسي: "هلك عني سلطانيه أي: بطلت حجتي التي كنت أحتج بها في الدنيا، وبه فسرّه ابن عباس ومجاهد والضحاك وعكرمة والسدي وأكثر السلف، أو ملكي وتسلطي على الناس" (١).

فلما ذكر الالوسي القول الأول أشار إلى أن أكثر السلف يذهبون إل هذا التفسير. وإن كان هذا القول هو الأقوى والأقرب كما ظهر من كلام الطبري، حيث إنه ذكر القول الثاني دون أن يعلق عليه وإنما قال آخرون (٢).

إلا أن المعنيين كليهما محتملان فيقال: ذهب حجته وزال ملكه. فقوله: (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ) يحتمل السلطانين.

يقول ابن عطية: "والظاهر عندي أن سلطان كل أحد حاله في الدنيا من عَدَدٍ وَعُدَدٍ" (٣).

(١) روح المعاني (٤٩/٢٩).

(٢) وهذه هي أحد الطرائق التي يستخدمها الطبري في الترجيح، في أنه يذكر التفسير الذي يراه في تفسيره الجملي، ويعرض عن الرد عن القول الثاني، فهو لم يرد على قول ابن زيد. ينظر: تفسير الطبري (٢٣٧/٢٣).

(٣) المحرر الوجيز (٣٩٣/٨).

قوله تعالى (بِ يَوْمٍ مِّنْ غَسَلِينَ) (الحاقة: ٣٦).

٣٠- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (غَسَلِينَ)

- ١) صديد أهل النار، عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة^(١).
- ٢) ما يخرج من لحومهم، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(٢).
- ٣) الزقوم، عن ابن عباس من طريق مجاهد^(٣).
- ٣) شر الطعام وأخبثه، عن قتادة^(٤).
- ٤) الغسلين والزقوم لا يعلم أحد ما هو. عن ابن زيد^(٥).

التعليق:

"الغسلين فعلين من العسل، وكل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين"^(٦).
قال ابن منظور: "الغسلين ما يُغسل من الثوب ونحوه كالعسالة، والغسلين في القرآن العزيز ما يسيل من جلود أهل النار كالقيح وغيره كأنه يُغسل عنهم، وكل جرح غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين فعلين من العسل"^(٧).
"والغسلين بالكسر: ما يُغسل من الثوب ونحوه كالعسالة وما يسيل من جلود أهل النار والشديد الحرّ وشجر في النار"^(٨).

- قال الفراء: "وقوله: (بِ يَوْمٍ مِّنْ غَسَلِينَ) يقال: إنه ما يسيل من صديد أهل النار"^(١).
وقال الزجاج: "الغسلين صديد أهل النار، واشتقاقه مما ينغسل من أبدانهم"^(٢).

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٤٠). ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٢). كما في الدر المنثور (٨/٢٧٥).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٤٠).

^(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٢). كما في الدر المنثور (٨/٢٧٥).

^(٤) تفسير الطبري (٢٣/٢٤١).

^(٥) تفسير الطبري (٢٣/٢٤١).

^(٦) مجاز القرآن، لأبي عبيدة (٢/٢٦٨).

^(٧) لسان العرب (١١/٤٩٤). مادة (غسل).

^(٨) القاموس المحيط، للفيروزآبادي (ص ١٣٤٢).

نوع الاختلاف:

التمثيل للفظ العام.

سبب الاختلاف:

لأن غسليين لفظ عام وذكر كل مفسر مثلاً لهذا العموم، فاختلقت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

الغسليين هو طعام أهل النار وأقوال السلف الواردة هنا هي بيان لهذا المعنى. فالقول الأول والثاني تفسيرٌ للغسليين بمعناه اللغوي، إذ غسليين هو صديد أهل النار وما يخرج من لحومهم، فكل هذه التفسيرات تدور حول بيان معنى غسليين في اللغة. ولا فرق بين القولين فتفسيره بما يخرج من لحومهم فهذا مطلق، وأما من فسره بصديد أهل النار فهذا أحص.

وأما القول الثالث وهو تفسير ابن عباس في الرواية الأخرى فهو تفسير معنوي إذ فسر غسليين بالزقوم وهو من طعام أهل النار.

وأما قول قتادة بأن المراد به شر الطعام وأخبثه فتفسيرٌ عام فيشمل أي طعام خبيث سواء كان من صديد أهل النار أو من الزقوم.

وهذا كله زيادة في عذاب الكفار، وأمثلة لأنواع عذابهم.

وأما ابن زيد فيما رواه الطبري فهو يتوقف يقول: الغسليين والزقوم لا يعلم أحد ما هو.

فلا يعلم أحد ما هو من جهة الكيف لا من جهة المعنى، وإلا الغسليين والزقوم معروف عند

العرب، لكن نوع هذا الذي سيؤكل في النار لا يعلمه أحد فهذا صحيح.

فإذاً لا ينافي ما ذكره ابن عباس وفتادة ومجاهد. فكونه يتوقف في الكيفية أو لا يذكر المعنى، لا يعني أن بينهم تناقضاً واختلافاً.

(١) معاني القرآن (٣/١٨٣).

(٢) معاني القرآن، وإعرابه (٥/٢١٨).

ومما ينبغي التنبيه إليه هنا: أن ظاهر الآية (بِ يَوْمٍ مِّنْ غَسَلِينَ) "الحصر أنه لا طعام لأهل النار إلا الغسلين. وقد جاءت آية أخرى تدل على حصر طعامهم في غير الغسلين وهي قوله تعالى: (لَيْسَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ ثَمَرٍ وَلَا نَاقَةٍ وَلَا يَمْلِكُوا فِيهَا أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ وَمَنْ يَأْكُلْ فَإِنَّ يَدَهُ تُصْرَعُ) (الغاشية: ٦) وهو الشبرق اليابس على أصح التفسيرات. وللعلماء عن هذا أجوبة منها:

أن العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم من لا طعام له إلا من غسلين ومنهم من لا طعام له إلا من ضريع، ومنهم من لا طعام له إلا الزقوم ويدل لهذا قوله تعالى: (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) (الحجر: ٤٤)

قال تعالى (أَيُّ يَوْمٍ الْمَجْرُمِ لَوْ پ پ پ پ بِنِيهِ) (المعارج: ١١)

٣١- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (أَيُّ).

(١) عني بذلك الأقرباء أنهم يعرفون أقرباءهم، ويعرف كل إنسان قريبه، فذلك تبصير الله إياهم. عن ابن عباس، وقتادة^(١).

(٢) عني بذلك المؤمنون أنهم يبصرون الكفار. عن مجاهد^(٢).

(٣) عني بذلك الكفار، الذين كانوا أتباعاً لآخرين في الدنيا على الكفر، أنهم يعرفون المتبوعين في النار، عن ابن زيد^(٣).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

أن الضمير احتمل عوده إلى أكثر من ذات فذكر كل مفسر مثلاً عليه، فاختلقت أقوالهم.

الترجيح بين الأقوال:

الخلاف بين الأقوال وقع في مفسر الضمير في قوله "يبصرونهم" فجعله ابن عباس وقتادة عائداً على الأقارب يعرف بعضهم بعضاً، وجعله مجاهد عائداً على المؤمنين يبصرون الكافرين، وجعله ابن زيد عائداً على الكفار يبصرون الذين أضلّوهم في الدنيا.

والناظر في سياق الآيات يترجح لديه القول الأول "فيكون المعنى: ولا يسأل حميم حميماً عن

شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جل ثناؤه: (يَوْمَ

يَفْرَىٰ أَيْ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَحْبَتُهُ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ أَمْرٍ بِمِ بِي يُغْنِيهِ

٣٧) (عبس: ٣٤-٣٧)

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٥٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٥٨).

لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التزليل، وذلك أن قوله: (يُصِرُّوَنَّهُمْ) تلا قوله: (وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا)، (المعارج: ١٠)، فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم" (١).

لأن إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره (٢).
"وإنما جُمع الضمير في يبصرونهم وهما للحميمين حملا على معنى العموم لأنهما نكرتان في سياق النفي" (٣).

وأما مجاهد وابن زيد فحملوا الآية على العموم، فكأنهم تركوا ما ذكر في السياق "ولا يسأل حميم حميما" وأشاروا إلى قوم آخرين يدخلون في معنى الآية، وكأنهم أرادوا أن ينبهوا على أن هذا المذكور يدخل في المعنى .

وعليه فَيُصِرُّ المؤمنون بالكفار، وَيُصِرُّ المتبوعون بالأتباع. إذ المعنى المذكور عندهم في التفسير ينطبق على قوله "يبصرونهم".

فتفسير مجاهد وابن زيد صحيح من جهة المعنى لكنه ليس هو المراد الأول، فهو وإن كان له وجه إلا أنه ليس هو الأولى من جهة السياق.

لكن لو حمل معنى الآية على العموم فلا شك أنه يدخل تفسير مجاهد وابن زيد.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٥٨).

(٢) ينظر: قواعد الترجيح (٢/٦٠٣).

(٣) تفسير البحر المحيط، (٨/٣٢٨). وتفسير اللباب في علوم الكتاب (١٩/٣٦٠).

قال تعالى (نَزَاعَةً لِّلشَّوَى) (المعارج: ١٦).

٣٢- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (لِّلشَّوَى).

(١) الرأس، عن ابن عباس، ومجاهد^(١).

(٢) الجلود والهوام، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(٢).

(٣) اللحم دون العظم، عن مجاهد^(٣).

(٤) لحم الساقين، عن أبي صالح^(٤).

(٥) للهام تحرق كل شيء منه، عن الحسن^(٥).

(٦) نزاعة لهامته ومكارم خلقه وأطرافه، عن قتادة^(٦).

(٧) تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً، عن الضحاك^(٧).

(٨) الشوى: الآراب^(٨) العظام، عن ابن زيد^(٩).

التعليق:

قال ابن فارس: "الشين والواو والياء يدلُّ على الأمر الهين ومن ذلك الشوى: جمع شِوَاة، وهي جلدة الرأس. والشوى: الأطراف، وكلُّ ما ليس بمقتل. وكلُّ أمرٍ هينٍ شوى. ويقال رميتُ الصيدَ فأشويتهُ، إذا أصبتَ شِوَاهُ، وهي أطرافه"^(١٠).
"والشوى: واحدها شِوَاة وهي اليدان والرجلان والرأس من الآدميين"^(١١).

(١) تفسير الطبري (٢٦٢/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٦٢/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٦٢/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٦٣/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٦٣/٢٣).

(٦) تفسير الطبري (٢٦٣/٢٣).

(٧) تفسير الطبري (٢٦٣/٢٣).

(٨) الآراب هي: أعضاء الجسد. ينظر: تهذيب اللغة (١٤٧/٥) مادة: أرب.

(٩) تفسير الطبري (٢٦٤/٢٣).

(١٠) مقاييس اللغة (١٧٥/٣). مادة (شوي).

(١١) مجاز القرآن (٢٦٩/٢).

قال الفراء: "والشَوَى: اليدان، والرجلان، وجلدة الرأس يقال لها: شِوَاة، وما كان غير مقتل فهو شَوَى" (١).

وقال الزجاج: "الشوى: جمع شِوَاة، وهي جلدة الرأس" (٢).

نوع الاختلاف:

التعبير بجزء المعنى.

سبب الاختلاف:

لأن الشوى لفظ عام فذكر كل مفسر جزءاً من معناه.

الجمع بين الأقوال:

الشوى هي من جوارح الإنسان ما لم يكن مقتلاً.

وما جاء من تفسيرات السلف هي تعبير عن جزء من المعنى، وليس عن المعنى كله.

والعرب قد تطلق اللفظ العام على أجزاء خاصة.

فقول ابن عباس تترع أم الرأس، هل أم الرأس كل الشوى أو جزء من الشوى؟

هي جزء من الشوى.

ولهذا لا نقول بأن من قال إن المراد بالشوى مثل ما ذكر عن أبي صالح لحم الساقين

أن هذه الأقوال بينها تناقض، لأن الرأس غير القدمين؛ وذلك لأن أصل اللفظة أن الشوى ما لم

يصب مقتلاً. فتترع جلد الرأس أو لحم الساقين هل يصيب مقتل؟ بالطبع لا.

إذاً فتترعة للشوى تقطع أطرافه، أو نزاعة للشوى تترع من رأسه، أو تترع لحمه.

فكل هذه المعاني صحيحة لأنها داخلة ضمن المعنى العام.

والمأمل في الأقوال الواردة يلاحظ أن جمعها قد بين المعنى كاملاً، ومثل هذا لا يعطيه قول

واحد من هذه الأقوال، فجمع أقوالهم يفيد ما لا يفيد القول الواحد منها.

(١) معاني القرآن (١٨٥/٣).

(٢) معاني القرآن، وإعرابه (٢٢١/٥).

قال تعالى (جِ ج هَلُوعًا) (المعارج: ١٩).

٣٣- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (هَلُوعًا)

(١) الهلوع هو: الجزوع الحريص عن ابن عباس^(١).

(٢) إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً، عن ابن عباس^(٢)، والضحاك^(٣).

(٣) الشحيح الجزوع، عن سعيد بن جبير^(٤).

(٤) الضجور، عن عكرمة^(٥).

(٥) الحريص، عن حصين بن عبد الرحمن^(٦).

(٦) الجزوع، عن قتادة، وابن زيد^(٧).

التعليق:

وقال ابن فارس: "هلع) الهاء واللام والعين: يدلُّ على سُرعةٍ وحِدَّةٍ. ومنه الهلُّعُ في

الإنسان: شبه الحِرْصِ"^(٨).

"فالهلُّعُ الحِرْصُ وقيل الجَزَعُ وقلةُ الصبرِ، وقيل: هو أسوأُ الجَزَعِ وأفحشُهُ، يقال: هلَعَ يَهْلَعُ

هلَعًا وهُلوعًا فهو هلَعٌ وهُلُوعٌ"^(٩).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٤). كما في الدر المنثور (٨/٢٨٣).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٦).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٦).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٦).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٧). حصين بن عبد الرحمن السُّلمي، أبو الهذيل الكوفي، ثقة، تغيَّر حفظه في الآخر، مات

سنة (١٣٦هـ). ينظر: تهذيب التهذيب (٢/٣٢٨)، و تقريب التهذيب (ص: ١٧٠).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٧).

(٨) مقاييس اللغة (٦/٤٦) مادة (هلع).

(٩) لسان العرب (٨/٣٧٤) مادة (هلع).

قال الفراء: "والهلوع: الضجور وصفته كما قال الله: (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾) (المعارج: ٢٠-٢١). فهذه صفة الهلوع، ويقال منه: هَلَع يَهْلَع هَلْعًا^(١).

وقيل: هُوَ الَّذِي لَا يَصْبِرُ عَلَى الْمَصَائِبِ .. رَجُلٌ هَلُوعٌ : إِذَا كَانَ لَا يَصْبِرُ عَلَى خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ حَتَّى يَفْعَلَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَيْرَ الْحَقِّ^(٢).

نوع الاختلاف:

تعدد أوصاف المسمى الواحد.

سبب الاختلاف:

لأن (هلوعا) لفظ تعددت أوصافه فذكر كل مفسر صفة منها، لذا اختلفت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

الأقوال الواردة عن السلف في تفسير "هلوعا" كلها في التعبير عن ذات واحدة قد تعددت أوصافها، فعبر كل مفسر بصفة من هذه الصفات، وكل هذه الأوصاف يجمعها مسمى واحد.

وهذه الأقوال جاءت بتفسير اللفظة بمدلولها اللغوي، كما ورد عن سعيد بن جبير عندما فسر الهلوع بالشحیح الجزوع، وكذلك ماجاء عن عكرمة أنه الضجور، ومثله تفسير الهلوع بالحريص كما في رواية حصين.

وأما تفسير ابن عباس والضحاك بقوله "إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾" (المعارج: ٢٠-٢١) فقد جمع بين صفات هذا الهلوع وهو من باب تفسير القرآن بالقرآن.

ويلاحظ على هذه التفسيرات أن أكثرها قد تناول بعض معاني كلمة "هلوع" فهي تفسيرات جزئية مثل من قال: ضجورا أو قال الجزوع أو الحريص، فهذه جزء من معنى

(١) معاني القرآن (٣/١٨٥).

(٢) ينظر: تاج العروس (٢٢/٤٠٦). مادة (هلع).

الهلوع ،وبعضها تناول كل معاني هلوع كما ورد عن ابن عباس والضحاك،وعليه فلا تعارض بينها.

قال تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا) (المعارج: ٢٣)

٣٤- الأقوال الواردة في المقصود بـ "هم" في قوله تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا)

(١) المؤمنون الذين كانوا مع الرسول ﷺ، عن ابن زيد^(١).

(٢) عني به كل من صلى، عن قتادة^(٢).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن الضمير احتمل عوده إلى أكثر من ذات فذكر كل مفسر مثلاً عليه، فاختلقت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

الخلاف بين القولين وقع في مفسر الضمير في قوله تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا) فجعله ابن زيد

خاصاً بالمصلين الذين كانوا مع النبي ﷺ، وجعله قتادة عام في كل من صلى.

والصحيح أن اللفظ عام يشمل كل من صلى، وترجيح هذا القول لا يلزم منه اطراح القول

الآخر، فلاشك أن كلام ابن زيد صحيح من جهة أن الصحابة هم أولى من يُوصف بذلك،

وإلا فالأصل أن اللفظ عام يشمل كل من صلى، لأن (الذين) من صيغ العموم.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٨).

٣٥- الأقوال الواردة في المقصود بـ "دائمون" في قوله تعالى (الَّذِينَ كَانُوا كَانُوا) (سورة المعارج: ٢٣)

(١) الذين لا يلتفتون في صلاتهم، عن عقبه بن عامر الجهني^(١).

(٢) الاستمرار عليها، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن^(٢).

التعليق:

قال ابن فارس: "دوم) الدال والواو والميم أصلٌ واحد يدلُّ على السُّكون واللُّزوم. يقال دامَ الشيءُ يدُومُ، إذا سَكَنَ. والماء الدائم: السَّاكن. ونَهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُيَالَ في الماء الدائم ثم يُتَوَضَّأَ منه"^(٣). ويقال أَدَمْتُ القَدْرَ إِدَامَةً، إِذَا سَكَنْتَ غَلِيَانَهَا بِالماءِ"^(٤). ومنه: دام الشيء: إذا امتد عليه الزمان^(٥)، والمُدَاوِمَةُ على الأمر المواظبة عليه وكل شيء سكن فقد دام، ودام الشيءُ سكن وكل شيء سَكَنَتْه فقد أَدَمَّتْه وظلَّ دَوْمٌ وماء دَوْمٌ دائم، ودامَ البحرُ يدُومُ أي: سكن^(٦).

نوع الاختلاف:

من باب التفسير باللازم.

سبب الاختلاف:

لأن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها، من أجل التنبيه على أن معنى الآية غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٦)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٤)، كما في الدر المنثور (٨/٢٨٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٦٩). وأبو سلمة هو: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني مختلف في اسمه فقيل: عبد الله، وقيل: إسماعيل والصحيح أن اسمه كنيته قال الحافظ في التقریب: ثقة مكثر. توفي

سنة (٩٤هـ). ينظر: تهذيب التهذيب (١٢/١٠٤)، تقریب التهذيب (ص: ٦٤٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٤٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) مقاييس اللغة (٢/٢٥٩) مادة (دوم).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن (١/٣٥٦).

(٦) ينظر: لسان العرب (١٢/٢١٢) مادة (دوم)

الجمع بين الأقوال:

ظهر مما سبق من أقوال السلف أن المراد بالديمومة معنيان:

الأول: الذين لا يلتفتون في صلاتهم.

الثاني: الاستمرار على العمل.

وإذا تأملت هذين القولين تجد أنه ليس بينهما تضاد، لأننا إذا نظرنا إلى أصل المعنيين، نجد أن من قال دائمون لا يلتفتون أخذها من أصل اللفظة الديمومة بمعنى السكون، دام بمعنى سكن. ومنه في الحديث "النهي عن البول في الماء الدائم" أي الساكن، فأصل اللفظة يرجع إلى معنى السكون.

أيضاً إذا رجعنا إلى دام بالمعنى الآخر فدام الشيء إذا امتد عليه الزمان. كأن فيه نوعاً من الاستقرار الذي هو أصل اللفظة، أي: السكون أي يطول عليه الزمان وهو على شكل واحد يستمر عليه، فالاستمرار من لوازم المعنى الأول الذي هو السكون.

فعقبة بن عامر رضي الله عنه فسر على أصل اللفظة الذي هو السكون، وأبو سلمة رضي الله عنه فقد فسر بناء على أحد استعمالات اللفظ. واستشهد لذلك بقول عائشة رضي الله عنها كان أحب الأعمال إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ما دُوم عليه^(١)، ثم قرأ الآية فكأنه يفهم أن المراد على صلاتهم دائمون أي: مستمرين عليها.

وبناءً على هذا التعليل نقول إن كلا المعنيين حق، فالمراد بالآية الذين هم على صلاتهم مستمرين والذين هم في صلاتهم لا يلتفتون لا يمنة ولا يسرة، فكأنه يدل على أن الصلاة التي تؤثر هي الصلاة التي اتصفت بهذا.

وهنا فائدة:

أنه في قوله (الَّذِينَ كَكَ كَكَ كَكَ) جاءت الجملة اسمية ولم تأتِ جملة فعلية، ومجيئها على الجملة الاسمية فيها دلالة على الثبات والاستقرار وفيها إشارة إلى معنى الاستمرار الذي أشير إليه في رواية أبي سلمة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (صلاة المسافرين وقصرها) باب (فضيلة العمل الدائم من قيام الليل

ونحوه) (٥٤٠/١) ح (٧٨٢).

قال تعالى (لِّلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (المعارج: ٢٥) .

٣٦- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (وَالْمَحْرُومِ)

(١) المحارف^(١) الذي ليس له في الإسلام نصيب، عن ابن عباس^(٢)، وسعيد بن المسيب، ومجاهد، وعطاء^(٣).

(٢) الذي لا سهم له في الغنيمة. عن علي بن أبي طالب، وإبراهيم^(٤)، والحسن بن محمد ابن الحنفية^(٥).

(٣) هو الذي لا ينمي له مال، عن عكرمة^(٦).

(٤) المصاب ثمره وزرعه، عن ابن زيد^(٧).

(٥) هو الذي اجتبح ماله، عن أبي قلابة^(٨).

(٦) المتعفف، عن قتادة^(٩).

التعليق:

"المحروم: أصله في اللغة الممنوع من الحرمان، وهو المنع"^(١٠).

(١) المحارف الذي يَحْتَرِفُ بيديه قد حُرِمَ سَهْمَهُ من الغنيمة. ينظر: لسان العرب (٤١/٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٧١)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣١١). كما في الدر المنثور (٧/٦١٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٢-٢٧٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٣).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٤)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣١١). كما في الدر المنثور (٧/٦١٦). وابن

الحنفية: هو الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو محمد المدني، ثقة فقيه. ينظر: تهذيب

الكامل (٢/١٨٣) وتقريب التهذيب (ص: ١٦٤).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٤).

(٧) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٥).

(٨) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٥). وأبو قلابة: عبد الله بن زيد بن عمرو بن عامر الجرمي بجيم أبو قلابة بكسر القاف

البصري أحد الأئمة نزل الشام ثقة كثير الحديث مات بالشام سنة ١٠٤هـ. ينظر: وتهذيب التهذيب (٥/١٩٧)،

تقريب التهذيب (ص: ٣٠٤).

(٩) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٥).

(١٠) تفسير الثعلبي (٩/١١٣).

والْحَرْمَانُ نَقِيضُهُ الْإِعْطَاءُ وَالرِّزْقُ، يُقَالُ: مَحْرُومٌ وَمَرَزُوقٌ، وَحَرَمَهُ الشَّيْءَ يَحْرِمُهُ حَرْمَاناً وَحَرْمًا^(١).

قال ابن عطية: " (وَالْمَحْرُومِ) هو الذي تبعد عنه ممتلكات الرزق بعد قربها منه، فيناله حرمان وفاقه"^(٢).

"وَالْمَحْرُومُ: الَّذِي حُرِمَ الْخَيْرَ حَرْمَاناً فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٩)"^(٣).

وقيل هو: "الذي لم يوسع عليه الرزق كما وسع على غيره"^(٤).

قال الفراء: "المحروم هو: المحارف أو الذي لا سهم له في الغنائم"^(٥).

نوع الاختلاف:

ذكر المثال للفظ العام .

سبب الاختلاف:

أن كل واحد من المفسرين ذكر مثالا لهذا المحروم .

الجمع بين الأقوال:

التأمل للأقوال الواردة عن السلف يجد أن وصف المحروم منطبق عليها كلها، فليس أحد أخص بالمحروم من الآخر، والله سبحانه لم يقيد المحروم بقيد، فما دام أطلق فإننا نطلق كما أطلق ونقول إن المحروم هو كل من حرم من المال بأي سبب كان، سواء بعدم استطاعته للعمل أو بسبب أنه لا سهم له في الإسلام، أو بسبب أنه اجتبح ماله، بأي سبب كان فإننا ندخله في مدلول المحروم.

(١) ينظر: لسان العرب (١١٩/١٢) مادة: حرم.

(٢) المحرر الوجيز (٦٨/٨).

(٣) تهذيب اللغة (٣٢/٥) مادة: حرم.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٢٢٨/١).

(٥) معاني القرآن (٨٤/٣).

قال الطبري "والصواب من القول في ذلك عندي: أن المحروم الذي قد حُرِمَ الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الواقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعم، كما قال جل ثناؤه: (وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (الذاريات: ١٩).^(١)

إذاً يكون المحروم اسم جنس عام يشمل كل من حرم من المال بأي سبب من الأسباب. فيكون ما ذكره السلف إنما هو مثلاً لهذا المحروم. ففي التفسير بالمثل يكون الإجماع على المعنى العام، ثم تختلف عبارات المفسرين في التعبير عنه.

قال ابن عطية: "واختلف الناس في (وَالْمَحْرُومِ) اختلافاً، هو عندي تخليط من المتأخرين إذ المعنى واحد، وإنما عبر علماء السلف في ذلك بعبارات على جهة المثالات فجعلها المتأخرون أقوالاً، والمعنى الجامع لهذه الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه"^(٢). وبناءً على هذا فالأقوال السابقة وإن اختلفت إلا أن الآية تحتملها جميعها؛ وكل واحد من المفسرين إنما ذكر مثلاً لهذا المحروم.

^(١) تفسير الطبري، (٥١٨/٢١).

^(٢) المحرر الوجيز (٦٨/٨-٦٩).

قال تعالى: (ي الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ) (المعارج: ٣٦).

٣٧- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (مُهْطِعِينَ)

(١) عامدين، عن قتادة^(١).

(٢) النظر من غير أن يطرف، عن ابن عباس^(٢)، والضحاك^(٣)، ومجاهد^(٤)، و ابن زيد^(٥).

(٣) منطلقين، عن الحسن^(٦).

(٤) مسرعين، عن سعيد بن جبير^(٧)، و قتادة^(٨).

التعليق:

مهطعين مأخوذ من الفعل هطع.

"والهاء والطاء والعين: أصلٌ يدلُّ على إقبالٍ على الشيء وانقياد. يقال: هَطَعَ الرَّجُلُ عَلَى الشَّيْءِ بَبَصْرِهِ: أَقْبَلَ. وأهطع البعيرُ: صَوَّبَ عُنُقَهُ مَنْقَادًا. وأهطع: أَسْرَعَ"^(٩).

وهَطَعَ يَهْطَعُ هُطُوعًا وَأَهْطَعَ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْءِ بَبَصْرِهِ فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُ، وَقِيلَ: الْمَهْطَعُ الَّذِي يَنْظُرُ فِي ذُلٍّ وَخُشُوعٍ، وَقِيلَ: الْمَهْطَعُ الَّذِي يَدِيمُ النَّظَرَ مَعَ فَتْحِ الْعَيْنَيْنِ، وَهَطَعَ وَأَهْطَعَ أَقْبَلَ مُسْرِعًا خَائِفًا لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفٍ، وَقِيلَ: نَظَرَ بِخُضُوعٍ وَقِيلَ: مَدَّ عُنُقَهُ وَصَوَّبَ رَأْسَهُ،.. وَالْإِهْطَاعُ الْإِسْرَاعُ فِي الْعَدُوِّ وَأَهْطَعَ الْبَعِيرُ فِي سَيْرِهِ وَاسْتَهْطَعَ إِذَا أَسْرَعَ وَنَاقَةٌ هَطَعَى سَرِيعَةً"^(١٠).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٨).

(٢) تفسير الطبري (١٣/٧٠٥)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٤٣). كما في الدر المنثور (٥/٥٠).

(٣) تفسير الطبري (١٣/٧٠٦).

(٤) تفسير الطبري (١٣/٧٠٦)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩/٤٣). كما في الدر المنثور (٥/٥٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٨).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٨).

(٧) تفسير الطبري (١٣/٧٠٤).

(٨) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٨).

(٩) مقاييس اللغة (٦/٤١) مادة: هطع.

(١٠) ينظر: تهذيب اللغة (١/٩٧) مادة (هطع)، ولسان العرب (٨/٣٧٢) مادة: هطع.

وهطع الرجل ببصره: إذا صوبه، وبعير مهطع: إذا صوب عنقه^(١).

فالإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع، وبمعنى إدامة النظر.

بيان نوع الاختلاف:

أنه من المشترك اللفظي .

سبب الاختلاف:

أن لفظ "مهطعين" مشترك بين أكثر من معنى فذكر كل مفسر معنى من معانيه.

الجمع بين الأقوال:

ظهر من النقول اللغوية السابقة أن المهطع يطلق على المسرع، وكذلك على الذي يقبل على

الشيء ببصره، ولو تأملنا هذه المعاني نجد أنها لا تخرج عن معنيين حال المشي وحال النظر.

فالمهطع إما أن يكون مهطعاً في مشيه أو مهطعاً في نظره.

فالمهطع له معنيان كليان:

الأول: نوع المشي، والثاني: نوع النظر.

فهم عامدون إليك إما ببصرهم أو بمشيهم.

ولو نظرنا إلى حال كفار قريش إذا جاء الرسول ﷺ ليصلي في البيت، فهم إما أن يكونوا

كما أخبر الله عز وجل عنهم أنهم جماعات عزيزين فيكون منهم النظر، وإما أنهم يأتون إليه

ويجتمعون حوله.

وبناءً عليه نقول إنه يحصل منهم هذا ويحصل منهم هذا فيكون على سبيل التنوع، وسبب

الاختلاف هو الاشتراك اللغوي في لفظة مهطعين فهي تحتمل هذا المعنى والمعنى الآخر.

وبما أنه يحصل هذا وهذا، يحسن الجمع بين القولين فنجعلها بمعنى مهطعين مقبلين

إليك، وأيضاً شاخصين بأبصارهم إليك.

ويكون الإهطاع بالوجهين جميعاً الإسراع وإدامة النظر.

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٤٧٨).

قال تعالى (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) (المعارج: ٣٧) .

٣٨- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (عِزِينَ).

١) العصب من الناس عن يمين وشمال، عن ابن عباس^(١).

٢) مجالس مجننين، عن مجاهد^(٢).

٣) فرقاً، عن قتادة^(٣)، والحسن^(٤).

٤) حلقة ورفقاء، عن الضحاك^(٥).

٥) المجلس الذي فيه الثلاثة والأربعة، عن ابن زيد^(٦).

التعليق:

عزين: " واحدتها عزة، مثل ثبة وثبين، وهي جماعات متفرقة"^(٧).

"وأصلها من قولهم: عَزَا فلانٌ نفسه إلى بني فلان يعزوها عزواً إذا انتمى إليهم، والاسم: «العزوة» ، كلُّ جماعةٍ اعتزوها إلى آخر واحد"^(٨).

وقال الراغب: « وقيل: هو من قولهم: عَزَا عزاء فهو عز إذا صبر، وتعزَّى: تصبَّر، فكأنَّها اسم للجماعة التي يتأسَّى بعضها ببعض»^(٩).

قال الفراء: " قوله: (وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) العزون: الحلق، الجماعات كانوا يجتمعون حول النبي

ﷺ^(١٠).

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٨).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٩).

^(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٩).

^(٤) تفسير الطبري (٢٣/٢٨١).

^(٥) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٩).

^(٦) تفسير الطبري (٢٣/٢٧٩).

^(٧) مجاز القرآن (٢/٢٧٠).

^(٨) ينظر: تهذيب اللغة (٣/٦٣).

^(٩) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٩٣). مادة (عز).

^(١٠) معاني القرآن (٣/١٨٦).

وفي الصحاح: " والعزة الفرقة من الناس، والهاء عوض من الياء، والجمع عزى - على فعل - وعزون أيضا بالضم، ولم يقولوا عزات كما قالوا ثبات "(١).

بيان نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

العزيرين في لغة العرب: الحلق و الجماعات المتفرقة، وجاءت عبارات السلف متقاربة في التعبير عن هذا المعنى.

فالقولان الأول والثاني يوافق بعضهما بعضاً؛ إذ العصب من الناس عن يمين وشمال إذا جلسوا في مجالس مجنين.

والقول الثالث والرابع قريب منهما، ففيه بيان لطريقة جلوسهم عند النبي ﷺ أنهم فرق وحلق وهذه الحلق تكون عن يمينه وشماله.

وأما ابن زيد فقد أضاف أنه المجلس يكون فيه ثلاثة أو أربعة، فكأنه يشير إلى أن المجلس الذي يكون فيه واحد لا يطلق عليه عزيرين، مع أن لفظ عزيرين بمعنى متفرقين والمراد بها الحلق.

فالأقوال السابقة بيان لحال المشركين إذا رأوا رسول الله ﷺ يصلي في الكعبة يقومون من مجالسهم مسرعين إليه ، ويُحلقون حوله حلقاً حلقاً ، وفرقاً فرقاً ، يستمعون ويستتهزئون بكلامه ﷺ ويقولون : شاعر ، كاهن ، مفتر ، فتقاربت عبارات السلف في التعبير عن ذلك.

(١) الصحاح، للجوهري (٢٧٥/٦) مادة: عزاء.

قال تعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح: ١٣).

٣٩- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)

(١) ما لكم لا ترون لله عظمة. عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، ومجاهد، وسفيان الثوري، والضحاك^(١).

(٢) لا تعظمون الله حق عظمته، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير^(٢).

(٣) ما لكم لا تعلمون لله عظمة، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(٣).

(٤) لا تخافون لله عظمة، عن ابن عباس^(٤).

(٥) ما لكم لا ترجون لله عاقبة، عن قتادة^(٥).

(٦) ما لكم لا ترجون لله طاعة، عن ابن زيد^(٦).

(٧) لا تخشون له عقاباً ولا ترجون له ثواباً، عن ابن عباس^(٧).

التعليق:

الوقار مأخذ من مادة وقر، والوقر هو: الثقل في الشيء.

قال ابن فارس: " (وقر) الواو والقاف والراء: أصلٌ يدلُّ على ثَقَل في الشَّيْءِ. منه الوَقْرُ: الثَّقَل في الأُذُن. يقال: وَقَرْتُ أُذُنَهُ تَوَقَّرَ وَقَرًّا. . والوِقْرُ: الحِمْلُ. ويقال: نَخَلَةٌ مُوقِرَةٌ ومُوقِرٌ، أي ذات حَمَلٍ كثير. ومنه الوَقَارُ: الحِلْمُ والرِّزَانَةُ، ووقرت الرجل، إذا عظمته.^(٨)

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٦)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٥). كما في الدر المنثور (٨/٢٩٠).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٥). كما في الدر المنثور (٨/٢٩٠).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٦).

(٦) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٧).

(٧) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٥). كما في الدر المنثور (٨/٢٩٠).

(٨) مقاييس اللغة (٦/١٠١) مادة (وقر)، وانظر: تهذيب اللغة (٩/٢١٥) مادة: وقر، ولسان العرب (٥/٢٨٩) مادة: وقر.

"فالوقرُّ بالفتح: الثقلُ في الأذن. والوقرُّ بالكسر: الحملُ... وقد وقَرَ الرجلُ يَقِرُّ وقَاراً وقِرَةً، إذا ثبت، فهو وقورٌ،.. والتوقيرُ: التعظيمُ" (١).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

لو تأملنا القول الأول والثاني والثالث لو وجدنا أن هذه الأقوال متقاربة، بأنها فسرت الوقار بالعظمة أو بالتعظيم، وفسرت لا ترجون بمعنى لا ترون أو لا تعظمون أو لا تعلمون كلها متقاربة في هذا، بمعنى كأنهم لا يرون عظمة الله، وما داموا لا يرون عظمة الله هل يرجونه؟ فإذا ما داموا لا يرون عظمة الله فإنهم لا يرجونه، فكأنه جاء لا ترجون الله وقاراً، أي: لا ترون له عظمة، وبما أنكم لا ترون له عظمة إذا فأنتم لا ترجونه ولن ترجوه. وتفسير قتادة لما قال: لا ترجون الله وقاراً قال: عاقبة، أي لا ترجون الله عاقبة، فالوقار مأخوذ من مادة وقر، والوقر هو الثقل في الشيء، ولا ترجون الله وقاراً أي: تعظيماً. إذا قلنا بأن المراد بالتوقير التعظيم، أيضاً مالكم لا ترجون الله عظمة، إذا جعلنا التوقير بمعنى التعظيم، وعلاقة رجاء العاقبة بالتعظيم التلازم، بمعنى أنهم لو كانوا يرون العاقبة لعظموا الله سبحانه، فكأن قتادة أراد أن ينبه على سبب عدم توقيره وتعظيمه أنهم لا يرون العاقبة، وكان من يرى العاقبة فإنه يعظم الله سبحانه وتعالى.

وما ذكره ابن زيد بأن الوقار الطاعة إن كان يريد أن مسمى الوقار هو مسمى الطاعة فهذا فيه نظر، لكن إن أراد أن الوقار نوع من الطاعة فهذا صحيح، لأنه لا شك أن توقير الله سبحانه من أعظم الطاعة، فإذا قلنا مالكم لا ترجون الله وقاراً بمعنى طاعة، بناءً على تفسير ابن زيد؛ فإن العلاقة بين التعظيم والطاعة التلازم، لو عظمه لأطاعه ولو أطاعه لعظمه.

(١) الصحاح في اللغة (٤١٣/٣) مادة: وقر.

فكأن ابن زيد أيضاً أشار إلى نوع مما يكون به توقير الله سبحانه وتعالى وهي طاعته، فكأنهم يذكرون أسباب التوقير، فقتادة يذكر من أسباب التوقير معرفة العاقبة، أيضاً من صور التوقير عند ابن زيد الطاعة. ولو تأملنا كلام ابن زيد ونظرنا إلى قصة قوم نوح فكأنه أراد أن يبينه على أن قوم نوح لم يطيعوه بأي نوع من الطاعة، فكأنه قال: ما لكم لا تطيعوني في ربكم.

وهنا ينبغي الانتباه إلى فقه السلف في الإشارة إلى بعض المرامي المرتبطة بالآيات. وأما قول ابن عباس - لا تخشون له عقاباً ولا ترجون له ثواباً - فهو من باب تفسير اللفظ بلازمه، فإن من لا يخاف عقاب الله ولا يرجو ثوابه لم يعظمه حق التعظيم.

فالقول الأول هو القول المتناسق مع معنى مالكم لا ترجون لله وقاراً، والقول الخامس والسادس والسابع ليس تفسيراً مباشراً، إنما هو من باب التلازم. فمن أسباب توقير الله معرفة العاقبة، ومن صور توقير الله طاعته سبحانه وتعالى، وكأن في قضية العاقبة والطاعة إشارة إلى حال قوم نوح في أنهم ما كانوا يؤمنون بأخرة فيخافون العاقبة وما كانوا يطيعون كما أشار إليه ابن زيد. فإذا هم بعيدون عن توقير الله سبحانه وتعالى من خلال الأمرين اللذين ذكرهما قتادة وابن زيد.

تنبيه:

في قول ابن عباس - لا تخافون لله عظمة - قد يقع هنا إشكال كيف يكون الرجاء بمعنى الخوف؟

الأصل في الرجاء أنه الترقب في حصول الشيء، فهو ضد الخوف لكن فسر الرجاء بمعنى الخوف "وذلك أن الرجاء قد تضعه العرب إذا صحبه الجحد في موضع الخوف، كما قال أبو ذؤيب^(١):

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا
وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ^(٢) عَوَاسِلٍ^(٣).

يعني بقوله: "و لم يرج": لم يخف^(١).

(١) حويلد بن خالد، أبو ذؤيب الهذلي، شاعر مخضرم، اشترك مع عبد الله بن الزبير في غزوه إلى المغرب، وتوفي بأفريقية سنة (٢٨هـ). ينظر: معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، لعزيرة فوال (ص: ١٤٥)، ومعجم الشعراء، لعفيف عبد الرحمن (ص: ٩٢).

(٢) التي تناوب تذبذب في إحضار الرقيق. ينظر: مقاييس اللغة (٥/٢٩٣) مادة: نوب.

(٣) ديوان الهذليين ١/١٤٣

فتفسير الرجاء بمعنى الخوف قد حلله الزجاج من جهة اللغة تحليلاً دقيقاً بقوله: "وإنما اشتمل الرجاء على معنى الخوف، لأن الرجاء أملٌ قد يخاف ألا يتم"^(٢).

فالرجاء ليس بيقين وإنما هو دون اليقين ففيه شك، فهو يرجو لكنه قد لا يقع. فكأن الزجاج يقول إن هذا الجانب الذي في الرجاء وهو أنه قد لا يقع، هو الذي جعل العرب يستخدمون الرجاء في موقع الخوف لكن الضابط إذا صحبه الجحد. فيكون المعنى ما لكم لا تخافون الله عظمة، فكأن من خاف عظمة الله فإنه يطيعه ويخاف أيضاً عاقبته، كما أشار إلى ذلك قتادة وابن زيد.

وهذه الأقوال على كثرتها إلا أن بعضها متقارب المعنى جداً، وبعضها لا يبعد كثيراً وليس منها معنى يصاد غيره.

لذا فلا مانع من أن يتوجه الإنكار عليهم بكل تلك المعاني. حيث ينكر عليهم أن لا يرون الله عظمة أو ولا يعظمون الله حق عظمته. كما ينكر عليهم أن لا يرجون الله عاقبة ولا طاعة ولا يرجون ثوابه ولا يخافون عقابه.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٢٩٧).

(٢) معاني القرآن، للزجاج (٢/١٠٠).

قال تعالى (ف ثق ثقاً مَا أُتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) (الجن:٣).

٤٠ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (ثق ثقاً).

(١) أمر ربنا وسلطاناه وقدرته، عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وعطية العوفي^(١)، وعن قتادة، والسدي، وابن زيد^(٢).

(٢) أي: تعالى أمره أن يتخذ صاحبة ولا ولداً، عن ابن زيد^(٣).

(٣) غني بذلك جلال ربنا، عن مجاهد، وعكرمة، وقتادة^(٤).

(٤) تعالى غني ربنا، عن الحسن^(٥).

(٥) غني بذلك الجد الذي هو أب الأب، عن أبي جعفر^(٦).

(٦) أي: ذكره، عن مجاهد^(٧).

التعليق:

قال ابن فارس: "(جد) الجيم والبدال أصول ثلاثة: الأوّل العظمة، والثانية الحظ، والثالث القطع.

فالأوّل العظمة، قال الله جل ثناؤه إخباراً عمّن قال: (ف ثق ثقاً) (الجن ٣). ويقال جدّ الرجل في عيني أي عظم. قال أنس بن مالك: "كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جدّ فينا"^(٨)، أي عظم في صدورنا.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٣١٢-٣١٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٧). كما في الدر المنثور (٨/٢٩٧).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣١٣).

^(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣١٣-٣١٤).

^(٤) تفسير الطبري (٢٣/٣١٣-٣١٤).

^(٥) تفسير الطبري (٢٣/٣١٤).

^(٦) تفسير الطبري (٢٣/٣١٥). وأبو جعفر هو: محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر الباقر الملقب بالسجاد، ثقة

فاضل. ينظر: تهذيب الكمال (٢٦/١٣٦) و تقريب التهذيب (ص:٤٩٧).

^(٧) تفسير الطبري (٢٣/٣١٥)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٧). كما في الدر المنثور (٨/٢٩٨).

^(٨) هذا الأثر طرف من حديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/١٢٠-١٢١) عن يزيد بن هارون عن حميد عن أنس،

فذكره وفيه قصة الرجل الذي كان يكتب للنبي ﷺ الرسائل ثم ارتد.

والثاني: الغنى والحظ، قال رسول الله ﷺ في دعائه "لا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ"^(١)، يريد لا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى مِنْكَ غِنَاهُ، إِنَّمَا يَنْفَعُهُ الْعَمَلُ بِطَاعَتِكَ. وفلان أَجَدُّ من فلانٍ وَأَحْظُّ مِنْهُ.

والثالث: يقال جَدَدَتِ الشَّيْءَ جَدًّا، وهو مجدودٌ وجديدٌ، أي مقطوعٌ"^(٢).

قال الراغب: "وقوله ﷺ: (لا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ) (والجد: أبو الأب وأبو الأم. وقيل: معنى (لا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ): لا يَنْفَعُ أَحَدًا نَسَبُهُ وَأَبُوته"^(٣).

"فالجدُّ: أبو الأب وأبو الأم. والجدُّ: الحظ والبخت؛ والجمع الجدودُ. تقول: جُدَدْتَ يَا فُلَانُ، أَي صَرْتُ ذَا جَدِّ، فَأَنْتَ جَدِيدٌ حَظِيظٌ، وَمَجْدُودٌ مَحْظُوظٌ، وَجَدُّ حَظٌّ، وَجَدِّي حَظِّي.."

وقوله: "تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا" أي عظمة ربنا، ويقال غناه. والجدُّ: نقيض الهزل. تقول منه: جَدَّ فِي

الْأَمْرِ يَجِدُّ جَدًّا. وَجَدَّ فُلَانٌ فِي عَيْنِي يَجِدُّ جَدًّا بِالْفَتْحِ: عَظُمَ. وَالْجَدُّ: الْاجْتِهَادُ فِي الْأُمُورِ.

تقول منه: جَدَّ فِي الْأَمْرِ يَجِدُّ جَدًّا بِالْفَتْحِ، وَيَجِدُّ. وَأَجَدَّ فِي الْأَمْرِ، مِثْلُهُ"^(٤).

فالجد في كلام العرب إما أن يكون المراد به أبو الأب أو الأم، أو يكون المراد به الحظ، وهناك

أصل آخر في المراد بالجد وهو الغنى أو العظمة تعالى جدك أي عظمتك.

نوع الاختلاف:

من المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن لفظة "جد" مشتركة بين أكثر من معنى وذكر كل مفسر معنى منها فاختلفت أقوالهم.

الترجيح بين الأقوال:

ظهر من النقول اللغوية السابقة أن الجد في اللغة بمعنى: الغنى، أو أبو الأب أو أبو الأم، أو

العظمة، أو القطع.

وتفسير الجد في الآية بمعنى أبي الأب أو أبي الأم، هذا ليس بصواب.

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (صفة الصلاة)، باب (باب من لم ير رد السلام على الإمام واكتفى بتسليم

الصلاة) ح (٨٠٨) (١/٢٨٩). من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

^(٢) مقاييس اللغة (١/٣٦٥) مادة: جد

^(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (١/١٧٢-١٧٣)

^(٤) الصحاح في اللغة (٣/١٤) مادة: جدد.

أما جعله بمعنى الغنى أو العظمة فهو صحيح، أي تعالى غنى ربنا أن يكون له صاحبة ولا ولد، وتعالى عظمة ربنا أن يكون له صاحبة ولا ولد.

وإذا فسرنا هنا الجد بمعنى العظمة أو الغنى فليس بينهما شيء من التناقض واللغة تشهد لهذا ولذلك.

فالغنى والعظمة بينهما نوع من التلازم، فإذا كان مستغنياً فهو عظيم.

ولو تأملنا قول ابن عباس وقتادة والسدي نجد أنهم فسروا الجد بمعنى أمر ربنا، أي: شأن ربنا . فقالوا: تعالى جد ربنا أي أمر ربنا، فالعلاقة بين الأمر أو الشأن والجد أن الأمر والشأن أعم

من الجد الذي هو الغنى أو العظمة، فيكونوا فسروا لفظ الجد بما هو أعم من معناه في اللغة.

وبناءً على هذا لا يقال إن هذا التفسير غير صحيح، وإنما هو صحيح وهو أعم من اللفظة.

والسلف قد يفسرون اللفظ بما هو أعم منه وهو قليل.

والقول الآخر وقول ابن زيد قال: بأن معنى جد ربنا أي: أن يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وعلاقة

جد ربنا بقوله أن يتخذ صاحبةً ولا ولداً، أنه إن اتخذ صاحبةً والولد انتفى عنه صفة

الاستغناء، وإن اتخذ صاحبةً والولد انتفت عنه صفة العظمة، فكأنه استدل على عظمة الله

بكونه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً.

القول الآخر: جلال ربنا، وهو عن عكرمة ومجاهد وقتادة، وهذا هو أحد معاني الجد في

اللغة، لأن الجلال بمعنى العظمة، فهو أحد المعاني القريبة من معنى العظمة.

وأما من فسر بأنه غنى ربنا كما ورد عن الحسن، فهو أحد المعاني اللغوية.

فهذان المعنيان -الجلال والغنى- هما المدلول الأقرب لمعنى الجد.

ومن قال إن المراد بالجد: أبو الأب أو أبو الأم كما ورد عن أبي جعفر فهذا لا شك أن فيه

نظراً؛ لأن حال الجن يدل على أنهم لا يثبتون هذا المعنى الذي ذكره أبو جعفر أصلاً لا قبل أن

يتكلموا بهذا الكلام ولا بعده، ولم يثبت أن الجن زعموا هذا، فيقال: إن هؤلاء أرادوا أن ينفوا

ما يقوله جهلتهم.

- وأما تفسير مجاهد الجد بمعنى ذكره، فهذا يمكن أن يعود إلى القول الأول وهو أمره وشأنه.

فالمعاني القريبة من جهة اللغة والسياق أن يراد به غنى الله سبحانه وتعالى وجلاله، فمن تمام غنى

الله وجلاله يتعاضم أن يكون له صاحبة ولا ولد، لأنه لو كان له ذلك لانتفى هذا وذاك.

قال تعالى (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسَانِ يَعْبُدُونَ رِجَالًا كَمَا كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَافِرًا) (الجن: ٦).

٤١ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (ك)

(١) الإثم، عن ابن عباس، وقتادة^(١).

(٢) ازدادوا عليهم جراءة، عن إبراهيم النخعي^(٢).

(٣) طغياناً، عن مجاهد^(٣).

(٤) فرقاً، عن الربيع بن أنس، وابن زيد^(٤)، وعكرمة^(٥).

التعليق:

الرهق يقال: "رَهَقَهُ كَفْرَحَ غَشِيَةً وَلَحَقَهُ يَرْهَقُهُ رَهَقًا وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (پ پ پ پ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ

ع) (يونس: ٢٦) ورهقه رهقاً إذا دنى منه.

فاللحن الأول الغشيان، والثاني الدنو.

واختلف في الرهق، قيل الرهق محرّكة هو السفه، وقيل: النوك بمعنى الحمق والخفة والعريضة

وركوب الشر، وقوله: (فَلَا يَخَافُ بَحْسًا بِمِثْلِهِ) (الجن: ١٣) إن الرهق هو الظلم، وقيل: هو

غشيان المحارم.

قال الأزهري: "الرهق اسم من الإرهاق، وهو أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه"^(٦).

والرهق أيضا الكذب، وأرهقه طغياناً أي: أغشاه إياه وألحق ذلك به، يقال: أرهقني فلان إثماً حتى

رهقته، أي: حملني إثماً حتى حملته.

ويقال: أرهقه عسراً، أي: كلفه إياه ومنه قوله تعالى (وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (الكهف: ٧٣).

وقيل معناه: لا تغشني شيئاً.

(١) تفسير الطبري (٣٢٤/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٢٥/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٢٥/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٣٢٦-٣٢٥/٢٣).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧٧/١٠). كما في تفسير ابن كثير (٢٣٩/٨).

(٦) تهذيب اللغة (٢٥٩/٥) مادة: رهق

والمرهق من يغشاه الناس كثيرا وتترل به الأضياف.

قال زهير^(١) يمدح هرم بن سنان^(٢):

ومرهق النيران يطعم في ال
لأوء غير ملعن القدر^(٣)..

وقال: رهق الغلام قارب الحلم فهو مراهق والجارية مراهقة^(٤).

قال ابن فارس: " (رهق) الرء والهء والقاف أصلان متقاربان: فأحدهما غشيان الشيء، والآخر العجلة والتأخير"^(٥).

فلو أردنا أن نرد مادة رهقا هذه فإذا بها متشعبة في الدلالات، وبين المعاني تلازم، فالرهق يدل على الغشيان والعلو.

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن "رهقا" لفظ مشترك بين أكثر من معنى وذكر كل مفسر معنى منها.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال اللغويين يجد أنهم اختلفوا في أصل مادة رهقا وما تعود إليه، وقد ورد عن السلف في تفسير الرهق أربعة أقوال (إثماً، جراءة، طغياناً، فرقاً)، ولا منافاة بين هذه الأقوال والمعنى اللغوي كما سيتبين ذلك.

^(١) زهير بن أبي سلمى بن ربيعة بن رباح المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية. وكان أبوه شاعراً، وخاله

شاعراً، وأخته سلمى شاعرة، وابناه كعب وبجير شاعرين، وأخته الخنساء شاعرة. ينظر: طبقات فحول

الشعراء (٥١/١)، الشعر والشعراء (١٣٧/١).

^(٢) هو هرم بن سنان المزني، وهو الذي أصلح بين بني عبس وبني فزارة. قال ابن حجر عنه: ولزهير فيه غرر المدائح، قال

عنه ابن الكلبي: عاش هرم حتى أدرك عمر... ينظر: الإصابة (٥٧١/٦).

^(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى (ص: ١٨).

^(٤) ينظر: تاج العروس (٣٨٣/٢٥) مادة: رهق، وتهذيب اللغة (٢٦٠/٥) مادة: رهق، ولسان العرب (١٢٨/١٠)

مادة: رهق.

^(٥) مقاييس اللغة (٣٧٣/٢) مادة: رهق.

فتفسير الرهق بالإثم كما ورد عن ابن عباس وقتادة فهذا فيه إثبات لمعنى (التغطية والمشقة) لأن الإثم فيه مشقة وهو قد علاهم.

و من فسر رهقا بالجرأة كما ورد عن إبراهيم النخعي، فالجرأة فيها نوع من المشقة، وكذلك نوع من التغطية.

والإثم والجرأة بينهما نوع من التلازم كأنه لما تجرأوا عليهم ألقوا عليهم الإثم، ولهذا ربط الطبري بين القولين فقال: " فزاد الإنس بالجن باستعاذتهم بعزيزهم جرأة عليهم، وازدادوا بذلك إثماً" (١).

وقول مجاهد طغياناً فهو قريب من معنى الإثم.

ومن فسر الرهق بمعنى الفرق وهو قول الربيع بن أنس، وابن زيد وعكرمة، وهو الخوف، فالخوف فيه نوع من المشقة، فإذا كان خائفاً يكون قد غشاه وغطاه الخوف. إذاً يكون فيه نوع من التقارب بين معنى التغطية والمشقة والكلفة.

فظهر بهذا أن لا تعارض بين هذه الأقوال من جهة، وبين معنى الرهق في اللغة من جهة أخرى.

والطبري قد رجح من هذه المعاني معنى الإثم فقال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فزاد الإنس الجنّ بفعلهم ذلك إثماً، وذلك زادوهم به استحلالاً لمحرّم الله" (٢).

واختيار الطبري هذا هو أحد معاني الرهق وليس كل الرهق.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٢٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣٢٦).

قال تعالى (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنْهُ يَوَدُّونَ رِجَالَ كَثِيرٍ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْعَلُونَ) (الجن: ٦).

٤٢- الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (ك ك)

(١) فزاد الإنس بالجن باستعاذتهم بعزيرهم، جراءة عليهم، وازدادوا بذلك إثماً، عن ابن عباس، وقتادة، وإبراهيم^(١).

(٢) فزاد الجن الإنس رهقاً، عن الحسن والربيع بن أنس وابن زيد^(٢).

بيان نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

أن الضمير احتمل عوده إلى أكثر من ذات فذكر كل مفسر ذاتاً منها فاختلفت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

الخلاف بين القولين في مفسر الضمير في قوله تعالى (ك)

فإذا قلنا: أنه يعود إلى أول مذكور (فيعود إلى الإنس) فزاد الإنس الجن رهقاً.

وإذا أعدناه إلى أقرب مذكور يكون فزاد الجن الإنس رهقاً. (يعود إلى الجن).

ونلاحظ هنا أن كلام السلف محتمل لهذا وهذا، والواقع يشهد له أن هؤلاء يزيدون أولئك إثماً هؤلاء يزيدون أولئك جرأة.

والطبري رجح المعنى الأول وجعل الإنس هم الذين زادوا الجن، فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فزاد الإنس الجن بفعلهم ذلك إثماً، وذلك زادوهم به استحلالاً لمحارم الله"^(٣).

أي: جعل الجن أكثر آثاماً بسبب هذا الفعل فزاد الإنس الجن إثماً وهذا على تناسق الضمائر، وذلك أنهم زادهم استحلالاً لمحارم الله لأن الجن سيتسلطون عليهم وإذا تسلطوا عليهم فسيقع آثاماً فيزداد الإثم على الجن بسبب ضعف الإنس الذي حصل وهم الذين دعوا إلى هذا.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٢٤-٣٢٥).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣٢٥-٣٢٦).

^(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣٢٦٥٦).

والأولى الجمع بين القولين كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

قال تعالى (وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا) (الجن: ١١).

٤٣- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (طَرَائِقَ قَدَدًا)

(١) أهواء شتى، عن ابن عباس^(١)، وقتادة^(٢).

(٢) أهواء مختلفة، عن عكرمة^(٣).

(٣) مسلمون وكافرون، عن مجاهد، وسفيان الثوري^(٤).

(٤) صالح وكافر، عن ابن زيد^(٥).

التعليق:

قدد جمع قدة مثل قطعة وقطع. " والقدة: الطريقة والفرقة من الناس إذا كان هوى كل واحد على حدة. يقال: كنا طرائق قددًا. والقد: الشق طولاً. تقول: قددت السير وغيره أفدده قداً. وقد المسافر المفازة.

والانقداؤ: الانشقاق والقديد: اللحم المقدد، والثوب الخلق. وتقدد القوم: تفرقوا. وأقتد فلان الأمور، إذا دبرها وميزها"^(٦).

و القد: قطع الجلد وشق الثوب ونحو ذلك وضربه بالسيف فقدده بنصفين،

و القد: القطعة من الشيء، يقال: وصار القوم قداً أي: تفرقت حالاتهم وأهواؤهم، و قد الكلام قداً: قطعة وشقه^(٧).

قال الفراء: (كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا)... كنا فرقا مختلفة أهواؤنا"^(٨).

(١) تفسير الطبري (٣٣٠/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧٧/١٠). كما في الدر المنثور (٣٠٤/٨).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٠/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٣٠/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٣٣١/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٣٣١/٢٣).

(٦) الصحاح (٨٤/٣) مادة: قدد.

(٧) ينظر: لسان العرب (٣٤٣/٣) مادة: قدد.

(٨) معاني القرآن (١٩٣/٣).

"وقال الزجاج قوله: (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا)، قال قديداً: متفرقين، أي كنا جماعات متفرقين مسلمين وغير مسلمين. قال: وقوله: (أَمِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) (ب) هذا تفسير قولهم: (طَرَائِقَ قَدَدًا)^(١). فالقد في اللغة بمعنى القطع.

بيان نوع الاختلاف:

التفسير على اللفظ والتفسير على المعنى.

سبب الاختلاف:

أن بعض المفسرين اهتم ببيان المعنى المفهوم من اللفظ وبعضهم اهتم ببيان معنى اللفظة في اللغة.

الجمع بين الأقوال:

أصل القد في اللغة هو القطع، ومنه قطع الجلد سيوراً، ومنه القديد الذي هو اللحم المقدد لأنه يقطع، ولما كان الجن منهم الصالح ومنهم الطالح فليسوا على طريقة واحدة، فهم قدد أي: قطع متفرقة و أجناس مختلفة وأهواء متباعدة.

قال الطبري: "والقدد: جمع قدة، وهي الضروب والأجناس المختلفة"^(٢).

وتعبيرات السلف في معنى قدا لا تخرج عن هذا المعنى، فبعضهم قال أهواء مختلفة، وبعضهم قال: أهواء شتى، وهذا التعبير بمختلفة وشتى اختلاف عبارة، وهو بيان لمعنى الطرائق في اللغة.

لكن لما قال بعضهم: صالح وكافر، وبعضهم قال: مؤمن وكافر. هذا بيان لمعنى "طرائق قدا" أي: من الصالح والطالح. فهذا التعبير هو لبيان المعنى وليس لتفسير اللفظ من حيث هو في اللغة.

وأما تفسير ابن زيد فقد ربط بين الآيات وقرأ قول الله: (وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ

ذَلِكَ) كأنه يقول إن الطرائق القدد هي: أن منهم الصالح ومنهم دون ذلك. فجعل هذا من باب الطرائق وهو مرتبط بالسياق أيضاً.

(١) معاني القرآن وإعراجه (٢٣٥/٥).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٠/٢٣).

فظهر بهذا أن هذه الأقوال لا خلاف بينها؛ بل هي تعبيراتٌ عن معنى واحد بعضهم راعى المعنى اللغوي للفظة "قددا"، وبعضهم فسرها بالمعنى المفهوم منها. والله أعلم.

قال تعالى (فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا بِمِ بِي) (الجن: ١٣).

٤٤- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا).

- ١) لا يخاف نقصاً من حسناته، ولا زيادة في سيئاته، عن ابن عباس^(١).
- ٢) أي ظلماً، أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئاً، أو يحمل عليه ذنب غيره، عن قتادة^(٢).

التعليق:

قال ابن فارس: " (بخس) الباء والحاء والسين أصل واحد، وهو النَّقْصُ"^(٣).

قال الفراء: "وقوله عز وجل: (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا) (الجن: ١٣) لا يُنْقَصُ من ثواب عمله"^(٤).

"فالبخسُ: النَّقْصُ وَالظُّلْمُ وقد بَخَسَهُ بَخْسًا إذا نَقَصَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (زُتُّ أَلْتَأَسُّ

أَشْيَاءَهُمْ) (الأعراف: ٨٥) أي: لا تَظْلِمُوهُمْ وقوله تعالى: (فَلَا يَخَافُ بَخْسًا بِمِ بِي) (الجن: ١٣) أي: لا يُنْقَصُ من ثوابِ عملِهِ ولا رَهَقًا أي ظُلْمًا، وإِنَّمَا البَخْسُ: نُقْصَانُ الْحَقِّ"^(٥).

و"البخس: نقص الشيء على سبيل الظلم، قيل: معناه: باخس، أي: ناقص، وقيل: مبخوس أي: منقوص، ويقال: تباخسوا أي: تناقصوا وتغابنوا فبخس بعضهم بعضاً"^(٦).
فالبخس بمعنى النقص .

بيان نوع الاختلاف:

التفسير باللازم.

^(١) تفسير الطبري (٣٣٢/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧٨/١٠). كما في فتح القدير للشوكاني (٤٢٩/٥)

^(٢) تفسير الطبري (٣٣٢/٢٣).

^(٣) مقاييس اللغة (١٩٩/١). مادة: بخس.

^(٤) معاني القرآن (١٩٣/٣). مادة: بخس.

^(٥) تاج العروس (٤٣٧/١٥-٤٣٨) وينظر: تهذيب اللغة (٨٨/٧) مادة: بخس، ولسان العرب (٢٤/٦) مادة: بخس، والصحاح

في اللغة (٤٥/٤) مادة: بخس.

^(٦) مفردات ألفاظ القرآن (٧١/١) مادة: بخس.

سبب الاختلاف:

لأن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها، من أجل التنبيه على أن معنى الآية غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره.

الجمع بين الأقوال:

البخس في اللغة- كما سبق- بمعنى النقص، فقول ابن عباس (فلا يخاف نقصاً من حسناته ولا يزداد عليه شيء من سيئاته) تفسيرٌ لفظي روعي فيه المعنى اللغوي لكلمة البخس. وأما قول قتادة (أن يظلم من حسناته) فهو تفسير باللازم؛ إذ من لوازم النقص أن يكون فيه ظلم فإنه إذا نقص من حسناته شيئاً فهذا نوع من الظلم.

ولو رجعنا إلى تفسير السلف في معنى البخس فالبخس بمعنى النقص ولهذا قال ابن عباس فلا يخاف نقصاً من حسناته. ولا يزداد عليه شيء من سيئاته.

فعبارات السلف وإن كانت مختلفة إلا أنها تعود في مجملها إلى ما ذكره ابن عباس.

فقول قتادة لما جعل البخس بمعنى الظلم فقال: "أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئاً"، فهذا نوع من الظلم "أو يحمل عليه ذنب غيره" وهذا نوع آخر من الظلم فجعل قتادة البخس على قسمين ظلم في أن تنقص حسناته، وظلم في أن يزداد عليه من سيئات غيره.

لكن من حيث العموم الرواية الأولى التي أوردها ابن عباس هي الأقرب من المعاني، وإن كانت كل المعاني محتملة.

تنبيه:

في قوله تعالى (فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا بِمِثْلِ مَا يُكْفَىٰ) مفهوم هذا أن من لم يؤمن بالله فإنه يقع عليه مثل هذا، لكن هذا إنما هو من باب العدل وليس من باب الظلم، فالنفي لا يلزم منه مقابله دائماً، فلا يعني هذا أن العبد إذا لم يؤمن بالله أن الله سبحانه وتعالى يبخره الحق، وإنما يجازيه بالعدل.

قال تعالى (أَمِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا أَلْقَسَطُونَ پ) (الجن: ١٤).

٤٥ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله (أَلْقَسَطُونَ پ).

(١) العادلون عن الحق، عن ابن عباس^(١).

(٢) الظالمون، عن مجاهد^(٢).

(٣) الجائرون، عن قتادة، وابن زيد^(٣).

التعليق:

قال ابن فارس: "(قسط) القاف والسين والطاء أصلٌ صحيح يدلُّ على معنيين متضادين والبناءُ واحد. فالقسط: العدل. ويقال منه أَقْسَطَ يُقْسِطُ. قال الله تعالى: (فَ ث ف ثُمَّ أَلْمُقْسِطِينَ) (المائدة ٤٢، الحجرات ٩، الممتحنة ٨). والقسُط بفتح القاف: الجور. والقُسُوط: العُدُول عن الحق. يقال قَسَطَ، إذا جار، يَقْسِطُ قَسْطًا"^(٤).

"ففي العدل لغتان قَسَطَ وَأَقْسَطَ وفي الجور لغة واحدة قَسَطَ بغير الألف ومصدره القُسُوطُ"^(٥).

قال الفراء: "وقوله عز وجل: (وَمِمَّا أَلْقَسَطُونَ پ) هم الجائرون الكفار، قال: والمُقْسِطُونَ العادلون المسلمون"^(٦).

والقسط: هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والإقساط: أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف، ولذلك قيل: قسط الرجل: إذا جار، وأقسط: إذا عدل. قال: (وَأَمَّا أَلْقَسِطُونَ

(١) تفسير الطبري (٣٣٣/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٣/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٣٣/٢٣).

(٤) مقاييس اللغة (٧١/٥) مادة: قسط.

(٥) لسان العرب (٣٧٧/٧) مادة: قسط.

(٦) معاني القرآن (١٩٣/٣).

فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا) (الجن/١٥) وقال: (وَأَقْسَطُوا^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ) (الحجرات/٩)".^(١)

" والقِسْطُ بكسر القاف: العدل والفعل من أقسَطَ بالألف. والقِسْطُ بفتح القاف: الجور، يقال منه قسطَ يقسِطُ قِسْطًا وقسوطاً"^(٢).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

معنى القِسْط في اللغة: الجور والعدول عن الحق، فتفسير ابن عباس (عادلون عن الحق) وكذا قول وقتادة وابن زيد (الجائرون) تفسير للفظ بمطابقه في اللغة، فهو من التفسيرات اللفظية التي يراعي المفسر فيها الدلالة اللغوية للفظ المُفسَّر.

وأما قول مجاهد (ظالمون) فهو تفسير على المعنى؛ إذ من لوازم الجور والعدول عن الحق الظلم. وبناءً عليه فلا تعارض بينها وكلها صحيحة محتملة.

^(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٢٤١).

^(٢) تهذيب اللغة (٨/٢٩٨) مادة: قسط.

قال تعالى (وَأَلُو اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا فِ ث) (الجن: ١٦- ١٧) .
٤٦- الأقوال الواردة في معنى الآية:

- ١) وأن لو استقام على طريقة الحق والاستقامة لوسعنا عليهم في الرزق، وبسطناهم في الدنيا لنختبرهم فيه، عن ابن عباس^(١)، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد^(٢) .
- ٢) وأن لو استقاموا على الضلالة لأعطيناهم سعة من الرزق لنستدرجهم بها. عن أبي مجلز^(٣) .
- ٣) وأن لو استقاموا على طريقة الحق فآمنوا لوسعنا عليهم، عن الضحاك^(٤) .

بيان نوع الاختلاف:

أنه من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن الطريقة وصف لم يحدد موصوفه.

الترجيح بين الأقوال:

لو تأملت الآية تجد أنها من الآيات التي فيها إشكال وسبب الخلاف في الطريقة، هل المراد بها طريق الحق أو طريق الباطل؟

فلو استقاموا على طريق الحق والخير. بمعنى أسلموا لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه يعني نختبرهم بهذا الماء، فماذا يحصل؟ أن هؤلاء حتى لو أغدق عليهم بعد الإيمان فإنهم يرجعون إلى أن يكونوا قاسطين. هذا معنى.

ومعنى آخر: أنهم لو استقاموا على الطريقة يعني اتبعوا الحق لمن الله عليهم بالمال والماء الغدق، للفتنة والاختبار فينظر ماذا يعملون. وهذا هو الذي أشار إليه الضحاك.

فكأنه بيان إلى أن اتباع الحق يورث هذه النعمة، لكن حينما تأتيهم النعمة تكون من باب الاختبار.

^(١) تفسير الطبري (٣٣٥/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧٨/١٠). كما في الدر المنثور (٣٠٥/٨).

^(٢) تفسير الطبري (٣٣٥/٢٣-٣٣٧).

^(٣) تفسير الطبري (٣٣٨/٢٣).

^(٤) تفسير الطبري (٣٣٨/٢٣).

أما أبو مجلز ومعه آخرون فذهبوا إلى أنه لو استقاموا على الطريقة أي: على طريقة الشر، فإن الله يزيد في ابتلائهم بأن يسقيهم الماء الغدق استدراجاً لهم ليفتنهم فيه. وهذه القاعدة المعروفة بأن أهل الشر إذا رأوا استدراج الله بهذه، كأهم يقولون إنما أنعم علينا لأننا أصحاب الحق وأهل لأن ينعم علينا، فيقع هذا الاستدراج من هذا الباب. وهنا فيه خلاف ولاشك.

فالطريقة وصف لم يحدد موصوفه فيحتمل أن يكون هذا، ويحتمل أن يكون هذا والجمهور على المعنى الأول. أي: لو استقاموا على الطريقة الحققة لسقيناهم ماء غدقاً لفتنهم فيه وننظر هل هم بالفعل أصحاب استقامة، أو يرجع منهم من يرجع.

كأن المعنى أن هذا الإنعام الذي ينعمه الله سبحانه وتعالى عليهم هو من باب الابتلاء. وإنما رجحنا القول الأول لأمر:

الأول: أنه قول الجمهور

الثاني: أن الاستقامة إنما تكون على طريق الحق، ولا تسمى غير طريق الحق أنه مستقام عليه. الثالث: أن الطريقة معرفة بالالف واللام، فالأوجب أن تكون طريقته طريقة الهدى، ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى.

الرابع: وأيضاً أن له نظائر مثل النظير الذي ذكره الضحاك^(١) وهو قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقٍ) (المائدة: ٦٦)، وقوله تعالى: (أَأَنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا بِ بِي بِي مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الأعراف: ٩٦). فيكون هذا القول هو الأقرب والله أعلم.

^(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٣٨/٢٣).

قال تعالى (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) (الجن: ١٦).

٤٧ - الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (مَاءً غَدَقًا)

(١) الماء الطاهر الكثير، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد^(١).

(٢) مالا كثيرا، عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وابن زيد^(٢).

(٣) السعة في الرزق، عن قتادة^(٣).

(٤) عيشاً رغداً، عن الربيع بن أنس^(٤).

(٥) معيناً، عن ابن عباس^(٥).

التعليق:

قال ابن فارس: "غذق (العين والذال والقاف أصلٌ صحيح يدلُّ على غُزِرَ وكثُرَ ونَعِمَ. من ذلك الغَدَق، وهو الغَزير الكثير. قال الله تعالى: (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) [الجن ١٦]. والغَدَق والعَيْدَاق: النَّاعم من كلِّ شيء. ويقال غَدَقْت عَيْنَ الماءِ تُعَدِّقُ غَدَقًا. والعَيْدَاق: الرَّجُلُ الكَرِيمُ الخُلُق. وزعم ناسٌ أنَّ الضَّبَّ يسمَّى غَيْدَاقًا، ولعلَّ ذلك لا يكون إلاَّ لِسِمَنِ ونَعْمَةٍ فيه"^(٦). والغَدَقُ المطرُ الكثير العامُّ وقد غَيْدَقَ المطرُ كثر، والغَدَقُ أيضًا الماءُ الكثير وإن لم يكُ مطرًا. وغَدَقَتِ الأَرْضُ غَدَقًا وأغْدَقَتُ أخصبت، وغَدَقَتِ العَيْنُ غَدَقًا فهي غَدِقةٌ وأغْدَوْدَقْتُ غَزُرْتُ وعدَبْتُ، وماءٌ مُغْدَوْدِقٌ وغَيْدَاقٌ غزير ومطرٌ مُغْدَوْدِقٌ كثير، وغَدَقَتُ عَيْنَ الماءِ بالكسر أي غَزُرْتُ، ووعامُ غَيْدَاقٌ مُخْصَبٌ وعَيْنٌ غَدِيقَةٌ أي كثيرة الماء هكذا جاءت مصغرةً وهو من تصغير التعظيم، وشابُّ غَيْدَقٌ وغَيْدَاقٌ أي ناعم والغَيْدَاقُ الكَرِيمُ الجَوَادُ الواسع الخلق الكثير العطية وقيل هو الكثير الواسع من كلِّ شيء"^(٧).

(١) تفسير الطبري (٣٣٥/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٣٥/٢٣-٣٣٧).

(٣) تفسير الطبري (٣٣٧/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٣٣٧/٢٣).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧٨/١٠). كما في الدر المنثور (٣٠٥/٨).

(٦) مقاييس اللغة (٣٣٣/٤). مادة: غدق.

(٧) ينظر: لسان العرب (٢٨٢/١٠). مادة: غدق.، والصحاح (٢٢٢/٥) مادة: غدق، وتاج العروس (٢٣٧/٢٦) مادة: غدق.

"وفي حديث الاستسقاء (اسْقِنَا غَيْثًا غَدَقًا مُعْدَقًا) ^(١) العَدَق بفتح الدال : المطر الكبار القَطْر والمُعْدَق : مُفْعَل منه أَكَّدَه به . يقال : أَغْدَقَ المَطْرُ يُعْدِقُ إِغْدَاقًا فهو مُعْدِقٌ" ^(٢) .
وقال الفراء: "قوله: (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا) يكون زيادة في أموالهم ومواسيهم" ^(٣) .

نوع الاختلاف:

التفسير على اللفظ والتفسير على المعنى.

سبب الاختلاف:

أن بعض المفسرين فسر اللفظة بحسب معناها اللغوي، وبعضهم بحسب المعنى المفهوم منها.

الجمع بين الأقوال:

التأمل في الأقوال الواردة عن السلف وفي كلام اللغويين، يجد أن الجمع بين أقوال السلف لا يحتاج إلى كلفة، فهي أقوال اختلفت ألفاظها وتقاربت معانيها، وكلها تدل على معنى الغدق. فالغدق - كما سلف - يدل على غزارة وكثرة ونعمة، فتفسير غدقا بالماء الطاهر الكثير، تفسيرٌ للفظ بمطابقه في اللغة، كما ظهر من أقوال أئمة اللغة سالفة الذكر.
وأما تفسير غدقا بالمال الكثير، أو سعة في الرزق، أو عيشاً رغداً، فلم يكن المراد منها بيان معنى "ماء غدقا"، ولكنه ذكر ما يؤول إليه هذا الماء الغدق من النعم الكثيره، فهو تفسير بمآل الشيء وعاقبته.

و تفسير غدقا بمعيناً فهو تفسير على المعنى؛ إذ جريان الماء وظهوره - وهو معنى معين - مظهر من مظاهر النعمة وكثرة الرزق ، فإن من نعمة الله على عبادة ظهور الماء وجريانه وقد ذكر الله سبحانه ذلك في سورة الملك عند قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ

بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ (الملك: ٣٠).

^(١) لم أجد هذا اللفظ، وجاء في سنن ابن ماجه (٤٠٤/١) كتاب (إقامة الصلاة والسنن فيها) باب (ما جاء في الدعاء في الاستسقاء) ح (١٢٧٠) وغيره عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ "اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً طبعاً مريعاً غدقاً عاجلاً راثاً". و صحح إسناده الحافظ البوصيري في "مصباح الزجاجه" (١٥١/١).

^(٢) النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٣٤٥/٣).

^(٣) معاني القرآن (١٩٤/٣).

وهكذا نجد أن جمع عبارات السلف هنا تعطي صورة متكاملة للمعنى، فمنهم من فسر على اللفظ، ومنهم من فسر على المعنى، ومنهم من فسر بالمأل والعاقبة، وكلها صحيحة لا تعارض بينها.

ومما ينبغي الإشارة إليه هنا أن هذا الماء الغدق إنما يكون من باب النعمة على العبد إذا كان مستقيماً على طاعة الله، فتكون هذه النعم جزاءً له على طاعته. كقوله تعالى: (أَأَنْ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا بِبِئْسَ مَا كَفَرُوا مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الاعراف: ٩٦) وقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقٍ فَهُمْ) (المائدة: ٦٦).

أما إن كان العبد على ضلال فإن هذا الماء الغدق من باب الاستدراج والاختبار له. كقوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا يَسْ عَلَىٰهِمْ أَبْوَابٌ كُلِّ شَيْءٍ) (الانعام: ٤٤) الآية.

وقوله تعالى: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً يَسْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ) (الزخرف: ٣٣) الآية.

ومن اللطائف التي يمكن أن تذكر هنا أن بعض السلف: فسروا قوله (لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا)، قالوا: مائلاً والغدق الشيء الكثير، فجعلوه مائلاً كثيراً وقيراً. تأمل ما علاقة المال بالماء؟ أجاب عنها عمر رضي الله عنه قال: "أينما كان الماء كان المال وأين كان المال كانت الفتنة"^(١).

فليس مراد السلف أن المال هو عين الماء، وإنما أن هذا الماء نتیجته وثمرته ماله هو هذا المال الوفير فيحصل به هذا الافتتان. والله أعلم.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٣٧).

قال تعالى (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (الجن: ١٧).

٤٨ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (عَذَابًا صَعَدًا).

(١) مشقة من العذاب يصعد فيها، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد^(١).

(٢) جبل في جهنم، عن ابن عباس من طريق عكرمة^(٢).

(٣) عذابا لا راحة فيه، عن قتادة^(٣).

(٤) العذاب المتعب. عن ابن زيد^(٤).

التعليق:

قال ابن فارس: " (صعد) الصاد والعين والذال أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ارتفاعٍ ومشقة. من ذلك الصَّعُودُ بخلاف الحُدُورِ، ويقال صَعَدَ يَصْعَدُ. والإِصْعَادُ مقابلة الحُدُورِ من مكانٍ أرفع. والصَّعُودُ: العقبة الكؤُود، والمشقة من الأمر، قال الله تعالى: (سَأْرَهُمْ تِي) (المدثر ١٧)"^(٥).

"والصعد والصعيد والصعود في الأصل واحد، ويستعار لكل شاق. قال تعالى: (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) ﴿الجن/١٧﴾، أي: شاقا، يقال: تصعدني كذا، أي: شق علي"^(٦).

قال الفراء: "وذكروا أن الصَّعَدَ: صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها، فإذا انتهى إلى أعلاها حَدَرَ إلى جهنم، فكان ذلك دأبه، ومثلها في سورة المدثر: (سَأْرَهُمْ تِي)"^(٧).

^(١) تفسير الطبري (٣٣٩/٢٣).

^(٢) تفسير الطبري (٣٣٩/٢٣).

^(٣) تفسير الطبري (٣٣٩/٢٣).

^(٤) تفسير الطبري (٣٤٠/٢٣).

^(٥) مقاييس اللغة (٢٢٤/٣). مادة: صعد.

^(٦) مفردات ألفاظ القرآن (٥٨٠/١).

^(٧) معاني القرآن (١٩٤/٣).

وقال الأزهرى: " قوله: سأرهقه صعوداً يعني: مشقة من العذاب. ويقال: بل جبل في النار من جمرة واحدة يكلف الكافر ارتقائه ويضرب بالمقامع. فكلمًا وضع عليه رجله ذابت إلى أسفل وَرِكَه ، ثم تعود مكانها صحيحة"^(١).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

من الواضح جداً في هذه المسألة تقارب الأقوال في التعبير عن معنى (صعدا)، فالاختلاف بينها في الألفاظ المُفسَّر بها فقط، فالقول الأول بأن (صعدا) مشقة من العذاب يصعد فيها، وهو قول ابن عباس من طريق عطية العوفي، ومجاهد.

وبعضهم قال: عذابا لا راحة فيه، وهو قول قتادة. وقال ابن زيد: العذاب المتعب.

فهذه الأقوال تفسيرات لـ "صعدا" بمعناها اللغوي .

وورد عن ابن عباس من رواية تلميذه عكرمة قال: جبل في جهنم، وإذا تأملت هذا فهل في

الآية ما يشير إليه؟

نعم في الآية ما يشير إلى ما ذكره ابن عباس وهو لفظة "صعدا" فهي تدل على الصعود والذي

يصعد هو الجبل كما قال تعالى (سَأْرَهْقُهُ تِي) فابن عباس لما فسرها بجبل في جهنم فهمها من

قوله "صعودا" الدالة على الصعود والذي يصعد هو الجبل.

وتعبيرات السلف عن العذاب الصعد وإن اختلفت في العبارة فالمعنى واحد، وهو عذاب لراحة

فيه سواء أكان صعود جبل في جهنم أم غيره من أنواع العذاب .

^(١) تهذيب اللغة (٨/٢) مادة: صعد.

قال تعالى (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (الجن: ١٩).

٤٩- الأقوال الواردة في الذين عنوا بقوله تعالى (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)

(١) عني بذلك الجنّ أنهم كادوا يركبون رسول الله ﷺ لما سمعوا القرآن. عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، والضحاك^(١).

(٢) بل هذا من قول النفر من الجنّ لما رجعوا إلى قومهم أخبروهم بما رأوا من طاعة أصحاب رسول الله ﷺ له، وائتمامهم به في الركوع والسجود، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وسعيد بن جبير^(٢).

(٣) بل ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه ﷺ لعلمه أن الإنس والجنّ تظاهروا عليه، ليُيطلوا الحقّ الذي جاءهم به، فأبى الله إلا إتمامه، عن قتادة، وابن زيد^(٣).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

أن الضمير احتمال عوده إلى أكثر من ذات فذكر كل مفسر مثلاً عليه فاختلفت أقوالهم .

الترجيح:

وقع خلاف بين السلف في مُفسرِ الضمير في قوله تعالى (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) فذكر بعضهم أن المراد بذلك الجن، كادوا يركبون الرسول ﷺ لما سمعوه يقرأ القرآن، كأنهم لما حضروا الرسول ﷺ تراكم بعضهم على بعض يستمعون للقرآن، وهذا ورد عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وعن الضحاك.

ومن قال بهذا القول جعله كأنه مما أوحى للنبي ﷺ، وأوحى إليّ أنه لما قام عبد الله. فهو تابع لخبر الجن.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٣).

^(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٤).

^(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٥).

وأما القول الآخر: فجعل أصحابه فاعل كادوا هم أصحاب الرسول ﷺ حال ائتمامهم بالرسول ﷺ ركوعاً وسجوداً، وهذا من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس. وهذا من قول الجن لقومهم، فابن عباس يرى أن هذا من وحي الله للرسول من حال الجن. كأن الجن يقولون لقومهم إنا شاهدنا أمراً عجباً، وما هو هذا العجب؟ أن هذا الرجل وهو محمد ﷺ إذا صلى ائتم به هذا القوم فكادوا يكونون عليه لبدا. وأما قتادة وابن زيد فجعلوا: ذلك من خبر الله الذي أوحاه إلى نبيه ﷺ لعلمه أن الإنس والجن تظاهروا عليه، ليُبطلوا الحق الذي جاءهم به، فأبى الله إلا إتمامه. وعليه ففاعل كادوا إما أن يكون المراد به:

الجن كما في القول الأول.

أو أصحاب الرسول ﷺ كما في القول الثاني.

أو الجن والإنس، كما في القول الثالث.

والناظر في السياق يترجح لديه القول الثالث وهو قول قتادة وابن زيد، وذلك لأمر أشار إليها الطبري وهي:

(١) " أن قوله: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) (الجن: ١٩) عقيب قوله: (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ)

(الجن: ١٨) وذلك من خبر الله فكذلك قوله: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) .

(٢) أنه تعالى ذكره أتبع ذلك قوله: (چ چ چ أَحَدًا) (الجن: ١٨) فمعلوم أن الذي يتبع ذلك الخبر عما لقي المأمور بأن لا يدعو مع الله أحدا في ذلك لا الخبر عن كثرة إجابة المدعوين وسرعتهم إلى الإجابة"^(١) وهذا فيه إشارة إلى الذين عارضوه.

وما ذكره الإمام الطبري هو المتوجه .

وهنا نستفيد فائدة مهمة جدا في قضية التعامل مع تفسير السلف:

قد يقول قائل لماذا لم يقدم الطبري قول ابن عباس وله روايتان، لم يقدم لا الأولى ولا الثانية، أليس تفسير الصحابي الأصل فيه أن يكون مقدماً؟

(١) - تفسير الطبري (٢٣/٣٤٥-٣٤٦).

نقول هذه هي القاعدة العامة، لكن قد يرد في الترجيح ما يجعل قول من جاء بعده من التابعين مقدماً عليه لعله معينة وهذه العلة هنا هي السياق.

٥٠- الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (لَبَدًا) (الجن: ١٩).

(١) جميعاً، عن مجاهد، والحسن، وابن زيد^(١).

(٢) تراكبوا عليه، عن سعيد بن جبير^(٢).

(٣) أعواناً، عن ابن عباس^(٣).

(٤) بعضهم فوق بعض، عن سعيد بن جبير من طريق سفيان الثوري و ابن زيد^(٤).

التعليق:

قال ابن فارس: "(لبد) اللام والباء والبدال كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تكرُّسِ الشَّيْءِ بِعَضِهِ فَوْقَ بَعْضٍ.. وتلَبَّدت الأرضُ، ولَبَّدَها المطرُ.

وصار النَّاسُ عَلَيْهِ لَبَدًا، إِذَا تَجَمَّعُوا عَلَيْهِ. قال الله تعالى: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا

يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (الجن ١٩)

ومن الباب: أَلْبَدَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ. وَاللَّبْدُ: الرَّجُلُ لَا يَفَارِقُ مَنْزِلَهُ"^(٥).

"ولبدا مفردها لبدة، وقوله تعالى: (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) (الجن ١٩) أي: مجتمعة، كاللبد المتلبد، أي المجتمع، وقيل: معناه: كانوا يسقطون عليه سقوط اللبد، أي: متلبدا ملتصقا بعضها ببعض للتزاحم عليه، وجمع اللبد: ألباد ولبود"^(٦).

وقال الزجاج: "ومعنى (لَبَدًا) يركب بعضهم بعضاً وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لَبَّدْتَهُ، ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تُفْتَرَشُ. قال ولَبِدٌ جَمْعُ لِبْدَةٍ وَلِبْدٌ... وَلَبَدُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ يَلْبُدُ: إِذَا رَكِبَ بَعْضُهُ بَعْضًا"^(٧).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٦-٣٤٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٦)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٧٨). كما في الدر المنثور (٨/٣٠٨).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٣٤٦-٣٤٧).

(٥) مقاييس اللغة (٥/١٨٤-١٨٥) مادة: لبد.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٣٢٩).

(٧) معاني القرآن، وإعرابه (٥/٢٣٧). وينظر: تهذيب اللغة (٤/٩٢/١٤) مادة: لبد، وينظر: الصحاح في اللغة (٣/٩٥) مادة: لبد.

فمادة "لبدا" هي الشيء الذي بعضه على بعض، يعني تراكم حتى صار بعضه على بعض، هذا هو الأصل في معنى اللبد.

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

لو أردنا تحرير الخلاف في هذه المسألة لوجدنا أن محل الاختلاف مبني وراجع إلى:

من المقصود بكادوا في قوله (كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبْدًا)؟ وما المراد باللبد؟

أما بالنسبة إلى المراد بكادوا فقد سبق بيانه في المثال السابق.

وأما اللبد فقد ذهب بعض المفسرين وهم الحسن ومجاهد وابن زيد أن المقصود بلبدا، أي: جميعاً.

وورد عن سعيد بن جبير أنه قال: تراكبوا عليه، وعنه أيضاً قال: بعضهم على بعض.

وهو مروى عن ابن زيد.

وقال ابن عباس: أعوانا.

ومن الملاحظ في هذه الأقوال تقاربها في التعبير عن معنى لبدا.

فمن قال جميعاً، ومن عبر بأعوان ما العلاقة بينها وبين اجتماع الشيء بعضه على بعض؟

نقول: إن معنى الجمع جزء من معنى اللبد، لأن اللبد لا يتكون إلا إذا كان فيه معنى الاجتماع، فالاجتماع جزء من معنى اللبد.

وأعوان هذا من لازم السياق، وليس من لازم اللفظ. يعني كادوا يكونون عليه لبدا، أي: يجتمعون بعضهم على بعض أعواناً على النبي ﷺ.

وأما قولهم بعضهم على بعض، أو تراكبوا عليه، أو تلبد عليه جميعاً، هذا من باب التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

فظهر جلياً ترابط هذه الأقوال وعدم تعارضها، كما أن جمعها في عبارة واحدة يُبرز المعنى المراد؛ إذ قد جمعت هذه الأقوال بين التفسير باللازم، وبين التفسير بجزء المعنى، وبين التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة، وكل هذا يؤدي إلى وضوح المعنى وجلائه.

وهذا الاختلاف وإن كان من باب التنوع إلا أن المقدم فيه القول الثالث نظراً للسياق.

قوله تعالى (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ تَمَّ رِسَالَتِي وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) (الجن: ٢٨).

٥١- الأقوال الواردة في الذي عني بقوله تعالى (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ تَمَّ).

(١) عني بذلك رسول الله ﷺ وقالوا: معنى الكلام: ليعلم رسول الله ﷺ أن قد أبلغت الرسل قبله عن ربها. عن قتادة^(١).

(٢) ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم، عن مجاهد^(٢).

(٣) ليعلم محمد ﷺ أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم، عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير^(٣).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطىء.

سبب الاختلاف:

أن الضمير احتمال عوده إلى أكثر من ذات فذكر كل مفسر مثلاً عليه.

الترجيح بين الأقوال:

اختلف السلف في الذي عني بقوله (لِيَعْلَمَ)

فقال بعضهم عني بذلك المشركين، أي: ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغ الرسل رسالات ربهم.

والقول الثاني: إن الضمير يعود إلى الرسول ﷺ أي: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد بلغت عن

ربها وحفظت، أو ليعلم الرسول أن الملائكة قد بلغت عن ربها.

فهنا خلاف في مفسر الضمير فهو يعود إلى أكثر من مفسر.

والقول الراجح أن يعود الضمير إلى الرسول، وسبب الترجيح هو السياق لأنك لو لاحظت

"أن قوله: (لِيَعْلَمَ) من سبب قوله: (فَإِنَّهُ يَسْأَلُكُم مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِنْ بَيْنِ) (الجن: ٢٧) وذلك

خبر عن الرسول ﷺ، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبراً عنه"^(٤).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٥٤).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣٥٥).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣٥٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٣٥٥).

فإذا توافق الضمائر في السياق أولى من أن تفكك، لأننا لو قلنا ليعلم أهل الشرك صار فيه تفكيك للضمائر وكونها تتوافق في مذكور واحد هذا أولى، كما هو في السياق.

٥٢- الأَقْوَالُ الْوَارِدَةُ فِي مَعْنَى التَّرْمَلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (بِأَلْمَزْمَلِ) (المزمل: ١).

(١) المتزمل في ثيابه، عن قتادة^(١).

(٢) بأنه متزمل النبوة والرسالة، عن عكرمة^(٢).

التعليق:

"والمزمل: أصله المتزمل، والناء تُدغم في الزاء لقربها منها"^(٣). فصارت المزمل.

"المزمل: يدلُّ على حَمَلٍ ثَقَلٍ مِنَ الْأَثْقَالِ. يُقَالُ أَزْدَمَلْتُ الشَّيْءَ إِذَا حَمَلْتَهُ، وَمِنْ الْبَابِ الزَّمَيْلُ، وَهُوَ الرَّجُلُ الضَّعِيفُ، الَّذِي إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ تَزَمَّلَ، أَي ضَاعَفَ عَلَيْهِ الثِّيَابَ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ حَمَلٌ"^(٤).

قال الماوردي: "وفي أصل " المزمل " قولان: أحدهما إنه المحتمل، يقال: زمل الشيء إذا حمّله، ومنه الزاملة، لأنها تحمل القماش.

الثاني: إن المزمل هو المتلفف، يقال: تزمّل وتذرّ بثوبه إذا تغطى.

وزمّل غيره إذا غطاه، وكل شيء لفف فقد زمّل ودثر"^(٥).

قال الفراء: "والمزمل: الذي قد تزمّل بثيابه، وتهياً للصلاة، وهو رسول الله ﷺ"^(٦).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن المزمل هو الموصوف والتزمل هو الوصف لكن لم يحدد بماذا كان.

الجمع بين الأقوال:

(١) تفسير الطبري (٣٥٧/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٥٨/٢٣).

(٣) معاني القرآن للأخفش (٣٦/٤).

(٤) مقاييس اللغة (١٩/٣) مادة: زمّل.

(٥) النكت والعيون (١٢٤/٦).

(٦) معاني القرآن (١٩٦/٣).

المزمل الملتف في ثيابه، وهناك اختلاف في هذا الالتفاف في الثياب هل هو ملتف في ثيابه تأهباً للصلاة، أو ملتف في ثيابه بسبب الرهب الذي وجده من جبريل عليه السلام. كما هو في حديث الوحي "أنه قال: زملوني، زملوني" ^(١) والمراد أن يضعوا عليه الأغشية، ومثله المدثر وفي بعض الروايات "زملوني، زملوني، فدثروني" ^(٢). فإذا أخذنا هذا المعنى، تكون هذه الآيات نزلت قريباً من الحدث الذي وقع للنبي ﷺ في غار حراء، وأنه هنا أمر بقيام الليل.

وهنا يقع إشكال فيما يتعلق بترتيب السور، فالمشهور أن أول سورة نزلت عليه على الإطلاق هي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ثم نزل عليه بعدها يأيها المدثر قم فأندر، ثم نزل بعدها إما (ن)، وإما يأيها المزمل، فهناك خلاف لكن هذه السور الأربع متقاربة في التزول وإن كان هناك خلاف في السور الثلاث (المزمل والمدثر والقلم) لكن من حيث العموم هي تعتبر من أوائل ما نزل على النبي ﷺ، أما المدثر فواضح جداً أنها مرتبطة بالنبوة، وأما يأيها المزمل فواضح أنها من أوائل ما نزل على النبي ﷺ وأنه قد أمر بالصلاة في مبدأ الوحي.

فإذا هذه السور الأربع متقاربة في التزول، وبغض النظر عن هذه الحال متى نزلت قبل سورة المدثر أو بعدها. يتضح منها أنها من أوائل ما نزل على النبي ﷺ، لكن هل كانت بعد هذا الحدث الذي قاله النبي ﷺ: "زملوني زملوني"، أو جاءت بعده بمدة، فأياً كان فهي في مبادئ دعوته ﷺ.

وهذا التزمل فيه قولان:

الأول: تزمل بمعنى التف في ثيابه. وهو قول قتادة.

الثاني: المزمل بمعنى المتزمل النبوة والرسالة وهو قول عكرمة.

^(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (بدء الوحي) باب (كيف بدء الوحي للرسول ﷺ)، ح (٤)، (٥/١). من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

^(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب (التفسير)، باب (تفسير سورة المدثر)، ح (٤٦٤١)، (٤/١٨٧٥). من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وقد رجح الطبري قول قتادة قال: "والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة؛ لأنه قد عقبه بقوله: (قُمِ اللَّيْلَ) فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتمزُّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنيه"^(١).

فكان الطبري خصه بمعنى أنه متأهب للصلاة، فهذا كان فيه نوع من تحصيل حاصل، فإذا كان هو متأهباً للصلاة فكيف يخاطب بالتأهب للصلاة، وإنما يخاطب بالتأهب للصلاة في حال أنه لم يتأهب لها فيقال: يأيها المزمل أي: يا من التف في ثيابه، وكان النبي ﷺ في هذه الحال إما نائماً أو خائفاً، حسب الخلاف في هذا. فيكون المعنى في هذا قم للصلاة.

أما على رأي الطبري فيكون من باب تحصيل حاصل، فهو أمرٌ له بما أراد أن يفعله، فهو متمزمل للصلاة فيقال له يأيها المزمل قم الليل.

وما ذكره عكرمة هو قول صحيح. بمعنى يأيها المزمل أي: قد زملت هذا الأمر فقم به، لأننا إذا رجعنا إلى مادة زمل في اللغة فهي تدل على معنى الثقل، ولما يقال له يأيها المزمل قم الليل فهذا الأمر هل فيه ثقل أو مافيه ثقل؟ هذا الأمر لاشك أن فيه ثقلاً على النبي ﷺ.

فإذا مادة زمل ومدلول الثقل فيها متناسب مع قول عكرمة في أن المراد به كما قال: زملت هذا الأمر فقم به يعني حملته، وهذا التعبير تعبير صحيح؛ لأن مادة زمل تدل على هذا المعنى، فكان النبي ﷺ حُوطِبَ واختيرت هذه الصيغة التي فيها التنبيه على ثقل هذا الأمر الذي أمر به ﷺ. فإذا أخذنا بهذا المعنى فهو معنى صحيح متجه، ولا مانع أن يكون النبي ﷺ في حال أمره بالقيام بالليل كان في هذه الحال التي ذكرها الله سبحانه وتعالى.

تنبيه:

الحال التي ذكرها الله سبحانه وتعالى - وهي التلفف بالثياب - أوقعت الزمخشري - عفا الله عنه - والراغب الأصفهاني في خطأ شنيع في حق النبي ﷺ.

قال الزمخشري: "وقرىء (المتزمل) على الأصل: والمزمل بتخفيف الزاي وفتح الميم وكسرها. على أنه اسم فاعل أو مفعول، من زمله، وهو الذي زمله غيره أو زمل نفسه، وكان رسول الله ﷺ نائماً بالليل متمزلاً في قطيفة، فنبه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي

(١) تفسير الطبري (٣٥٨/٢٣).

كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستئقال في النوم ، كما يفعل من لا يهمله أمر ولا يعنيه شأن . ألا ترى إلى قول ذي الرمة^(١) :

وَكَأَنَّ تَخَطُّتْ نَاقَتِي مِنْ مَفَازَةٍ وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلِهَا مُتَزَمِّلٍ^(٢).

يريد : الكسلان المتقاعس الذي لا ينهض في معازم الأمور وكفايات الخطوب ، ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ، ونحوه^(٣).

هذا الكلام منه في حق النبي ﷺ كان الأولى به ألا يقوله.

وكذلك الراغب-عفا الله عنه- قريب من كلام الزمخشري قال: "أي: المتزمل في ثوبه، وذلك على سبيل الاستعارة، كناية عن المقصر والمتهاون بالأمر وتعريضا به"^(٤).

وهذا فيه إساءة الأدب في حق النبي ﷺ.

ومن اللطائف ما ذكره بعض المفسرين من الفائدة في مخاطبة النبي ﷺ بالحال التي كان عليها، فهوليس دائما مزمل ولكن خُطب يأيها المزمل في تلك الحال التي كان عليها، مثل قوله "يأيها المدثر"، من باب الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من الحال التي هو عليها.

فحملها على الملاطفة لاشك أنه أولى مما ذكره الزمخشري بل هو المتوجه، أما ما ذكره الزمخشري والراغب-عفا الله عنهما-فليس بمتوجه أبدا.

(١) هو غيلان بن عقبة بن ميمش، ويكنى أبا الحرث، وهو من بني صعْب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة. الشاعر المشهور المعروف بذي الرمة، أحد فحول الشعراء. ينظر: الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ص: ١١٤)، وفيات الأعيان، لابن خلكان (١١/٤).

(٢) ديوان ذو الرمة (ص: ١٥٠).

(٣) الكشاف (٤/٦٣٦-٦٣٧).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٤٣٩).

٥٣- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل: ٤).

(١) بينه بياناً، عن ابن عباس^(١)، والحسن^(٢). وقتادة^(٣).

(٢) بعضه على أثر بعض، عن مجاهد^(٤).

(٣) ترسل فيه ترسلاً، عن مجاهد^(٥).

(٤) الترتيل: المد، الطَّرْح. عن عطاء^(٦).

التعليق:

مادة رتل تدل على التفرق، ويقال: " ثغر رتل، ورتل إذا كان مُفَلَّجاً لا لصص فيه".^(٧) أي:

تتبين الأسنان بعضها عن بعض بما فيها من هذا الفلج.

والرَّتْلُ حُسْنٌ تَنَاسُقُ الشَّيْءِ وَكَلَامٌ رَتَّلَ وَرَتَّلَ أَي مُرَّتَّلٌ حَسَنٌ عَلَى تَوْدَةٍ، وَرَتَّلَ الْكَلَامَ

أَحْسَنَ تَأْلِيفُهُ وَأَبَانَهُ وَتَمَهَّلَ فِيهِ، وَالتَّرْتِيلُ فِي الْقِرَاءَةِ التَّرْسُلُ فِيهَا وَالتَّبْيِينُ مِنْ غَيْرِ بَعْغٍ.

وترتيل القراءة التأيي فيها والتّمهّل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرّتّل^(٨).

"وأصل الترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام، وتأکید الفعل بالمصدر يدل على المبالغة

على وجه لا يلتبس فيه بعض الحروف ببعض ولا ينقص من النطق بالحرف من مخرجه

المعلوم مع استيفاء حركته المعتبرة"^(٩).

(١) تفسير الطبري (٣٦٤/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٠/١٠). كما في الدر المنثور (٣١٣/٨)

(٢) تفسير الطبري (٣٦٣/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٦٤/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٣٦٣/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٣٦٣/٢٣).

(٦) تفسير الطبري (٣٦٤/٢٣).

(٧) تهذيب اللغة (١٩١/١٤) مادة: رتل.

(٨) ينظر: لسان العرب (٢٦٥/١١) مادة: رتل.

(٩) فتح القدير (٣١٦/٥).

وقال الزجاج: (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) "أي: بينه تبييناً، والتبيين لا يتم بأن يعجل في القرآن، وإنما يتم التبيين بأن تُبين جميع الحروف وتُوفِّيها حقها من الاشباع"^(١).
فالترتيل: "معناه في اللغة: تمهل وفرّق بين الحروف لتبين"^(٢).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

مادة رتل تدل على التفرق، والسلف لما فسروا هذه الآية كما تلاحظ وقع عندهم اختلاف في العبارة وإن كان المؤدى واحداً.

فالأقوال الواردة عنهم لا تخرج عن المعاني التي ذكرها اللغويون بل بينها علاقة وارتباط؛ فقول ابن عباس والحسن وقتادة - بينه بياناً - تفسير للفظ بمعناه في اللغة ومثله قول مجاهد - ترسل فيه ترسلاً.

وأما قول مجاهد في الرواية الأخرى - بعضه على أثر بعض - وقول عطاء - الترتيل بمعنى النبذ كلاهما تفسير باللائم، إذ من لوازم الترتيل وحسن البيان أن لا يعجل في القراءة وإنما يُبين جميع الحروف ويُوفِّيها حقها فينطقها بعضها على أثر بعض وينبذها حرفاً حرفاً، لأن النبذ هو: إلقاء الكلام على جهة مخصوصة.

وأمر الرسول ﷺ بترتيل القرآن؛ لكي يتبين اللفظ من حيث هو لفظ، وتبين اللفظ من حيث هو لفظ طريق إلى بيان المعنى.

فإذا القراءة بالترتيل المراد بها بيان اللفظ هذا هو الأصل، يلزم من ذلك فيما بعد تفهم المعنى.

^(١) معاني القرآن، وإعرابه (٢٤٠/٥).

^(٢) المحرر الوجيز (٤٤١/٨).

ولاشك أنك إذا سمعت كلاماً يقال بتؤدة ففهمك له لاشك أنه أكبر من كلام يأتي سريعاً. وفي هذا المعنى ما يُروى عن علي رضي الله عنه أنه سُئل عن قوله تعالى (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) فقال: الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف^(١).

^(١) - ذكره ابن الجزري في النشر في القراءات العشر (١/٢٣٥).

٥٤- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (قَوْلًا ف) (سورة المزمل: ٥).

(١) أي: العمل به ثقيل في فرائضه وحدوده، عن الحسن، وقتادة^(١).

(٢) أي: ثقيل محمله، عن عروة بن الزبير^(٢).

(٣) أي: كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة، عن ابن زيد^(٣).

نوع الاختلاف:

من باب تعدد أوصاف المسمى الواحد.

سبب الاختلاف:

لأن القرآن تعددت أوصافه وذكر كل مفسر وصفا منها.

الجمع بين الأقوال:

الاختلاف الوارد هنا في وصف القرآن بأنه ثقيل، فهل هذا الثقل فيما يجويه من المعاني والفرائض، أو الثقل فيما يحفه حال التزول؟

لو تأملنا القول الثاني لوجدناه وصف حال النبي ﷺ إذا تنزل عليه الوحي، فقد روي عن عروة عن عائشة رضي الله عنها "أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت

جرائها، فما تستطيع أن تتحرك، وتلت قول الله عز وجل (إِنَّا سُنَّلِقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ف) " (٤).

وهذه الحال ثابتة عنه ﷺ أنه إذا نزل عليه الوحي يعالج شدة، فلا شك أنه حال تلقي الوحي يكون الأمر عليه ثقيلاً وشاقاً ومُجْهِداً.

وأما قول ابن زيد لما قال: هو والله ثقيل مبارك، القرآن كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.

(١) تفسير الطبري (٣٦٥/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٦٥/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٣٦٦/٢٣).

(٤) رواه الحاكم في المستدرک (٥٤٩/٢) وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد".

ثقله في الدنيا على كلام ابن زيد من أي جهة؟ من جهة التكليف، فيحتمل أن يرجع قول ابن زيد إلى القول الأول، لأن أداء التكليف هو في النهاية ثقل في الموازين، فكأن قول ابن زيد يؤول إلى القول الأول.

وما روي عن عائشة رضي الله عنها لاشك أنه معنى، لكن كونه هو المراد بذاته لا شك أنه ليس كذلك، وإنما الصواب أنه جزء من المراد.

إذا الظاهر والله أعلم أن في قوله "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا" أي: ثقیل في شرائعه وتكاليفه، ولا يقوم بشرائعه وتكاليفه تمام القيام إلا من أعين على مثل هذه الطاعات التي ذكرها الله سبحانه وتعالى. ولهذا تخف الطاعات بمثل هذا العمل العظيم الذي هو قيام الليل. ولهذا يكون المعنى: قم الليل لأن سنلقي عليك قولا ثقيلا في تكاليفه، وتخف هذه التكاليف إذا أنت قمت الليل، فهذا هو الأقرب. كون الحال التي تحصل للنبي ﷺ وهو يتلقى الوحي ثقيلة، فهذا يمكن أن تدل عليه الآية أو تُشير إليه الآية، لكن ليست هي المقصد الأول، لماذا؟ لأن هذه الحال ثابتة للنبي ﷺ قبل نزول هذه الآية، لأن معالجة شدة الوحي حاصلة للنبي ﷺ منذ أن بدأ يتزل عليه الوحي، فإذا الإخبار بكونه يتزل عليه ثقيلًا حالة نزوله عليه، يكون من باب تحصيل الحاصل لأنه يُعرف أنه ثقيل، فصرفه إلى المعنى الآخر أولى، فيكون المراد: إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا في تكاليفه، ثم يكون ثقيلًا في محمله كما أخبر ابن زيد ثم مآله ونتيجته أنه ثقيل في محمله في الميزان.

٥٥ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (فَإِذَا لَئْلِيلٌ) (المزمل: ٦)

(١) هو الليل كله، عن ابن عباس، و ابن الزبير^(١)، وابن مسعود^(٢)، وأبي ميسرة^(٣)، و ابن أبي نجيح^(٤)، وعكرمة، ومجاهد، وابن زيد، والضحاك^(٥).

(٢) ما كان بعد العشاء، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة، عن مجاهد، و أبي مجلز، وأبي رجاء^(٦) وقتادة^(٧).

التعليق:

"(نشأ) النون والشين والهمزة أصلٌ صحيح يدلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ وسموٍ.

وَنَشَأَ السَّحَابُ: ارتفع. وَأَنْشَأَهُ اللهُ: رَفَعَهُ. ومنه: (فَإِذَا لَئْلِيلٌ) (المزمل: ٦)، يراد بها والله أعلمُ القيامُ والانتصابُ للصَّلَاةِ.

ومن الباب: النَّشْءُ والنَّشَأُ: أحداثُ النَّاسِ. والنَّاشِئُ: الشَّابُّ الذي نشأ وارتفع وعلا"^(٨).

"وناشئة الليل: أوَّلُ ساعاته. ويقال: ما يَنشَأُ في الليل من الطاعات"^(٩).

وقال الزجاج: "ناشئة الليل ساعات الليل كلها، كلما نشأ منه أي: ما حَدَثَ، فهو ناشئة"^(١٠).

(١) تفسير الطبري (٣٦٦/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٠/١٠). كما في الدر المنثور (٣١٦/٨).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٠/١٠). كما في الدر المنثور (٣١٦/٨).

(٣) هو: عمرو بن شراحيل الهمداني الكوفي، من كبار التابعين، ومن أصحاب ابن مسعود رضي الله عنه، روى له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه، توفي سنة: ٦١هـ أو ٦٢هـ. ينظر: تهذيب الكمال (٦٠/٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٤/١٣٥).

(٤) عبد الله بن أبي نجيح يسار الثقفي. صاحب التفسير، أحد الأئمة الثقات، أخذ عن مجاهد وعطاء، رُمي بالقدر، توفي سنة: ١٣١هـ. ينظر: ميزان الاعتدال (٢١٥/٤)، تقريب التهذيب (ص: ٣٢٦).

(٥) تفسير الطبري (٣٦٧/٢٣-٣٦٨).

(٦) هو أبو رجاء الحُدَّاني البصري واسمه: محمد بن سيف، وهو ثقة. ينظر: تهذيب الكمال (٣٥٥/٢٥)، وتقريب التهذيب (ص: ٤٨٣).

(٧) تفسير الطبري (٣٦٩/٢٣).

(٨) مقاييس اللغة (٣٤٤/٥) مادة: نشأ.

(٩) الصحاح في اللغة (٨٩/٢) مادة: نشأ.

(١٠) معاني القرآن، وإعرابه (٢٤٠/٥).

ففي الناشئة أوجه :

"أحدها : أنها صفة لمخدوف ، أي : النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعتها للعبادة ، أي تنهض وترفع من « نشأت السحابة » إذا ارتفعت ، ونشأ من مكانه ونشر إذا نهض .
الثاني : أنها مصدر بمعنى قيام الليل ، على أنها مصدر من « نشأ » إذا قام ونهض"^(١) .
الثالث : "نشأ الرجل ، أي : قام من الليل .
قال أبو حيان : فعلى هذا هي جمع ناشيء ، أي : قائم ، يعني : أنها صفة لشيء يفهم الجمع ، أي : طائفة ، أو فرقة ناشئة"^(٢) .

الرابع : (فَمَثَلِ اللَّيْلِ) : ساعاته ، وأوقاته؛ لأنها تنشأ شيئاً بعد شيء^(٣) .

فمادة نشأ تدل على أمرين:

الأول: قيام بعد نوم.

والثاني: تدرج في التربية مثل(أَوْ مَن يُنَشِّئُ فِي الْحَلِيَّةِ) (الزُّخْرُفُ:١٨)، أي: يربي في الحلية شيئاً بعد شيء.

ونشأ الليل إنما يراد بها القيام بعد نوم.

نوع الاختلاف:

التعبير بجزء المعنى.

سبب الاختلاف:

لأن لفظ ناشئة لفظ عام فذكر المفسر جزءاً من معناه.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال السلف يجد أنهم اختلفوا في تحديد ناشئة الليل ، فبعضهم قال: الليل كله فمعنى ذلك أنه سيدخل معنا من بعد صلاة المغرب ، فتكون صلاة المغرب من ناشئة الليل ،

^(١) الكشاف (٤/٦٣٩).

^(٢) البحر المحيط (٨/٣٥٤).

^(٣) تفسير القرطبي (١٩/٣٩).

وصلاة العشاء من ناشئة الليل، وكذلك صلاة ما بعد العشاء من ناشئة الليل. هذا هو وجه الخلاف إذا قلنا ناشئة الليل هي الليل كله.

ولكن الذي عليه عمل النبي ﷺ إن كان المراد قيام الليل، فناشئة الليل هي ما تكون بعد العشاء.

إذا هنا يختلف النظر في المراد بناشئة الليل باختلاف العمل، هل المراد الآن قيام الليل؟ أما الآية فنعم تدل على قيام الليل، لكن لاحظ الآن أن الآية لما نزلت في قوله (قُرْ أَيْلَ پ پ) (المزمل: ٢) لم يكن هناك صلاة مغرب ولا صلاة عشاء، فإذا في الحالة الأولى لما نزلت هذه الآية تعتبر ناشئة الليل من بعد غروب الشمس ودخول الليل، تعتبر ناشئة ليل.

لكن لما ثبتت الفرائض تكون ناشئة الليل مخصصة بما بعد العشاء.

إذا ناشئة الليل هي كل ما يأتي منذ ظهور الليل هذا هو الأصل، لكن السنة خصصت المراد بناشئة الليل بعد ثبوت الفرائض بما يكون بعد العشاء، والذي يصح أن يطلق عليه أيضا ناشئة هو ما يكون بعد نوم، فيكون نشأ بمعنى قام. النشوء أي: القيام.

فناشئة يعبر بها عن الليل كله، لأن ناشئة الليل هي كل ما نشأ في الليل، لكن ناشئة الليل المرتبطة بقيام الليل المخصوصة في هذه الآية غير ناشئة الليل تكون عامة، فعندنا ناشئة الليل أمر عام يبدأ من بداية الليل، وفيه ناشئة الليل المرتبطة بالقيام هذه تبدأ بعد العشاء.

٥٦ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) (المزمل: ٨).

(١) أخلص له إخلاصاً، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة^(١).

(٢) تبَّتْ نفسك واجتهد، عن الحسن^(٢).

(٣) أي تفرغ لعبادته، عن ابن زيد^(٣).

التعليق:

مادة بتل: تدل على قطع أو انقطاع. ومنه قيل: مريم البتول لانقطاعها إلى الله.

فإذا الانقطاع إلى الله في العبادة هو التبتل.

قال ابن فارس: "بتل) الباء والتاء واللام أصل واحد، يدلُّ على إبانة الشيء من غيره. يقال بتلتُ الشيء، إذا أبنته من غيره.. والتبَّتُل: إخلاص النية لله تعالى والانقطاع إليه. قال الله

تعالى: (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) (المزمل: ٨)، أي انقطع إليه انقطاعاً"^(٤).

قال الفراء: "وقوله عز وجل: (وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً). أخلص لله إخلاصاً، ويقال للعباد إذا ترك

كل شيء، وأقبل على العبادة: قد تبتل، أي: قطع كل شيء إلا أمر الله وطاعته"^(٥).

بتلتُ الشيء أبنته بالكسر بتلاً، إذا أبنته من غيره. ومنه قولهم: طلقها بتة بتلة. والبتول من

النساء: العذراء المنقطعة من الأزواج، ويقال هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا.

والتبَّتُل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله، وكذلك التبَّتيلُ، ومنه قوله تعالى: "وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً

" . وانبَتَل فهو مُنبَتِلٌ، أي انقطع"^(٦).

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٧٧-٣٧٩).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٣٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٣٧٩).

(٤) مقاييس اللغة (١/١٩١). مادة (بتل).

(٥) معاني القرآن للفراء (٣/١٩٨).

(٦) ينظر: الصحاح في اللغة (٥/٣١٦). مادة (بتل).

قال ابن عطية: " (وَتَبَتَّلَ) معناه : انقطع من كل شيء إلا منه وأفرغ إليه . قال زيد بن أسلم : التبتل رفض الدنيا ومنه تبتل الحبل ، وقولهم في الهبات ونحوها بتلة ، ومنه التبول (١)".

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

نلاحظ أن السلف لما فسروا التبتل فسروه بالإخلاص، والعلاقة بين التبتل الذي هو: الانقطاع للعبادة وبين والإخلاص علاقة وثيقة جداً ولهذا جاء تنبيه السلف على الإخلاص، فالتبتل الذي هو الانقطاع للعبادة بلا إخلاص لا قيمة له. ولذا نبهوا على أهم أركان العبادة وهو الإخلاص.

أما قول الحسن-بتل نفسك واجتهد- إنما هو تفسير باللازم؛ إذ الإخلاص لله والانقطاع لعبادته يستلزم اجتهاداً في ذلك ومجاهدة .

وقد وردت عبارات بعضهم أوسع كما ورد عن ابن زيد: لما قال: تفرغ لعبادته، ومعنى تفرغ لعبادته بمعنى الانقطاع للعبادة، فهو تفسير باللازم أيضاً؛ لأن من انقطع لله فقد تفرغ لعبادته، ومن تفرغ لعبادته فقد انقطع له..

فهذه الأقوال ليس بينهما تعارض، بل الجمع بينها يزيد المعنى وضوحاً فيقال: التبتل: الإخلاص لله والتفرغ لعبادته والاجتهاد في ذلك.

(١) = المحرر الوجيز (٨/٤٤٣).

قال تعالى (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ) (المزمل: ١٣).

٥٧- الأقوال الواردة في المقصود بـ (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ).

(١) شوك يأخذ بالحلقة، فلا يدخل ولا يخرج. عن ابن عباس^(١).

(٢) شجرة الزقوم. عن مجاهد^(٢).

نوع الاختلاف:

من باب التمثيل للفظ العام .

سبب الاختلاف:

لأن طعام لفظ عام وذكر كل مفسر مثلاً على طعام أهل النار.

لأن (طعاماً ذا غصة) وصف لم يحدد موصوفه وذكر كل مفسر طعاماً مما يوصف بذلك فاختلقت أقوالهم

الجمع بين الأقوال:

إذا نظرنا إلى هذه الأقوال نجد أن ابن عباس ذهب إلى أنه شوك، ومجاهد قال إنه شجرة الزقوم. ولا شك أن شجرة الزقوم شوك.

فتفسير مجاهد بشجرة الزقوم؛ وذلك لأن السلف يعنون في ذكر المعنى بما ورد في الآيات

نفسها في قوله (فَذِقْ الزَّقُومَ) ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ (سورة الدخان: ٤٣-٤٤)

فمجاهد أخذ من هذه الآية أن المراد بالطعام شجرة الزقوم، وهو من باب التمثيل.

ولهذا لا خلاف بين ما عبّر به ابن عباس أنه شوك لأن الشوك يغص به، وإذا كانت شجرة الزقوم من شوك فقطعاً أنه يغص بها.

فنقول إن طعاماً ذا غصة نُكِرَ للدلالة على أنه ليس نوعاً واحداً فكأنه إشارة إلى تنوع هذا الطعام فالتنكير للتنويع، فيكون هذا الطعام الذي يقع فيه الغصة يحتمل أن يكون شجراً من

(١) تفسير الطبري (٣٨٤/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٣٨٤/٢٣).

شوك غير الزقوم، ويحتمل أن يكون شجرة الزقوم، ويحتمل أن يكون غير الزقوم. لأنه وصفه بأنه طعام ذو غصة فأى طعام وقع منهم غصة فيه فهو داخل في قوله (وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ).

قال تعالى (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ) (المزمل: ١٨).

٥٨- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (مُنْفَطِرٌ بِهِ)

- ١) تشقق السماء حين ينزل الرحمن جلّ وعزّ، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(١).
- ٢) مثقلة به، عن ابن عباس من طريق مجاهد^(٢)، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة^(٣).
- ٣) ممتلئة به، عن ابن عباس من طريق عكرمة^(٤).

التعليق:

"الفَطْرُ: الشَّقُّ. يقال: فَطَرْتُهُ فأنْفَطَرَ. ومنه نابُ البعير: طَلَع، فهو بَعِيرٌ فاطِرٌ. وتَفَطَّرَ الشَّيْءُ: تشَقَّقَ. وسيفٌ فُطَارٌ أي فيه تشقُّقٌ"^(٥).

قال ابن فارس: "فطر) الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتَحَ شَيْءٍ وإِبْرَازِهِ. من ذلك الفَطْرُ من الصَّوْمِ. يقال: أَفْطَرَ إِفْطَارًا. وقَوْمٌ فِطْرٌ أي مُفْطِرُونَ."^(٦).

نوع الاختلاف:

من باب التفسير باللازم.

سبب الاختلاف:

أن المفسر فسّر اللفظ بلازمه لا بمطابقه، للتنبيه على دخول هذا اللازم في معنى الآية.

الجمع بين الأقوال :

مادة فطر تدل على التشقق ولا تدل على الثقل والامتلاء، فالسلف لما فسروا التفطر بالامتلاء أو الثقل أردوا أن يبينوا سبب هذا الانشقاق، وهو الثقل الذي يكون بسبب الملائكة، أو بسبب عظمة الله سبحانه وتعالى.

وعليه فلا تعارض بين هذه الأقوال، فتفسير منفطر بمتشقق إنما هو تفسير لغوي.

^(١) تفسير الطبري (٣٨٩/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨١/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢١/٨).

^(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨١/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢١/٨).

^(٣) تفسير الطبري (٣٩٠/٢٣).

^(٤) تفسير الطبري (٣٩١/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨١/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢١/٨).

^(٥) الصحاح في اللغة (٣٤٥/٣) مادة: فطر.

^(٦) مقاييس اللغة (٤٠٧/٤) مادة: فطر.

وأما القول بأن "منفطر" بمعنى مثقلة؛ فهو تفسير للفظ بلازمه؛ إذ من لوازم الثقل الانفطار، فالسماء إنما تتشقق في يوم القيامة لأجل أنها مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه.

وأما تفسير "منفطر" بمعنى ممتلئة فهو تفسير باللازم أيضا، إذ الانفطار وهو التشقق الذي يحدث في السماء إنما هو لتزول الملائكة وصعودهم في ذلك اليوم الذي تمتلئ السماء بهم. فإذا تأملت تجد تلازماً واضحاً بين هذه الأقوال كلها؛ إذ السماء إنما تتشقق في يوم القيامة لأجل أنها مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعها، ولأجل الامتلاء الذي يعترها من الملائكة.

قال تعالى (يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ) (المدثر: ١).

٥٩ - الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (الْمُدَّثِّرُ)

(١) يأتيها النائم ، عن ابن عباس^(١).

(٢) المتدثر في ثيابه. عن قتادة^(٢).

(٣) أيها المتدثر النبوة وأثقالها، عن عكرمة^(٣).

التعليق:

قال ابن فارس: " (دثر) الدال والهاء والراء أصلٌ واحدٌ منقاسٌ مطّرد. وهو تضاعفٌ شيءٍ وتناضدٌ بعضه على بعض. فالدّثر: المال الكثير. والدّثار: ما تدثر به الإنسان، وهو فوق الشعار... والدّثور: الرجل النّؤوم. وسُمّي بذلك لأنّه يتدثر وينام"^(٤).

والمدثر هو: المتدرع دثاره، والأصل مُتَدَثِّرٌ فأدغمت التاء في الدال وشُدّدت، يقال: دثرته فتدثر، ومعنى تدثر: لبس الدّثار ، وهو الثوب الذي فوق الشعار ، " والشّعار " : ما يلي الجسد.^(٥)

وقال الفراء في قوله تعالى (يَتَأْتِيَهَا الْمُدَّثِّرُ) يعني المُتَدَثِّرُ بثيابه إذا نام^(٦).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن المدثر وصف لم يحدد موصوفه.

الجمع بين الأقوال:

(١) تفسير الطبري (٤٠٤/٢٣) ، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٦/٨).

(٢) تفسير الطبري (٤٠٤/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٤٠٤/٢٣).

(٤) مقاييس اللغة (٢٧١/٢). مادة (دثر).

(٥) ينظر: تهذيب اللغة (٤٠٤/٦٢-٦٣).

(٦) معاني القرآن (٣/٢٠٠).

مادة دثر كما ذكر ابن فارس "وهو تضاعفُ شيءٍ وتناضدُهُ بعضُهُ على بعضٍ". فإذا كان شيءٌ على شيءٍ يكون فيه معنى التغطية؛ فالرسول ﷺ لما جاءه الوحي أو لما رأى جبريل جالس على كرسي بين السماء والأرض بصورته الملكية خاف وذهب إلى خديجة وهو يقول (زملوني زملوني، دثروني دثروني) بمعنى أنه أصابه رعب شديد فدثر أي: غطي بالأغطية. فإذا التدثر هو التغطي أو التغشي بالحاف، هذا معنى التدثر الذي حصل للنبي ﷺ. وسمي ما فوق الشعار دثاراً لأنه يغطي الشعار. فمعنى التغطية إذاً موجود في معنى مادة دثر، أي المتغطي بثيابه أو لحافه.

ويأتيها النائم كما ورد عن ابن عباس ليس هو معنى المدثر ولكن من لوازم معنى المتدثر. والمعنى الثاني: وهو المثقل بالنبوة، وكلام عكرمة محتمل من جهة اللغة ومن جهة السياق أيضاً، لأنه إذا كان دثر بالنبوة أي: أثقلت عليه النبوة فنعم. ومثل ما قيل في المزمّل يقال في المدثر من دلالة هذه الصيغة على الأمرين. فيكون المدثر وصفاً للحال التي كان عليها من تدثره بثيابه، وكذلك للأمر الذي تدثره وهو الرسالة.

والمندثر مثل المزمّل في مآل المعنى وإن كان بينهما اختلاف في أصل الاشتقاق، فالتزمّل مشتق من معنى التلفف، والتدثر مشتق من معنى اتخاذ الدثار. ويأتيها المدثر مثل يأتيها المزمّل حكاية حال. بمعنى خوطب النبي ﷺ بالحال التي كان عليها. وهو من باب التلطف مع النبي ﷺ.

قال تعالى (وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ) (المدثر: ٤).

٦٠- الأقوال الواردة في معنى الثياب في قوله تعالى (وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ)

- ١) لا تلبس ثيابك على معصية، ولا على غدره، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(١)، وعكرمة^(٢)، والضحاك^(٣).
- ٢) من الإثم والذنوب، عن ابن عباس من طريق عطاء^(٤)، وإبراهيم النخعي، وقتادة^(٥).
- ٣) لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي^(٦).
- ٤) أصلح عملك، عن مجاهد، وأبي رزين^(٧).
- ٥) اغسلها بالماء، وطهرها من النجاسة، عن محمد بن سيرين، وابن زيد^(٨).

التعليق:

تطلق الثياب في لغة العرب على: اللباس، وعلى القلب، وعلى النفس. قال الفراء: "وقوله "وتيابك فطهر" أي: لا تكن غادرا فتدنس ثيابك، فإن الغادر دنس الثياب، ويقال: وثيابك فطهر، وعملك فأصلح. وقال بعضهم: وثيابك فطهر: قصر، فإن تقصير الثياب طُهْرَةٌ"^(٩). "وقيل: الثَّياب: اللباس. ويقال: القلب"^(١٠).

^(١) تفسير الطبري (٤٠٥/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٦/٨).

^(٢) تفسير الطبري (٤٠٥/٢٣).

^(٣) تفسير الطبري (٤٠٧/٢٣).

^(٤) تفسير الطبري (٤٠٦/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٦/٨).

^(٥) تفسير الطبري (٤٠٦-٤٠٧/٢٣).

^(٦) تفسير الطبري (٤٠٨/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٦/٨).

^(٧) تفسير الطبري (٤٠٨-٤٠٩/٢٣).

^(٨) تفسير الطبري (٤٠٩/٢٣).

^(٩) معاني القرآن (٢٠٠/٣).

^(١٠) تهذيب اللغة (١١٢/١٥) مادة: ثاب.

قال ابن عباس في قوله (وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ) قال: "لا تلبسها على معصية ولا على غدره، ثم قال: أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي"^(١):

إني بحمد الله لا ثوبَ غادرٍ ... لبست ولا من خزِيَةٍ أَتَقَعُّ"^(٢).

وقال ابن قتيبة: (وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ) أي: نَفَسَكَ فَطَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، والعَرَبُ تُكْنِي بِالثِّيَابِ عَنِ النَّفْسِ لِاسْتِمَالِهَا عَلَيْهَا"^(٣).

ومن ذلك قول عنتره بن شداد"^(٤):

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم"^(٥).
يعني بـ "ثيابه" نفسه.

ويقال: فلان طاهر الثياب: إذا لم يكن دَنَسَ الأخلاق. قال قتادة: "فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دَنَسَ الثياب، وإذا وفي وأصلح قالوا: مطهَّرَ الثياب"^(٦).
قال امرؤ القيس"^(٧):

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَّارِي نَقِيَّةٌ ... وَأَوْجُهُهُمْ بِيضُ الْمَسَافِرِ غُرَّانُ"^(٨).
وقد تطلق الثياب على القلب، قال امرؤ القيس :

(١) غيلان بن سلمة بن مُعْتَبِ بن مالك الثقفي، من شعراء الطوائف، مخضرمٌ أدرك الإسلام. ينظر: طبقات فحول الشعراء (ص ٢٦٩)، معجم الشعراء (ص: ٢٠٦).

(٢) تفسير الطبري (٤٠٦/٢٣). والبيت في تهذيب اللغة (١١٢/١٥)، ولسان العرب (٢٤٣/١) مادة (ثوب) وتاج العروس (١١١/٢)، مادة (طهر).

(٣) مشكل القرآن لابن قتيبة (ص: ١٤٢).

(٤) عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية العبسي، أشهر فرسان العرب في الجاهلية. من أهل نجد. أمه حبشية، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعدوية. ينظر: طبقات فحول الشعراء (١٥٢/١)، والشعر والشعراء (٢٥٠/١).

(٥) ديوان عنتره بن شداد (ص ١٧٧).

(٦) تفسير الطبري (٤٠٧/٢٣).

(٧) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي. أشهر شعراء العرب على الإطلاق، اشتهر بلقبه، كان أبوه ملك أسد وغطفان، توفي سنة ٨٠ قبل الهجرة. ينظر: الأعلام (١١/٢)، معجم المؤلفين (٣٢٠/٢).

(٨) ديوان امرؤ القيس، (ص: ٨٣).

وإن تك قد ساءتكَ مِني خَلِيقَةٌ فَسُلي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلُ^(١).^(٢)

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن "ثيابك" لفظ مشترك يطلق اللباس وعلى النفس والقلب.

الجمع بين الأقوال:

إن المتأمل لاختلاف المفسرين في معنى الثياب، يجد أنها ترجع إلى قولين:

الأول: أن المراد الثياب الملبوسة المعروفة. وهو قول جمهور السلف.

الثاني: أن المراد بالثياب: النفس والقلب. كما ورد عن مجاهد، وأبي رزين.

وإطلاق الثياب على القلب وارد في لغة العرب^(٣) ومن ذلك قول امرئ القيس:

وإن تك قد ساءتكَ مِني خَلِيقَةٌ... فَسُلي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسُلُ^(٤).

أي قلبي من قلبك.

وقد ورد في اللغة: "فلانٌ دنسُ الثيابِ: إذا كان خبيث الفعلِ والمذهبِ خبيث العِرضِ"^(٥).

وقال ابن فارس: "وربما عبروا عن النفس بالثوب، فيقال: هو طاهر الثياب"^(٦).

وقال الأزهري بعد حكايته للأقوال الواردة في تفسير الثياب "وكل ما قيل في قوله عز

وجل (وَيَابَاكَ فَطَهَّرَ) فهو صحيح من جهة اللغة، ومعانيها متقاربة، والله أعلم بما أراد"^(٧).

^(١) ديوان امرئ القيس، ص: ١٢-١٣.

^(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٠٠/٦) مادة طهر، (١١٢/١٥) مادة: تاب.

^(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص: ٤٩٥، معاني القرآن للزجاج (١٩١/٥).

^(٤) ديوان امرئ القيس، (ص: ١٢-١٣).

^(٥) تهذيب اللغة (١١٢/١٥). والبيت في ديوان امرئ القيس (ص: ٨٣).

^(٦) مقاييس اللغة، مادة ثوب (٣٥٦/١).

^(٧) تهذيب اللغة (١٠٠/٦).

والقول الثاني وإن كان صحيحاً لغة، والآية محتملة له؛ إلا أن المعنى المتبادر إلى الذهن والأسبق إلى الفهم هو المعنى الأول، ولذا قال الطبري: " وهذا القول -يعني الأول- الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه"^(١).

فالقول الأول وإن كان هو القريب المتبادر للذهن، إلا أن كلا القولين محتمل في الآية^(٢). وقال ابن كثير في جمعه بين هذه الأقوال: " وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب، فإن العرب تطلق الثياب عليه"^(٣).

وقد ذكر ابن القيم أقوال السلف في المراد بقوله (وَيَأْبُكَ فَطَهَّرَ) فقال: "فمن قائل المراد بثيابك قلبك أو أخلاقك، ومن قائل ثيابك طهرها من النجاسة الحسية والمعنوية بكونها من مكسب حلال، وغير ذلك من الأقوال ثم قال: والآية تعم هذا كله وتدل عليه بطريق التنبيه واللزوم إن لم تتناول ذلك لفظاً فإن المأمور به إن كان طهارة القلب فطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك"^(٤).

وقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية من هذه الآية قاعدة عامة من قواعد الشريعة في الطهارة الحسية والمعنوية، فقال: " وإذا حملت الآية على الطهارة من الرجس، والإثم، والكذب، والغدر، والخيانة، والفواحش، كانت قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، والكناية بطهارة الثياب عن طهارة صاحبها من الفواحش، والكذب، والخيانة ونحو ذلك، مشهور في لسان العرب، غالب في عرفهم نظماً ونثراً..

والأشبه والله أعلم أن الآية تعم نوعي الطهارة، وتشمل هذا كله فيكون مأموراً بتطهير الثياب، المتضمنة تطهير البدن، والنفس من كل ما يستقذر شرعاً، من الأعيان والأخلاق

(١) تفسير الطبري (٤٠٩/٢٣).

(٢) ينظر في صحة احتمال القولين لمعنى الآية -مثلاً-: أحكام القرآن، لابن العربي (٦٣/١٩)، وتفسير ابن

كثير (٢٦٣/٨)، والتحرير والتنوير (٢٩٧/٢٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٦٣/٨).

(٤) ينظر: بدائع التفسير (٢١٤/٣).

والأعمال، لأن تطهيرها أن تجعل طاهرة، ومتى اتصل بها وبصاحبها شيء من النجاسة، لم تكن مطهرة على الإطلاق"^(١).

فيكون المراد كلا القولين ، فما دام وارداً عن السلف والآية تحتمله بل الحدث الآن يحتمله وهو كون النبي ﷺ في بداية الأمر يطلب منه تطهير نفسه من المعاصي أو تطهير ثوبه من النجاسات فهذا ممكن ومحتمل. فالقول الأول دل عليه كلام السلف والقول الثاني دلت عليه اللغة.

ويدل على هذا العموم - والله أعلم - جمع "ثيابك" فلو أريد البدن وحده، أو القلب وحده، أو غير ذلك لقال: "وثوبك فطهر".

قال تعالى (وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ) (المدثر: ٥).

٦١ - الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (وَالرَّجْزَ)

(١) الأضنام، عن ابن عباس^(٢)، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة^(٣)، والزهري، وابن زيد^(٤).

(٢) أي: والمعصية والإثم، عن إبراهيم النخعي، والضحاك^(٥).

التعليق:

"الرجز الرء والجيم والزاء. أصلٌ يدلُّ على اضطرابٍ.. فأما الرَّجْزُ الذي هو العذاب، والذي هو الصنم، في قوله جل ثناؤه: (وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ) (المدثر: ٥). ، فذاك من باب الإبدال؛ لأن أصله السنين"^(٦).

(١) شرح العمدة، لابن تيمية (٤/٤٠٥-٤٠٨) بتصرف.

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٤١٠)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٣٨٢). كما في الدر المنثور (٨/٣٢٦).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/٤١١).

(٤) تفسير الطبري (٢٣/٤١١).

(٥) تفسير الطبري (٢٣/٤١٢).

(٦) مقاييس اللغة (٢/٤٠٦-٤٠٧). بتصرف.

قال الفراء: "الرجز: الأوثان، وفسره الكلبي: الرجز: بالعذاب، ونرى أنهما لغتان، وأن المعنى فيهما واحد"^(١).

"وقيل: الرجز في قوله تعالى: (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) الشُّرْكُ مَا كَانَ تَأْوِيلَهُ أَنَّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ فَهُوَ عَلَى رَيْبٍ مِنْ أَمْرِهِ واضطرابٍ من اعتقاده"^(٢).
"والرجز، بالكسر والضم: القدر، وعبادة الأوثان، والعذاب، والشرك"^(٣).
"فالرجز: العذاب، وأصله الثقل والحل. والأمر الشديد ينزل بالناس. والرجز: عبادة الأوثان، ويُقرأ باللغتين جميعاً. وهو الإثم أيضاً"^(٤).

نوع الاختلاف:

من باب المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن الرجز لفظ يطلق على الأصنام وعلى المعاصي، وأشار كل مفسر إلى معنى من هذه المعاني فاختلفت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

التأمل للعلاقة بين اجتناب الأصنام واجتناب الإثم، يجد أن الإثم أعم من الأصنام وليس الإثم من الأصنام، فالمعنيان وإن اختلفا إلا أن مؤداهما واحد.
فيكون المعنى: اهجر الأصنام وكل معصية وإثم^(٥) أو أي سبب يؤدي للعذاب؛ لأن الرجز قد يجيء بمعنى العذاب أو بما يقتضيه.
فتفسير الرجز بالأصنام تفسيرٌ للشيء بسببه، فعدم هجر الأصنام سبب للعذاب.

(١) معاني القرآن، للفراء (٢٠١/٣).

(٢) ينظر: لسان العرب (٣٤٨/٤). مادة (رجز)

(٣) القاموس المحيط (ص ٦٥٧). مادة (رجز).

(٤) المحيط في اللغة، الصحاح بن عباد (٢٣/٧). مادة (رجز)

(٥) وما ينبغي التنبيه إليه هنا: أنه لا يلزم أن يتلبس النبي ﷺ بشيء من ذلك، كقوله (أَلَتَّبِعُ أَمْرَ اللَّهِ وَلَا أَمْرَ بَشَرٍ)

(الأحزاب: ١)، (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) (١٤٢)

(الأعراف: ١٤٢)، ينظر: تفسير ابن كثير (٢٦٤/٨).

فبين قولي السلف تلازم حيث إن هجر المعصية والإثم من لوازمه هجر الصنم. وهكذا نجد أن جمع عبارات السلف هنا تعطي صورة لبعض الأسباب المؤدية للعذاب، قال ابن قتيبة: (وَالرُّجْزَ فَأَهْجُرُ) (المدثر: ٥). يعني الأوثان، سماها رجزاً-والرجز العذاب-لأنها تؤدي إليه^(١).

وتدخل الأصنام في القول الثاني للسلف وهو المعصية لأن أعظم المعاصي الشرك الذي هو عبادة الأصنام وغيرها من دون الله تعالى، والمقصود هنا هجر كل ما من شأنه أن يؤدي إلى العذاب.

قال السعدي: "يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل. ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمراً له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه"^(٢).

فالرجز من باب المشترك اللغوي فمن قال فاجتنبوا الرجز أي العذاب فيكون المراد اجتنبوا موجب العذاب وموجب العذاب هو عبادة الأصنام. ومن قال الرجز الأصنام فمن لازم عبادة الأصنام العذاب. فيكون المعنى اجتنب المعاصي ومن أعظم المعاصي عبادة الأصنام.

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٧١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٨٩٥.

٦٢- الأقوال الواردة في المقصود بقوله تعالى (وَلَا تَمَنَّيَنَّ تَسْتَكْثِرُ) (المدثر: ٦).

- ١) ولا تعط عطية لتعطى أكثر منها، عن ابن عباس^(١)، وأبي الأحوص^(٢)، وعكرمة، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة^(٣)، ومجاهد، وطاوس^(٤).
- ٢) لا تمن عملك تستكثره على ربك، عن الحسن، والربيع بن أنس^(٥).
- ٣) لا تضعف أن تستكثر من الخير، عن مجاهد^(٦).
- ٤) لا تمن بالنبوة على الناس، تأخذ عليه منهم أجراً، عن ابن زيد^(٧).

التعليق:

"(من) الميم والنون أصلان. أحدهما يدلُّ على قطع وانقطاع، والآخر على اصطناع خير. الأوَّل [المن]: القطع، ومنه يقال: مَنَنْتُ الحبلَ: قطعته. قال الله تعالى: (فَثَّةٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (التين: ٦). والمَنُون: المنية، لأنها تنقص العدد وتقطع المدد. والأصل الآخر المَنُّ، تقول: مَنَّ يَمِّنُّ مَمْنًا، إذا صنع صنْعاً جميلاً. ومن الباب المِنَّة، وهي القوَّة التي بها قوام الإنسان"^(٨).

"فالمَنُّ: الاعتداد؛ والمَنُّ: العطاء، والمَنُّ: القطع، والمَنُّ: الذي يسقط من السماء. والمِنَّةُ العطية والمِنَّةُ الاعتدادُ.

والمنين من الرجال: الضعيف؛ والمنين: القوي؛ وحبل منين، أي أخلق وتَقَطَّعُ"^(٩).

^(١) تفسير الطبري (٤١٢/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٦/٨).

^(٢) عوف بن مالك بن نضلة الجمشي بضم الجيم أبو الأحوص روى عن أبيه وأبي موسى وروى عنه أبو إسحاق وعبد الملك بن عمير وثقه ابن معين، قتل في ولاية الحجاج على العراق. ينظر: تهذيب الكمال (١٦٣/٢٧)، وتقريب التهذيب (ص: ٥١٨).

^(٣) تفسير الطبري (٤١٣/٢٣-٤١٤).

^(٤) تفسير الطبري (٤١٤/٢٣).

^(٥) تفسير الطبري (٤١٥/٢٣).

^(٦) تفسير الطبري (٤١٦/٢٣).

^(٧) تفسير الطبري (٤١٦/٢٣).

^(٨) مقاييس اللغة (٢١٤/٥). (مادة: من).

^(٩) تهذيب اللغة (٣٣٩/١٥). مادة (من)، وينظر: الصحاح في اللغة (٥٧/٦) مادة (من).

قال الراغب: " قوله (وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ) (المدثر: ٦) وذلك أن يمتن به ويستكثره، وقيل: معناه: لا تعط مبتغيا به أكثر منه"^(١).

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن تمنن لفظ مشترك بين أكثر من معنى وذكر كل مفسر معنى منها فاختلقت أقوالهم.

الجمع بين الأقوال:

التأمل للأقوال السابقة يجد أن القول الأول والثاني متقارب، والمعنى الثالث أن المراد تضعف فهو معنى مختلف عن الأول والثاني أي لا تضعف أن تستكثر من الخير، والقول الرابع قريب من القول الأول لكن القول الأول مرتبط بقضية دنيوية والقول الرابع مرتبط بقضية معينة وهو النبوة، بمعنى لا تمنن بالقرآن والنبوة تأخذ عليها عوض من الدنيا.

فالنبي ﷺ لم ييخل بهذا الوحي ولم يأخذ مقابله أجراً من الناس. كما في قوله تعالى (وَمَا هُوَ

عَلَىٰ أَلْفَيْبٍ بِضَنِينٍ) (التكوير: ٢٤) كما في القراءة الأخرى بمعنى ببخيل. وكما في قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) (الأنعام: ٩٠).

فالمنة في القول الأول والثاني والرابع واحدة وأما القول الثالث فهو مختلف.

فننظر هنا أن المنّة بمعنى لا تعط وفي قول آخر لا تضعف.

فسبب الاختلاف الاشتراك اللفظي فالعرب تطلق هذا المعنى وهذا المعنى فمرجع الخلاف هو اللغة. هل الآية تحتل معنى العطية ومعنى الضعف أو لا؟

لابد من التنبيه في التعامل مع أقوال السلف إلى اعتبار قول الجمهور، وقضية ثانية أيضاً أن يكون هذا المعنى هو المراد أولاً وتكون المعاني الأخرى تدخل إما تبعاً وإما أن تأتي بعد هذا المعنى.

فالجمهور أن هذه الآيات نزلت أول الدعوة فهذه آيات تربية ومنها (ولا تمنن تستكثر).

^(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢/٣٨٨).

فقولهم لا تعطي عطية لتعطي أكثر منها، هذا كأنه خلق الكفار والله سبحانه يريد أن يربي النبي ﷺ على مكارم الأخلاق. فهذا المعنى الذي ذكره متوجه وهو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يربي نبيه ﷺ على مكارم الأخلاق في قضية تشح فيها النفوس وهي قضية المال. هذا على القول الأول وهو قول الجمهور .

إذا نظرنا للقول الثاني (لا تمنن عملك على ربك تستكثر) أي لا تنظر أن عملك كثيرا وأنت تؤديه إلى ربك. وهذا يتوافق مع سياق الآيات لأنه كأنه إذا عمل هذا الأعمال التي ذكرها

الله عز وجل (قُرْ فَأَنْذِرْ ٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥) (المدثر: ٢-٤) فإنها ليست من الأعمال العظيمة التي يستكثر بها على الله عز وجل.

والمعنى الثالث الذي ذكره ابن زيد (لا تمنن بالنبوة) وهذا متحقق في النبي ﷺ فكل هذه المحامل في قول (ولا تمنن تستكثر) قد طبقها النبي ﷺ. بمعنى أن هذا النهي قد طبقه النبي ﷺ فلم يقع منه منة لا في مال ولا استكثر في عمل ولا طلب في مقابل هذا الوحي الذي أنزله الله إليه. وما قاله مجاهد محتمل أيضا. بمعنى (لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه) ولا شك أن هذا كان من شأن النبي ﷺ.

فإذا نظرنا إلى هذه المحامل في معنى الآية نجد أن السياق يحتملها كلها، وقد صدق كلها في حياة النبي ﷺ فلم يقع شيء من هذا النهي البتة.

"فيحتمل قوله : "تمنن" أن يكون بمعنى العطاء أو بمعنى المن وهو ذكر العطاء وشبهه ، أو بمعنى الضعف، فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان ، أحدهما : أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه ، قال بعضهم : هذا خاص بالنبي ﷺ ومباح لأُمَّته ، والآخر : لا تعط الناس عطاء وتستكثره ، لأن الكريم يستقل ما يُعطي وإن كان كثيراً .

وإن كان من المنّ بالشيء ففيه وجهان، الأول: لا تمنن على الناس بنبوتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه، الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك وتقع لك بها إعجاب .

وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك" (١).

(١) تفسير ابن جزي (٢٥٠٣/١).

فما دام هذه الأقوال كلها صحيحة ومحملة فالأولى هنا قبول كل هذه الأقوال على تنوعها وإن كان يمكن تقديم أحد هذه المعاني على غيره لاعتبار، فالطبري قدم القول الثاني وعلل له بقوله: "وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح.

وإنما قلت ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهنّ أمر الله نبيه ﷺ بالجدّ في الدعاء إليه، والصبر على ما يلقى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها" (١).

واحتج كذلك بقراءة عبد الله بن مسعود (ولا تمنن أن تستكثر) (٢).

فالطبري احتج هنا بالسياق والحجة الثانية قراءة ابن مسعود. وترك قول الجمهور لأجل هذا.

فلو جاء أحد ورجح القول الأول بناء على أنه قول الجمهور فهو صحيح. فنحن الآن في مقام ما هو القول الأولى ولسنا في مقام إبطال الأقوال الأخرى.

بناء على هذا حينما نتعامل مع التفسير بهذه الطريقة فلا يشغلنا هذا القول كيف نبطله وإنما نهتم بهذا القول ما هو وجهه. فإذا تبين لنا وجهه فهو أولى من أن نقول هذا القول ضعيف أو ليس بحجة.

(١) - تفسير الطبري (٢٣/١٦٤-٤١٧).

(٢) - ينظر: تفسير الطبري (٢٣/٤١٧). ومختصر الشواذ، لابن خالويه (ص ١٦٤).

٦٣- الأقوال الواردة في معنى قوله تعالى (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) (المدثر: ٧).

(١) ولربك فاصبر على ما لقيت فيه من المكروه، عن مجاهد، وابن زيد^(١).

(٢) اصبر على عطيتك، عن إبراهيم النخعي^(٢).

نوع الاختلاف:

التمثيل للفظ العام.

سبب الاختلاف:

لأن الصبر لفظ عام فذكر كل مفسر مثلاً على هذا العموم.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في سياق الآيات يجد أن قوله تعالى (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) عام في كل أنواع الصبر سواء كان الصبر على المكروه كما جاء في تفسير مجاهد وابن زيد، أو الصبر على عطيته كما ورد عن إبراهيم النخعي، وهو في تفسيره هذا ربطه بما قبله وجعله صبراً على العطاء من غير استكثار، أي: لا تعطي لتعطي أكثر منه اصبر على عطيتك وهو مما يدخل في الصبر على طاعة الله. ولكن المعنى الأول أقوى وأعم.

فالقولان الواردان هنا ليس القصد حصر المعنى في واحد منهما، بل هي أمثلة للعموم الوارد في الآية، لأن الصبر على ثلاثة أنواع:

١- صبر على طاعة الله.

٢- صبر عن معصية الله.

٣- صبر على أقدار الله.

ولما كان الصبر يشمل ذلك كله؛ فالأقوال كلها صحيحة لأن الصبر يتضمن معنى التحمّل للشيء الشاقّ، فيصبر ابتغاء وجه الله على كل شاقّ، سواءً على المكروه الذي يناله والأذى في سبيل الله، أو على طاعة الله وتبليغ الرسالة أو على العطاء لله.

(١) تفسير الطبري (٢٣/٤١٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/٤١٨).

قال تعالى (بِي كَانٍ لِأَيَّتِنَا عِنْدًا) (المدثر: ١٦).

٦٤- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (بِي عِنْدًا).

(١) جحودا. عن ابن عباس^(١).

(٢) معاندا للحق مجانباً له. عن مجاهد^(٢).

(٣) كفورا بآيات الله جحودا بها. عن قتادة^(٣).

(٤) مشاقفا، عن سفيان الثوري^(٤).

التعليق:

عنيد فاعل بمعنى فاعل .

قال ابن فارس: " (عند) العين والنون والذال أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على مجاوزةٍ وتركِ طريق الاستقامة. قال الخليل: عِنْدَ الرَّجُلِ، وهو عَانِدٌ، يَعْنُدُ عُنُودًا، إِذَا عَتَا وَطَغَى وَجَاوَزَ قَدْرَهُ. ومنه المعاندة، وهي أن يعرف الرجل الشيء، ويأبى أن يقبله. يقال: عِنْدَ فلانٍ عن الأمر، إِذَا حَادَ عَنْهُ. والعُنُودُ من الإبل: الذي لا يخالط الإبل، إنما هو في ناحية"^(٥).

"العنيد والعنود والمعاند المدافع بغير حق"^(٦).

"والعنيد: المعجب بما عنده، والمعاند: المباهي بما عنده. قال تعالى: (كُلُّ كَفَّارٍ عِنْدٍ)

(ق: ٢٤)، (بِي كَانٍ لِأَيَّتِنَا عِنْدًا) (المدثر: ١٦).. والعند فجمع عاند، وجمع العنود:

عندة، وجمع العنيد: عند. وقال بعضهم: العنود: هو العدول عن الطريق لكن العنود خص

(١) تفسير الطبري (٤٢٥/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٤٢٦/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٩/٨).

(٣) تفسير الطبري (٤٢٦/٢٣).

(٤) تفسير الطبري (٤٢٦/٢٣).

(٥) مقاييس اللغة (١٢٤/٤). مادة (عند).

(٦) معاني القرآن، للنحاس (٣٦٠/٣).

بالعادل عن الطريق المحسوس، والعنيد بالعادل عن الطريق في الحكم، وعند عن الطريق:
عدل عنه" (١).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

مادة "عند" تدل على المجاوزة وترك الاستقامة، والسلف لما فسروا هذه الآية كما تلاحظ وقع عندهم اختلاف في العبارة وإن كان المؤدى واحداً.

فالأقوال الواردة عنهم لا تخرج عن المعاني التي ذكرها اللغويون بل بينها علاقة وارتباط؛ فقول مجاهد -معاندا للحقّ مجانباً له- تفسير للفظ بمعناه في اللغة .

وأما من فسر عنيدا بمعنى "مشاقا" كما ورد عن سفيان، فهذا تفسير على المعنى لأن المشاق بمعنى المخالف ومن خالف آيات الله فقد جاوز الحد وترك الاستقامة.

وكذا بقية الأقوال فهي تفسير على المعنى، لأن من عاند الحق وجانبه، فقد كفر به ولاشك أن من كفر بالشيء فقد جحده.

فالمعاندة، هي أن يعرف الرجل الشيء، ويأبى أن يقبله.

و هذا كله قد حصل من الوليد بن المغيرة فقد كان معانداً لآيات الله كافراً جاحداً مشاقاً لها.

و عليه فهذه الأقوال كلها محتملة في الآية.

(١) مفردات ألفاظ القرآن (١٢٩/٢).

قال تعالى (سَأَرْهُقُهُ تِي) (المدثر: ١٧).

٦٥- الأقوال الواردة في المراد بقوله (تي).

١) "الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي كَذَلِكَ مِنْهُ أَبَدًا". عن أبي سعيد عن النبي ﷺ^(١).

٢) صعود صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه. عن ابن عباس^(٢).

٣) مشقة من العذاب. عن مجاهد^(٣)، وقتادة^(٤).

٤) أي عذاباً لا راحة فيه. عن قتادة^(٥).

٥) تعباً من العذاب. عن ابن زيد^(٦).

التعليق:

الصعد والصعيد والصعود في الأصل واحد، ويستعار لكل شاق. وقد سبق بيانه في سورة

الجن عند قوله تعالى (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا) (الجن: ١٧).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

^(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب (التفسير)، باب (سورة المدثر) ح (٣٣٢٦) (٥/ ٤٢٩). قال عنه الألباني:

ضعيف. ينظر: سنن الترمذي (٥/ ٤٢٩).

^(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٣/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٦/٨).

^(٣) تفسير الطبري (٤٢٧/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٢/١٠). كما في الدر المنثور (٣٢٩/٨).

^(٤) تفسير الطبري (٤٢٨/٢٣).

^(٥) تفسير الطبري (٤٢٧/٢٣).

^(٦) تفسير الطبري (٤٢٨/٢٣).

الجمع بين الأقوال:

الصعود يدل على المشقة والكلفة، والمتأمل لأقوال السلف يجد أن هذا المعنى-وهو المشقة- ظاهر فيها.

فما روي أن صعودا جبل في النار فهذه الرواية فيها ضعف، وعلى فرض صحتها فهذه الرواية لا تعارض المعنى اللغوي، لأن الصعود على هذا الجبل هو من المشقة التي تحصل لهذا الكافر.

وتعبيرات السلف عن "صعودا" وإن اختلفت في العبارة فالمعنى واحد، وهو عذاب لا راحة فيه سواء كان صعودا جبل في جهنم أو غيره من أنواع العذاب .

قال تعالى (لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ) (المدثر: ٢٩).

٦٦- الأقوال الواردة في المقصود بـ (لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ)

- ١) تفتح الجلد لفحة، فتدعه أشدّ سوادا من الليل. عن أبي رزين^(١).
- ٢) أي تلوّح أجسادهم عليها. عن زيد بن أسلم^(٢).
- ٣) حرّاقة للجلد. عن ابن عباس^(٣)، و قتادة، والضحاك^(٤).
- ٤) تغير البشر، عن ابن زيد^(٥).
- ٥) غيرت جلودهم فاسودّت. عن أبي رزين^(٦).

التعليق:

"لَوْاحَةٌ فَعَّالَةٌ ، من اللّوح وهو تغيير الذات من ألمٍ ونحوه"^(٧).

قال الفراء: "وقوله: (لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ) تسوّد البشرة بإحراقها"^(٨).

"والتلويح هو تغيير لون الجلد من مُلَاقَاةِ حَرِّ النَّارِ أَوْ الشَّمْسِ. وَقَدْ حُ مَلَّوْحٌ: مُعَيَّرٌ بِالنَّارِ وَكَذَلِكَ نَصَلُّ مَلَّوْحٌ. وَلَوْحَتُهُ الشَّمْسُ: غَيَّرْتَهُ وَسَفَعَتْ وَجْهَهُ"^(٩).

وقال الزجاج: "البشر جمع بشرة، أي: تحرق الجلد حتى يسوّد"^(١٠).

ويقال: لَوَّحَهُ الحَرُّ غَيَّرَهُ، وذلك إذا حرّقه وسوّدّه حتّى لاح من بُعدٍ لمن أبصره"^(١١).

"ولواحة : معرضة ، أو حرّاقة ، أو مسودة لأعالي الجلد ، أو لائحة للناس"^(١).

^(١) تفسير الطبري (٤٣٤/٢٣).

^(٢) تفسير الطبري (٤٣٤/٢٣).

^(٣) تفسير الطبري (٤٣٤/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٣/١٠). كما في الدر المنثور (٣٣٢/٨).

^(٤) تفسير الطبري (٤٣٥-٤٣٤/٢٣).

^(٥) تفسير الطبري (٤٣٥/٢٣).

^(٦) تفسير الطبري (٤٣٥/٢٣).

^(٧) التحرير والتنوير (٣١٢/٢٩).

^(٨) معاني القرآن، للفراء (٢٠٣/٣).

^(٩) تاج العروس (١٠٣/٧).

^(١٠) معاني القرآن، وإعرايه (٢٤٧/٥).

^(١١) ينظر: مقاييس اللغة (١٧٨/٥) مادة: لوح. و مفردات ألفاظ القرآن (٣٥١/٢).

نوع الاختلاف:

التعبير عن المعنى بألفاظ متقاربة.

سبب الاختلاف:

لأنه لا يمكن بحال ومع اتحاد المعنى أن يأتي المفسر بمثل الكلمة القرآنية في مقامها، إذ إن ما يأتي به إنما هو تقريب للمعنى المراد لا تحديداً دقيقاً له، لذا اختلفت أقوال المفسرين.

الجمع بين الأقوال:

لو أردنا تحرير الخلاف في هذه المسألة لوجدنا أن محل الاختلاف مبني وراجع إلى: إلى المراد بـ"لواحة للبشر".

فقد ذهب بعض المفسرين كأبي رزين أن المراد بـ"لواحة للبشر" أنها تلفح الجلد لفحة، فتدعه أشدّ سواداً من الليل. وعنه أيضاً: غيرت جلودهم فاسودّت.

وقال زيد بن أسلم: تلوّح أجسادهم عليها.

وورد عن ابن عباس وقتادة والضحاك حرّاقة للجلد.

وعن ابن زيد تغير البشر.

ومن الملاحظ في هذه الأقوال تقاربها في التعبير عن معنى لَوّاحة.

فمن قال تلفح الجلد، ومن عبّر بأنها غيرت جلودهم فاسودت، فالعلاقة بينهما: أن الجلد لا يتغير بالسواد إلا إذا لفحته النار.

وأما قولهم حرّاقة للجلد فهو من باب التفسير باللازم، لأن هذه الجلود إنما تتغير وتَسود إذا احترقت.

فالأقوال السابقة كلها تعود إلى معنى مغيّرة، عدا قول زيد بن أسلم لما قال: تلوّح أجسادهم عليها. فالمراد به أن تعرض أجسامهم على النار. لأن من معاني لَوّاحة بمعنى معرضة.

فمن فسر بمغيّرة فالمراد بالبشر الجلد، ومن فسر بمعرضة فالمراد بالبشر الناس.

فالمراد الأول هو الأرجح وإليه ذهب جمهور المفسرين، إلا أن الآية تحتمل كلا المعنيين فلا تعارض بينهما فأجساد الناس تعرض على النار، فتغير جلودهم بإحراقها. والعياذ بالله.

(١) الكليات (ص: ٨٠١).

قال تعالى (لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) (المدثر: ٣١).

٦٧- الأقوال الواردة في الشيء الذي يستيقن منه أهل الكتاب:

(١) ليستيقن أهل الكتاب عدد الخزنة لموافقته التوراة والإنجيل. عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك^(١).

(٢) ليستيقن أهل الكتاب أن محمد ﷺ نبي. عن ابن زيد^(٢).

نوع الاختلاف:

من باب التفسير باللازم.

سبب الاختلاف:

لأن المفسر فسر اللفظة بلازم المراد منها، من أجل التنبيه على أن معنى الآية غير قاصر على مجرد المعنى الأصلي بل يشمل غيره.

الجمع بين الأقوال:

اختلف السلف في الشيء الذي يستيقن منه أهل الكتاب فقال بعضهم:

- يستيقنوا عدد خزنة النار لأنه يكون موافقاً لما في كتبهم. وهذا قول جمهور السلف.

- والقول الآخر وهو ما ورد عن ابن زيد يستيقنوا أن محمد ﷺ رسول الله لما جاء به من موافقة عدة الخزنة.

وبين هذين القولين تلازم واضح لأن أهل الكتاب إذا استيقنوا عدد الخزنة لكونه موافقاً لكتبهم يلزم منه أن يتيقنوا أن من أنبأهم بذلك فهو نبي؛ لكونه جاء بما يوافق كتبهم.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٣٨-٤٣٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/٤٣٩).

قال تعالى (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) (المدثر: ٣٦).

٦٨- الأقوال الواردة في الموصوف بقوله تعالى (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ)

(١) عُنِيََ بِذَلِكَ النَّارِ، عَنِ الْحَسَنِ (١).

(٢) ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ عَنِ نَفْسِهِ يَقُولُ اللَّهُ: أَنَا لَكُمْ مِنْهَا نَذِيرٌ فَاتَّقَوْهَا. عَنِ أَبِي رَزِينٍ (٢).

(٣) مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ ابْنِ زَيْدٍ (٣).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطئ.

سبب الاختلاف:

لأن نذيراً للبشر وصف صالح لأكثر من موصوف.

الجمع بين الأقوال:

اختلفت عبارات السلف في المقصود بـ (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ)، ففسره الحسن بالنار، وأما القول الثاني وهو قول أبي رزين أن المراد به أن الله ينذرهم يقول: أنا لكم منها نذير فاتقوها. والقول الثالث أن نذيراً وصف للرسول ﷺ وهو قول ابن زيد.

فالخلاف بين هذه الأقوال في الموصوف بـ (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) فذكر السلف ما يروونه أنسب من غيره من الموصوفات، وهذه الموصوفات تتواطأ على هذا الوصف.

فإذا كان ذلك من صفة الله تعالى وهو خير من الله عن نفسه، أنه نذير لخلقه، فيكون معنى الكلام: وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة نذيرا للبشر، يعني: إنذارا لهم. وإذا كان من صفة رسول الله ﷺ فمعنى الكلام: قم نذيرا للبشر فأنذر.

(١) تفسير الطبري (٤٤٥/٢٣).

(٢) تفسير الطبري (٤٤٦/٢٣).

(٣) تفسير الطبري (٤٤٦/٢٣).

وإذا عُنيَ بذلك النار فهي النذير: كما قال الحسن: والله ما أنذر الناسُ بشيءٍ أدهى منها، أو بداهية هي أدهى منها.

وبناء على هذا فالآية صالحة لأن تحمل على كل ما قيل فيها، فكل قول منها متحقق فيه معنى الإنذار، لأن نذيراً وصف صالح لأكثر من موصوف. "فإن كان من وصف النار، جاز أن يكون خيراً وخير مبتدأ محذوف، أي هي نذير. وإن كان من وصف الله أو الرسول ﷺ، فهو على إضمار هو" (١).

(١) تفسير البحر المحيط (٣٧٠/٨)، وينظر: تفسير الثعلبي (٧٦/١٠).

قال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَئِيَّةٌ) (المدثر: ٣٨-٣٩).

٦٩- الأقوال الواردة في المقصود بأصحاب اليمين في هذا الموضوع:

(١) هم أطفال المسلمين، عن علي رضي الله عنه ^(١).

(٢) هم الملائكة. عن ابن عباس ^(٢).

نوع الاختلاف:

من قبيل المتواطىء.

سبب الاختلاف:

لأن اليمين وصف لم يحدد موصوفه، وذكر كل مفسر موصوفاً يصدق عليه هذا الوصف.

الجمع بين الأقوال:

التأمل للفظ "أصحاب اليمين" الوارد في الآية يجد أنه وصف لم يحدد موصوفه، وأن كل مفسر ذكر موصوفاً يصدق عليه هذا الوصف، فمفسر بعضهم أصحاب اليمين بالملائكة، كما ورد عن ابن عباس، والقول الآخر أنهم أطفال المسلمين كما ورد عن علي رضي الله عنه، وكلا القولين يتواطآن على وصف اليمين، فليس بينهما تناقض، ولذا قال الطبري: "وإنما قال من قال: أصحاب اليمين في هذا الموضوع: هم الولدان وأطفال المسلمين ^(٣)، ومن قال: هم الملائكة،

^(١) تفسير الطبري (٤٤٩/٢٣). ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٥/١٠). كما في الدر المنثور (٣٣٦/٨).

^(٢) تفسير الطبري (٤٥٠/٢٣).

^(٣) إن تخصيص أولاد المسلمين يشير إلى مسألة أولاد المشركين فحكمهم: أن الذين لم يبلغوا الحلم كلهم أمرهم إلى الله، فالله يعلم بما كانوا عاملين، كما أجاب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لمن سأله عنهم، قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين». أخرج البخاري في صحيحه كتاب الجنائز، باب (ما قيل في أولاد المشركين)، ح (١٣١٧) (٤٦٥/١)، صحيح مسلم كتاب (القدر) باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) ح (٢٦٥٨) (٤/٢٠٤٨). يوم القيامة يظهر أمرهم بما كانوا عاملين بالامتحان، فمن نجح منهم دخل الجنة، ومن لم ينجح دخل النار. وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم وجماعة من السلف والخلف رحمة الله عليهم جميعاً. وقد بسط العلامة ابن القيم - رحمه الله - الكلام في حكم أولاد المشركين في آخر كتابه ((طريق المهجرتين)) تحت عنوان ((طبقات المكلفين)) (ص ٥٧٢). و ينظر: مجموع فتاوى ابن باز (٣ / ١٦٣-١٦٤).

لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين (مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ) (المدثر: ٤٢) إلا أنهم لم يقتربوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقتربوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سقر، لأن كل من دخل من بني آدم ممن بلغ حد التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية"^(١).

وما ذهب إليه الطبري هو المتجه لأن أطفال المسلمين وكذلك الملائكة لا يكون لهم ذنوب فيرتنون بها، وعلى هذين القولين يكون الاستثناء منقطعاً.

^(١) تفسير الطبري (٢٣/٤٥٠-٤٥١).

قال تعالى (كَانَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾) (سورة المدثر: ٥٠-٥١).

٧٠- الأقوال الواردة في المقصود بقوله (قَسْوَرَةٍ)

(١) الرمّاة، عن ابن عباس من طريق عطية عطاء^(١)، وأبي موسى الأشعري^(٢)، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة^(٣).

(٢) القنّاص، عن ابن عباس من طريق عطية العوفي، وسعيد بن جبيرة^(٤).

(٣) هم جماعة الرجال، عن ابن عباس من طريق أبي حمزة^(٥).

(٤) أصوات الرجال، عن ابن عباس من طريق عطية^(٦).

(٥) هو الأسد، عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة^(٧)، وزيد بن أسلم، وابن زيد^(٨).

التعليق:

قال ابن فارس: "القاف والسين والراء يدلُّ على قَهْرٍ وَغَلْبَةٍ بشدة. من ذلك القَسْرُ: الغَلْبَةُ والقَهْرُ. يقال: قَسَرْتُهُ قَسْرًا، واقتسَرْتُهُ اقتسارًا. وبعيرٌ قَيْسِرِيٌّ: صُلْبٌ. والقَسْوَرَةُ: الأسد، لِقُوَّتِهِ وَغَلْبَتِهِ"^(٩).

وقيل: القسورة: هو الأسد، وقيل: الرامي، وقيل: الصائد^(١٠).

(١) تفسير الطبري (٤٥٥/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٥/١٠). كما في الدر المنثور (٣٣٩/٨).

(٢) تفسير الطبري (٤٥٥/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٥/١٠). كما في الدر المنثور (٣٣٩/٨).

(٣) تفسير الطبري (٤٥٥/٢٣-٤٥٧).

(٤) تفسير الطبري (٤٥٧/٢٣).

(٥) تفسير الطبري (٤٥٨/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٥/١٠). كما في الدر المنثور (٣٣٩/٨). وأبو حمزة: هو عمران بن أبي عطية الواسطي. سمع ابن عباس، ومحمد ابن الحنفية وهو قليل الحديث، صدوق ولاؤه لبني أسد. القصاب الواسطي يباع القصب، وقال عنه أبو حاتم والنسائي: ليس بقوي. ينظر: تهذيب الكمال (٣٤٢/٢٢-٣٤٣)، وسير أعلام النبلاء (٣٨٧/٥).

(٦) تفسير الطبري (٤٥٩/٢٣).

(٧) تفسير الطبري (٤٦٠/٢٣)، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٨٥/١٠). كما في الدر المنثور (٣٣٩/٨).

(٨) تفسير الطبري (٤٦٠/٢٣).

(٩) مقاييس اللغة (٧٣/٥) مادة: قسر.

(١٠) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن (٢٤١/٢).

"فَقَسُورَةٌ فَعَوْلَةٌ مِنْ الْقَسْرِ، فالعنى كأنهم حُمُرٌ أَنْفَرَهَا مَنْ نَفَّرَهَا بِرَمِيٍّ أَوْ صَيْدٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ".^(١)

"وَالْقَسُورَةُ : قِيلَ : الصَّائِدُ . وَقِيلَ : ظِلْمَةُ اللَّيْلِ . وَقِيلَ : الْأَسَدُ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ^(٢) :

مُضَمَّرٌ تَحَذَّرُهُ الْأَبْطَالُ ... كَأَنَّهُ الْقَسُورَةُ الرَّبَابُ .

أي : الأسد ، وقيل : عَصَبُ الرِّجَالِ ، وَأَنشَدَ ابْنُ عَبَّاسٍ :

يَا بِنْتُ ، كَوَيْيَ خَيْرَةَ لِحَيْرَةٍ ... أَحْوَالُهَا فِي الْحَيِّ أَهْلُ الْقَسُورَةِ^(٣) .

وقيل : هم الرُّمَاءُ ، وَأَنشَدُوا لِلْبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ^(٤) :

إِذَا مَا هَتَفْنَا هَتَفَةً فِي نَدِينَا ... أَتَانَا الرِّجَالُ الْعَانِدُونَ الْقَسَاوِرُ^(٥) .

فالعرب تطلق لفظ قسورة على الأسد، وعلى الرجال، وعلى الرماة.

نوع الاختلاف:

من قبيل المشترك اللفظي.

سبب الاختلاف:

لأن قسورة لفظ مشترك بين أكثر من معنى ، وذكر كل مفسر معنى منها فاختلفت أقولهم.

الجمع بين الأقوال:

الناظر في أقوال اللغويين في معنى قسورة يجد أنه يطلق على: الأسد، والرماة، وعلى جماعة الرجال فهو من المشترك اللفظي، ولما كان قسورة مشتركاً بين هذه المعاني جاء كل قولٍ منها دالاً على أحد هذه المعاني، فلا منافاة بين أقوال السلف والمعنى اللغوي كما هو ظاهر.

(١) لسان العرب (٩١/٥) مادة: قسر.

(٢) لم أفق على قائل هذا البيت.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٨٩/١٩).

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أبو عقيل، أحد الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية، من أهل عالية نجد، أدرك الإسلام، ووفد على الرسول ﷺ، وترك الشعر، فلم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، قيل: هو:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه المرء يصلحه المجلس الصالح.

مات سنة ٤١ هـ. ينظر: طبقات فحول الشعراء، (١/١٢٣)، والشعر والشعراء، (١/٢٧٤).

(٥) هذا البيت من متفرقات نسبت إلى لبيد، وذكرت في آخر الديوان. والرواية فيه "الصائدون" بدلاً من "العائدون" وهو في القرطبي "العائدون"، وفي البحر المحيط "الصائدون" وفي فتح القدير "العابدون".

وهذه المعاني وإن كانت مختلفة، لكن لا مانع من اجتماعها حيث أن الحُمُر الوحشية تنفر من تلك الأمور جميعاً، سواء أنفرها رمي أو صيد أو غير ذلك. فهي إذا رأت الرامي فرت، وإذا رأت الأسد فرت، وإذا رأت جماعة الرجال، أو سمعت أصواتهم فرت.

يقول ابن تيمية: "ومن التنازع الموجود عندهم -يقصد السلف- ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين؛ لكونه مشتركاً في اللفظ كلفظ (قَسَّوْرَقِم) الذي يراد به الرامي، ويراد به الأسد"^(١).

وما دام اللفظ صالحاً للمعاني كلها بدون تناقض؛ وليس عندنا قرينة تؤيد أحدها، فإنه يحمل عليها جميعاً.

^(١) مقدمة في أصول التفسير (ص ٤٩).

خاتمة البحث

أحمد الله سبحانه وأشكره على أن وفقني لإتمام هذا البحث وأسأله سبحانه أن يزيدني من فضله ومنّه؛ إنه جواد كريم.

وبعد:

فقد عشت مدة من الزمن مع هذا الموضوع الشيق الممتع، أتأمل أقوال مفسري السلف، وأغوص في دقائقها، وأجلي غوامضها، وقد خلصت إلى جملة من النتائج أذكر أبرزها فيما يلي:

- تفسير السلف أصل أصيل وركن ركين من أصول التفسير، ولا يجوز لطالب الحق إهماله أو تركه، إذ بتركه وإهماله يقع الباحثون في مزالق خطيرة، وأخطاء كبيرة.
- ضرورة معرفة الباحثين أساليب السلف وطرقهم ومناهجهم في تفسير الآيات، إذ بهذه المعرفة ترتقي مدارك الباحث، وتربى عنده ملكة يحسن بها فهم كتاب الله، وأن عدم معرفة طرقهم في التعبير عن المعاني من أكبر العوائق التي تحول دون فهم كلامهم، كما أن الجهل بها يوقع في إيهام الخلاف وكثرته بينهم، كما يوقع أيضاً في تخطئتهم بدون وجه حق.
- ومما ظهر لي: أن اختلاف التنوع فيه إثراء للتفسير، كما فيه معرفة وجهة الأقوال وأسبابها، مما يجعل الباحث مدركاً للاختلاف، وعارفاً بما يمكن حمله على الآية وما لا يمكن؛ وإذا كان ذلك كذلك فمعرفة من الأهمية بمكان.
- وظهر لي: أن الاختلاف في التفسير عند السلف أقل منه عند المتأخرين.
- وظهر لي: أن الآية إن كانت تحتل معاني كثيرة كلها صحيحة تعين الحمل على الجميع.
- عرفتُ بالتفسير اللفظي، والتفسير على المعنى، وذكرت أن الغالب على تفسير السلف التفسير بالمعنى وأنه يتنوع إلى تفسير باللازم وتفسير بجزء المعنى، وبالمثال.
- التفسير باللازم فيه توسيع للدلول الآية، وتنبية على ما حذف من الكلام.
- عدول المفسر إلى التفسير بجزء المعنى قد يكون دافعه سبب التزول.
- التفسير بالمثال من أكثر الأساليب استعمالاً في تفسيرات السلف، ولا يستفاد منه التخصيص أو الحصر.

- احتمال النص القرآني لمعان متعددة من أهم الأسس التي يقوم عليها فهم الخلاف بين السلف، ويعرف بها كيفية التعامل مع خلافهم.
- اختلاف المفسرين في التعبير عن المعنى الواحد راجع إلى تعدد الوجوه التي منها تختلف العبارات؛ كالتعبير عن الشيء باسمه أو نسبه ونحو ذلك، وأن تعدد العبارات يكون لأحد أمرين؛ إما لأن الشيء في نفسه لا يمكن إبرازه إلا بالعبارات الدالة على أوصافه؛ وإما لأن الشيء له تركيبات وأحوال، فتختلف العبارات باختلاف أحواله وتركيباته.
- إن كانت الأقوال المذكورة يمكن ردها لمعنى عام يجمعها، أو كان في الأقوال قول مستلزم ما عداه، أو كان الخلاف بينها في مجرد العبارة، لم يكن مؤثراً في حكاية الإجماع ولا دافعا لصحته.
- جمع عبارات السلف وعدم الاقتصار على بعضها يجلي الصورة الكاملة للمعنى ويزيده وضوحاً وجلاءً.
- إذا كان التفسير الوارد عن السلف تفسيراً على المعنى، فإنه لا يخالف التفسير على اللفظ، ومن هذا المنطلق؛ فإن معرفة القارئ لطريقة السلف في التفسير على المعنى نافعة جداً؛ حيث يسهل عليه معرفة وجهة أقوالهم، ومعرفة مخرجها وسبب ذلك التفسير، وبهذا يكون قد أراح نفسه من عناء التخطئة، وتكلف الرد.
- وقد بينت أنه لو عمد مفسر متأخر إلى إضافة قول آخر لم يرد عن السلف في تفسير الآية، فإنه لا يقبل إلا إذا كان موافقاً للضوابط التالية:
- أن لا تناقض ما جاء عن السلف.
- أن يكون المعنى المُفسَّرُ به صحيحاً.
- أن تحتل الآية المعنى في السياق.
- أن لا يُقصرَ معنى الآية على هذا المحتمل دون غيره.
- كما ظهر لي: أن الترجيح في اختلاف التنوع يكون لبيان المعنى الأولي، ولا يلزم رد ما عداه.
- أن اختلاف التنوع هو الغالب على تفسير السلف، وقد ظهر ذلك من خلال الاستقراء الذي قمت به، من خلال دراستي لتفسير ابن جرير وغيره من التفاسير.

- احتمال النص القرآني لمعان متعددة راجع إلى ثلاثة أسباب رئيسة هي: كون القرآن كتاباً معجزاً، وكونه بلغة العرب، وكونه كتاب هداية للعالم أجمع على مر الزمان. ومن أهم التوصيات:
- الاهتمام بالآثار الصحيحة الواردة عن السلف في التفسير، واستنباط القواعد والفوائد منها أمر مفيد لكل من ينشد الحق، ويبحث عنه.
- ضرورة تبني الجامعات والمحافل العلمية لموضوع الاختلاف في التفسير، وإتاحة دراسته التطبيقية للباحثين ليفيدوا من طرائق السلف وأساليبهم في التفسير، وليكتسبوا الخبرة الكافية بأصل من أهم أصول التفسير.
- ضرورة عمل موسوعي يجمع جميع ما صحَّ من أقوال السلف في تفسير كتاب الله عز وجل كـله.
- يوصى بعدم المسارعة إلى تخطئة مفسري السلف، ورد أقوالهم دون تثبيت وروية، ودون فهم لمقاصدهم وطرائقهم.
- وأخيراً:
- هذه هي أهم النتائج والتوصيات التي خلص إليها البحث، وهناك غيرها من النتائج الجزئية التي لا يعدم الناظر في هذا البحث من الوقوف عليها، وأرجو أن أكون قد وفقت في خدمة هذا الموضوع، وإبراز كثير من معالمه، ولست أدعي الإحاطة بكل جوانبه، ولكنني حاولت الإمام بأهم أسسه ومسائله، مع قلة البضاعة، والله أسأل أن يسدَّ خللي، ويتمَّ عليَّ نعمته، ويجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به وأن يكون في ميزان حسناتي يوم ألقاه، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

وتشمل الفهارس التالية:

- ١ . فهرس الآيات.
- ٢ . فهرس الأحاديث النبوية مرتبة على حروف الهجاء.
- ٣ . فهرس الأعلام.
- ٤ . فهرس الفرق.
- ٥ . فهرس الأماكن و البلدان.
- ٦ . فهرس الأبيات الشعرية.
- ٧ . فهرس المصادر والمراجع .
- ٨ . فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١	الفاتحة	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	٥	٦١
٢	الفاتحة	﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٧	٩٩
٣	الفاتحة	﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٢٠٤
٤	البقرة	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يَرْجُونَ رَبَّهُمْ﴾	١	٢٢٠-٢٩٥
٥	البقرة	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	٣	٩٤-٩٨-٥٦ ١٨٨-١٤١ ٢٥٥-١٩٤
٦	البقرة	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾	١٦	١٩١
٧	البقرة	﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ..﴾	١٩	٥٤
٨	البقرة	﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٢	٢١٨
٩	البقرة	﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾	٢٥	١٣٨-٢٥٦
١٠	البقرة	﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ءَأَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٢٧	٢٥٧-٨١
١١	البقرة	﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٠	١٣٨-٣٠
١٢	البقرة	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	٢٦٥
١٣	البقرة	﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	٣١	٩٧
١٤	البقرة	﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرِينَ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَابَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِنُونَ﴾	٤١	١٦٤
١٥	البقرة	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ...﴾	٤٤	٥٤
١٦	البقرة	﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	٤٥	١٦١
١٧	البقرة	﴿وَلَا لَهُمْ يُنصَرُونَ﴾	٤٨	٦١
١٨	البقرة	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾	٤٩	١٠٢-١٠١

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤٩)		
١٩	البقرة	﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى﴾	٥٧	١٩٧ - ٩٢
٢٠	البقرة	﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾	٥٨	١٩١
٢١	البقرة	﴿حُدُوا مَاءَ آتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾	٦٣	٦١
٢٢	البقرة	﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شَبِيحَ فِيهَا﴾	٧١	١٩٧ - ١٨٦
٢٣	البقرة	﴿وَأَحْطَّتْ بِهِءَ حَاطَتُهُ...﴾	٨١	١٩٧
٢٤	البقرة	﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾	٩٩	٢٢٠
٢٥	البقرة	﴿أَوْ كَلِمَاتٍ عَلَهُدًا وَعَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾	١٠٠	٦١
٢٦	البقرة	﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾	١٠٢	١٢٠ - ١٢١ - ١٥٤
٢٧	البقرة	﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ...﴾	١٢٥	٦١
٢٨	البقرة	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾	١٢٥	١٩١
٢٩	البقرة	﴿وَأَرْنَا مَنَا سَكْنَا﴾	١٢٨	٢٤٠ - ١٥٥
٣٠	البقرة	﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾	١٣٥	١٢٢
٣١	البقرة	﴿... وَإِنْ نَزَلُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ...﴾	١٣٧	٦١
٣٢	البقرة	﴿فَأَذْكُرُوا فِي آذَانِكُمْ﴾	١٥٢	٥٦ - ٤٠
٣٣	البقرة	﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾	١٦٦	٢٢١
٣٤	البقرة	﴿خُطُوتِ الشَّيْطَانِ﴾	١٦٨	١٠٥
٣٥	البقرة	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٧٣)	١٧٣	٢١٧ - ١٣١
٣٦	البقرة	﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾	١٧٦	١٨
٣٧	البقرة	﴿وَرَأَىٰ أَمْوَالَ عَلَىٰ حِيَةٍ﴾	١٧٧	١٦٣
٣٨	البقرة	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	١٨٠	١٣٤
٣٩	البقرة	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن	١٨٣	١٥٧

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿قَبْلِكُمْ﴾		
٤٠	البقرة	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	٦٣ - ١٠٢
٤١	البقرة	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	١٨٦
٤٢	البقرة	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٢٣٥
٤٣	البقرة	﴿فَمَا اسْتَسْرَرَ مِنْ أَلْهَدِي﴾	١٩٦	٦٨
٤٤	البقرة	﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾	١٩٧	٩٨
٤٥	البقرة	﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَكَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَكَةٌ﴾	٢٠١	٩١ - ٢٦١
٤٦	البقرة	﴿..وَهُوَ الذُّ الْخِصَامُ﴾	٢٠٤	٥٤
٤٧	البقرة	﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ دِمْنَكُمْ عَن دِينِهِ فِيمَتَّ وَهُوَ كَاِفِرٌ فَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾	٢١٧	١٣٠
٤٨	البقرة	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾	٢١٧	١٣٤
٤٩	البقرة	﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ﴾	٢١٩	١٣٤
٥٠	البقرة	﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾	٢٢١	١٣١
٥١	البقرة	﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾	٢٢٨	١١٢ - ١١٩
٥٢	البقرة	﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَأَمَّا الْكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾	٢٢٩	٢٦٣
٥٣	البقرة	﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾	٢٣٠	٢٦٣
٥٤	البقرة	﴿لَا تُضَاَرُّ وَالدَّةُ يُؤَلِّدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُؤَلِّدُهَا﴾	٢٣٣	١٣٨ - ١٥٦
٥٥	البقرة	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾	٢٣٤	١٣٤
٥٦	البقرة	﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾	٢٣٧	٢١٨
٥٧	البقرة	﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	٢٣٨	٨٨ - ٨٩
٥٨	البقرة	﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لَأَزْوَاجِهِمْ مَتَلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾	٢٤٠	١٣٤

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٥٩	البقرة	﴿وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾	٢٥٣	١٨
٦٠	البقرة	﴿وَلَا يُحِيطُوْنَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ اِلَّا بِمَا شَاءَ﴾	٢٥٥	٢٤٨
٦١	البقرة	﴿يَعْلَمُوْنَ مَا بَيْنَ اَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾	٢٥٥	٢٤٩
٦٢	البقرة	﴿وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ اَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَاَتَتْ اُكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَاِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلَّ﴾	٢٦٥	٨٨
٦٣	البقرة	﴿لَا اِكْرَاهَ فِي الدِّيْنِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوْتِ وَيُؤْمِنْ بِاللّٰهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا اَنْفِصَامَ لَهَا وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ﴾ ﴿٥١﴾	٢٦٥	٩٣ - ١٩٣
٦٤	البقرة	﴿وَمَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ اَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللّٰهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ اَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّتٍ بِرَبْوَةٍ اَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَاَتَتْ اُكْلَهَا ضَعْفَيْنِ فَاِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَاِبِلٌ فَطَلَّ﴾	٢٦٥	١٠٠
٦٥	البقرة	﴿الشَّيْطٰنُ يَعْزَمُ الْفَقْرَ وَيَاْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاۗءِ﴾	٢٦٨	٢٦٠
٦٦	البقرة	﴿يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاۗءُ﴾	٢٦٩	٨٦ - ٢٣٨
٦٧	البقرة	﴿اَيَسَّ عَلَيَّكَ هُدٰهُمُ﴾	٢٧٢	٢٨٦
٦٨	البقرة	﴿لِلْفُقَرَاۗءِ الَّذِيْنَ اُحْصِرُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَا يَسْتَطِيْعُوْنَ ضَرْبًا فِي الْاَرْضِ﴾	٢٧٣	٩٥ - ٢٠٥ ٢٠٦
٦٩	البقرة	﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾	٢٨٢	١٣٨ - ١٥٥
٧٠	البقرة	﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اِذَا تَدٰۤاَيْنٰنَا بِدِيْنٍ اِلَىٰٓ اَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوْهُ﴾	٢٨٢	٢٣٣
٧١	آل عمران	﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوْا اللّٰهَ حَقَّ تَقٰۤاَتِهٖۚ وَلَا تَمُوْنُوْا اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ﴾ ﴿١٠٢﴾	٣	١
٧٢	آل عمران	﴿... وَمِنْهُ ءَايٰتٌ مُّحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَاٰخِرُ مَثٰۤاِبِهِنَّ﴾	٧	٥٨ - ٩٤
٧٣	آل عمران	﴿وَمَا يَعْزِمُ تَاۤوِيْلُهٗٓ اِلَّا اللّٰهُ وَالرَّسِيْخُوْنَ فِي الْعِلْمِ يَقُوْلُوْنَ ءَاْمَنَّا بِهِۦ﴾	٧	١٢١ - ١٥٤ ٢١٠ - ٢٨٩
٧٤	آل عمران	﴿كَذٰۤاِبٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ...﴾	١١	١٩٧
٧٥	آل عمران	﴿وَتُخْرِجُ الْعَمِيَّ مِنَ الْمِيْتِ﴾	٢٧	٢٠٣

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٧٦	آل عمران	﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾	٩٢	٨٢
٧٧	آل عمران	﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾	٩٧	١٥٨
٧٨	آل عمران	﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	١٠٤	٧٠
٧٩	آل عمران	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	١٨
٨٠	آل عمران	﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿١١٣﴾	١١٣	١٠٧ - ٥٤ ١٤٦
٨١	آل عمران	﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾	١١٧	٣٤٥ - ٣٤٤
٨٢	آل عمران	﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾	١١٩	٥٨
٨٣	آل عمران	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٣٣	١٩٢
٨٤	آل عمران	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾	١٣٥	٩٧ - ٧٢
٨٥	آل عمران	﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ﴾	١٤١	٥٥
٨٦	آل عمران	﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾	١٧٢	٧٠
٨٧	آل عمران	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لُبِّيْنْتَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾	١٨٧	٢٣١
٨٨	النساء	﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ﴿١﴾	١	٤
٨٩	النساء	﴿نَحْلَةً﴾	٤	١٥٤ - ١٢١
٩٠	النساء	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾	٥	٢١٥
٩١	النساء	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِي كَرِهَ مِثْلُ حِطِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾	١١	١٣١
٩٢	النساء	﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾	١١	٢٦٤
٩٣	النساء	﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٣﴾	٢٣	١٣١
٩٤	النساء	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾	٢٩	٧٠
٩٥	النساء	﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾	٤٣	٧٩

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٩٦	النساء	﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾	٤٣	١٢٩
٩٧	النساء	﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾	٥١	٢٢١
٩٨	النساء	﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٥٤	١٣١
٩٩	النساء	﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٥٣
١٠٠	النساء	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾	٧٥	٢٦٠
١٠١	النساء	﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ ^٥ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ عَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٢١٢ - ١٨
١٠٢	النساء	﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾	٩٢	١٣٠
١٠٣	النساء	﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً﴾	٩٢	٢٨٦
١٠٤	النساء	﴿...فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً...﴾	٩٥	٥٨
١٠٥	النساء	﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾	١٠٠	٨٥ - ٥٨
١٠٦	النساء	﴿وَمَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُنَّ لِهِنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ﴾	١٢٧	٢٩ - ١٣٧ - ١٥٦
١٠٧	النساء	﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾	١٤٠	٢١٩
١٠٨	النساء	﴿وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَغِي سَكِّ مِنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا انْبِاعَ الظَّنِّ وَمَا قُلُوهُ يَقِينًا﴾	١٥٧	١١٤ - ٦٩ - ١٨
١٠٩	النساء	﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ^(١٥٩) ﴾	١٥٩	١٦٤
١١٠	النساء	﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾	١٦٣	١٨٤
١١١	المائدة	﴿وَلَا يَحْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ...﴾	٢	١٠٧
١١٢	المائدة	﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	٥	١٣١
١١٣	المائدة	﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾	٥	١٣١
١١٤	المائدة	﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾	٦	١٢٩
١١٥	المائدة	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾	١٢	٢٦١

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١١٦	المائدة	﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٦	٦١
١١٧	المائدة	﴿مِنْ أَجْلِ﴾	٣٢	١٥٤ - ١٢١
١١٨	المائدة	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾	٣٣	١٥٤
١١٩	المائدة	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾	٣٨	٢٣٧ - ١٣١
١٢٠	المائدة	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٤٢	٣٩٥
١٢١	المائدة	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾	٤٨	١٨٨ - ١٩٥ - ١٩٧
١٢٢	المائدة	﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ الرِّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ قَوْفِهِمْ وَفِيهِمْ مَنْ خَتَمَ أَرْجُلَهُمْ﴾	٦٦	٤٠١ - ٣٩٨
١٢٣	المائدة	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْفُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٧ - ٨٨	٢٠٩
١٢٤	المائدة	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾	١٠٦	٣٤
١٢٥	الأنعام	﴿يَعْدِلُونَ﴾	١	١٥٤ - ١٢١
١٢٦	الأنعام	﴿وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾	١٧	٩٤
١٢٧	الأنعام	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٤٤	٤٠١
١٢٨	الأنعام	﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ ءَأَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾	٧٠	١٨٣ - ٥٨ - ١٩٧
١٢٩	الأنعام	﴿فَلَمَّا أَفَلَّ﴾	٧٦	٢٤٧
١٣٠	الأنعام	﴿فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾	٩٠	٤٤٠
١٣١	الأنعام	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾	٩٥	١٩٧
١٣٢	الأنعام	﴿...رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ..﴾	١٢٨	٩٤ - ٥٨

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١٣٣	الأنعام	﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ﴾	١٤١	١٨
١٣٤	الأنعام	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	١٥٣	٢١٠ - ٢٠٥
١٣٥	الأنعام	﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾	١٥٨	٢١٩
١٣٦	الأنعام	﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾	١٥٩	٢١١
١٣٧	الأعراف	﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦	١٠٢
١٣٨	الأعراف	﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ فِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾	١٧	٢٥٠
١٣٩	الأعراف	﴿وَلِيَأْسَ الْتَقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾	٢٦	١٨٧ - ١٩٧
١٤٠	الأعراف	﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٥٥ ٥٦	١٧٧ - ١٠٢
١٤١	الأعراف	﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	٥٦	٦٣
١٤٢	الأعراف	﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَةً ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾	٨٣	١٠٢ - ١١٨ ١٩٣
١٤٣	الأعراف	﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾	٨٥	٣٩٣
١٤٤	الأعراف	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٩٦	٣٩٨ - ٤٠١
١٤٥	الأعراف	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلَفِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾	١٤٢	٤٣٨
١٤٦	الأعراف	﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾	١٥٢	٢٠٩
١٤٧	الأعراف	﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾	١٧٥ ١٧٦	١٠٢ - ٢١٧ ٢٣٩

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١٤٨	الأعراف	﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ قَالُوا لَوْلَا أُنزِلَتْ آيَاتُهُمْ ﴾	٢٠٣	١٩٠
١٤٩	الأعراف	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾	٢٠٦	٢٦٠- ٧٠
١٥٠	الأنفال	﴿ يَجِدُ لُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿٦﴾	٦	١٦٦
١٥١	الأنفال	﴿ فَاصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ﴿١٣﴾	١٢	١٤٨
١٥٢	الأنفال	﴿ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتِكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١﴾	١٩	١٦٦
١٥٣	الأنفال	﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾	٢٤	٧٠
١٥٤	الأنفال	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾	٢٧	٢٣٤
١٥٥	الأنفال	﴿ إِنْ تَنَقَّوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾	٢٩	٥٤
١٥٦	الأنفال	﴿ فَمَا تَتَفَقَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ ﴾	٥٧	١٣٤
١٥٧	الأنفال	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأُنِذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾	٥٨	١٠٧
١٥٨	الأنفال	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾	٦٠	٢٢٧
١٥٩	الأنفال	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾	٧١	٢٣٠
١٦٠	التوبة	﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾	٥	١٣٤
١٦١	التوبة	﴿ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿٨﴾	٨	١١٩- ١٥٤
١٦٢	التوبة	﴿ فَقتلوا أئمة الكفر ﴾	١٢	٢٣٠
١٦٣	التوبة	﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾	٢٩	٢١٥
١٦٤	التوبة	﴿ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	٣١	٢٢٢
١٦٥	التوبة	﴿ وَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾	٣٦	١٣٤
١٦٦	التوبة	﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنْتُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾	٧٠	٣٥٢
١٦٧	التوبة	﴿ فَرح المخلفون بمقعدتهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأمولهم وأنفسهم في سبيل الله ﴾	٨١	١٨

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
١٦٨	التوبة	﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾	١١٨	٢٥٩
١٦٩	يونس	﴿إِنَّ فِي أٰخِنَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾	٦	١٨
١٧٠	يونس	﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٥٩
١٧١	يونس	﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾	٢٦	٣٨٥
١٧٢	يونس	﴿هٰنَالِكَ تَبَلَّوْا كُلَّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾	٣٠	١٢١
١٧٣	يونس	﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾	٣١	٢٠٣
١٧٤	يونس	﴿لَهُمُ الْبَشَرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٦٤	٢٥٦
١٧٥	يونس	﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾	٨٣	١٦٣
١٧٦	هود	﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَبْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ نَبِيَّهِمْ يُعَلِّمُهُمَّا يَسْرِونَ وَمَا يُعَلِّنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الصُّدُورِ﴾	٥	١٦٤
١٧٧	هود	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾	٢٣	١٠٧ - ٥٤ ١٤٦
١٧٨	هود	﴿وَأَمْرًا تَقَابِئَهُ فَضَحِكَتْ﴾	٧١	١٣٩
١٧٩	هود	﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾	٨٢	٣٥٢
١٨٠	هود	﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾	٩١	١٣٩
١٨١	هود	﴿وَأَقْبِرِ الصَّلٰوةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾	١١٤	١١٤ - ٩٩ - ٩٤ ٢٣٢ -
١٨٢	يوسف	﴿بَرِّعَ﴾	١٢	١٥٤ - ١٢١
١٨٣	يوسف	﴿وَشَرُّهُ بِشْمٍ بَخْسٍ﴾	٢٠	١٠٤
١٨٤	يوسف	﴿وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّي﴾	٢٤	١٩١
١٨٥	يوسف	﴿وَأَعَدَّتْ لِمَنْ مَّتَّكَأَ﴾	٣١	١٠٣
١٨٦	يوسف	﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَنَّهُ الشَّيْطٰنُ ذِكْرَ رَبِّي...﴾	٤٢	١١٥ - ٦٩
١٨٧	يوسف	﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادِيًّا كُنَّ مَاقَدَّمْتُمْ لِمَنْ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾	٤٨	١٠٦

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
		﴿٤٨﴾		
١٨٨	يوسف	﴿...وَجِئْنَا بِضَلْعَةٍ مُّزَجَّةٍ...﴾	٨٨	١٠٧
١٨٩	يوسف	﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تَفْتَدُونَ﴾ ﴿٩٤﴾	٩٤	١٠٧ - ٥٩ ٢٤٠
١٩٠	الرعد	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ﴾	٢٩	١٩٢
١٩١	الرعد	﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾	٣١	٢٠٢
١٩٢	الرعد	﴿أَمْ يَظَاهِرُونَ الْقَوْلَ﴾	٣٣	١٠٢
١٩٣	الرعد	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾	٤١	٢٥٧
١٩٤	إبراهيم	﴿فَرُدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾	٩	٥٨
١٩٥	إبراهيم	﴿فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾	٣٧	١٩١
١٩٦	إبراهيم	﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾	٤٠	١٩١
١٩٧	الحجر	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	١٩٥
١٩٨	الحجر	﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا...﴾	١٥	٥٨
١٩٩	الحجر	﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيعٍ﴾	١٧	٦٦
٢٠٠	الحجر	﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾	٤١	٨٢
٢٠١	الحجر	﴿لَمَّا سَبَعَهُ أَبْوَابُ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾	٤٤	٣٦١
٢٠٢	الحجر	﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾	٧٤	٣٥٢
٢٠٣	الحجر	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾	٧٥	٦٦
٢٠٤	الحجر	﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾	٩١	١٣٥
٢٠٥	الحجر	﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾	٩٥	١٠٩
٢٠٦	النحل	﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ وَمَنْفَعٌ﴾	٥	١٩٧ - ١٨٨
٢٠٧	النحل	﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	٣١٧ - ٣٤
٢٠٨	النحل	﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	٦١	١٦٥
٢٠٩	النحل	﴿مُفْرَطُونَ﴾	٦٢	١٥٤ - ١٢١
٢١٠	النحل	﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾	٦٩	٢٥٨

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٢١١	النحل	﴿ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلدِّينِ هَاجِرًا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلْتُمْ جَاهِدُوا وَاصْبِرُوا إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾	١١٠	١٦٢
٢١٢	النحل	﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾	١٢٠	١٤٤ - ١٢٢
٢١٣	الإسراء	﴿أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾	٢	٦٧
٢١٤	الإسراء	﴿وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾	٤	١٨٤
٢١٥	الإسراء	﴿وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِلنَّهَارِ وَاللَّيْلِ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾	١٢	٢٢٩
٢١٦	الإسراء	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾	٢٣	٢١٦
٢١٧	الإسراء	﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ...﴾	٦٢	١٩٧
٢١٨	الإسراء	﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبُ عَلَيْهِمُ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾	٦٤	٢٥١
٢١٩	الإسراء	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِ الشَّمْسِ إِلَىٰ عَسَقِ اللَّيْلِ﴾	٧٨	١٧٨ - ١٠٢
٢٢٠	الإسراء	﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾	٨٤	١٩٧
٢٢١	الكهف	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٢٣ - ٢٤	١٩٣
٢٢٢	الكهف	﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾	٢٤	١٩٣ - ١٠٢
٢٢٣	الكهف	﴿يَسْأَلُ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾	٢٩	٦٨
٢٢٤	الكهف	﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا﴾	٥٢	١٦٥
٢٢٥	الكهف	﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾	٧٣	٣٨٥
٢٢٦	الكهف	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾	١٠٣ - ١٠٤	٢٠٦
٢٢٧	مريم	﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾	١٢	٦٨
٢٢٨	مريم	﴿فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٣١ - ٩٥ - ١١٤ - ١٦٤ - ١٨٢ - ١٦٨
٢٢٩	مريم	﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾	٣١	٨٧ - ٦٤ - ٦٣
٢٣٠	مريم	﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٣٩	١٢٨
٢٣١	مريم	﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾	٥٩	٦٨

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٢٣٢	مريم	﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢)	٨٢	١٦٦
٢٣٣	طه	﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾	٣٩	٢٢٢
٢٣٤	طه	﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾﴾	٤٩ - ٥٠	١٠٩
٢٣٥	طه	﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾﴾	١٠٥ - ١٠٦	١٩٤
٢٣٦	طه	﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾	١٠٦	١٦٥
٢٣٧	طه	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	١١٠	٢٤٩
٢٣٨	طه	﴿فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾	١٢٣	١٠٨ - ١٧٣
٢٣٩	طه	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾	١٢٤	٦٨ - ١٠٨ - ١٥٦ - ١٧٢ - ١٧٤
٢٤٠	طه	﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْهَا ﴿١٢٦﴾﴾	١٢٥	١٠٨ - ١٧٣
٢٤١	الأنبياء	﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾	١٨	٥٤
٢٤٢	الأنبياء	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾	٥١	٣٠ - ١٣٨
٢٤٣	الأنبياء	﴿...وَكَاثُرًا لَنَا خَشِيعِينَ﴾	٩٠	١٩٧
٢٤٤	الحج	﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيْظُ﴾	١٥	١٣٩
٢٤٥	الحج	﴿هَذَا نِ حَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رِيْهِمْ﴾	١٩	١٩٠
٢٤٦	الحج	﴿وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (٢٩)	٢٩	٦٧ - ١٢١ - ١٥٣
٢٤٧	الحج	﴿وَيِثْرٍ مُّعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾	٤٥	١٨٨ - ١٩٥
٢٤٨	الحج	﴿تَمَّتْ﴾	٥٢	١٢١ - ١٥٤
٢٤٩	الحج	﴿هُوَ سَمَنُكُمْ﴾	٧٨	١٦٣
٢٥٠	المؤمنون	﴿وَأَوْسَتْهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾	٥٠	٨٨ - ٩٠

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٢٥١	المؤمنون	﴿وَلِئَلَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَفِبُنَّ﴾	٧٤	٥٠ - ٦١ - ٢٧٦
٢٥٢	المؤمنون	﴿وَلَهُ اٰخْتَلَفَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	٨٠	١٨
٢٥٣	المؤمنون	﴿وَقُلْ رَبِّ اَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	٩٧	٣٠٤
٢٥٤	المؤمنون	﴿قَالَ اٰخَشُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُوْنَ﴾	١٠٨	٢٦٩
٢٥٥	النور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَتًا جَلْدَةً﴾	٤	٢٣٢
٢٥٦	النور	﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ اَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ اِلَّا اَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ اَحَدِهِمْ اَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللّٰهِ﴾	٦	٢٣٢
٢٥٧	النور	﴿بِاٰتِلٍ﴾	٢٢	١٥٤ - ١٢١
٢٥٨	النور	﴿اَوْ التَّبَعِيْنَ غَيْرِ اَوْلِي الْاِزْيَةِ﴾	٣١	٥٩
٢٥٩	النور	﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ﴾	٤١	١٦٧
٢٦٠	النور	﴿وَاللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهٖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى اَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ اِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾	٤٥	٩٧
٢٦١	النور	﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ اَمْرِهٖ اَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ﴾	٦٣	١٨
٢٦٢	الفرقان	﴿وَعَتَوْا عَنَّا كَبِيْرًا﴾	٢١	٢٧٨
٢٦٣	الشعراء	﴿فَطَلَّتْ اَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِيْنَ﴾	٤	١٣٩
٢٦٤	الشعراء	﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾	٢٣ - ٢٤	١٠٩
٢٦٥	الشعراء	﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِيْنَ﴾	٩٠	٢٨٠
٢٦٦	النمل	﴿اِنَّ هٰذَا الْقُرْءَانَ يَنْفُسُ عَلَىٰ بَنِي اِسْرٰءِيْلَ اَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ﴾	٧٦	١٨
٢٦٧	القصص	﴿لَا نَقْتُلُوْهُ عَسٰى اَنْ يَنْفَعَنَا اَوْ نَتَّخِذَهُ وِلْدًا﴾	٩	٢٢٢
٢٦٨	القصص	﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرِيْ﴾	٣٨	١٦٨
٢٦٩	القصص	﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ اِلَّا وِجْهَهُ لَهٗ الْحُكْمُ وَاِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	٦٨ - ٢٢٣

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٢٧٠	العنكبوت	﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾	٦	٧١
٢٧١	العنكبوت	﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾	٤٥	٤٠
٢٧٢	الروم	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنَنِيِّكُمْ وَالْوَنُكُورِ﴾	٢٢	١٨
٢٧٣	لقمان	﴿فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾	٣٢	١٦٧
٢٧٤	الأحزاب	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾	٧٠ - ٧١	٤
٢٧٥	الأحزاب	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾	١	٤٣٨
٢٧٦	الأحزاب	﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٠	٢٣٧
٢٧٧	فاطر	﴿الَّذِينَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾	٢٧	١٨
٢٧٨	فاطر	﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾	٣٢	٩٤ - ١٧٥ ٢٢١
٢٧٩	فاطر	﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾	٣٤	٩١
٢٨٠	فاطر	﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾	٤٥	١٦٥
٢٨١	يس	﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾	٥٥	٩٦
٢٨٢	يس	﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ﴾	٥٦	٩٦
٢٨٣	يس	﴿جُنْدٌ مُخَضَّرُونَ﴾	٧٥	٥٩
٢٨٤	الصافات	﴿وَالصَّفَاتِ صَفَا ﴿١﴾﴾	١	١٦٧
٢٨٥	الصافات	﴿فَالرَّجْرَتِ رَجْرًا ﴿٢﴾﴾	٢	١١٢
٢٨٦	الصافات	﴿فَالثَّلَابِتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾	٣	١٦٧
٢٨٧	الصافات	﴿... إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾	٢٨	٥٩
٢٨٨	الصافات	﴿فَالنَّقَمَةُ الْحَوْتُ وَهُوَ مِلْمٌ﴾	١٤٢	٣٣٣
٢٨٩	الصافات	﴿فَبَدَنَتْهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾	١٤٥	٣٣٣

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٢٩٠	ص	﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾	١١	٢٥٢
٢٩١	ص	﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً﴾	٢٣	١٣٩
٢٩٢	ص	﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾	٢٩	١٦
٢٩٣	ص	﴿حَقِّ تَوَارَتٍ بِالْحِجَابِ﴾	٣٢	١٦٥
٢٩٤	الزمر	﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾	٣٣	٥٣
٢٩٥	غافر	﴿يَلْقَى الرُّوحَ﴾	١٥	٥٣
٢٩٦	غافر	﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾	١٩	٥٣
٢٩٧	غافر	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	١٠٢
٢٩٨	فصلت	﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾	٧	٥٣
٢٩٩	فصلت	﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾	١٠	٥٣
٣٠٠	فصلت	﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾	١٦	٥٣
٣٠١	فصلت	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾	٣٠	٥٣
٣٠٢	فصلت	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾	٤٠	٥٣
٣٠٣	الشورى	﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	٤	٦٨
٣٠٤	الشورى	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾	٥	٦٨ - ١٢١ - ١٥٤
٣٠٥	الشورى	﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾	١٠	١٨
٣٠٦	الشورى	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾	١٧	٥٩
٣٠٧	الزخرف	﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْغَلِيَةِ﴾	١٨	٤٢٢
٣٠٨	الزخرف	﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ﴾	٣٣	٤٠١
٣٠٩	الدخان	﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾﴾	١٧	١٤٨
٣١٠	الدخان	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾	٢٩	٢٤٤
٣١١	الدخان	﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُورِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾	٤٣ - ٤٤	٤٢٦
٣١٢	الدخان	﴿خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَّا سَوَاءَ الْجَحِيمِ﴾	٤٧	٣٠٧

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٣١٣	الجاثية	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾	٢٣	٣٠ - ١٣٧ - ١٥٧
٣١٤	الأحقاف	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾	٢٧	٢٥٧
٣١٥	محمد	﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِنَّمَا وَدَّاهُ حَتَّىٰ نَضَعَ الْحَرْبَ أَوْزَارَهَا﴾	٤	١٣٤
٣١٦	محمد	﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ﴾	٦	٢٤٣
٣١٧	محمد	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ (٢٢)	٢٢	٢٥٨
٣١٨	الفتح	﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾	٢٦	١٤٧ - ٥٨
٣١٩	الحجرات	﴿وَأَقْسَطُوا عَلَىٰ اللَّهِ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٩	٣٩٥
٣٢٠	الحجرات	﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾	١١	٥١
٣٢١	ق	﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾	١٥	٦٣ - ٦٤ - ١٤٤ - ١٠٢
٣٢٢	ق	﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾	١٩	٤٦ - ٤٥
٣٢٣	ق	﴿سَابِقٌ يُسَيِّدُ﴾	٢١	٤٥
٣٢٤	ق	﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾	٢٢	٤٦
٣٢٥	ق	﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَيْنٍ﴾	٢٤	٤٤٤
٣٢٦	ق	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (٣٨)	٣٨	١٠٦
٣٢٧	الذاريات	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾	٧	٦٨
٣٢٨	الذاريات	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	١٩	٩٣
٣٢٩	الذاريات	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	١٩	٢٦١ - ٣٧٣
٣٣٠	الذاريات	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (٢٢)	٢٢	١٤٨
٣٣١	الذاريات	﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ صَيْفِ إِبرِهِمِ الْمُكْرِمِينَ﴾	٢٤	٦٣
٣٣٢	الذاريات	﴿فَأَقْبَلَتْ أَمْرَانَهُ فِي صَرَفٍ﴾	٢٩	٣٤٤
٣٣٣	الذاريات	﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ (٥١)	٥٩	١٠٧ - ١٤٧
٣٣٤	الطور	﴿وَكُنْتُمْ مَسْطُورِينَ﴾ (٢)	٢	٨١

الصفحة	رقمها	الآية	السورة	الرقم
١١٨ - ٦٣ - ١٥٢	٦	﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾	الطور	٣٣٥
١٨٤ - ٥٧	٩	﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾	الطور	٣٣٦
٥٢	٤٧	﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾	الطور	٣٣٧
٣٤	٤	﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	النجم	٣٣٨
١١٥ - ١١١ - ١٥٩ - ١٣٩ - ١٧٨ - ١٧٦	٩ - ٨	﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾﴾	النجم	٣٣٩
٥٣	٣٧	﴿الَّذِي وَفَى﴾	النجم	٣٤٠
١٣٢	٤٣	﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾﴾	النجم	٣٤١
٣٥٢	٥٣	﴿وَالْمُؤَنَّفِكَ أَهْوَى﴾	النجم	٣٤٢
١٣٦	٢	﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾	القمر	٣٤٣
١٢٥	٥	﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾	الرحمن	٣٤٤
١٥٤ - ١٢٤	٦	﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾	الرحمن	٣٤٥
٨٧	٧	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾	الرحمن	٣٤٦
١٣٧ - ١٢١ - ١٥٣	١٢	﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾﴾	الرحمن	٣٤٧
٥٩	١٥	﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾	الرحمن	٣٤٨
١٥٤ - ١٢١	٧٤	﴿يَطْمِئِنَّ﴾	الرحمن	٣٤٩
٨١ - ٦٨	٥	﴿وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾	الواقعة	٣٥٠
٢٥٥ - ١٩٢	- ١٠ ١١	﴿وَالسَّيْفُونَ السَّيْفُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾	الواقعة	٣٥١
٥٣ - ٤٨	٣٧	﴿عُرْيًا أَرَابًا﴾	الواقعة	٣٥٢
١٥٤ - ١٢١	٥٥	﴿الْهِمْرِ﴾	الواقعة	٣٥٣
١٨١	٥٥	﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِمْرِ ﴿٥٥﴾﴾	الواقعة	٣٥٤
٦٨	٦١	﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	الواقعة	٣٥٥
٦٣ - ٥٣ - ٦٤ - ١٤٤ - ١٠٢ -	٦٥	﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾	الواقعة	٣٥٦
- ٨٤ - ٥٣ - ٢٠١	٧٣	﴿وَمَتَّعْنَا لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	الواقعة	٣٥٧

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٣٥٨	الواقعة	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾	٧٥	٦٠ - ١٢١ - ١٥٤
٣٥٩	الواقعة	﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٩	١١٢
٣٦٠	الواقعة	﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾	٨٩	١٨٨ - ١٩٦
٣٦١	الحديد	﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٢١	٥٧ - ١٤٢ - ١٩٢
٣٦٢	الحديد	﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٢٢	١٦٢
٣٦٣	الحديد	﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَحْلِ﴾	٢٤	٥٩
٣٦٤	الحديد	﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾	٢٧	٢٠٨
٣٦٥	المجادلة	﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا﴾	٣	٢٣٢
٣٦٦	الممتحنة	﴿وَيَسْطُورُ إِلَيْكُمْ أَيُّدِيهِمْ وَالسِّنَنُ بِالسُّوءِ﴾	٢	٧١
٣٦٧	الممتحنة	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾	٨	٣٩٥
٣٦٨	الجمعة	﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُم مَّن لَّمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾	٣	٤٨ - ٥٣
٣٦٩	الجمعة	﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	١١	٢٠٩
٣٧٠	الطلاق	﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾	١	٢٦٠
٣٧١	التحريم	﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَحْمَةٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١	٢٠٧
٣٧٢	المك	﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	٣	٢٦٧
٣٧٣	المك	﴿يَقَلِّبُ إِلَيْكَ الْبَصَرَ خَاسِتًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾	٤	٢٦٩ - ٢٧٢
٣٧٤	المك	﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	١١	٢٧٤
٣٧٥	المك	﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْسُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾	١٥	٤٣ - ٢٧٦
٣٧٦	المك	﴿بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾	٢١	٢٧٨
٣٧٧	المك	﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٢٧	٢٨٠

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٣٧٨	الملك	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾	٣٠	٢٨٢ - ٤٠١
٣٧٩	القلم	﴿ت﴾	١	٢٨٤ - ٤٣
٣٨٠	القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾	٤	٢٣٨
٣٨١	القلم	﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٥﴾﴾	٩	٢٩٨
٣٨٢	القلم	﴿وَلَا تُطْعَمُ كُلُّ حَلَافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِيعٍ ﴿١١﴾﴾	١٠ - ١١	٣٠١ - ٣٠٣ - ٣٠٨
٣٨٣	القلم	﴿عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٢﴾﴾	١٣	٣٠٦
٣٨٤	القلم	﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطُوبِ ﴿١٣﴾﴾	١٦	٣١٣
٣٨٥	القلم	﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٢٩ - ١٥٣ - ٢٠٣ - ٣١٨ - ٣١٩
٣٨٦	القلم	﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرِّ قَدِيرٍ ﴿٢١﴾﴾	٢٥	٣٢١
٣٨٧	القلم	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢٢﴾﴾	٤٢	٣٢٥ - ٣٢٨
٣٨٨	القلم	﴿وَلَوْلَا أَن تَدَارَكُهُ رِيعَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٢٣﴾﴾	٤٩	٣٣٢ - ٣٣٣
٣٨٩	القلم	﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾	٥١	٣٣٣ - ٣٣٤
٣٩٠	الحاقة	﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾﴾	٢ - ١	٣٣٦
٣٩١	الحاقة	﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿١﴾﴾	٤	٣٣٧
٣٩٢	الحاقة	﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ وَأَسْوَأْنَاهُمْ إِنَّهُم بِآيَاتِنَا كَفَرُونَ ﴿٢﴾﴾	٥	٣٣٩ - ٣٤١
٣٩٣	الحاقة	﴿وَأَمَّا عَادٌ فَهَدَيْنَاهُمْ وَأَسْوَأْنَاهُمْ إِنَّهُم بِآيَاتِنَا كَفَرُونَ ﴿٣﴾﴾	٦	٣٤٠ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٦
٣٩٤	الحاقة	﴿وَتَمَنَّىٰ آيَاتٍ حُسُومًا ﴿٤﴾﴾	٧	٣٤٨
٣٩٥	الحاقة	﴿وَالْمُؤْتَفِكْتُ ﴿٥﴾﴾	٩	٣٥١
٣٩٦	الحاقة	﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ ﴿٦﴾﴾	١١	٣٣٩ - ٣٥٣
٣٩٧	الحاقة	﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿٧﴾﴾	١٦	٢٦٨
٣٩٨	الحاقة	﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴿٨﴾﴾	١٧	٣٥٥
٣٩٩	الحاقة	﴿هَلَاكٌ عَنِّي سُلْطَانِيَةٌ ﴿٩﴾﴾	٢٩	٣٥٧
٤٠٠	الحاقة	﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسَلِينِ ﴿١٠﴾﴾	٣٦	٣٥٩

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٤٠١	المعارج	﴿وَلَا يَسْتَلْ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾	١٠	٣٦٣
٤٠٢	المعارج	﴿بَصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ﴾	١١	٣٦٢
٤٠٣	المعارج	﴿نَزَاعَةَ اللَّشْوَى﴾	١٦	٣٦٤
٤٠٤	المعارج	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾	١٩	٣٦٦
٤٠٥	المعارج	﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾	٢٠ - ٢١	٣٦٦
٤٠٦	المعارج	﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾	٢٣	٣٦٩ - ٣٦٨
٤٠٧	المعارج	﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾	٢٥	٣٧١
٤٠٨	المعارج	﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قُلِّبَكَ مِهْطِعِينَ﴾	٣٦	٣٧٤
٤٠٩	المعارج	﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾	٣٧	٣٧٤
٤١٠	نوح	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾	١٣	٣٧٨
٤١١	الجن	﴿وَأَنَّهُ قَعَلَى جُدْرِنًا مَا أَخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾	٣	٣٨٢
٤١٢	الجن	﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	٣٨٨ - ٣٨٥
٤١٣	الجن	﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقٍ قِدَادًا﴾	١١	٣٩٠
٤١٤	الجن	﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا﴾	١٣	٣٩٣ - ٣٨٥
٤١٥	الجن	﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾	١٤	٣٩٥
٤١٦	الجن	﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	١٥	٣٩٥
٤١٧	الجن	﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيفَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴿١٦﴾ لَتَفْنِنَهُمْ فِيهِ﴾	١٦ - ١٧	٣٩٩ - ٣٩٧
٤١٨	الجن	﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾	١٧	٤٤٦ - ٤٠٢
٤١٩	الجن	﴿الْمَسْجِدِ﴾	١٨	١٥٤ - ١٢١
٤٢٠	الجن	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾	١٩	٤٠٧ - ٤٠٤
٤٢١	الجن	﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾	٢٦ - ٢٧	٢٨٨
٤٢٢	الجن	﴿فَأَنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾	٢٧	٤١٠
٤٢٣	الجن	﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾	٢٨	٤١٠
٤٢٤	المزمل	﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ﴾	١	٤١٢

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٤٢٥	المزمل	﴿قُرْآنٌ لَّيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٢	٤٢٣
٤٢٦	المزمل	﴿وَرَبَّلِ الْقُرْآنَ نَزِيلًا﴾	٤	٤١٦
٤٢٧	المزمل	﴿قَوْلًا نَقِيلاً﴾	٥	٤١٩
٤٢٨	المزمل	﴿إِن نَّاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾	٦	٤٢١
٤٢٩	المزمل	﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾	٨	٤٢٤
٤٣٠	المزمل	﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾	١٣	٤٢٦
٤٣١	المزمل	﴿السَّمَاءِ مُنْفَطِرٍ بِهِ﴾	١٨	٤٢٨
٤٣٢	المدثر	﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾	١	٤٣٠
٤٣٣	المدثر	﴿قُرْآنٌ نَّذِيرٌ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكِيرٌ ﴿٣﴾ وَيُنَابِكُ فَطَهْرٌ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرٌ ﴿٥﴾﴾	٢-٣-٤-٥	٤٤١
٤٣٤	المدثر	﴿وَيُنَابِكُ فَطَهْرٌ﴾	٤	٧٢ - ١٩٣ - ٤٣٢
٤٣٥	المدثر	﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرٌ﴾	٥	٤٣٧
٤٣٦	المدثر	﴿وَلَا تَمَنَّ نَسْتَكِيرُ﴾	٦	٤٣٩ - ٤٤٠
٤٣٧	المدثر	﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾	٧	٤٤٣
٤٣٨	المدثر	﴿أَنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَانَا عِيدًا﴾	١٦	٤٤٤
٤٣٩	المدثر	﴿سَأَرْهِفُهُ، صَعُودًا﴾	١٧	٤٤٦
٤٤٠	المدثر	﴿أَوْاحِدَةٌ لِلْبَشَرِ﴾	٢٩	٤٤٨
٤٤١	المدثر	﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾	٣١	٤٥٠
٤٤٢	المدثر	﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾	٣٦	٤٥١
٤٤٣	المدثر	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَحْسَبَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾﴾	٣٨-٣٩	٤٥٣
٤٤٤	المدثر	﴿مَا سَلَكَ عُرْفٍ فِي سَفَرٍ﴾	٤٢	٤٥٤
٤٤٥	المدثر	﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾	٥٠-٥١	٤١ - ١٢١ - ١٥٤ - ١٧٨ - ٤٥٥
٤٤٦	القيامة	﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	٢	٥٤

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٤٤٧	القيامة	﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾	١١	٨١
٤٤٨	القيامة	﴿مَعَاذِيرُهُ﴾	١٥	١٥٤ - ١٢١
٤٤٩	القيامة	﴿وَأَلْفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾	٢٩	٤٩
٤٥٠	القيامة	﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾	٣٠	٤٩
٤٥١	القيامة	﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾	٣٦	١٩٠
٤٥٢	الإنسان	﴿تَذَرُوهَا تَفْذِيرًا﴾	١٦	١٩٧ - ١٩٣
٤٥٣	المرسلات	﴿إِنَّمَا تَرْمِي بِشَجَرٍ كَالْقَصْرِ﴾	٣٢	١٢٣
٤٥٤	المرسلات	﴿كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ﴾	٣٣	١٢٤
٤٥٥	النبأ	﴿النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾	٢	١١٣
٤٥٦	النبأ	﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾	٢٧	٨٣
٤٥٧	النبأ	﴿وَكَأْسَادِهَا قَارِ ﴿٣٤﴾﴾	٣٤	٢١٧ - ٨١ - ٤٢
٤٥٨	النازعات	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾﴾	١	١١٣
٤٥٩	النازعات	﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا﴾	٣	٤٧
٤٦٠	النازعات	﴿فَالسَّيِّقَاتِ سَبَّحًا﴾	٤	٤٨
٤٦١	النازعات	﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	١٦٨
٤٦٢	النازعات	﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾	٢٥	٤٨ - ١١٣ - ١٦٨
٤٦٣	عبس	﴿سَفَرَةٌ﴾	١٥	١٥٤ - ١٢١
٤٦٤	عبس	﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرَّةَ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمَّهُ وَآبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾	-٣٤ ٣٧	٣٦٢
٤٦٥	التكوير	﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾	٤	١٩٧ - ١٨٨
٤٦٦	التكوير	﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾	٥	١٠٢
٤٦٧	التكوير	﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾	٦	٦٣ - ٣٧ - ١٥٢ - ١١٨
٤٦٨	التكوير	﴿وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾	٧	٨٠
٤٦٩	التكوير	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾	١٥	٤٩ - ١١٣ - ٢٤١

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٤٧٠	التكوير	﴿وَأَبْلَأَ إِذَا عَسَسَ ﴿٧﴾﴾	١٧	٣٧ - ١١١ ١١٨ - ١٧٨ ١٩٧ - ٢٤٠
٤٧١	التكوير	﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾	٢٤	٤٤٠
٤٧٢	الانفطار	﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾	١	٢٦٧
٤٧٣	المطققين	﴿وَبِلِّ اللِّمُطَّقِّينَ﴾	١	٧٢
٤٧٤	المطققين	﴿سَجِينٍ﴾	٨	٤٨
٤٧٥	المطققين	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ﴾	١٥	٣٠ - ١٣٨
٤٧٦	الانشقاق	﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾	٦	١١٥ - ١٦٢
٤٧٧	الانشقاق	﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالسَّفْقِ﴾	١٦	٣٧
٤٧٨	الانشقاق	﴿وَالْقَمَرَ إِذَا آسَقَ﴾	١٨	١٠٧
٤٧٩	الانشقاق	﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبِقٍ ﴿١١﴾﴾	١٩	١١٣
٤٨٠	البروج	﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾	٣	٤٢ - ٤٨
٤٨١	البروج	﴿نَقَمُوا﴾	٨	١٢١ - ١٥٤
٤٨٢	البروج	﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾	١٤	٦٣ - ٦٤ ١٠٢
٤٨٣	الطارق	﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ رَّحِيمٌ لِّقَادِرِ ﴿٨﴾﴾	٨	١١٥
٤٨٤	الأعلى	﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	٣	٩٤
٤٨٥	الأعلى	﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾	٣	٩٤
٤٨٦	الغاشية	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾﴾	١	١١٣ - ١٣٩ ١٨٢
٤٨٧	الغاشية	﴿أَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾	٦	٣٦١
٤٨٨	الفجر	﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾	٣-١	٤٧ - ١١١ ١١٣ - ١١٦ ١٥٩ - ١٧٧ ١٧٩
٤٨٩	الشمس	﴿وَالْقَمَرَ إِذَا نَلَّهَا ﴿٢﴾﴾	٢	٢١٦
٤٩٠	الشمس	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّهَا ﴿١﴾﴾	٩	١١٥
٤٩١	الشمس	﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّهَا ﴿١٠﴾﴾	١٠	١١٥

الرقم	السورة	الآية	رقمها	الصفحة
٤٩٢	الشمس	﴿كَذَبَتْ نُموذُ يَطْعُونَهَا﴾	١١	٣٤١
٤٩٣	الشمس	﴿وَلَا يَخَافُ عَقْبُهَا﴾ (١٥)	١٥	١١٥
٤٩٤	الليل	﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ﴾	٦	٥٩
٤٩٥	الضحى	﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ (٦) ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ (٧)	٦ - ٧	٤٥
٤٩٦	الضحى	﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾	٧	١٢٣
٤٩٧	الشرح	﴿فَإِذَا فَرَعْتَ فَأَنْصَبْ﴾ (٧)	٧	٥٦
٤٩٨	التين	﴿وَاللِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾	١	٤٣
٤٩٩	التين	﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٤٣
٥٠٠	التين	﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	٦	٤٣٩
٥٠١	العلق	﴿نَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾	١٥	٥٩
٥٠٢	العاديات	﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾	١	٣٦
٥٠٣	العاديات	﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾	١	١١٣
٥٠٤	العاديات	﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ (٧)	٧	٤٣ - ١١٥ - ١٦٣
٥٠٥	التكاثر	﴿ثُمَّ لِنَسُخُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	٨	٥٧ - ٧٥ - ٩١ - ١٠٠ - ٢٩٥
٥٠٦	العصر	﴿وَالْعَصْرِ﴾ (١)	١	١١٦
٥٠٧	الهمزة	﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هَمْزٍ لَمْرُؤٍ﴾	١	٣٠٤
٥٠٨	الماعون	﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾	٧	٤٣ - ٩١
٥٠٩	الكوثر	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ (٢) ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (٣)	٣-١	٤١ - ٤٣ - ٢٣٤
٥١٠	المسد	﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ (٤)	٤	٤٣ - ١٣٢
٥١١	الإخلاص	﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢)	٢	٤٣ - ١٥٠
٥١٢	الفلق	﴿الْفَلَقِ﴾	١	٤٣
٥١٣	الفلق	﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ (٣)	٣	٣٥ - ١٠٢ - ١٨٦ - ٢٢٨ - ٢٣٩

ثانفياً: فهرس الأحادفث

ثانياً: فهرس الأحاديث

الرقم	طرف الحديث	المخرج	راوي الحديث	رقم الصفحة
١	" الكمأة من المن الذي أنزل الله على بني إسرائيل "	البخاري ومسلم	سعيد بن زيد	٧٨
٢	" إنك لا تفقه كل الفقه حتى تعلم للقرآن وجوهاً "	معمر في جامعه	أبي الدرداء	٣٩
٣	" لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب "	البخاري ومسلم	عبادة بن الصامت	٢٠٥
٤	" أخذ النبي ﷺ بيدي، فنظر إلى القمر، فقال: "يا عائشة، استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا هو الغاسق ...	الترمذي	عائشة	٢٢٨
٥	" إذا خُصَّ المؤمنون من النار، حُسبوا بقطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم ...	البخاري	أبي سعيد الخدري	٢٤٣
٦	" اسقنا غيثاً عذقاً معدقاً "	ابن ماجه	ابن عباس	٤٠٠
٧	" الحمد لله رب العالمين : هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته "	البخاري ومسلم	أبي سعيد بن المعطي	٢٠٥
٨	" الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك منه أبداً "	الترمذي	أبي سعيد	٤٤٦
٩	" الله أعلم بما كانوا عاملين "	البخاري	ابن عباس	٤٣٩
١٠	" أمر رسول الله ﷺ بقتله وإن كان متعلقاً بأستار الكعبة، وكان عبد الله قد استجار بعثمان فأجاره عثمان وأذن له بذلك رسول الله ﷺ وحسن إسلام عبد الله "	أبو داود	ابن عباس	٢٣٠
١١	" أن الملائكة التي تحضره عند خروج نفسه، تقول لنفسه: اخرجي إلى رحمة الله ورضوانه "	الطبري في تفسيره	بمعناه من حديث البراء	٢٥٦
١٢	" أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال أخي يشتكي بطنه فقال: اسقه عسلاً "	البخاري	أبي سعيد الخدري	٢٥٨
١٣	" أهلكتهم العجمة " حاشيه " إنما أوتي القوم من قبل العجمة -الأصلي	البخاري ح المروزي أصل	الحسن بن أبي الحسن	٤٦
١٤	" بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال أنزلت عليّ أنفا سورة، ...	مسلم	أنس بن مالك	٤١
١٥	" تماری رجلان في المسجد الذي أسس علي	أحمد	أبي سعيد	٣٥

	الخدي	والترمذي وغيرهم	التقوى... فقال ﷺ "هو مسجدي هذا"
٤١٣	جابر بن عبد الله	البخاري	١٦ "زملوني، زملوني"
٤١٣	جابر بن عبد الله	البخاري	١٧ "زملوني، زملوني، فدثروني"
٢٢٧	عقبة بن عامر	مسلم	١٨ "سمعت رسول الله وهو على المنبر يقول ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ إلا إن القوة ..
٢٠٨	عائشة	البخاري	١٩ "شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود له، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحداً"
٢٠٥	عائشة	البخاري	٢٠ "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"
٢٠٤	عدي بن حاتم	الترمذي	٢١ "فالمغضوب عليهم هم اليهود؛... والضالون هم النصاري"
٣٢٨	أبي سعيد الخدي	البخاري ومسلم	٢٢ "فيكشف الرب عن ساقه يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومومنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة....."
١٤٢	عبد الله بن معقل	البخاري ومسلم	٢٣ "قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد- يعني مسجد الكوفة- فسألته عن "فدية من صيام"....."
٣٧٠	عائشة	مسلم	٢٤ "كان أحب الأعمال إلى الرسول ﷺ ما دووم عليه."
٣٨٢	انس بن مالك	احمد	٢٥ "كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة وآل عمران جدَّ فينا"
٨٩	زيد بن أرقم	البخاري	٢٦ "كنا نتكلم في الصلاة يكلم أحدهنا أخاه في حاجته، حتى نزلت هذه الآية ﴿حَفِظُوا عَلَّ الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ...
٦٩	أبو سعيد بن المعلی	البخاري	٢٧ "كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فلما فرغت أقبلت إليه فقال: " فقال: "ما منعك أن تجيبني"؟ ...

١٧٢	ابن عمر	البخاري	"لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"	٢٨
٣٨٣	المغيرة	البخاري	"لا ينفع ذا الجد منك الجد"	٢٩
٢٤٥	أنس بن مالك	الترمذي	"ما من مؤمن إلا وله بابان: باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه"	٣٠
١٩٦	البراء	أبو داود	"ملانكة الرحمة تقول: "أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريه، اخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان"	٣١
٢٣١	أبي هريرة	الترمذي	"من سنل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة بلجام من نار"	٣٢
٣٦٩	أبو هريرة	أحمد	"نهى رسول الله ﷺ أن يُبال في الماء الدائم ثم يتوضأ منه"	٣٣
٣٥	عبد الله بن عمرو	مسلم	"هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرف في وجهه الغضب فقال: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب."	٣٤
٢٣٢	عبد الله بن مسعود	البخاري	أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ...﴾	٣٥
٩٩	ابن مسعود	البخاري ومسلم	أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي ﷺ فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾. فقال الرجل...	٣٦
٢٢٩	ابن عباس	البخاري	قال ابن عباس ﷺ للكوثر بأنه الخير الذي أعطاه الله إياه، مع أنه صح عن النبي ﷺ أنه نهر في الجنة، ..	٣٧
١١٠	جبير بن المطعم	البخاري ومسلم	قال رسول الله ﷺ: "سميت محمداً وأحمداً وخاتماً وحاشراً وعاقباً وما حياً"	٣٨
١٢٨	أبي سعيد الخدري	البخاري	قال رسول الله ﷺ: "يوتى بالموت كهينة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون .."	٣٩

ثالثاً: فهرس الأعلام

ثالثاً: فهرس أسماء الأعلام

رقم الصفحة	اسم العلم	التسلسل
٩٢	ابن أبي حاتم - عبد الرحمن بن أبي حاتم -	.١
١٥٥	ابن أبي شيبَةَ	.٢
٤٢١	ابن أبي نجیح - عبد الله بن أبي نجیح يسار -	.٣
٣٢١	ابن الأعرابي - محمد بن زياد -	.٤
٣٤٣	ابن السكيت يعقوب بن إسحاق	.٥
١٦	ابن القيم الجوزية - محمد بن أبي بكر بن أيوب -	.٦
٩٦	ابن المسيب - سعيد بن المسيب المخزومي -	.٧
٢٣٦	ابن المنذر - محمد بن إبراهيم بن المنذر	.٨
٢٥	ابن تيمية - أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني الحنبلي	.٩
٢١	ابن جزري - محمد بن أحمد ابن جُزَي الغرناطي -	.١٠
٨٤	ابن جُنَي - أبو الفتح عثمان بن جني الموصلی -	.١١
٢٣٥	ابن حجر العسقلاني	.١٢
٩٣	ابن سيرين وأبو العالیه	.١٣
٥٧	ابن عطية - عبد الحق بن غالب -	.١٤
٢٦٧	ابن فارس - أحمد بن فارس	.١٥
٢٤٣	ابن قتيبة - أبو محمد عبد الله بن مسلم -	.١٦
٢٨٩	ابن قدامة المقدسي - عبد الله بن أحمد بن محمد -	.١٧
٤٠	ابن كثير - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير -	.١٨
٢٨٨	أبو الفاختة - سعيد بن عرفة -	.١٩
٢٣٦	أبو أيوب - خالد بن زيد -	.٢٠
٤١	أبو بشر - جعفر بن إياس -	.٢١

٥٦	أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي	٢٢.
١١٠	أبو بكر الهذلي - سُلمى بن عبد الله بن سلمى -	٢٣.
٥٢	أبو جبيرة بن الضحاك	٢٤.
٢٣٠	أبو جهل بن هشام	٢٥.
١٩٦	أبو حرزة - يعقوب بن مجاهد القرشي -	٢٦.
٤٥٥	أبو حمزة - عمران بن أبي عطاء الواسطي -	٢٧.
١٢٠	أبو رزين - مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي -	٢٨.
٦٩	أبو سعيد بن المعلى	٢٩.
٥٨	أبو صالح - باذام وقيل باذان	٣٠.
٣٠	أبو عبدة - معمر بن المثني التيمي -	٣١.
٥٥	أبو علي القالي - إسماعيل بن القاسم بن هارون -	٣٢.
٥٥	أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني	٣٣.
٣٢٨	أبو يعلى	٣٤.
٢١	أبو حيان - محمد بن يوسف بن علي بن حيان الغرناطي -	٣٥.
٣٠٦	أبي أرزين - مسعود بن مالك -	٣٦.
٢٣٦	أبي إسحاق السبيعي	٣٧.
٤٣٩	أبي الأحوص - عوف بن مالك بن نضلة الجمشي -	٣٨.
٢٨٦	أبي الشيخ - الأصبهاني -	٣٩.
٥٥	أبي بكر بن الأنباري - محمد بن القاسم -	٤٠.
٣٨٢	أبي جعفر - محمد بن علي بن الحسين -	٤١.
٤٢١	أبي رجاء	٤٢.
١٧٩	أبي ظبيان - حصين بن جندب بن عمرو بن الحارث -	٤٣.
٢٣٤	أبي لُبابة بن عبد المنذر	٤٤.
١٠٦	أبي مجلز - لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي -	٤٥.
٤٢١	أبي ميسرة - عمرو بن شراحيل الهمداني الكوفي -	٤٦.
١٥٠	أبي وائل شقيق	٤٧.
١٣٥	الأزهري - حمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر -	٤٨.
٥٣	إسحاق - أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي -	٤٩.
٢٣٥	أسلم بن عمران	٥٠.
١٩٥	إسماعيل بن أبي خالد	٥١.
٢٩٠	الألوسي - أبو الشاء شهاب الدين محمود -	٥٢.

٤٣٣	امرؤ القيس - بن حجر بن الحارث الكندي-	٥٣
٥٧	أنس بن مالك	٥٤
٥٢	البراء- بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الخزرجي-	٥٥
١٥٠	بريدة الأسلمي	٥٦
٣٣٢	بكر بن عبد الله	٥٧
٢٠٨	بن جريج- هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج-	٥٨
٢٩٤	البيضاوي - عبد الله بن عمر-	٥٩
٢٨٤	ثابت البناني	٦٠
٣١٥	جرير - بن عطية بن الخطفي التميمي - أبو مسلم الأصبهاني	٦١
=	الحارث - بن يزيد العُكُلي-	٦٢
١٢١	حسان بن ثابت - بن المنذر-	٦٣
٤٦	الحسن بن أبي الحسن يسار	٦٤
٣٧١	الحسن بن محمد بن الحنفية	٦٥
٤٦	حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس	٦٦
٣٦٦	حُصين بن عبد الرحمن - السُّلمي-	٦٧
٢٨٧	الخطيب الإسكافي - محمد بن عبد الله-	٦٨
٥٥	الخليل - بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري-	٦٩
٢٧٨	الخليل - بن أحمد-	٧٠
٣٨١	خويلد بن خالد	٧١
٢٨٥	داود بن أبي هند دينار	٧٢
٤١٤	ذي الرمة- غيلان بن عقبة بن بهيش-	٧٣
١٦٠	الرازي - محمد بن عمر -	٧٤
٢٦٢	الربيع بن أنس	٧٥
٣٦	الزبير - بن العوام -	٧٦
١٠٤	الزجاج - إبراهيم بن محمد بن السري -	٧٧
١٤١	زر - بن حبيش بن حياشة بن أوس الأسدي-	٧٨
٢٢	الزركشي - محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي -	٧٩
٢٤٦	الزحشري - محمود بن عمر بن محمد-	٨٠
٣٨٦	زهير - بن أبي سلمى-	٨١
٨٩	زيد بن أرقم	٨٢
٤٥	زيد بن أسلم - العدوي-	٨٣

٢٠٧	زينب : هي أم المؤمنين	.٨٤
٢٠٦	سعد- أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص-	.٨٥
٣٦	سعيد بن جبير - بن هشام الوالي الكوفي-	.٨٦
٩٢	سعيد بن زيد	.٨٧
٤٩	سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي	.٨٨
٥٩	السلمي - أبو عبد الرحمن السلمي -	.٨٩
٨٠	السمين الحلبي -أبو العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم-	.٩٠
٣٢	السيوطي - عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي-	.٩١
٢٠٧	الشعبي- أبو عمرو عامر بن شراحيل-	.٩٢
٢٣٤	شمر بن عطية	.٩٣
٣٥١	شمر -بن عطية الأسدي الكاهلي-	.٩٤
٦٥	الشنقيطي - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر-	.٩٥
٣٠٩	شهر بن حوشب الأشعري	.٩٦
٤٥	صالح بن كيسان المدني	.٩٧
٢٩٢	الصنعاني- محمد بن إسماعيل-	.٩٨
٤٢١	الضحاك -	.٩٩
١٣٨	طاووس -بن كيسان-	.١٠٠
٦٠	الطوفي - سليمان بن عبد القوي المصري -	.١٠١
٢٣٤	عبد الله بن أبي قتادة	.١٠٢
٦٦	عبد الله بن رواحة	.١٠٣
٢٠٧	عبد الله بن عتبة	.١٠٤
١٤٢	عبد الله بن معقل -بن مُقَرَّن المزي-	.١٠٥
٣٠	عبيدة السلماني - بن عمرو السلماني المرادي-	.١٠٦
٢٣٠	عتبة بن ربيعة	.١٠٧
١٨٧	عروة بن الزبير -بن العوام-	.١٠٨
٢٤	العز بن عبد السلام	.١٠٩
١٤١	عطاء -بن أبي رباح-	.١١٠
٥١	عطاء الخراساني	.١١١
٥١	عطية بن سعد بن جنادة العوفي القيسي	.١١٢
٢٣٤	عقبة بن أبي معيط	.١١٣
٢٢٧	عقبة بن عامر	.١١٤

٢٠٦	علي - بن أبي طالب-	.١١٥
٨٢	عمرو بن ميمون الأودي	.١١٦
٤٣٣	عنتره بن شداد - بن عمرو العبسي-	.١١٧
٢٨٩	الغزالي - أبو حامد محمد بن محمد الطوسي-	.١١٨
٦٧	الفراء	.١١٩
٢٩٤	الفراء- يحيى بن زياد-	.١٢٠
٢١١	القاضي إسماعيل	.١٢١
٣٤٠	القاضي- حمد بن الطيب بن محمد- الباقلائي	.١٢٢
٥٨	القرطبي - أبو عبد الله محمد بن أحمد -	.١٢٣
٢٩٤	قطرب- محمد بن المستنير-	.١٢٤
١٤٢	كعب بن عُجْرَة	.١٢٥
٥١	الكلبي- محمد بن السائب بن بشر الكلبي-	.١٢٦
٤٥٦	ليبيد بن ربيعة - بن مالك العامري-	.١٢٧
١٥٩	الماوردي - علي بن محمد بن حبيب القاضي أبو الحسن	.١٢٨
٢٢	محمد الطاهر بن عاشور	.١٢٩
٢٣٥	محمد بن إسماعيل البخاري	.١٣٠
٢٢	محمد بن عبد العظيم الزرقاني	.١٣١
٣٣٨	محمد بن عمرو	.١٣٢
٥٣	محمد بن نصر المروزي	.١٣٣
٣٨	مسروق - بن الأجدع-	.١٣٤
٣٥٥	معمّر - بن راشد -	.١٣٥
٢٣٤	المغيرة بن شعبة	.١٣٦
٣٨	المقداد - بن الأسود الكندي-	.١٣٧
٢٣	مناح القطان	.١٣٨
٢٠٧	نافع مولى ابن عمر	.١٣٩
٣٨٦	هرم بن سنان	.١٤٠
٢٠٨	هشام - أبو عبد الرحمن هشام بن يوسف الصنعائي-	.١٤١
٣٧١	وأبو قلابه - عبد الله بن زيد بن عمرو-	.١٤٢
٢٦٥	الواحدي- علي بن أحمد بن محمد	.١٤٣
٣٠٦	وهب الذماري	.١٤٤
٥٠	يحيى بن سلام - بن أبي ثعلبة-	.١٤٥

رابعاً: فهرس الفرق

رابعاً: فهرس الفرق

رقم الصفحة	اسم الفرقه	التسلسل
٢٤٧	الجهمية	.١
٢٤٧	الفلاسفة	.٢
٢٤٨	والمعتزلة	.٣

خامساً: فهرس الأماكن والبلدان

خامساً: فهرس البلدان

رقم الصفحة	التسلسل اسم البلد
٣١٩	.١ الصريم
٢٣٥	.٢ القسطنطينية

سادساً: فهرس الأبيات الشعرية

سادساً: فهرس الأبيات الشعرية

رقم الصفحة	البيت	التسلسل
٦٥	عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير	٧
٤٥٤	فَمَا لَسَعْنَةُ النَّحْلِ أَمْ يَرَجُّ لِسْعَهَا فَسَكَّكَ بِالرَّمْحِ الْأَصْمَحِ نِيَابِيَةً وخالفها في نبت نوب عواسل ليس الكريم على الفتى بمحرم.	٨
٤٥٦	مُضْمَرٌ تَجَدَّرَهُ الْإِيطَالُ إِذَا مَا هَتَفْنَا هَتْفَهُ فَمَسَّوْرَةُ الرَّئِبَالِ أَتَانَا الرِّجَالُ الْعَادُونَ الْقَسَاوِرُ.	٩ ٦
٤٣٣	إني بحمد الله لا ثوبَ غادرٍ لبست ولا من خزية اتقنعُ.	٣
٦٧	إني توسمت فيك الخير أعرفه والله يعلم أي ثابت النظر.	٤
٦٧	توسمته لما رأيت مهابة عليه وقلت المرء من آل هاشم.	٥
٤٣٣	ثياب بني عوفٍ طهارى نقيّة وأوجههم بيض المسافرِ غرّانُ.	٦

٤٥٦	مُضْمَرٌ تَحْذَرُهُ الْأَبْطَالُ كَأَنَّهُ الْقِسْوَرَةُ الرَّئِبَالُ.
١٢١	نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
٤٣٣	وإن تك قد ساعتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
٤١٥	وَكَايِنُ تَخَطَّتْ نَافَتِي مِنْ مَقَازَةٍ وَمِنْ نَائِمٍ عَنْ لَيْلِهَا مُتْرَمِّلٍ.
٤٥٦	يا بنتُ، كوني خَيْرَةً لَخَيْرَةٍ أخوالها في الحي أهلُ القسورَةِ.

سابعاً: فهرس المصادر والمراجع

سابعاً: فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- إبطال التأويلات لأخبار الصفات للقاضي أبي يعلى. تحقيق: محمد بن حمد النجدي، ط: الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة دار الإمام الذهبي للنشر والتوزيع.
- ٢- الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي: علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: جماعة من العلماء،: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى
- ٣- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب، دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.
- ٤- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين: لعبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام، القاهرة، ط: ٢، ١٤٢٠هـ.
- ٥- إجابة السائل شرح بغية الآمل: ل محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: حسين بن أحمد السياغي، وحسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٩٨٦ م.

- ٦- الإجماع في التفسير: ل محمد بن عبد العزيز الخضير، دار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- ٧- إحكام الفصول في أحكام الأصول: لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي، تحقيق: عبد الله بن محمد الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٠٩هـ.
- ٨- أحكام القرآن: لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان.
- ٩- أحكام القرآن: لأحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥.
- ١٠- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى.
- ١١- الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد، دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٤، الطبعة: الأولى.
- ١٢- اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف "وهي رسالة علمية مقدمة لنيال الدكتوراه من الباحث: عبد الله بن عبد الله الأهدل"، عام ١٤٠٧هـ كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم القرآن وعلومه.
- ١٣- اختلاف التنوع واختلاف التضاد في تفسير السلف: للدكتور: عبد الله بن عبد الله الأهدل، رسالة مقدمة لنيال درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٧هـ.
- ١٤- اختلاف المفسرين، أسبابه وآثاره، للدكتور: سعود بن عبد الله الفيسان، نشر دار اشبيليا، الرياض، ط: ١، ١٤١٨هـ.
- ١٥- الاختلاف بين السلف في التفسير، للباحث: محمد صالح سليمان، ص ٢١-٢٢، وهي رسالة ماجستير، عام ١٤٢٨هـ جامعة الأزهر.
- ١٦- أدب الخلاف، لصالح بن عبد الله بن حميد، دار أو القرى للطباعة، القاهرة.
- ١٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث

العربي - بيروت -.

١٨- إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول: لخدم بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد سعيد

البدرى أبو مصعب، دار الفكر - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى.

١٩- أسباب اختلاف المفسرين المتعلقة بمرجع الضمير: د. صالح ناصر الناصر، (وهو بحث منشور في مجلة

الحكمة، العدد (٣٤)، محرم ١٤٢٨هـ.

٢٠- أسباب اختلاف المفسرين: للدكتور: محمد بن عبد الرحمن الشايع، مكتبة العبيكان، ط: ١،

١٤١٦هـ.

٢١- الاستقامة : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة

الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.

٢٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ليوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، تحقيق: علي محمد

البجاوي، دار الجيل - بيروت - ١٤١٢، الطبعة: الأولى.

٢٣- الأسماء والصفات: للبيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، المحقق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة

السوادي - جدة - الطبعة: الأولى.

٢٤- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع الجاز: للعز بن عبد السلام، تحقيق: رمزي دمشقية، ط: دار

البيانات الإسلامية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٨هـ.

٢٥- الأشباه والنظائر: لعبد الوهاب بن علي السبكي. تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي عوض. دار

الكتب العلمية، بيروت. ط: ١، ١٤١١هـ.

٢٦- الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، لخدم نور الدين المنجد، دار الفكر،

بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٢٧- الاشتراك وأثره في استنباط الأحكام: لأسامة عبد العظيم، دار الفتح للطباعة والنشر.

٢٨- الإصابة في تمييز الصحابة: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي

محمد البجاوي، دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢

- ٢٩- أصول التفسير وقواعده: خالد العك، دار النفائس بيروت، ٤، ١٤٢٤هـ.
- ٣٠- أصول في التفسير: محمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٣١- الأضداد في كلام العرب، لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، تحقيق: عزة حسن، ط: الأولى ١٩٦٣م، المجمع العلمي العربي بدمشق.
- ٣٢- الأضداد: لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١١هـ.
- ٣٣- الأضداد: محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر. - بيروت. - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٥- الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
- ٣٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو عبد الله، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٢.
- ٣٧- الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق. د: عائشة بنت الشاطيء دار المعارف، مصر.
- ٣٨- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١٥، ٢٠٠٢.
- ٣٩- أعلام الموقعين عن رب العالمين: لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط: الأولى، ١٤٢١.
- ٤٠- الأعلام: خير الدين الزركلي، الطبعة الثانية عشر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد

الفاقي، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٥ - ١٩٧٥، الطبعة: الثانية.

٤٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس،

تحقيق: محمد حامد الفاقي، مطبعة السنة المحمدية - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩.

٤٣- أقوال الشاطبي في التفسير جمع ودراسة لمحمد بن عبد الله الصالح، تقدم بها لنيل درجة الدكتوراة في

قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٧هـ.

٤٤- الإكسير في قواعد التفسير لسليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة

الآداب، القاهرة، ط: ٢.

٤٥- الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى: لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق: فتح الله صالح، دار

الوفاء، المنصورة، ط: ٣، ١٤١٣هـ.

٤٦- أمالي الشريف المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): لعلي بن الحسين الموسوي، المعروف بالشريف

المرتضى، نشر مكتبة الباي الحلبي، ط: ١، ١٣٧٣هـ.

٤٧- الأمالي: لأبي علي القالي، نشر دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٦هـ.

٤٨- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،

تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٠٦ هـ -

١٩٨٦م، الطبعة: الثانية.

٤٩- إنباه الرواة: لأبي الحسن علي بن يوسف القفطلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر

العربي بالقاهرة، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

٥٠- الإنصاف في التنبية على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف: لعبد الله بن محمد بن السيد

البطليوسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣

٥١- الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه: لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار

المنارة، جدة، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

٥٢- البحر المحيظ في أصول الفقه: بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: ضبط نصوصه

- وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- ٥٣- بحوث في أصول التفسير ومناهجه: للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي، مكتبة الرشد، الرياض، ط: ٦، ١٤٢٢هـ.
- ٥٤- بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن القيم الجوزية، جمعه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط: ١، ١٤١٤هـ.
- ٥٥- بدائع الفوائد: لحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، مكتبة نزار مصطفى الباز، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد -، مكة المكرمة - ١٤١٦ - ١٩٩٦، الطبعة: الأولى.
- ٥٦- البداية والنهاية: لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف - بيروت.
- ٥٧- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للعلامة محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة - بيروت.
- ٥٨- البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى الباني الحلبي وشركائه. (ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء: ٤.
- ٥٩- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت - ١٤٠٧، الطبعة: الأولى.
- ٦٠- تاج العروس من جواهر القاموس: لحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من الخققين، دار الهداية.
- ٦١- تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط: الرابعة، بيروت، ١٩٩٠.
- ٦٢- التاريخ الكبير: لحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار الفكر، تحقيق: السيد هاشم الندوي.

- ٦٣- تاريخ بغداد: لأحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٦٤- تأويل مشكل القرآن: لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، مصر، ط: ٣، ١٤٠١هـ.
- ٦٥- تأويل مشكل القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٦٦- التبيان في أقسام القرآن: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الفكر.
- ٦٧- التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.
- ٦٨- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب للإمام أبي حيان الغرناطي الأندلسي، مخطوط محفوظ بالمكتبة الأزهرية بالقاهرة، برقم: ٣٠٩٥٧٧، عدد اللوحات: ٢٧.
- ٦٩- تذكرة الحفاظ: ل محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
- ٧٠- ترجيح أساليب القرآن، ل محمد بن إبراهيم المعروف بابن الوزير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٧١- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
- ٧٢- تفسير ابن المنذر، تحقيق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر، المدينة المنورة، ط: ١، ١٤٢٣هـ.
- ٧٣- تفسير الإمام الفخر الرازي المسمى (مفاتيح الغيب): للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى
- ٧٤- تفسير البحر المحيط: ل محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق (د. زكريا عبد المجيد النوقي، ود. أحمد

النجولي الجمل)، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ،
الطبعة : الأولى.

٧٥- تفسير التابعين عرض ودارسة مقارنة: محمد بن عبد الله الخضير، دار الوطن، الرياض، ط: ١،
١٤٢٠هـ.

٧٦- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم: لنصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي، تحقيق:
د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت .

٧٧- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الخقق: سامي بن
محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٧٨- تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، دار النشر: مكتبة
الرشد - الرياض - ١٤١٠، الطبعة: الأولى.

٧٩- تفسير القرآن: لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب،
دار النشر: المكتبة العصرية - صيدا.

٨٠- التفسير القيم للإمام ابن القيم، جمع: محمد أويس الندوي، تحقيق: محمد حامد الفقهي، مكتبة السنة
الحمدية.

٨١- التفسير اللغوي للقرآن الكريم: لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي الدمام، ط: ١،
١٤٢٢هـ.

٨٢- تفسير الماوردي-النكت والعيون-: لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق
: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان

٨٣- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢.

٨٤- تفسير آية الكرسي، محمد صالح العثيمين.

٨٥- تفسير جزء عم: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط: ١، ١٤٢٣هـ، دار الثريا بالرياض.

- ٨٦- تفسير جزء عم، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط: ٦، ١٤٢٧هـ.
- ٨٧- تفسير روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، دار إحياء التراث العربي.
- ٨٨- تفسير سورة البقرة، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤٢٣هـ.
- ٨٩- تفسير سورة الكهف، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: ١، ١٤٢٣هـ.
- ٩٠- تفسير سورة النساء، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، بخط تلميذه خالد حامد.
- ٩١- تفسير سورة النور، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، عبد المعطي قلعجي، نشر دار الوعي، حلب.
- ٩٢- تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٩٣- تفسير مقاتل بن سليمان: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأردني تحقيق: أحمد فريد، ودار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة: الأولى.
- ٩٤- التفسير والمفسرون: للدكتور محمد بن حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: الثامنة ١٤٢٤هـ.
- ٩٥- تقريب التهذيب: لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق محمد عوامة الناشر دار الرشيد، ١٤٠٦ - ١٩٨٦، سوريا.
- ٩٦- تلخيص البيان في مجازات القرآن: للشريف الرضي، نشر عالم الكتب، ط: ١، ١٤٠٦هـ.
- ٩٧- التمهيد في أصول الفقه: لحفظ بن أحمد أبو الخطاب الكلوزاني الحنبلي، تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة. دار المدني، مصر. ط: ١، ١٤٠٦هـ.
- ٩٨- التمهيد في تخريج الفروع على الأصول: جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، تحقيق: محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٤هـ.
- ٩٩- تمهيد التهذيب: لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ -

١٩٨٤ م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

- ١٠٠- تهذيب الكمال: ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- ١٠١- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى - بيروت - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.
- ١٠٢- توجيه النظر إلى أصول الأثر: لطاهر الجزائري الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ١٠٣- تيسير التحرير: لخدم أمين المعروف بأمير بادشاه، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- ١٠٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٠٥- الثقات: لخدم بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ - ١٩٧٥.
- ١٠٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لخدم بن جعفر الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للنشر والتوزيع، بمصر، ط: ١٤٢٢هـ.
- ١٠٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لخدم بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- ١٠٨- الجامع الصحيح المختصر: لخدم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة.
- ١٠٩- الجامع الصحيح سنن الترمذي: لخدم بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربى - بيروت.
- ١١٠- جامع العلوم، الملقب بدستور العلماء: للأحمد نكري، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

- ١١١ - الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
- ١١٢ - الجرح والتعديل، تأليف: عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٢٧١ - ١٩٥٢، الطبعة: الأولى.
- ١١٣ - جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة - الكويت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثانية.
- ١١٤ - جمهرة اللغة، لابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار النشر: دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٨٧ م، الطبعة: الأولى.
- ١١٥ - جهود ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن، أحمد البريدي، نشر مكتبة الرشد، ط: ٢، ١٤٢٨ هـ.
- ١١٦ - الجواهر الحسان في تفسير القرآن: لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الشعالي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.
- ١١٧ - الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية: لحيي الدين أبي محمد القرشي الحنفي، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للنشر والتوزيع، مصر، ط٢، ١٤١٣ هـ.
- ١١٨ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.
- ١١٩ - الخصائص: لأبي الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار النشر: عالم الكتب - بيروت.
- ١٢٠ - خلاصة تذهيب تمذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله

الخزرجي الأنصاري اليمني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية - دار
الشائر - حلب / بيروت - ١٤١٦ هـ، الطبعة: الخامسة.

١٢١- الدر المنثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار النشر: دار الفكر - بيروت

١٩٩٣ -

١٢٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد

١٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني،

تحقيق محمد بن عبد المعيد ضان مجلي ن دائرة المعارف الإسلامية ، صيدر أباد-الهند-١٣٩٢هـ..

١٢٤- دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب: للشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مكتبة ابن

تيمية. الطبعة الأولى (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

١٢٥- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو

العباس، دار النشر: مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ١٤٠٤، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد

السيد الجليند.

١٢٦- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: لإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون

اليعمري المالكي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٢٧- ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الناشر:الدار القومية للطباعة والنشر

بالقاهرة، ١٣٨٤هـ.

١٢٨- ديوان امرئ القيس، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بالقاهرة، ط:٥.

١٢٩- ديوان جرير، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين عطية، دار المعارف،

ط:٣.

١٣٠- ديوان حسان بن ثابت، دار الإسكندرية، مصر.

١٣١- ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر الباهلي، تحقيق: الدكتور: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة

الرسالة، ط:٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٣.

- ١٣٢- ديوان زهير بن أبي سلمى.
- ١٣٣- ديوان عنتره، نشر دار صادر، ط٢، ١٤١٢هـ.
- ١٣٤- ذم التأويل، لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، دار النشر: الدار السلفية - الكويت - ١٤٠٦، الطبعة: الأولى.
- ١٣٥- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ١٣٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ١٣٧- روضة الناظر وجنة المناظر: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، مكتبة المعارف، الرياض، ط: ٢، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٨- زاد المسير في علم التفسير: لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤.
- ١٣٩- الزاهر في معاني كلمات الناس: لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢، الطبعة: الأولى.
- ١٤٠- الزهد،: لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني أبو بكر، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث - القاهرة - ١٤٠٨، الطبعة: الثانية.
- ١٤١- السلسلة الصحيحة للألباني مكتبة المعارف الرياض.
- ١٤٢- السنة: لحمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى.
- ١٤٣- سنن ابن ماجه، لحمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- ١٤٤- سنن أبي داود: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت، وزارة الأوقاف المصرية وأشاروا إلى جمعية المكثر الإسلامي.

- ١٤٥ - سنن سعيد بن منصور، المحقق: د. سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار النشر: دار العصيمي: الرياض: ١٤١٤، الطبعة: الأولى، مصدر الكتاب: شركة التراث.
- ١٤٦ - سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: التاسعة.
- ١٤٧ - السيرة النبوية لابن هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد - دار الجيل - بيروت - ١٤١١، الطبعة: الأولى.
- ١٤٨ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرنؤوط، دار بن كثير ١٤٠٦هـ، دمشق.
- ١٤٩ - شرح الأصول من علم الأصول: للشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، دار البصيرة، مصر.
- ١٥٠ - شرح العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه الشيخ محمد العثيمين، ط: ٢، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي الدمام.
- ١٥١ - شرح العمدة في الفقه: أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. سعود صالح العطيشان، مكتبة العبيكان - الرياض - ١٤١٣، الطبعة: الأولى. - تفسير جزء عم، د. مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، ط: ٦، ١٤٢٧هـ.
- ١٥٢ - شرح الكوكب المنير: لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، المحقق: محمد الزحيلي و نزيه حماد، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.
- ١٥٣ - الشرح الممتع على زاد المستنقع: لفضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، اعنى به، د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ود. خالد بن علي المشيقح، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م ط ١،

مؤسسة آسام.

١٥٤- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن

إدريس القرافي. تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط: ١،

١٣٨٧هـ.

١٥٥- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: للدكتور: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن

الجوزي، ط: ٢، ١٤٢٨هـ.

١٥٦- شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن حسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، درا

الكتب العلمية، بيروت ط: ١ عام ١٤١٠هـ.

١٥٧- الشعر والشعراء، لابن قتيبة، ت: أحمد شاکر، ١٣٨٧هـ.

١٥٨- الشنقيطي، تحقيق: أبو حفص سامي بن العربي، دار الجليل، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

١٥٩- الشهر بابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة الأستاذ علي محمد

الضباع، شيخ عموم المقارئ: بالديار المصرية، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٦٠- الصاحبى في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا،

تصحيح ونشر المكتبة السلفية، القاهرة، ١٣٣٨هـ.

١٦١- الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية: لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور

عطار، دار العلم للملايين، لطبعة: الرابعة ١٩٩٠ .

١٦٢- صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد

الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٦٣- صحيح مسلم بشرح النووي، تأليف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر:

دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.

١٦٤- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، ل محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي ابن قيم الجوزية،

تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ - ١٩٩٨، دار العاصمة -

الرياض.

١٦٥- طبقات الحفاظ: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.

١٦٦- طبقات الشافعية الكبرى: للإمام تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية.

١٦٧- الطبقات الكبرى: لحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، دار صادر --- بيروت -.

١٦٨- طبقات المفسرين: لأحمد بن محمد الأدهوي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

١٦٩- طبقات المفسرين: لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، دار النشر: مكتبة وهبة - القاهرة - ١٣٩٦، الطبعة: الأولى.

١٧٠- طبقات المفسرين: لحمد بن علي الداوودي، نشر دار الكتب العلمية ببيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

١٧١- طبقات النحويين واللغويين: لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط: ٢.

١٧٢- طبقات علماء أفريقيا: لأبي العرب محمد بن تميم، نشر دار الكتاب.

١٧٣- طبقات فحول الشعراء، تأليف: محمد بن سلام الجمحي، دار النشر: دار المدني - جدة، تحقيق: محمود محمد شاكر.

١٧٤- طريق المهجرتين وباب السعادتين: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، دار النشر: دار ابن القيم - الدمام - ١٤١٤ - ١٩٩٤، الطبعة: الثانية.

١٧٥- العدة في أصول الفقه: لأبي يعلى محمد بن الحسين الحنبلي، تحقيق: أحمد بن علي سير المباركي،

مطبعة المدني، الرياض، ط:٢، ١٤١٠هـ.

١٧٦- العسقلاني، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية ،

١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، صيدر اباد/ الهند.

١٧٧- علماء ومفكرون عرفتهم: للأستاذ محمد المجذوب، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض،

ط:٤.

١٧٨- علوم القرآن عند الشاطبي جمع ودراسة: لعبد الله الرفاعي، وهي رسالة ماجستير بقسم

القرآن وعلومه، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٨هـ.

١٧٩- علوم القرآن عند الشاطبي من خلال كتابه الموافقات: لحمد سالم أبو عاصي، دار البصائر،

مصر.

١٨٠- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمن الحلبي، تحقيق:

محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط:١، ١٤١٧هـ.

١٨١- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم: لحمد بن إبراهيم اليماني ، تحقيق: شعيب

الأزرقوط ، دار البشير، عمان، ط:١، ١٤٠٦هـ.

١٨٢- العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم

السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

١٨٣- العين: للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، دار

النشر: دار ومكتبة الهلال.

١٨٤- غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: د. سليمان إبراهيم محمد

العايد ، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.

١٨٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حقق أصلها

الشيخ عبد العزيز بن باز، واعتنى بها: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط:١،

١٤١٩هـ.

- ١٨٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- ١٨٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٩٧٧، الطبعة: الثانية
- ١٨٨- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: محمد بن عبد الرحمن الشايع، مكتبة العبيكان، ط: ١، ١٤١٤هـ.
- ١٨٩- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ٢، ١٤٢٤هـ.
- ١٩٠- فصول في أصول التفسير: للدكتور: مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام ط: ٣، ١٤٢٠هـ.
- ١٩١- فضل علم السلف على علم الخلف: لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب الجنبلي، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٦هـ.
- ١٩٢- الفهرست: محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨ - ١٩٧٨.
- ١٩٣- الفوائد: لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٣٩٣ - ١٩٧٣، الطبعة: الثانية.
- ١٩٤- فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن أحمد الكتيبي، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله/عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- ١٩٥- القاموس المحيط، تأليف: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت
- ١٩٦- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: لعبد الرحمن حسن حبيكة، دار القلم، دمشق، ط: ٣، ١٤٢٥هـ.
- ١٩٧- قواعد الترجيح عند المفسرين: لحسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، ط: ١،

١٤١٧هـ.

١٩٨- قواعد التفسير جمعاً ودراسة: خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، بالقاهرة، ط: ١،

١٤٢١هـ.

١٩٩- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: خالد بن

عثمان السبت، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: ٢، ١٤٢١هـ.

٢٠٠- القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به د. سليمان أبالخيل،

ود. خالد المشيقح، ط: ١، ١٤١٥هـ، دار العاصمة بالرياض.

٢٠١- الكامل في ضعفاء الرجال: عبدالله بن عدي بن عبدالله بن محمد أبو أحمد الجرجاني، تحقيق:

يحيى مختار غزاوي، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٨، الطبعة: الثالثة.

٢٠٢- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي -

لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.

٢٠٣- كتاب المجالس: محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار

عمار الأردن، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٢٠٤- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي، تحقيق:

كمال يوسف الحوت، دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى.

٢٠٥- كتاب مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقييم، لخالد بن عثمان السبت، ط: ٢، دار ابن عفان،

القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٢٠٦- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني أبو

العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

٢٠٧- كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي الفاروقي التهانوي، طبعة دار صادر بيروت.

٢٠٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر

الزحخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ٢٠٩- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي): أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الأولى.
- ٢١٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢١١- كيف نختلف، للشيخ عبد الله بن يبه، مقال منشور بموقع ملتقى أهل التفسير بتاريخ (٢٠٠٥/٦/٨).
- ٢١٢- اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.
- ٢١٣- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- ٢١٤- لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - ١٤٠٦ - ١٩٨٦، الطبعة: الثالثة.
- ٢١٥- مباحث في علوم القرآن: لمناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢١٦- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ٢١٧- المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه - عرض وتحليل ونقد لعبد العظيم بن إبراهيم المطعني، ط: ١.
- ٢١٨- المجتبى من السنن: لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الطبعة الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ (الأحاديث مذييلة

بأحكام الألباني عليها).

- ٢١٩- مجمع البيان في تفسير القرآن: للطبرسي الرافضي، نشر مكتبة الحياة.
- ٢٢٠- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.
- ٢٢١- مجموع فتاوى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، إعداد وتقديم: عبد الله الطيار، وأحمد بن باز، دار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٤١٦هـ.
- ٢٢٢- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين في العقيدة: لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، الخقق: فتاوى العقيدة جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان.
- ٢٢٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط: ٢، ١٤٢٨هـ.
- ٢٢٤- الحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي: تحقيق: طه جابر فياض العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض - ١٤٠٠، الطبعة: الأولى.
- ٢٢٥- المحيط في اللغة: للصاحب أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب - بيروت / لبنان - ١٤١٤هـ - الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.
- ٢٢٦- مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لابن القيم. اختصره/ محمد الموصلي الناشر مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- ٢٢٧- مختصر الصواعق المرسله: لابن القيم الجوزية، اختصره الشيخ: محمد بن الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٢٨- المدخل إلى السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي أبو بكر، تحقيق: د. محمد ضياء

- الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت - ١٤٠٤.
- ٢٢٩- مذكرة علوم القرآن، كتيهاطلاب الدراسات العليا بقسم القرآن وعلومه عام ١٤١١هـ (ص: ٣٤) نقلا عن قواعد الترجيح، لحسين الحربي (١/٣٢).
- ٢٣٠- مذكرة في أصول الفقه: ل محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.
- ٢٣١- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ل جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.
- ٢٣٢- المستدرک علی الصحیحین: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى.
- ٢٣٣- المستصفي في علم الأصول: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٣، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي.
- ٢٣٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل: للإمام أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة - مصر -.
- ٢٣٥- المسودة في أصول الفقه: شهاب الدين أبو العباس الحنبلي الحراني الدمشقي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٣٦- المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، لتوفيق محمد شاهين، مكتبة، القاهرة.
- ٢٣٧- المشترك اللفظي في الحقل القرآني: للدكتور عبد العال سالم مكرم، نشر دار الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ.
- ٢٣٨- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، النشر بيروت ١٤٠٣.
- ٢٣٩- مصنف عبد الرزاق: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

- ٢٤٠ - مع الإمام أبي اسحاق الشاطبي في مباحث من علوم القرآن الكريم تفسيره، إعداد: د. شايح بن عبده بن شايح الأسمرى. منقول من المكتبة الشاملة.
- ٢٤١ - معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: لحمّد بنّ حسين بن حسن الجيزاني، دار ابن الجوزي، الطبعة: الطبعة الخامسة، ١٤٢٧ هـ
- ٢٤٢ - معالم التنزيل للبغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.
- ٢٤٣ - معاني القرآن الكريم: النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى.
- ٢٤٤ - معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم السري الزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شليبي، دار عالم الكتب.
- ٢٤٥ - معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط: ٣، ١٤٠٣ هـ.
- ٢٤٦ - معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي / محمد علي نجار / عبدالفتاح إسماعيل شليبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- ٢٤٧ - معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: هدى قراعة، نشر مكتبة الخانجي، ط ١، ١٤١١ هـ.
- ٢٤٨ - المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي بن الطيب البصري أبو الحسين، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.
- ٢٤٩ - معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، الطبعة: الأولى
- ٢٥٠ - معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
- ٢٥١ - معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، لعزيزة فوال بابتي، نشر جروس برس بطرابلس، لبنان، ط: ١، ١٩٩٨.
- ٢٥٢ - معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي، لعفيف بن عبد الرحمن، دار المناهل بيروت، ط: ١، ١٤١٧ هـ.

- ٢٥٣- معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية : لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٥٤- معجم المفسرين: عادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض للثقافة، ط:٣، ١٤٠٩هـ.
- ٢٥٥- المعجم الوسيط : لإبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد النجار، تحقيق / مجمع اللغة العربية، دار النشر : دار الدعوة.
- ٢٥٦- مفتاح الجنة في الاعتصام بالسنة: للسيوطي، تحقيق: د. بدر البدر، دار النفائس، الكويت، ١٤١٤هـ.
- ٢٥٧- مفردات ألفاظ القرآن {نسخة محققة: الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم. دار القلم - دمشق.
- ٢٥٨- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر: لمساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الدمام، ط:٢، ١٤٢٧هـ.
- ٢٥٩- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للدكتور: مساعد الطيار، دار المحدث، ط:١، ١٤٢٥هـ.
- ٢٦٠- مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ط ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٢ م.
- ٢٦١- مقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهاني، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار الدعوة، الكويت/ط:١، ١٤٠٥هـ.
- ٢٦٢- مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، دار الرسالة، مكة المكرمة، ١٤١٥هـ.
- ٢٦٣- مقدمة في أصول التفسير: لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عدنان زرزور- دار القرآن الكريم- الكويت، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
- ٢٦٤- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني،

دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٤.

٢٦٥ - مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر - لبنان -
١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.

٢٦٦ - منع جواز الحجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، محمد الأمين بن محمد المختار

٢٦٧ - منهج ابن كثير في التفسير: د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار المسلم، الرياض، ط: ١،
١٤٢٠هـ.

٢٦٨ - المنهل القراق في تخريج ما روي عن الصحابة والتابعين في تفسير "يوم يكشف عن ساق":
لسليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، ط: ١، ١٤١٢هـ.

٢٦٩ - الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الخقق: أبو عبيدة
مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٧٠ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: الشيخ علي
محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -
١٩٩٥، الطبعة: الأولى

٢٧١ - ناسخ القرآن ومنسوخه: لعبد الرحمن بن بن الجوزي، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار الثقافة
العربية، دمشق.

٢٧٢ - الناسخ و المنسوخ في كتاب الله عز وجل: لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. سليمان اللاحم،
مؤسسة الرسالة بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ.

٢٧٣ - نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي،
تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٤هـ -
١٩٨٤م، الطبعة: الأولى.

٢٧٤ - النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي

٢٧٥ - نقض التأسيس - مخطوط - مصورة من المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود - الرياض -

رقم (٣/٢٥٩٠).

٢٧٦- نكت الهميمان في نكت العميان، لصلاح الدين خليل الصفدي، توزيع مكتبة التوعية الإسلامية

لإحياء التراث الإسلامي.

٢٧٧- نهاية السؤل شرح منهاج الوصول: للإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، دار الكتب

العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٧٨- النهاية في غريب الحديث والأثر: لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر

أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، دار النشر: المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ -

١٩٧٩م.

٢٧٩- الوسيط في تفسير القرآن: للإمام أبي الحسن الواحدي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود،

وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ.

٢٨٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن

خلكان: حققه إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

ثامناً: فهرس الموضوعات

ثامناً: فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٤	المقدمة: وتشتمل على ما يلي: بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطته.
١٤	القسم الأول: الدراسة النظرية. وفيه خمسة فصول:
١٥	الفصل الأول: الاختلاف في التفسير معناه، وأنواعه. وفيه مبحثان:
١٦	المبحث الأول: المراد بالاختلاف في التفسير.
٢٥	المبحث الثاني: أنواع الاختلاف في التفسير. وفيه مطلبان:
٢٥	المطلب الأول: اختلاف التنوع.
٢٨	المطلب الثاني: اختلاف التضاد.
٣٤	الفصل الثاني: نشأة اختلاف التنوع. وفيه ثلاثة مباحث:
٣٨	المبحث الأول: اختلاف التنوع في كلام الصحابة.
٤٤	المبحث الثاني: اختلاف التنوع في كلام التابعين.
٤٩	المبحث الثالث: اختلاف التنوع في كلام أتباع التابعين.
٧٥	الفصل الثالث: اختلاف التنوع، أنواعه، وأسبابه. وفيه ثلاثة مباحث:
٧٦	المبحث الأول: الأنواع التي يعود إليها اختلاف التنوع. وتحت مطلبان:

٧٦	المطلب الأول: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى معنى واحد.
١١٠	المطلب الثاني: ما تعود فيه أنواع الاختلاف إلى أكثر من معنى.
١٢٧	المبحث الثاني أسباب الاختلاف العامة.
١٤١	المبحث الثالث: أسباب خاصة باختلاف التنوع. وفيه مطلبان:
١٤١	المطلب الأول أسباب راجعة إلى معنى واحد، وفيه خمسة فروع.
١٤١	الأول: ذكر المثال للفظ العام.
١٤٤	الثاني: التفسير باللازم.
١٤٦	الثالث: تقريب المعنى المراد.
١٤٨	الرابع: تفسير اللفظ بما هو أعم منه.
١٥٠	الخامس: تعدد أوصاف المسمى الواحد.
١٥٢	المطلب الثاني: أسباب راجعة إلى أكثر من معنى، وفيه ثلاثة فروع
١٥٢	الأول: الاشتراك اللغوي.
١٦١	الثاني: أن يعود الضمير إلى أكثر من مذكور.
١٦٦	الثالث: أن يكون في الآية صفة لتحتمل أكثر من موصوف.
١٧٠	الفصل الرابع: منهج العلماء في تأصيل اختلاف التنوع. وفيه أربعة مباحث:
١٧٠	المبحث الأول: منهج ابن تيمية في تأصيل اختلاف التنوع.
١٩٠	المبحث الثاني: منهج ابن كثير في تأصيل اختلاف التنوع.
١٩٩	المبحث الثالث: منهج الشاطبي في تأصيل اختلاف التنوع.
٢١٤	المبحث الرابع: منهج ابن عثيمين في تأصيل اختلاف التنوع.
٢٢٦	الفصل الخامس: آثار اختلاف التنوع.
٢٦٦	القسم الثاني: الدراسة التطبيقية.
٢٦٧	من أول سورة الملك إلى آخر سورة المدثر
٤٥٩	الخاتمة: وفيها بيان أهم النتائج والتوصيات.

٤٦٢	الفهارس العامة:
٤٦٤	فهرس الآيات القرآنية.
٤٩٢	فهرس الأحاديث.
٤٩٨	فهرس الأعلام.
٥٠٤	فهرس الفرق
٥٠٦	فهرس البلدان
٥٠٨	فهرس الأبيات الشعرية.
٥١١	ثبت المصادر والمراجع.
٥٣٨	فهرس الموضوعات.

اشتملت هذه الرسالة دراسة لاختلاف التنوع في التفسير، أنواعه وآثاره، دراسة نظرية تطبيقية.

وهي رسالة ماجستير مقدمة من الباحثة: منى بنت عبد العزيز بن عبد الله المعيدر.

وتولى الإشراف عليها: د. حجاج عربي رمضان. الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه.

وهذه الدراسة تأصيل لاختلاف التنوع من خلال أقوال السلف، وتقعيد العلماء، وبيان أنواعه، والآثار

المرتبة من هذا الاختلاف على التفسير، وتخصيص قسم للدراسة التطبيقية من أول سورة الملك إلى آخر

سورة المدثر، من خلال تفسيري الطبري وابن أبي حاتم وفق منهج تحليلي نقدي وذلك من خلال:

- ذكر الأقوال في الآية منسوبة إلى أصحابها .

- وبيان نوع الاختلاف

- وسبب الاختلاف بين أقوالهم.

- ثم النظر في إمكان الجمع بين الأقوال، ومراعاة أنه قد تُقبل كل الأقوال لصحتها، وقد يكون

بعضها أولى بالقبول من الآخر، ولا تعني الأولوية ردّ بقية الأقوال، والترجيح عند عدم إمكان الجمع،

وبيان أسباب ترجيح أحد الأقوال وعلل اختياره.

وابتدأت الرسالة بالدراسة النظرية وفيها خمسة فصول هي كالتالي:

الفصل الأول: الاختلاف في التفسير معناه، وأنواعه. وفيه مبحثان.

الفصل الثاني: نشأة اختلاف التنوع. وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الثالث: اختلاف التنوع، أنواعه، وأسبابه. وفيه ثلاثة مباحث.

الفصل الرابع: منهج العلماء في تأصيل اختلاف التنوع. وفيه أربعة مباحث.

الفصل الخامس: آثار اختلاف التنوع.

ثم الدراسة التطبيقية.

وخرجت الباحثة بنتائج منها:

- ١- إن الاختلاف في التفسير عند السلف أقل منه عند المتأخرين.
- ٢- إن الآية إذا كانت تحتمل معاني كثيرة كلها صحيحة تعين الحمل على الجميع.
- ٣- جمع عبارات السلف وعدم الاقتصار على بعضها يُجلي الصورة الكاملة للمعنى ويزيده وضوحاً وجلاء.
- ٤- إن اختلاف التنوع هو الغالب على تفسير السلف، وقد ظهر ذلك من خلال استقراء كتب التفسير.

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

These included the study of biological differences in interpretation, the type, its effects, the study applied the theory.

It is a message from the Master of the researcher:

Muna bint Abdul Aziz bin Abdullah Almather.

The supervision of: d. Hajjaj Arabic Ramadan. Assistant Professor, Department of the Quran and its Sciences.

The study quickly to the different variety of statements through the advances, scientists and govern, and the statement types, and the implications of this difference of interpretation, and the allocation of Section applied to the study of the first King Surat Surat Muddaththir to another, through the expository-Tabari, Ibn Abi Hatim in **accordance with the method of analysis of monetary and through:**

- The words in the verse attributed to their owners.
- And the kind of difference
- The reason for the difference between the words.
- Then consider the possibility of a combination of words, and taking into account that it might accept the validity of all statements, some of which may have accepted the first of the other, does not mean the rest of the statements of priority response, and weighting in the absence of the possibility of a combination, and one of the reasons for the weight of words and explanation of his choice.

The letter began to study the theory and the five chapters are as follows:

Chapter I: differences in the interpretation of its meaning, and types. Which Mbgesan.

Chapter II: the emergence of different diversity. The three detectives.

Chapter III: different variety, types, causes, and three detectives.

Chapter IV: scientists approach rooted in diversity and difference are four detectives.

Chapter V: the effects of different diversity.

Then applied.

Out by the results, including:

- ١- The difference in interpretation when the predecessor is less than at the latecomers.
- ٢ - The verse was intolerable that the meanings of many pregnancies are to be valid for all.
- ٣ - Gathering and phrases advances not only to evacuate some of the full picture of the meaning and tautology and unambiguously.
- ٤ - that diversity is often disagreement on the interpretation of the predecessor, and this was reflected in the extrapolation of the written explanation.

The God I know and may Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions and the peace